# بسم الله الرحمن الرحيم



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكبيسي ، أحمد عبد الكريم شوكه
القرآن ودوره في إصلاح المجتمع / أحمد عبد الكريم شوكه الكبيسي . – تعز : المؤسسة ؛ ٢٠١٠م ، ٣٥٠ص ، ٢٤سم .
١- القرآن الكريم ٢- الإصلاح الاجتماعي
ديوى : ٢٢٩,٤٣
رقم الإيداع في المكتبة العامة – تعز : ٢٠١٠/٤١

الآراء الواردة في هذه البحوث تمثل وجهه نظر أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن وجهه نظر ناشريها .

– جميع الحقوق محفوظة ، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي من الناشرين .

**ALL rights reserved .No part of this book may be reproduced , stored or published in
any form or by any means without prior written permission of the publisher**

مؤسسة السعيد للعلوم والثقافة
الجمهورية اليمنية – تعز
ص . ب : ( ٥٩٦٢ )
البريد الإلكتروني : alsaeedlib@y.net.ye
فاكس : ٠٠٩٦٧-٢١٧٣٢٦

٢٠١٠م



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

# القرآن ودوره في إصلاح المجتمع

تأليف
أ. د. أحمد عبد الكريم شوكه الكبيسي
أستاذ القراءات والحديث المشارك
بكلية الآداب / جامعة إب – اليمن

بحث حصل على جائزة
المرحوم هائل سعيد الدولية
(مؤسسة السعيد للعلوم والثقافة)
فرع العلوم الإسلاميَّة لعام ٢٠٠٧م
اليمن / تعز



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

## مقدمـــــة

الحمد لله ، والصّلاة والسّلام على رسوله الله ، وعلى آله وصحبه ومَن وَالاه ..

أمَّا بعـــد : فإنّ أولى ما يفني فيه المكلّ عمره ، ويعلق به خاطره ، ويعمل فيه فكره ، كتاب الله تعالى الذي تولى سبحانه حفظه بفضله ، وأعجز الخلائق أن يأتوا بمثله ، مَنْ استمسك بـــه فقـــد استمسكَ بالعُروة الوُثقى لا انفصام لها .

وقد كان القرآن الكريم وما يزال ميداناً رحباً للدّراسات المتشعبة في ميـــادين كثيـــرة ، ومنهـــا الدّراسات الحديثية ، واللغوية والنحويّة ، والفقهيّة ، وغيرها ، إذ حوى كل ما يخطر على بـــال الإنسان ممّا يتصل بالحياة الدّنيا والآخرة من قريب أو بعيد ، وحوى كلّ توجيه سام وكريم يُحقق الإنسان به أعظم قدر من السّعادة والسّلام ، وفي هذا يقول الله تعالى: ژ ڤ ڤ ڤ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ژ [1] .

وأعتقدُ أنّ تناولَ آياتِ القرآن الكريم المتصلة بتنظيم الاجتمـــاع الإنســـاني وتـــوفير الشـــروط الضروريّة للحياة الفاضلة في أسس مراتبها لم يأخذ حقه حتى الآن من البحث والدّراســـة . وإنّ تقديم القرآن الكريم وآياتِه في هذا المجال يستحق المزيد من البحث والعرض ؛ ليكون ما وضعه للناس واضحاً ومتسقاً أمام جماهير المسلمين في كلّ مكان ؛ ليُدركوا مدى ما بلغه مـــن ســـموٍّ ، وما يُقدّمه من حلول سليمة للمشاكل التي تواجههم في حياتهم المعاصرة .. والقرآن لم يفرّط في شيء .

وبقدر ما وسعني المجال أبدأ بخطوة على هذا الطريق بأن أقدّم أبرز الجوانب التي عنـــي بهـــا القرآن الكريم في شؤون الحياة التي يحياها الناس .. ولا أدّعي أنني أحصيتُ كلّ شيء في هذا الميدان ولكن أسجل ما انتهيتُ إليه كخطوة على الطريق والهدف من بيان هذه الجوانـــب وثيـــق الصّلة بموضوع البحث (القرآن ودوره في إصلاح المجتمع) ؛ لأنّ القرآن الكريم وإن كان قـــد بيّن لنا الوسائل والأساليب للمجتمع ودعانا إلى تبليغ ما تضمّنه من آيات ، تدعو لخير الحياة ، إذ تتمثل هذه الجوانب في عالميّة القرآن الكريم ، وشموليّة دعوته فـــي نقـــاء الاعتقـــاد وصـــفاء العبادات، ونظرته إلى الإنسان والحياة الدّنيا وإلى النظام الأخلاقي والاجتمـــاعي والاقتصـــادي والسّياسي ، ودوره في حفظ الضروريّات الخمس وأسباب صلاح المجتمعـــات ، ونظرتـــه إلـــى العَلاقات بين المسلمين وغيرهم من الشعوب .. وما شابه .

إنَّ دراسة هذه الجوانب وغيرها على ضوء العلوم الحديثة يُمكن أن يُقدّم للناس خدمة جليلة تثبّت إيمانهم وتعرّفهم بجوهر الدّين وأهدافه وغاياته السّامية .

وإنها تقدّم لأصحاب الدّعوة ، مادة وافرة وخصبة تخدم الحياة وتحقق أهدافهم في المضي في الدّعوة لخير هذا الدّين ، وتقدّم أجوبة شافيّة للرد على الأسئلة التي تثار بالنسبة للحياة المعاصرة وموقفها من الدّين ولاسيّما عند الشباب .

والمسلم مطالب دائمًا وأبداً بإتباع القرآن الكريم ، والالتزام به ، والرّجوع إليه ، وتطبيق محتواه في حياته الخاصّة والعامّة ، وظهور آثار ذلك في سلوكه وتصرّفاته .

ولكنّ الملاحظ - ولاسيّما في عصرنا الحاضر - انصراف كثير من المسلمين عن كتاب ربهم تبارك وتعالى ، وإن أظهروا حبّهم وتقديسهم له ، إلا أنّ الواقع المعاش يُغاير ذلك .. ومن هنا

---

[1] - سورة النحل : ٨٩ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كان الاختلال الواضح ، في حياة المسلمين أفرادًا ومجتمعات ، الأمر الذي أوقع الوهن في حياة الأمّة على مختلف الأصعدة الدينيّة والدنيويّة .

ولا شك أنّ المتأمّل في القرآن العظيم يجد الدّعوة الصّريحة الواضحة للرّجوع إليه في حلّ المشكلات العصريّة ، والآثار العظيمة التي سيُجنيها الفرد والمجتمع من ذلك . وهذا ما رغبتُ الكتابة فيه إن شاء الله تعالى ، وذلك من خلال هذه المسابقة التي تشرف عليها مؤسسة آل سعيد الثقافيّة ، السّباقة إلى كلّ خير ، ذات الجهود المشكورة والأعمال المباركة ..

أمّا عنوان البحث فهو : (القرآن ودوره في إصلاح المجتمع) ، ولعدم وجود مؤلف خاص في هذا الموضوع -على حد علمي- وإن كان هنالك إشارات وذكر متناثر في بطون الكتب ، أحببتُ أن أجمع شتات هذا الموضوع ، وأبرز مَعَالمه ، وأوضح مقاصده ؛ ليكون دعوة خيّرة للناس جميعاً ..

وقد شرعتُ في جمع شتات مادته ، واقتفاءِ آثاره ، وإن كان اليأسُ أخذ منّي ما أخَذَ ، بعد أن رأيتُ الموضوع طويلاً ، ولكنّ الشوق لا يزال يغمرني ، فرجعتُ إلى نفسي ، وركلتُ اليأسَ ونحّيته بعيداً من نفسي ، فتوكلتُ على الله وعقدتُ العزم على المُضيّ قُدماً في هذا العمل ؛ لأنني وجدتُ نفسي أمام ثروة عظيمةٍ لقرّائنا الكرام .

وانطلاقاً من هذا الشعور ، جاء البحث ، وقد انقسم في أصوله على بابين ، يتقدمهما مقدمة ويقفوهما خاتمة ، ثمّ قائمة المصادر والمراجع .

**C** خطة البحث : سأكتفي في ذكر الخطة هنا على اسم الباب .. وما تضمّنه من فصول وأعرض عن ذكر المباحث والمطالب، خشية إطالة المقدّمة ، علماً أنني ذكرتُها بالتفصيل عند مفتتح الباب.

- **ü** تناولت في التمهيد : تعريف مصطلح البحث ، وما تضمّنه من موضوعات فرعيّةٍ .
- **ü** قسّمتُ البحث على بابين ..

**v** عرّضتُ في الباب الأول : القرآن ودوره في إصلاح المجتمع ، وذلك من خلال ثمانية فصول ...

*الفصل الأوّل : عالميّة القرآن الكريم .

*الفصل الثاني : القرآن والإسلام .

*الفصل الثالث : دور القرآن في حريّة الرّأي .

*الفصل الرّابع : شموليّة دعوة القرآن الكريم .

*الفصل الخامس : القرآن ودعوته الإصلاحيّة إلى حفظ الضرورات الخمس ..

وشمل خمسة مباحث ..

*الفصل السّادس : القرآن والمجتمع .. وقد تضمّن خمسة مطالب .

- **ü** خصّصتُ الباب الثاني : لدراسة دور القرآن وأثره الإصلاحي ، فتكون من ثمانية فصول.
- تطرّقتُ في الفصل الأول إلى : دور القرآن في إصلاح المجتمع عقدياً .. وشمل أربعة مباحث.
- وفي الفصل الثاني تكلمت عن دور القرآن في إصلاح المجتمع من حيث العبادة وتكون من ثلاثة مباحث .
- وفي الفصل الثالث : تحدثت عن دور القرآن في الإصلاح الدعوي وتضمن مبحثين أساسيين .
- وفي الفصل الرابع تكلمت عن دور القرآن في إصلاح المجتمع خلقياً واحتوى أربعة مطالب .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- وفي الفصل الخامس : تحدثتُ عن دور القرآن في إصلاح النظام الاجتماعي .. واحتوى ثمانية مباحث .
- وبسطتُ الكلام في الفصل السادس عن دور القرآن في إصلاح المجال الاقتصادي ، وتكون من أربعة مطالب .
- وتناولت الحديث في الفصل السابع عن دور القرآن في إصلاح النظام السّياسي .. وشمل أربعة مباحث .
- ثمّ أوجزتُ الكلام في الفصل الثامن عن دور القرآن في إصلاح الإعلام وانبثق منه ثلاثة مطالب .

.. ثمّ أتبعتُ البابين بخاتمةٍ ذكرتُ فيها ملخص ما توصّلتُ إليه من نتائج في هذه الجولة .

**C** منهج البحـــث : وأمَّا منهجي في كتابتي لهذا البحث ، فكان كما يأتي :

١- عزو الآيات القرآنيَّة التي ذُكرت في البحث ، سواء في صلبها أو في هامشها ، وقد اكتفيتُ بذكر الحرف في أوّل مواضعه وروداً في حال تكرارهِ ؛ لئلا أُرهِقَ القارئ ، أو أُثقل الهوامش بذلك .

٢- اعتمدتُ على كتب الاختصاص في محتوى الموضوع غالباً ، وعلّقتُ على ما يستوجب التعليق موثقاً ذلك بالمصادر المختصّة .

٣- اعتمدت في تخريجي للأحاديث على الكتب التسعة فحسب – روماً للاختصار - وهي: صحيحا البخاري ومسلم ، وسنن أبي داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه، وموطأ مالك ، ومسند أحمد والدارمي . بيدَ أنني رجعتُ إلى ما فوقها في موضوعات نادرة ؛ وذلك عند الضرورة .

٤- إذا كان الحديث في الصّحيحين أو أحدهما حكمتُ بصحته ، لإجماع الأئمّة على صحّة ما أُسند في صحيحي البخاري ومسلم دون دراسةٍ . وما أوردتُ من أحاديث في هذا البحث فصحيحة كلها – إمّا بنفسها أو بالتعاضد - ، ولم أتطرّق إلى حديث فيه كلام البتة ؛ كي لا أشكل القارئ .

٥- عنيتُ بضبط الغريب من الكلام الوارد وبيّنتُ معناه ، معتمداً في ذلك على كتب أحكام القرآن والتفسير والحديث والعقيدة والفقه وأصوله واللغة ، وقد أستعين بإيضاح الكتب الحديثة ، مع الإحالة إلى المصادر الأصيلة .

٦- لم أتطرقْ إلى ما يُستنبط من مسائل خلافية في بعض الموضوعات ؛ خشية الإطالة .

٧- أمَّا المصادر التي اعتمدتُ عليها فقد شملت كتب تفسير القرآن وعلومه ، والحديث وعلومه وغريب الحديث ، واللغة ، والتاريخ ، وغيرها ممّا لها صلة بموضوعنا ، وبيّنتُ طبعات المصادر والمراجع التي اعتمدتُها عند ذكري لها في الهامش ؛ في أول ورودها في البحث – وفقاً لمنهج البحث العلمي - ، ولم أكرّر ذلك ؛ كي لا أثقل على القارئ ؛ ولعدم الفائدة من ذلك ، إذ هي مذكورة في فهرسها في آخر هذا البحث .

٨- عزوتُ المسائل أو الآراء الفقهيّة ، إلى مظانّها الأصيلة من كتب الفقه ، وكان ترتيبها على حسب ترتيب أهل الفقه ، مصادر الأحناف ، ثمّ المالكيّة ، ثمّ الشافعيّة ، والحنابلة .. وهكذا .

وقبل أن أقول كلمة الختام ، أرى من النَّصفَة والعرفان بالجميل أن أُذيع ما في نفسي من شكرٍ وثناءٍ أُقدّمه بين يدي ذوي الفقيد الرّاحل الحاج هائل سعيد – رحمه الله ، وجعل الجنة مثواه - ، الذين تكرّموا بطرح هذه المسابقة العلميّة العلنيّة ، وتلطّفوا بتشجيع الباحثين ، وأردفوا ذلك بكرمهم الطائل معترفاً بفضلهم ، ومقرّاً بإحسانهم على أهل هذا البلد السّعيد عامّة ، وأهل العلم خاصّة .. فجزاهم الله عنّا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، وأجزل لهم العطاء ، وبوّأهُم ووالدهم المرحوم مقام الصّالحين الأتقياء .

وأرى لزاماً عليَّ أن أتقدمَ بعظيم شكري وامتناني إلى أساتذتي الأفاضل المُحكّمين ، والذين سيتكرَّمون ويتفضلون علينا بالإطلاع على هذا البحث ، مع اعتزازي وشعوري بفضلهم مسبقاً والذين سأستفيدُ حتماً من توجيهاتهم القيّمة ..أجزل الله مثوبتهم وأحسن إليهم .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولا بدّ لي من إزجاء الشكر خالصاً إلى أصحاب المكتبات العامّة والخاصّة ، بل إلى كلّ مَن أعارني كتاباً أو دعا لي بظهر الغيب ، فإنّي أبتهلُ إليه تعالى أن يُساعدَني على ردّ جميلهم ، فجزى الله الجميع عني كلّ خير .

وختاماً .. فهذا جهدٌ ابتغيتُ به مرضاة ربّي ، وتوخّيتُ فيه الدّقة ، فإن كنتُ قد وافقتُ الصّواب فبتوفيق الله وتسديده ، وإن كانت الأخرى فمن نفسي وحسبي أني بذلتُ غاية الجهد، وليس الكمال إلا لله سبحانه ولكتابه الكريم .

ولنْ أضع القلم حتى أتوجّه إلى الله العلي القدير أن يجعلَ عملي في هذه الدّراسات القرآنية عنده مقبولاً وأن أكونَ واحداً من جنود كتابه ، أتفيّأ ظلاله ، وأخدم في رحابه ، وأذودُ عن حياضه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الباحث

## تمهيد

ويتضمّن ما يأتي ..

أولاً: التعريف بمصطلح عنوان البحث بدءاً بالقرآن الكريم ، ومن ثمّ الإصلاح ..

ثانياً: حقيقة الإصلاح في القرآن الكريم ..

ثالثاً: أنواع الإصلاح .. وسمات المصلح ..

رابعاً: مفاهيم الإصلاح .

### أوّلاً: التعريف بمصطلح عنوان البحث

جرت المنهجيّة العلميّة عند أهل الاختصاص من الباحثين أن يبدءوا بتوضيح مفهوم ما يُريدون الكتابة والبحث فيه ، ومعناه من حيث المصطلح للعلم أو الموضوع الذي يبحثون فيه .. ومن هنا وجب عليّ إيضاح مصطلح عنوان بحثي هذا المسمّى بـــ(القرآن ودوره في إصلاح المجتمع) ..



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأبتدئ بعد توكلي على الله تعالى بتعريف القرآن الكريم لغةً -وإن كان القرآن من المشهورات التي لا تحتاج إلى تعريف فهو غني عن ذلك كله- .. لكنّ منهجيّة البحث تتطلب منّي ذلك كما ذكرت .

**$ فتعريفه اللغوي** : اختلف أهل اللغة حول أصل كلمة (القرآن) وتعددت اتجاهاتهم في تحديد ذلك ويُمكننا حصرها في رأيين :

_ الرّأي الأول، والذي يقول : إنّ القرآن الكريم اسم علم غير مشتق ، خاص بكلام الله تعالى ، وهو غير مهموز وبه قرأ ابن كثير المكي[٢] ، وهو مروي عن الإمام الشافعي ، إذ عنه أنه كان يهمز (قرأت) ولا يهمز (القرآن) ، ويقول: القرآن اسم وليس بمهموز ، ولم يؤخذ من قرأت ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل .[٣]

_ الرّأي الثاني: إنّ لفظ (القرآن) مشتق .. واختلف أصحاب هذا الرّأي على أقوال عدّة :

* قال قوم ومنهم الأشعري:" هو مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممت أحدهما إلى الآخر وسمّي به لقران السّور والآيات والحروف فيه " .[٤]

* ذهب الفرّاء إلى أنه مشتق من القرائن ؛ لأنّ الآيات منه يصدق بعضها بعضاً ويشابه بعضها بعضاً ، وهي قرائن وعلى القولين هو بلا همز أيضاً ونونه أصليّة . ويرد الزجاج على هذا القول بأنه سهو ، والصّحيح أنّ ترك الهمزة فيه من باب التخفيف ونقل حركة الهمزة إلى السّاكن قبلها .[٥]

* اختلف القائلون بأنه مهموز ، فقال قوم ومنهم اللحياني : "هو مصدر لقرأت كالرّجحان والغفران ، سمّي به الكتاب المقروء من باب تسمية المفعول بالمصدر" .[٦]

* وقال آخرون هو وصف على فعلان مشتق من القرء بمعنى الجمع ، ومنه قريت الماء في الحوض أي جمعته .

وخطأ ابن عادل الحنبلي هذا الرّأي بقوله : " غلط ؛ لأنّهما مادّتان متغايرتان ".[٧]

* قال أبو عبيدة : " وسمّي بذلك ؛ لأنه جمع السّور بعضها إلى بعض ".[٨]

* وقال الرّاغب : " لا يُقال لكلّ جمع: قرآن ، ولا لجمع كلّ كلام: قرآن ؛ وإنما سمّي قرآناً لكونه جمع ثمرات الكتب السّالفة المنزلة وقيل ؛ لأنه جمع أنواع العلوم كلها ".[٩]

---

[٢]- وهو: (أبو معبد عبد الله بن كثير الدّاري ، المكي ، كان إمام المكيين في القراءة ، فصيحاً بليغاً ، مفوّهاً ، عليه السكينة والوقار أحد القراء السَّبعة ... توفي سنة ١٢٠هـ) . ينظر: الجرح والتعديل : ٦٦/٩ ، التبصرة في القراءات : ٣٨ ، التيسير في القراءات السبع: ٦ .

[٣]- ينظر: الجامع لأحكام القرآن : ٢٩٨/٢ ، البرهان في علوم القرآن :٢٧٧/١ ، الإتقان في علوم القرآن : ١٤٤/١ .

[٤]-ينظر: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : للرازي : ١٠٠/٣ .

[٥]- ينظر: تفسير اللباب :٣٤٧/٢ .

[٦]- ينظر: البرهان في علوم القرآن : ٢٧٨/١ .

[٧]- تفسير اللباب : ٣٤٧/٢ ، الإتقان في علوم القرآن : ١٤٤/١ .

[٨]- البرهان في علوم القرآن : ٢٧٧/١ .

[٩]- المصدر نفسه .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثمّ قال الإمام السّيوطي بعد أن ساق تلك الأقوال :" والمختار عندي في هذه المسألة ما نصّ عليه الشافعي " .[١٠] أي الرّأي الأوّل ، وهو ما تميل إليه النفوس حقاً ؛ للتمايز بين كلام الخالق والمخلوق .

ويذهب الشيخ الزرقاني إلى خلاف ذلك ، ويؤكد أنّ القرآن مشتق فيقول : " لفظ القرآن في اللغة : مصدر مرادف للقراءة ، ومنه قوله تعالى: ژ ژ [١١] ثمّ نقل من هذا المعنى المصدري ، وجعل اسمًا للكلام المعجز المنزّل على النبيّ r ، من باب إطلاق المصدر على مفعوله ، ذلك ما نختاره استنادًا إلى موارد اللغة ، وقوانين الاشتقاق ، وإليه ذهب اللحياني وجماعة . أمّا القول: بأنه وصف من القَرء بمعنى: الجمع ، أو أنه مشتق من القرائن أو أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء أو أنه مرتجل أي: موضوع من أوّل الأمر علَمًا على الكلام المعجز المنزل غير مهموز ولا مجرد من أل ، فكلّ أولئك لا يظهر له وجهٌ وجيه ، ولا يخلو توجيه بعضه من كلفةٍ ولا من بُعدٍ عن قواعد الاشتقاق وموارد اللغة . وعلى الرّأي المختار: فلفظ قرآن مهموز ، وإذا حذف همزه ، فإنما ذلك للتخفيف ، وإذا دخلته أل بعد التسمية فإنما هي للمح الأصل لا للتعريف " .[١٢]

**$ التعريف بالقرآن الكريم اصطلاحاً** : الحقيقة إنّ القرآن الكريم يتعذر تحديده بالتعاريف المنطقيّة ذات الأجناس والفصول والخواص بحيث يكون تعريفه حدّاً حقيقيّاً ، والحدّ الحقيقي له هو استحضاره معهودًا في الذهن ، أو مشاهدًا في الحسّ كأن يُشار إليه مكتوبًا في المصحف أو مقروءًا باللسان فنقول هو ما بين هاتين الدّفتين ، أو نقول: هو بسم الله الرّحمن الرّحيم ژپ پپپپژ ... إلى قوله تعالى: ژڳڳڳڳڱژ .[١٣]

وقد وردت له تعريفات كثيرة ، ذكرها العلماء والباحثون من قبل ، ونعرض عن ذكرها هنا ؛ روماً للاختصار ، ونكتفي بتعريف جامع مانع له ، وهو : كلام الله المعجز ، المنزّل على نبيّه مُحمّد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، بوساطة الأمين جبريل عليه السّلام ، المكتوب في المصاحف ، المحفوظ في الصّدور ، المنقول إلينا بالتواتر المتعبّد بتلاوته المبدوء بسورة الفاتحة ، المختتم بسورة الناس .[١٤]

وما ذكره العلماء من تعريف القرآن الكريم بالأجناس والفصول كما تُعرف الحقائق الكليّة فإنما أرادوا به تقريب معناه وتمييزه عن بعض ما عداه ، ممّا قد يشاركه في الاسم ولو توهّماً ، ذلك أنّ سائر كتب الله تعالى ، والأحاديث القدسيّة ، وبعض الأحاديث النبويّة ، تشارك

---

١٠- الإتقان في علوم القرآن : ١٤٤/١ .
١١- سورة القيامة : ١٧- ١٨ .
١٢- مناهل العرفان في علوم القرآن : ١١/١ .
١٣- الآيتان في سورتي : الفاتحة : ٢ ، الناس : ٦ . ينظر: مباحث في علوم القرآن : ٢٠ .
١٤- ينظر: المناظرة في القرآن : ١/ ٢٢ ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير : ٦ ، التعبير الفني في القرآن : ١١ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القرآن في كونها وحياً إلهياً .. فربما ظنّ ظانّ أنها تشاركه في اسم القرآن أيضاً ، فأرادوا بيان اختصاص الاسم به ببيان صفات التي امتاز بها عن تلك الأنواع .[١٥]

^ **وللقرآن أسماء عدة** ، منها: الفرقان ، والذكر ، والكتاب ، والتنزيل ، والنور ، والرّوح، والهدى والشفاء ، والمثاني ، والصّراط المستقيم ... إلخ .[١٦]

وتعدد الأسماء هذه دَلالة على عظم المسمّى ، وإيماء إلى شرفه وعلوّه ورفعته . ولا ريب أنّ القرآن الكريم هو أعظم وأشرف كتاب ، ولذا تعددت أسماؤه وأوصافه ، وكلها مستفادة من القرآن ذاته . والغالب من أسمائه : القرآن ، والكتاب .

وقد علل ذلك الدكتور مُحمّد دراز بقوله : " روعي في تسميته قرآنًا ؛ كونه متلوّاً بالألسن ، كما روعي في تسميته كتابًا ؛ كونه مدوّناً بالأقلام ، فكلتا التسميتين من تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه في تسميته بهذين الاسمين ، إشارة إلى أنّ من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد -أعني أنه يجب حفظه في الصّدور والسّطور جميعًا– أن تضلّ إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرّسم المجمع عليه من الأصحاب ، المنقول إلينا جيلاً بعد جيل على هيئته التي وُضعَ عليها أوّل مرّة ، ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصّحيح المتواتر. وبهذه العناية المزدوجة التي بعثها الله في نفوس الأمّة المحمديّة اقتداءً بنبيّها r ، بقي القرآن محفوظًا في حرز حريز ، إنجازًا لوعد الله الذي تكفل بحفظه ، إذ يقول : ژ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ژ [١٧] .[١٨]

وبعد هذا الإيجاز عن القرآن الكريم ، أرى من الأهميّة بمكان أن أتحدث الآن عن مصطلح (الإصلاح) الذي شاعَ ذكرُهُ وكثُر تداولُهُ اليوم ، فمن وجهة أهل اللغة أنه بمعنى:" الصَلاحُ: وهو ضدّ الفساد، تقول: صلَح الشيءُ يَصلُح صُلوحاً ، قال الفرّاء : (وحكى أصحابُنا صلُح أيضاً بالضمّ) . وهذا الشيءُ يَصلُح لك ، أي هو من بابتك والصِّلاح بكسر الصّاد: المَصالحة ، والاسم الصُلْح يذكّر ويؤنّث والصُّلْحُ –بالضمّ- : السِّلْمُ وقد اصْطَلَحا وتصالحا وإصَّالحا -

---

[١٥]- النبأ العظيم : ١٤ .
[١٦]- ومن رام الاستزادة فليرجع إلى : البرهان في علوم القرآن : ٢٨٠/١ ، الإتقان في علوم القرآن : ١٤٥/١ .. وغيرهما
[١٧]- سورة الحجر : ٩ .
[١٨]- النبأ العظيم : ١٢ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مشدّدة الصّاد- . والإصلاح : نقيض الإفساد والمَصْلَحة: واحدة المصالح . والاسْتِصْلاحُ: نقيض الاستفساد ". [١٩]

قال الإمام النووي : " الصّلح والإصلاح والمَصلحة والإصلاح قطع المنازعة ، مأخوذ من صلح الشيء-بفتح اللام وضمّها- إذا كمل ، وهو خلاف الفساد ، يقال: صالحته مصالحة وصِلاحاً بكسر الصّاد " .[٢٠]

وفي الاصطلاح ، فمُجمله : " الإصلاح في الأرض ، ويكون بالإيمان الصّحيح والعمل الصالح وترك الشرك والمعاصي ، وأن تعمّر الأرض بطاعة الله والإيمان به ؛ لهذا خلق الله الخلق ، وأسكنهم الأرض ، وأدرّ لهم الأرزاق ؛ ليستعينوا بها على طاعته وعبادته ، فإذا عمل فيها بضدّه ، كان سعياً فيها بالفساد فيها ، وإخراباً لها عمّا خلقت له " .[٢١]

* وقوبلت لفظة الصّلاح في القرآن الكريم تارة بالفساد وتارة بالسّيّئة ، قال تعالى: ژ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ژ [٢٢] ، ژ ڭ ڭ ۇ ۇ ژ [٢٣] ، ژ ھ ھ ھ ژ [٢٤] .[٢٥]

والصّلح يختصّ بإزالة النفار بين الناس ، يقال منه: اصطلحوا وتصالحوا ، قال: ژ ٻ ٻ ٻ ٻ ٹ ٹ ژ [٢٦] ، ژ ڈ ڈ ژ [٢٧] ، ژ ں ں ڻ ژ [٢٨] ، ژ ۋ ۋ ۅ ۅ ژ [٢٩] .

وإصلاح الله تعالى الإنسان يكون تارة بخلقه إيّاه صالحا ، وتارة بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده وتارة يكون بالحكم له بالصّلاح ، قال تعالى: ژ ٹ ٹ ڤ ڤ ژ [٣٠] ، ژ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ژ [٣١] [٣١] ، ژ ڃ ڃ ڃ ڃ ژ [٣٢] ، ژ ڤ ڤ ڃ ڃ ژ [٣٣] أي: المفسد يضاد الله في فعله فإنه يفسد والله تعالى

---

[١٩]- ينظر: الصّحاح في اللغة والعلوم : مادة : (صَلَحَ) :٣٩٣/١ ، القاموس المحيط : مادة : (صَلَحَ) : ١/ ٢٢١ ، لسان العرب : المادة نفسها : ٢/ ٥١٦ .
[٢٠]- تحرير ألفاظ التنبيه (لغة الفقه) : ٢٠١ .
[٢١]- ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السَّعدي) : ٤٢ ، التوقيف على مهمّات التعاريف : ٤٦٢ .
[٢٢]- سورة التوبة : ١٠٢ .
[٢٣]- سورة الأعراف : ٥٦ .
٢٤- سورة البقرة : ٨٢ .
٢٥- ينظر: مفردات ألفاظ القرآن : ١/ ٥٨٧ .
[٢٦]- سورة النساء : ١٢٨ .
[٢٧]- السورة نفسها : ١٢٩ .
[٢٨]- سورة الحجرات : ٩ .
[٢٩]- السورة نفسها : ١٠ .
[٣٠]- سورة محمد : ٢ .
[٣١]- سورة الأحزاب : ٧١ .
[٣٢]- سورة الأحقاف : ١٥ .
[٣٣]- سورة يونس : ٨١ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يتحرّى في جميع أفعاله الصّلاح ، فهو إذاً لا يصلح عمله . وصالح: اسم للنبيّ u ، قال تعالى: ژ ژ[٣٤] .[٣٥]

* **وكلمة الإصلاح كمصطلح** ، فقد ورد ذكرها في القرآن الكريم على نوعين ..

النوع الأول: الإصلاح الحق : وهو إصلاح الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين .. ومنه قول شعيب عليه السّلام لقومه : ژ ژ .[٣٦]

وهو الإصلاح العام للحياة والمجتمع الذي يعود صلاحه بالخير على كلّ فرد وجماعة فيه وإن خيل إلى بعضهم أن إتباع العقيدة والخلق يفوت بعض الكسب الشخصي ، ويضيع بعض الفرص، فإنما يفوت الكسب الخبيث ويضيّع الفرص القذرة ؛ ويعوّض عنهما كسباً طيباً ورزقاً حلالاً ، ومجتمعاً متضامناً متعاوناً لا حقد فيه ولا غدر ولا خصام .[٣٧]

ثمَّ نهاهم عن ضدّه ، وهو الإفساد ، فقال: ژڭڭۇۇژ [٣٨] ينهى الله تعالى عن الإفساد في الأرض وما أضرّه بعد الإصلاح ، فإنه إذا كانت الأمور ماشية على السّداد ، ثمّ وقع الإفساد بعد ذلك كان أضرّ ما يكون على العباد ، فنهى تعالى عن ذلك .[٣٩]

حتى ينتجَ عن هذا الإصلاح الحقّ : الأمن والاستقرار والاطمئنان ، ورفع الهلاك ، عن البلاد لكن شريطة صدق أهلها في الإصلاح ، قال تعالى : ژې ژ[٤٠] أي : وما كان ربك يا محمّد ليهلك القرى التي أهلكها ، التي قصّ عليك نبأها ظلماً وأهلها مصلحون في أعمالهم غير مسيئين ، فيكون إهلاكه إيّاهم مع إصلاحهم في أعمالهم وطاعتهم ربهم ظلماً، ولكنه أهلكها بكفر أهلها بالله وتماديهم في غيّهم وتكذيبهم رسلهم وركوبهم السّيّئات . وقد قيل معنى ذلك: لم يكن ليهلكهم بشركهم بالله ، وذلك قوله : ژ ژ ، يعني بشرك . ژ ژ فيما بينهم لا يتظالمون ولكنهم يتعاطون الحقّ بينهم وإن كانوا مشركين ، وإنما يهلكهم إذا تظالموا .[٤١]

النوع الثاني: الإصلاح الباطل : وهو إصلاح المكذبين والمفسدين والمنافقين ممّن يُلبسون على الأمّة بتسمية إفسادهم إصلاحاً ، كما قال تعالى عن أسلافهم : ژککگگگڳڳڳڳڱ

---

[٣٤]- سورة هود : ٦٢ .
[٣٥]- مفردات ألفاظ القرآن : ١/ ٥٨٧ .
[٣٦]- سورة هود : ٨٨ .
[٣٧]- ينظر: في ظلال القرآن : ٤/ ٢٦٢ .
[٣٨]- سورة الأعراف : ٥٦ .
[٣٩]- ينظر: تفسير القرآن العظيم : ٤٢٩/٣ .
[٤٠]- سورة هود : ١١٧ .
[٤١]- ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن : ٥٣٠/١٥ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ژ[٤٢] ، لكنّ الدعاوى لا تنفع أصحابها إن لم تكن حقيقة ولذا ردّ الله عليهم وبيّن زيفهم وكذبهم بقوله : ژگگںںڻڻۀۀژ .[٤٣]

قال الطبري -رحمه الله- : " الإفساد في الأرض : العمل فيها بما نهى الله جل ثناؤه عنه، وتضييع ما أمر الله بحفظه ، فذلك جملة الإفساد كما قال تعالى ، مخبراً عن ملائكته : ژپپپپڀڀڀڀٺٺٺٺژ [٤٤] ، يعنون بذلك : أتجعل في الأرض من يعصيك ويخالف أمرك؟ فكذلك صفة أهل النفاق: مفسدون في الأرض بمعصيتهم فيها ربهم وركوبهم فيها ما نهاهم عن ركوبه وتضييعهم فرائضه ، وشكهم في دين الله الذي لا يقبل من أحد عملاً إلا بالتصديق به والإيقان بحقيقته وكذبهم المؤمنين بدعواهم غير ما هم عليه مقيمون من الشكّ والرّيب ، وبمظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله إذا وجدوا إلى ذلك سبيلاً ؛ فذلك إفساد المنافقين في أرض الله وهم يحسبون أنهم بفعلهم ذلك مصلحون فيها " .[٤٥]

ويُعلق سيد قطب رحمه الله على مدّعي الإصلاح زوراً وكذباً - وهم كثر في كلّ زمان- بقوله : "والذين يفسدون أشنع الفساد ، ويقولون: إنهم مصلحون ، كثيرون جدّاً في كلّ زمان ، يقولونها ؛ لأنَّ الموازين مختلة في أيديهم ، ومتى اختلّ ميزان الإخلاص والتجرّد في النفس ، اختلت سائر الموازين والقيم ، والذين لا يخلصون سريرتهم لله يتعذر أن يشعروا بفساد أعمالهم ؛ لأنَّ ميزان الخير والشرّ والصّلاح والفساد في نفوسهم يتأرجح مع الأهواء الذاتية ، ولا يثوب إلى قاعدة ربانيّة .. ومن ثمّ يجيء التعقيب الحاسم والتقرير الصّادق : ژگگںںڻڻۀۀژ " .[٤٦]

ويُجمل المفسِّر ابن عاشور رحمه الله أنواع الإفساد الواقعيَّة في المجتمعات بقوله : " إفسادهم بالأفعال التي ينشأ عنها فساد المجتمع ، كإلقاء النميمة والعداوة وتسعير الفِتَن ، وتأليب الأحزاب على المسلمين وإحداث العقبات في طريق المصلحين . والإفساد فعل ما به الفساد، والهمزة فيه للجَعْل أي جعل الأشياء فاسدة في الأرض ، والفساد أصله استحالة منفعة الشيء النافع إلى مضرّة به أو بغيره فالإفساد في الأرض منه تصيير الأشياء الصّالحة مضرّة كالغشّ في الأطعمة ، ومنه إزالة الأشياء النافعة كالحَرق والقتل للبرآء ، ومنه إفساد الأنظمة كالفِتن والجور ، ومنه إفساد المساعي كتكثير الجهل وتعليم الدّعارة وتحسين الكفر ومناوأة الصّالحين

---

[٤٢]- سورة البقرة : ١١ .
[٤٣]- السورة نفسها : ١٢ .
[٤٤]- سورة البقرة : ٣٠ .
[٤٥]- جامع البيان في تأويل القرآن : ٢٨٩/١ .
[٤٦]- في ظلال القرآن : ٤٤



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المصلحين ، ولعلّ المنافقين قد أخذوا من ضروب الإفساد بالجميع ، فلذلك حُذف متعلق ژﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁﵂﵃ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ﷼ ژ ، تأكيداً للعموم المستفاد من وقوع في حَيز النفي . وذكر المحل الذي أفسدوا ما يحتوي عليه وهو الأرض ؛ لتفظيع فسادهم بأنه مبثوث في هذه الأرض ؛ لأنّ وقوعه في رقعةٍ منها تشويه لمجموعها " .[٤٧]

إذن فعلى المُسلم الحاذق أن يتنبّه من مثل هذا النوع الخطير ، والذي يودي بالمجتمع الصّالح نحو الهاوية ؛ استجابة لرغبة هؤلاء الطامعين المعتدين ، وليكن على بصيرة من أحوال المصلحين ولاسيّما المدّعين .

**ثانياً: حقيقة الإصلاح في القرآن الكريم :**

إنَّ علينا أن نُدركَ حقيقة الإصلاح من كتاب الله تعالى ؛ لنتعرّف على ماهيّة الإصلاح ؟ وما هو الذي يقع به ما نؤمله ونرجوه من هذا الإصلاح ؟ قال عزّ وجل : ژﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ﷼ ژ [٤٨].

إذن هذا الإصلاح هو منع للظلم والإثم ، وإن كانت الآية في شأن الوصية والموصي ، لكن المقصد أنه إذا وجد الجنف والظلم والاعتداء ولو من غير قصد ، أو إثم ومعصية وهي التي يكون فيها العلم والقصد ، فإنّ الإصلاح هو الذي يرد ذلك ، وإنّ حقيقته أن يحول بين الناس وبين هذا الظلم أو ذلك الإثم .[٤٩]

وحقيقة أخرى في الإصلاح : ژﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ﷼ ژ [٥٠] والآية قد جاءت بعد ذكر حكم السّرقة : ژﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ﷼ ژ [٥١] ، ثمّ جاءت هذه الآية : ژﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ﷼ ژ ؛ لتدلنا على أنَّ الإصلاح يمنع الظلم والإثم ويدعو إلى الخير والإحسان .

ثمَّ هو كذلك مانع لأعظم سبب من أسباب الفساد التي تقع في الأرض فتزهق بها الأرواح وتذهب بها عصمة النفوس ، ويختلّ بها نظام الأمن ، ويقع فيها من الشرور والمفاسد ما لا ينضبط ولا يحصر أولاً ولا آخراً ، كما قال جلّ وعلا : ژﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ﷼ ژ [٥٢].

وهذه قاعدة تشريعية عمليّة لصيانة المجتمع المؤمن من الخصام والتفكك ، تحت النزوات والاندفاعات تأتي تعقيباً على تبين خبر الفاسق ، وعدم العجلة والاندفاع وراء الحميّة والحماسة

---

[٤٧]- التحرير والتنوير : ١٦٧/١ .
[٤٨]- سورة البقرة : ١٨٢ .
[٤٩]- ينظر:الجامع لأحكام القرآن : ٢٨٠/٢ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٨٥ .
[٥٠]- سورة المائدة : ٣٩ .
[٥١]- السورة نفسها : ٣٨ .
[٥٢]- سورة الحجرات : ٩ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، قبل التثبت والاستيقان . وسواء كان نزول هذه الآية بسبب حادث معيّن ، أم كان تشريعاً لتلافي مثل هذه الحالة فهو يمثل قاعدة عامّة محكمة لصيانة الجماعة الإسلاميّة من التفكك والتفرّق ، ثمّ لإقرار الحق والعدل والصّلاح ، والارتكان في هذا كله إلى تقوى الله ورجاء رحمته بإقرار العدل والصّلاح .[٥٣]

وحقيقة الإصلاح هنا منع للقتل والاقتتال ولإزهاق الأرواح ، ولما يترتب على ذلك من اختلال الأمن وممّا يترتب عليه من شيوع الفوضى -نسأل الله عزّ وجل السّلامة- فمنع هذا ، أمر مهم ويلحق به كذلك أنّ من حقيقة الإصلاح بقدر الطاقة والاستطاعة منع الاختلاف والتنازع ، فالله جلّ وعلا يقول: ژۇۆۆۈۈۇژ [٥٤] ، وجاء في قصّة الأنفال واختلاف الصّحابة **y** في شأنها في بدر في أوّل غزوة تكون لهم فيها تلك الغنائم عندما قالت كلّ طائفةٍ قولاً ، فجاء قوله تعالى : ژپپپپٻٻٻٻژ [٥٥] فجعل ذلك الإصلاح مانعاً للاختلاف ، وذلك بالرّد إلى كتاب الله وسنة رسوله **r** ، وذلك أمره بيّن واضح .

**ثالثاً: أنواع الإصلاح .. وسِمات المصلح :**

إنَّ قضية الإصلاح إلى جانب أنها أهمّ قضيّةٍ في حياة الناس فهي أعقد قضيّة ، إذ يتجلى الابتلاء في أتمّ صورة ومعانيه ؛ بسبب أنّ الإنسان عاجز عن القبض على الحقيقة دفعة واحدة ، وأنه عاجز عن الإلمام بالشأن الإنساني كله من جميع جوانبه وأبعاده ، فهو حين يظنّ أنه أصلح جانباً من جوانب الحياة لا يدري بالتحديد مدى الفساد والضرر الذي يُمكن أن يلحقه بالجوانب الأخرى ، وقد لا يظهر له ذلك إلا بعد مدّة طويلةٍ ، فضلاً عن تفاوت الخلفيّة العقائديّة والثقافيّة والمزاجيّة لدى المصلحين واختلاف زاوية الرّؤية .. كلّ ذلك يجعل الجهود الإصلاحيّة مشتتة ، و أحياناً متصادمة ، يُجهض بعضها بعضاً .

والإصلاح نوعان : نوع بسيط ؛ لأنه يُعالج قضيّة محدودة ، كالإصلاح بين متخاصمين ، أو استئصال الفساد من مدرسة أو مؤسّسةٍ .. وهذا يُمكن لكثيرين القيام به ، فهو عمليّة جراحيّة صغرى ومحدّدة. [٥٦]

---

[٥٣]- في ظلال القرآن :٣٣٤٣ .
[٥٤]- سورة الحجرات : ١٠ .
[٥٥]- سورة الأنفال : ١ .
[٥٦]- ينظر: مقدّمات للنهوض بالعمل الدعوي : ٢٦٥.



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ونوع مُعقد ، وهو ذلك الطرح الفكري والمنهج الحركي اللذان يستهدفان إصلاح الحياة العامّة في المجالات الفكريّة والتربويّة والتعليميّة والاقتصادية والسياسيّة والاجتماعيّة والأخلاقيّة ... وهذا النوع هو المراد عند الإطلاق ، وهو الدّاء الذي أعيا الأطباء ، وحيّرَ الحُكماء .[٥٧]

ولا ينبغي أن يُطلقَ لقبُ (مُصلح) إلا على من اتسم بسِمتين :

الأولى: امتلاكه رؤية شاملة لحال المجتمع الذي يهتمّ بشأنه على صعيد الإمكانات والمشكلات ومداخل الحلول والعقبات التي تعترضها ، وتأثيرات المحيط الخارجي في الوضع الدّاخلي والقِوى المحليّة المنافسة التي تطرح وجهة نظر أخرى .

الثانية: امتلاك منهج للحركة تتجسّد فيه رؤياه الإصلاحيّة ، ويتابع جهوده على هديه ، ولا يُشترط بالطبع أن يكون منهج الحركة لديه أو الإطار النظري للإصلاح صحيحاً ، فاعتقاده ناتج عن اجتهاد وليس عن أدلة قطعيّةٍ ، وهو بذلك يُفارق الفكرة الذي يمتلك الرّؤية لكنه لا يُباشر عملية التغيير والتقويم التي يمتلك قواعدها ، وأنه يُفارق الدّاعية الذي يقوم بالدّعوة إلى الخير دون أن يمتلك رؤية شاملة لما ينبغي أن تكون عليه الحال .[٥٨]

لذلك كانت كلمة (مُصلح) كلمة كبيرة لا تطلق في كلّ بلد إلا على الرّجل والرّجلين ، وإن كنا نعتقد أنَّ المفكرين والمصلحين درجات عديدة . لا نريد هنا أن نعرض لسمات المصلحين والمجدّدين - فذلك تنظير لا حاجة له - وإنما نريد أن نقول إنّ المصلح لا يُوجد إلا عندما يتحلى بصفتين :

الأولى: تشبعه بالرّجاء والأمل في إمكانيّة حدوث الإصلاح والقضاء على الفساد والانحراف أما اليائسون فإنهم يرون عملية الإصلاح أشبه بالقيام بطلاء سفينةٍ آخذة في طريقها نحو القاع!! .

والثانية: هي امتلاك حساسيّةٍ عاليةٍ نحو بعض ضرورات التغيير ، فحين ينذر المُصلح ويحذر من أخطار واقع العيش يكون غيره غارقاً في الملذات ، أو مشغولاً بالتوافه ، أو لا يكون هنا ولا هناك!!.[٥٩]

## رابعاً: مفاهيم على طريق الإصلاح ..

---

٥٧- المرجع نفسه : ٢٦٥- ٢٦٦ .
٥٨- مقدّمات للنهوض بالعمل الدعوي : ٢٦٦ .
٥٩- ينظر: المرجع نفسه .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هنالك من المفاهيم العديدة التي لها الصّلة الوثيقة بمنهج الإصلاح ، بَيْدَ أنني لا أستطيع أن أتطرّق لها كلها في عُجالة هذا التمهيد ، وسأحاول ذكر أهمّها ؛ -روماً للاختصار- ، ومنها ما يأتي ..

١- السّلام والنظام شرطان أساسيان لوضع الأمّة في الوضع المنتج : إنّ تعاليم الشريعة السّمحة توفر الإطار العام للسّلام الفردي والاجتماعي ، وتوفر الكثير من المبادئ والمفردات التي تشكل النظم الحياتيّة كافة .

وأوْلى درجات السَّلام سلام المسلم مع نفسه ، وقبل ذلك مع ربه ثمّ مع مجتمعهِ الذي يعيشُ فيه، ولا يتحقق هذا السّلام إلا من خلال الاستقامة أوّلاً ثمّ تنمية الشعور الإيجابي بين أفراد المجتمع كلٌّ تجاه الآخر ، وتقوم الدّولة بدور فاعل في تحقيق التناسق والتناغم الاجتماعي إلى جانب تنظيم حقول التبادل والتعاون ، وحين يُوجد السّلام يُمكن للنظام أن يقوم .[٦٠]

أمَّا في حالات الحرب الأهليّة ، أو حالات الانهيار الاجتماعي فإنّ النظام وسيادة القانون ومبادئ الحقوق والواجبات تصبح جميعاً في مهبّ الرّيح .

والشريعة الغرَّاء بأحكامها وأدبيَّاتها ، وبما تنفرد به من قداسة وتقدير في نفوس المسلمين فهي النظام الأصلح والأقوى لتأمين المصالح الكبرى للناس ، وإلى أن تنعم جميع الشعوب الإسلاميّة بذلك وإنّ من مصلحة الناس عامّة أن يكون هناك نوع من الانضباط العام والامتثال لقوانين وتنظيمات محدّدة ؛ ذلك لأنّ هذا أحد المداخل المهمّة للقيام بالإصلاحات اللازمة .

إنَّ القانون مهما كان – افتراضاً- غير عادل يظلّ خيراً من حالة لا يحكم فيها أيّ قانون ، إذ يأكل القويّ الضعيف ، وتسود المخاوف على النفس والعِرض والمال . ولنا في العالم الغربيّ عبرة؛ فالنظم التي تحكمهم بعيدة عن هدي الإسلام ، لكنّ الضعيف ــ في أكثر الأحيان ــ يستطيع الوصول إلى حقه والمظلوم يجد مرجعاً لرفع ظلامته ، والمصالح العامّة للناس مصونة إلى حدٍّ بعيد ، ولك أن تقارن هذا مع بعض الدّول التي عمّتها الفوضى مثل العراق بلد الحِضارات العريقة والصّومال وأفغانستان مع أنها مسلمة ، لكن انعدام النظام جعل كلّ القيم تتوارى ، وجعلَ الوحوش كلها تسرح وتمرح .

---

٦٠- ينظر: نقد السياسة (الدين والدولة) : ١٨٣ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لذا لا تستطيع أمّة أن تتقدّم قيد أنملة ، بل ولا تستطيع أن تحافظ على إنجازاتها الموجودة ما لم يعمّ السّلام الدّاخلي والأمن ، وهما اللذان يوفران لسلطة العُرف والقانون المناخ اللازم لرسوخهما وحمايتهما للمجتمع من النكوص على عقبيه .[٦١]

٢- لا إنجازات خارج نطاق الأمّة : إذ لا تملك (العامَّة) وجماهير الناس خطابا منمّقاً ، ولا مشاعر منظمة ، لكنهم يملكون المشاعر الصّادقة والحدس الذي لا يكذب ، وهم حين يظهرون نوعاً من الثقافة والبرود العاطفي يكونون غالباً على حقّ .

ومهما حاول المشككون إطلاق الشعارات ورسم الخطط وتسويق التنظيرات ، فإنّ مآل ذلك على الجمود والبوَار ما لم يستطع كسب قاعدة شعبيّة جيدة إلى جانبه ، فالجماهير الواسعة هي التي ستتولى التنفيذ ، وهي التي تستطيع تعطيله ، وتجربة الحِضارة الإسلاميّة العريضة شاهد على ذلك ؛ فقضيّة الجهاد والفتوح كانت أخطر القضايا التي تمسّ الأمّة كلها في صدر الإسلام ، وقد انفعل بها الناس انفعالاً منقطع النظير، الشيوخ والشباب والنساء والأطفال والأصحاء والمرضى ، الجميع يُريد أن يكون له شرف المشاركة وشرف الشهادة ، ولذلك كانت الإنجازات أقرب إلى الخيال ، إذ فتح المسلمون في أقلّ من نصف قرن ما يزيد على أربعين ألفاً من المدن والقرى والقلاع والحصون .

وفي أيَّامنا هذه طرحت قضايا كثيرة ، واستُنهضت الأمّة لخوض معارك مصيريّة ، لكنها قابلت ذلك ببرود شديد ؛ لأنّ الخبز المروّج له ليس من قمحها ، ولأنّ صرخات الإهابة والاستغاثة ليس فيها شيء من رَنين صوت بلال . وكأنهم بذلك يقولون كلّ حمل يتمّ خارج رحم الأمّة هو حمل كاذب، فهل يعني المنظرون المهتمّون بالشأن العام هذه الحقيقة أو أنهم سيظلون في حرب لا هوادة فيها ضدّ جنودهم وأهليهم ؟! .[٦٢]

٣- المنهج الإصلاحي مجموعة متكاملة من الأنظمة : إنَّ الإنسان كلٌّ معقد ، وحين نقسّم شخصيّته إلى جوانب متعدّدة فإننا لا نعني أنّ كلّ جانب يستقلّ في فاعليّته وصحته ومرضه عن الجانب الآخر، وإنما ذلك من أجل تسهيل الدّراسة والفهم ؛ والملفت للنظر أنّ أيّ منهج في إصلاح حياة البشر هو مجموعة من النظم التي يكمّل بعضها بعضاً ، ولا يعمل أيّ منها بكفاءةٍ إلا من خلال عَلاقته التكامليّة مع غيره بحيث يتأثر كلّ نظام بالقصور الذي يعتري تطبيق باقي الأنظمة ، وهذا ليس خاصّاً بمنهج ما ، بل إنه عام في الأنظمة كلها والتي تحكم حياة البشر ،

---

[٦١]- ينظر: مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي : ٢٦٩ .
[٦٢]- ينظر: مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي : ٢٦٩- ٢٧٠ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و(الديمُقراطيَّة) الموجودة في الغرب ليست وليدة تطوّر ثقافيّ وتداع تأريخي فحسب وإنما هي نتاج وجود عتبة معيّنة من الرّخاء الاقتصادي ، والدّول التي أخذت بالدّيمقراطيّة في ظلّ فقر شديد أصيبت بخيبة أمل ؛ لأنَّ أصوات الناخبين كانت تباع لمن يدفع أكثر ، أي أنّ أرباب الثروات الطائلة هم الذين ينجحون ، وذلك من أجل تعزيز نفوذهم الاقتصادي وكسب مزيد من الثروات ، وقد كان أحد الخبراء الأسبان يقول : " إنَّ أسبانيا ستكون مهيَّأة للديمقراطيَّة حين يصل متوسط دخل الفرد إلى ألفي دولار ؛ وقد كان هذا، فعند عشيّة وفاة فرانكو عام ١٩٧٤م كان متوسط دخل الفرد ٢٤٢٦ دولار " .[٦٣]

أمَّا على صعيد المنهج الرّباني فيمكن أن نذكر مثالاً واحداً - للتوضيح - : الزكاة جزء من النظام الاقتصادي الإسلامي ، وعدم القيام بهذه الشعيرة يؤدّي إلى ضعف كفاءة النظام الاقتصادي الإسلامي كله ، ويؤدّي إلى إلحاق الضرر بالنظام الأخلاقي والاجتماعي أيضاً فالمقدار المفروض من الزكاة في الأموال وعروض التجارة هو: (٢.٥%) ، وهذا القدر كاف لسدّ العديد من حاجات المجتمع الإسلامي على مقتضى الحِكمة الإلهيّة البالغة ، لكنّ ذلك سيكون في الأحوال العادية والطبيعيّة ، وفي غير الأحوال الطارئة ، كما في حالات الزلازل والفيضانات والأعاصير – وما أكثرها اليوم -، وذلك أيضاً فيما إذا التزم أغنياء المسلمين بإخراجها ، وإذا استمرّ ذلك الالتزام حقبة مناسبة من الزمن، فلو قدّرنا أنّ (١٠%) من الأغنياء أخرجوا الزكاة ، وأنّ التزامهم بأدائها ــ في مجتمع ما ــ لم يمض عليه سِوى سنتين فإنّ الزكاة آنذاك لا تقوم بمهامها على الوجه المطلوب ، إذ إنّ الحالتين تجعلان الفقر يَتراكم ، ويتفاقم إلى الحدّ الذي لا تفي أموال الزكاة بالتخلص منه .[٦٤]

ثمَّ إنّ نظام الزكاة يؤدّي مهامه في ظلّ فعاليّة الأنظمة الأخرى ، فإذا كانت موارد القطر شحيحة جدّاً أو كان النظام السياسي فيه مختلاً ، وأدّى ذلك إلى انتشار البطالة والعطالة عن العمل ، فإنّ نظام الزكاة بالتالي لا يُوصلنا إلى الأهداف المنشودة منه .

وباعتبار الزكاة جُزءاً من النظام الاقتصادي الإسلامي ، فإنها أيضاً لا تؤدّي وظائفها إلا بفاعليّة النظام الذي تنتمي إليه ، فمثلاً (القرض الحسن) جزء من ذلك النظام ، وإعراض الدّولة أو الشعب عنه يؤدّي إلى نوع من تعطيل حركة المال وتداوله ، وبالتالي ضعف حركة التنمية والاستثمار، ممّا يُفضي أيضاً إلى قلة فرص العمل وكثرة الفقراء والمعوزين .

---

[٦٣]- نهاية التاريخ وخاتم البشر : ١٠٨ .

[٦٤]- ينظر: المنهج الإصلاحي مجموعة متكاملة من الأنظمة : ٨ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومرَّة أخرى فإنّ فاعليّة نظام الزكاة ترتبط جزئيّاً بقيام الدّولة بواجباتها في ضمان الحدّ الأدنى من المعيشة للفقير بالقدر الذي يحفظ عليه كرامته ، ويجعله في وضع منتج مثمر ، فإذا عجزت الدّولة عن ذلك ، أو قصّرت فيه فإنّ آليّة النظام (السّوق) ستوجد شريحة واسعة من المحتاجين الذين لا يُمكن أن تقوم بهم أموال الزكوات والنذور والكفارات ، وينفعل كلّ ذلك ويتأثر بقوّة النظام القيمي وفاعليّته ، فإذا كان نشطاً اندفع الناس إلى التطوّع بالكثير من الأعمال الخدميّة ، واندفع كثير من الفقراء إلى العمل والحركة مع حسن التدبير والتعفّف عن أموال الآخرين ؛ ممّا يُخفّف من غلاء الحاجّة .[٦٥]

هذا كله يدلُّ على شيء واحد ، هو أنه لا مَناص للمُصلح من الرّؤية الشاملة وإدارك العَلاقات التبادليّة بين جوانب الحياة كافة ، فلا بدّ من الأخذ بالكتاب كله على نحو ما قاله سبحانه : ژھ ےےۓۓڭڭۇۇۆۆۈۈۇٴۋۋژ .[٦٦]

وأخيراً وليس آخراً فإنّ قضيّة الإصلاح إذاً هي أكثر قضيّة في حياة البشريّة ، وهي المُهمّة الكبرى للأنبياء – عليهم الصّلاة والسّلام- وخلفائهم من العلماء وذوي الاهتمام بالشأن العام ، ذلك أنّ طبيعة الإنسان وطبيعة الاجتماع البشري ، وما يتولد عنهما من عقابيل فضلاً عن حاجة الإنسان إلى الإطار التوجيهي كلّ ذلك وأسباب أخرى ، يوجب على البشريّة أن تظلّ في حالة من التوتر الدّائم لعلاج أخطائها وتقويم مسيرتها ، ومقاربة منهج الفطرة والاستجابة لأمر الله والاهتداء بهديه .

ولأهميَّة موضوع الإصلاح في المُجتمع فيكفينا أن نستدلَ بما كان يفعله عُمر بن عبد العزيز **t** إذ كانت كتبه كلها في إصلاح المجتمع كما جاء في خبر إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال : " ما كان يقدم على أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم كتاب من عمر إلا فيه رد مظلمة ، أو إحياء سنة ، أو إطفاء بدعة ، أو قسْم أو تقدير عطاء ، أو خير ، حتى خرج من الدّنيا " .[٦٧]

.. وبعد هذا التمهيد نتوسّع الآن في ذكر أصول بحثنا وفروعه ومجالاته كافة ؛ ليتسنّى لنا الإحاطة به أكثر – قدر الإمكان – إن شاء الله تعالى .. بعد إن اقتضت طبيعته المنهجيّة أن أقسّمه على الترتيب المنهجي العلمي الآتي ..

---

[٦٥]- ينظر: المنهج الإصلاحي مجموعة متكاملة من الأنظمة : ٨ .
[٦٦]- سورة البقرة : ٢٠٨ .
[٦٧]- الطبقات الكبرى : ٥/ ٣٤٢ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

# الباب الأوّل

# القرآن ودوره الإصلاحي

ويحتوي الفصول الآتية ..

- الفصل الأوّل : عالميّة القرآن الكريم
- الفصل الثاني : القرآن والإسلام
- الفصل الثالث : دور القرآن في حريّة الرّأي
- الفصل الرّابع : شموليّة دعوة القرآن الكريم
- الفصل الخامس : القرآن ودعوته الإصلاحيّة إلى حفظ الضرورات الخمس .. ويشمل

المباحث الآتية :



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- المبحث الأوّل: دعوته إلى حفظ الدّين
- المبحث الثاني: دعوته إلى حفظ النفس
- المبحث الثالث: دعوته إلى حفظ العقل
- المبحث الرّابع: دعوته إلى حفظ النسل
- المبحث الخامس: دعوته إلى حفظ المال

- الفصل السّادس : القرآن والمجتمع .. ويتضمّن ما يأتي :

*المطلب الأوّل: دعوة القرآن المجتمع إلى ترك الفساد ، وحثهم إلى الإصلاح
*المطلب الثاني: أثر القرآن في إصلاح أمن المجتمع
*المطلب الثالث: الأسلوب القرآني في مخاطبة الرّوح الجماعية
*المطلب الرّابع: دور القصّة القرآنيّة وأثرها في إصلاح المجتمع
*المطلب الخامس: القرآن والمجتمع اليماني

**الباب الأول**

# القرآن ودوره الإصلاحي

إنَّ القرآن الكريم منهج واضح متكامل بأساليبه وأهدافه ، يوضح كلّ غموض يرد على خاطر أيّ إنسان ؛ ذاك لأنه يُعالج أمور الدّين والدّنيا ، وكلّ ما يصدر عن جوارح الإنسان ، وما تنطوي عليه الأنفس التي في الصّدور : ژ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ژ [٦٨] ، ينظم للفرد حياته مع نفسه، مع خالقه ، مع أسرته ، مع أبناء مجتمعه عموماً ، فهو من دون شكٍّ أعظم منهج تنظيمي وإصلاحيّ للمجتمع كافة ، وأشمل زاد يتزوّد به المرتحل في رحلته وسفره : ژ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ژ [٦٩] .

جاء القرآن الكريم بمنهج إصلاحيٍّ ونظام شموليّ للمجتمعات الإنسانيّة ؛ ليرشدهم إلى عين الحقيقة والصّواب : ژ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ژ [٧٠] وإلى الطريق السّويّ : ژ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ژ [٧١] .

[٦٨]- سورة غافر : ١٩ .
[٦٩]- سورة الإسراء : ٩ .
[٧٠]- سورة فاطر : ٣١ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

.. وانطلاقاً من هذا المنهج العظيم الخاتم ، سأستعرض بعض المقدّمات والموضوعات الهامّة والمتعلقة ببحثي (القرآن ودوره في إصلاح المجتمع) .. قدر الإمكان ، الذي لا أدعي له الكمال ، بل الكمال لله تعالى وحده . إذ من الصّعب أن يُحيط إنسانٌ بنواحي الكمال التي تضمنها القرآن الذي لم يُفرّط في شيء وسأحاول هنا أن أتناول أغلب الجوانب لهذا الكمال المفعم بالسّلوك الإنساني ؛ لنرى كيف استهدف القرآن الكريم كمال الإنسان وسموه ، فهو في تناوله للكبائر وفي توجيهه لما دق وصغر من الأعمال والأقوال ، وفي حديثه عن السّلوك الظاهر وتقصيه إلى ما وراء ذلك من النيّة وما تهجس به النفس البشريّة في سرّها وعلنها يُحيط بكلّ شيءٍ ، ولا يترك شاردة ولا واردة تؤكد الغاية التي يدعو إليها من سمو الإنسان وكماله إلا أوردها في أحسن الكلم وبليغ الأساليب تأثيراً في النفس ، مناشدة وزجراً، أمراً أو نهياً وعداً أو وعيداً ، تحسيناً أو تقبيحاً ، حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد ذلك .

.. هذا ويحتوي الباب فصولاً عدّة - وفقاً لمنهج البحث العلمي- وعندما أتحدث عن القرآن فإنني بطبيعة الحال أتحدّث عن الإسلام كله - القرآن والسنة والإجماع والقياس- باعتبارها المصادر الأساسيّة للتشريع الإسلامي التي ينبغي للمجتمعات الإسلاميّة أن تأخذ بها ؛ لكي تحقق تطبيق الإسلام كاملاً في حياتها .

## الفصل الأوّل

### عالميّة القرآن الكريم

إذا ما تأمّل الإنسان في كتاب الله تعالى ، وفكر في كلماته ومعانيه كلها وجد أنه يشتمل على الكون كله والأرض وما عليها والسّموات وما فيها ، ومنهج الإصلاح لكلّ ما على الأرض فهو منهج الخالق

---

[٧١]- سورة الأنعام : ١٦١ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى خلقه المفضل ، منهج المبدع إلى أكرم ما صنع ، منهج القريب بل الأقرب لكلّ إنسان من حبل الوريد: ژ ہ ھ ھ ے ژ[٧٢] ، ژ ۇ ۆ ۈ ۇ ۆ ۈ ژ[٧٣] ، ژ ۇ ۆ ۈ ۇ ۆ ۈ ژ[٧٤] ، ژ ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ژ[٧٥] ، ژ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۆ ۈ ۇ ۆ ۈ ژ[٧٦] ، ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ژ[٧٧] ژ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ژ[٧٨] ، ژ ژ[٧٩] .

فلا توجد قضيّة تمسّ الفرد والمجتمع إلا وتوجد في منهج الله سبحانه وتعالى ما يُعالج هذه القضيّة وقد تعرّض القرآن الكريم لقضايا الكون جميعاً وأوجد لها العلاج ، فهو يضع المبدأ ومن يبحث ويدرس وفي قلبه إيمان بالله وشعور بعظمة الله وقدرته يستطيع أن يحقق الكثير الكثير جدّاً .[٨٠]

ولم يغفل المنهج القرآني – حاشاه- حقوق الفرد في ظلّ سلامة المجتمع ، وكما خلق الإنسان مزوّداً بطاقات وقدرات حيويّة تدفعه إلى إشباعها فقد أرشده إلى سبل تنظيم هذه الطاقات حتى لا تؤدّي إلى الفوضى والاضطراب أو إلى الإشباع الخاطئ الشاذ ، فشرعَ الحلال وأمرَ به ، وأشار إلى الحرام ونهى عنه . والمخالف لذلك ينالُ عقاباً ؛ ليمنعه وغيره من أبناء المجتمع من الوقوع في المعصية التي تعدّ مخالفة للنظام الذي ينظم أفعاله في عَلاقاته بربّه ونفسه والناس أجمعين ، فوضع الله تعالى حدّ القتل العمد ؛ ليصونَ حياة الإنسان ، ووضع حدّ شارب الخمر ؛ ليصونَ عقل الإنسان ، ووضع حدّ القذف ليحفظ كرامة الإنسان ، ووضع حدّ الزنى ؛ ليصونَ نسل الإنسان ، ووضع حدّ السّرقة؛ ليحفظ ممتلكات الإنسان ، ووضع حدّ المرتد ليصونَ دينَ الإنسان ، ووضع حدّ قطاع الطرق وأهل البغي؛ ليصونَ أمن الإنسان ... وهكذا ، وفي إتباع تلك الحدود صيانة للفرد وصيانة للمجتمع وسلامته ؛ لأنّ الفرد جزء من الجماعة ، والجماعة مجموع من الأفراد .[٨١]

وممَّا يُؤكد عليه القرآن الكريم في كلّ وقت وفي كلّ مناسبةٍ هو التمسّك بالعقيدة ؛ ذلك لأنّها سرّ الحلّ العملي لفتح طرق التقدّم والتطوّر كلها ، وبناء المجتمع وتحقيق رغباته وتوفير احتياجاته والله تعالى قد خصّ هذه الأمّة بأن جعل فيها محمّداً صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً وآتاها ما لم يؤت أمّة أخرى من الأمم ، إذ آتاها وأورثها القرآن العظيم وسنة النّبيّ **r** ، ورزقها عقيدة الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصّالحين في كلّ زمان ومكان ووهبها من لدنه نعمة الحياة ، وفضلها وأسماها وشرّفها بقوله تعالى: ژ ٺ ٺ ٿ ٿ ژ[٨٢] ، ورزقها الوحدة والتناصر والتآزر والمحبّة والإخاء والتماسك والأمن والاستقرار والرّخاء ، ووفقها إلى الثبات على المبدأ والحفاظ على الأصول والجذور والتطوّر والنّماء.

ومن خلال ذلك يوضح للمدعو أنّ الإسلام ليس معناه أن نكون مؤدّين للعبادات متخلقين بالأخلاق الفاضلة وإلى هنا ننتهي ، بل يجب أن يوضح له أنّ الإسلام دين جماعي ، نظام حياة وحكم وتشريع عقيدة وأخلاق ودولة وجهاد ، وأمّة واحدة ، وأنّ المسلم لا يُمكن أن يكون آخذاً للإسلام من جميع جوانبه إلا إذا فهم هذا الفهم السّليم ، فإذا فهمنا هذا الفهم السّليم للإسلام فإنه - أي هذا الفهم- سيُملي

---

[٧٢]- سورة القلم : ٥٢ .
[٧٣]- الزمر : ٢٧- ٢٨ .
[٧٤]- سورة القمر : ٤- ٥ .
[٧٥]- سورة القمر : ١٧ .
[٧٦]- سورة الحديد : ٩ .
[٧٧]- سورة الحديد : ٢٥ .
[٧٨]- سورة الجمعة : ٢ .
[٧٩]- سورة الطلاق : ١٢ .
[٨٠]- ينظر: منهج الحياة في القرآن والسنة : ١٦٧ .
[٨١]- ينظر : المرجع نفسه .
[٨٢]- سورة آل عمران : ١١٠ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

علينا مسؤوليّاتٍ وواجباتٍ يجب أن نقوم بتأديتها امتثالاً لأمر الله تعالى حتى يقومَ المجتمعُ على القواعد الصّحيحة للإسلام في جميع النواحي السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة ...[٨٣]

وقد تنوَّعت أحكامه فلم تقتصر على الأسس والقواعد الواجبة التطبيق في مجال معيّن وإنما تضمّنت الأحكام الخاصّة بالعقيدة والشريعة والعبادات والأخلاق ؛ ذلك لكي تتكامل شخصيّة المؤمنين به وتتآزر مختلف الأحكام في تكوين المجتمع الفاضل وإعداد الشخصيّة المسلمة وتربية الأمّة تربية إسلاميّة تؤهّلها لوصف الله إيّاها بأنها خير أمّةٍ أخرجت للناس ، إننا لن نسهب في بيان أنّ القرآن الكريم كتاب إلهي أوحاه الله تعالى إلى رسوله خاتم النبيّين محمّد صلى الله عليه وسلم ، ونقل إلينا بطريق القطع الذي لا يدخله ريب في كلمةٍ أو حرف منه ، نقلاً متواتراً ، لم تتخلله فترة من لحظات الزمن منذ أنزله الله تعالى على رسوله محمّد صلى الله عليه وسلم ، وتلقاه عنه أصحابه ، وكتبوه وحفظوه في صدورهم آية آية ، وسورة سورة ، على الوضع الذي هو عليه في صدور حفظته من عشرات الألوف من قرّاء الإسلام في كلّ عصر ومصر من أمصار الإسلام ؛ ذلك لأنّ هذا النحو من البحث إنما يكون من الذين يلحدون في آيات الله عناداً للحق ومكابرة لواضح البرهان ، وقد أشبعه العلماء بحثاً ، وأطنبوا فيه حديثاً ، حتى جعلوه لمن شرح الله صدره لقبول الحق مكان الشمس في ضحوة النهار ليس دونها سحاب .

والله تعالى لمَّا أنزل القرآن الكريم أنزله كتاباً لصلاح أمر الناس كافة ، رحمة لهم ؛ لتبليغهم مراده منهم ، قال تعالى : ژ ڤ ڤ ڤ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ژ [٨٤] ، فكان المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفرديّة والجماعيَّة والعمرانيَّة .

فالصَّلاح الفردي يعتمد تهذيب النفس وتزكيتها ، ورأس الأمر فيه صلاح الاعتقاد ؛ لأنَّ الاعتقاد مصدر الآداب والتفكير ، لذا يهيئ ذهن الفرد لرحلة الآخرة بصورة تجعل الإنسان مطمئناً لمستقبله واثقاً منه كحاضره وماضيه ، ويُقرّبه من المولى سبحانه بما يرشده إليه من الإيمان به وبكتبه ورسله واليوم الآخر ، ثمّ صلاح السّريرة الخاصّة وهي : العبادات الظاهرة كالصّلاة والباطنة كالتخلق بترك الحسد والحقد والكِبر .[٨٥]

وأمَّا الصَّلاح الجماعي فيحصل أوّلاً من الصَّلاح الفردي ، إذ الأفراد أجزاء المجتمع ولا يصلح الكلّ إلا بصلاح أجزائه ، ومن شيء زائد على ذلك وهو ضبط تصرّف الناس بعضهم مع بعض على وجهٍ يعصمهم من مزاحمة الشهوات ومواثبة القوى النفسانيّة ، وهذا هو علم المعاملات ويعبّر عنه عند الحكماء بالسياسة المدنيّة .

وأمَّا الصَّلاح العمراني فهو أوسع من ذلك ، إذ هو حفظ نظام العالم الإسلامي وضبط تصرّف الجماعات والأقاليم بعضهم مع بعض على وجهٍ يحفظ مصالح الجميع ورعي المصالح الكليّة الإسلاميّة وحفظ المصلحة الجامعة عند معارضة المصلحة القاصرة لها ، ويسمّى هذا بعلم العمران وعلم الاجتماع .[٨٦]

فإذن مراد الله تعالى من كتابه هو بيان تصاريف ما يرجع إلى حفظ مقاصد الدّين ، وقد أودع ذلك في مصطلحاتٍ يسّرها لنا ، وخاطبنا بها خطاباً بيّنا ، حتى تعبّدنا بمعرفة مراده والاطلاع عليه لذا قال : ژ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ژ[٨٧] سواء قلنا إنه يُمكن الاطلاع على تمام مراد الله تعالى ، على القول الرّاجح ، أو على قول من يقول - من المعتزلة- : " إنّ الاطلاع على تمام مراد الله تعالى غير ممكن ، وهو خلاف لا طائل تحته إذ القصد هو الإمكان الوقوعي لا العقليّ فلا مانعَ من التكليف باستقصاء البحث عنه بحسب الطاقة ومبلغ العلم مع تعذر الاطلاع على تمامه " .[٨٨]

وقد اختار الله أن يكون اللسان العربي مظهراً لوحيه ومستودعاً لمراده وأن يكون العرب هم المتلقين أوّلاً لشرعه وإبلاغ مراده لحكمةٍ علمها منها: كون لسانهم أفصح الألسن وأسهلها انتشاراً وأكثرها

---

[٨٣]- ينظر: الدعوة الفرديّة وأهميّتها في تربية الأجيال : ١٥ .

[٨٤]- سورة النحل : ٨٩ .

[٨٥]- ينظر: التحرير والتنوير : ١/ ١٨ ، منهج الحياة في القرآن والسنة : ١٦٩ .

[٨٦]- ينظر: تفسير التحرير والتنوير : ١/ ١٨ .

[٨٧]- سورة ص : ٢٩ .

[٨٨]- التحرير والتنوير : ١/ ١٨ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تحمّلاً للمعاني مع أيجاز لفظه ، ولتكون الأمّة المتلقية للتشريع والناشرة له أمّة قد سلمت من أفن الرّأي عند المجادلة ولم تقعد بها عن النهوض أغلال التكالب على الرّفاهيّة ولا عن تلقي الكمال الحقيقي إذ يسبب لها خلطه بما يجرّ إلى اضمحلاله .

وهذا لا يعني أن يكون تخصيص العرب بالخطاب القرآني ، أن يكون التشريع قاصِراً عليهم أو مراعياً لخاصّة أحوالهم ، بل إنّ عموم الشريعة ودوامها وكون القرآن معجزة دائمة مستمرّة على تعاقب السّنين ينافي ذلك ، نعم إنّ مقاصده تصفية نفوس العرب الذين اختارهم - كما تقدّم- لتلقي شريعته وبثها ونشرها ، فهم المخاطبون ابتداءً قبل غيرهم ، فكانت أحوالهم مرعية لا محالة وكان كثير من آيات القرآن مقصوداً بها خطابهم خاصّة ، وإصلاح أحوالهم ، قال تعالى : ژ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ژ [٨٩] ، وقال: ژ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ژ [٩٠] لكن ليس ذلك بوجهٍ للاقتصار على أحوالهم .[٩١]

بل الغرض الأكبر للقرآن هو إصلاح الأمّة بأسرها ، فإصلاح كفارها بدعوتهم إلى الإيمان ونبذ العبادة الضالة وإتباع الإيمان والإسلام ، وإصلاح المؤمنين بتقويم أخلاقهم وتثبيتهم على هداهم وإرشادهم إلى طريق النجاح وتزكية نفوسهم ، ولذلك كانت أغراضه مرتبطة بأحوال المجتمع في مدّة الدّعوة فكانت آيات القرآن مستقلاً بعضها عن بعض ؛ لأنّ كل آيةٍ منه ترجع إلى غرض الإصلاح والاستدلال عليه وتكميله وتخليصه من تسرّب الضلالات إليه فلم يلزم أن تكون آياته متسلسلة ، لذا وصف المفسّرون[٩٢] القرآن بأنه يتطرّق إلى معالجة الأحوال الحاضرة على اختلافها ، وينتقل من حال إلى حال بالمناسبة فتكثر فيه الجمل المعترضة ؛ لأسباب اقتضت نزولها أو بدون ذلك ، فإنّ كلّ جملة تشتمل على حكمةٍ وإرشادٍ أو تقويم معوجٍّ ، كقوله : ژ ٻ ٻ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ ژ ڑ ک ک ک ژ [٩٣]

فقوله : ژ ڃ ڃ چ چ ڇ ژ ، جملة معترضة ...

ولمّا بلغ الأجل المراد والمعين لمجيء الشريعة الحق الخاتمة العامّة ، أظهر الله دين الإسلام في وقت مناسب لظهوره ، واختار أن يكون ظهوره بين ظهراني أمّة لم تسبق لها سابقة سلطان ولا كانت ذات سيادة يومئذ على شيء من جهات الأرض ، ولكنها أمّة سلمها الله من معظم رعونات الجماعات البشريّة ؛ لتكون أقرب إلى قبول الحقّ ، وأظهر هذا الدّين بوساطة رجل منها لم يكن من أهل العلم ولا من أهل الدّولة ولا من ذريّة ملوك ولا اكتسب خبرة سابقة بهجرةٍ أو مخالطةٍ ليكون ظهور هذا الحقّ الصّريح والعلم الصّحيح من مثله ، آية على أنّ ذلك وحي من الله نفح به عباده .. حتى جعل أسس هذا الدّين متباعدة عن ذميم العوائد في الأمم ، حتى الأمّة التي ظهر بينها وموافقة للحقّ ولو كان قد سبق إليه أعداؤها وكانت أصوله مبنيّة على الفطرة ، بمعنى ألا تكون ناظرة إلا إلى ما فيه الصّلاح في حكم العقل السّليم ، غير مأسور للعوائد ولا للمذاهب ، قال تعالى: ژ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ژ [٩٤] .

قال ابن سينا : " الفطرة أن يتوهم الإنسان نفسه حصل في الدنيا دفعه وهو عاقل لم يسمع رأياً ولم يعتقد مذهباً ، ولم يعاشر أمّة لكنه شاهد المحسوسات ، ثمّ يعرض على ذهنه الأشياء شيئاً فشيئاً، فإن أمكنه الشكّ في شيء فالفطرة لا تشهد به وإن لم يمكنه الشكّ فيه فالفطرة توجبه وليس كل ما توجبه الفطرة بصادق بل الصادق منه ما تشهد به فطرة القوّة التي تسمّى عقلاً قبل أن يعترضه الوهم " .[٩٥]

فبهذا الأصل : أصل الفطرة كان الإسلام ديناً صالحاً لجميع الأمم في جميع العصور ، ثمّ ظهر هذا الأصل في تسعة مظاهر خادمة له ومهيأة جميع الناس لقبوله ..

---

[٨٩]- سورة هود : ٤٩ .
[٩٠]- سورة الإنعام ١٥٦- ١٥٧ .
[٩١]- ينظر: التحرير والتنوير : ١/ ١٨ .
[٩٢]- ينظر: المصدر نفسه : ١/ ٤٤ .
[٩٣]- سورة آل عمران :٧٢- ٧٣ .
[٩٤]- سورة الروم : ٣٠ .
[٩٥]- التحرير والتنوير : ١/ ٧٢٨ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المظهر الأول : إصلاح العقيدة بحمل الذهن على اعتقاد لا يشوبه تردّد ولا تمويه ولا أوهام ولا خرافات ثم بكون عقيدته مبنيّة على الخضوع لواحد عظيم ، وعلى الاعتراف باتصاف هذا الواحد بصفات الكمال التامّة التي تجعل الخضوع إليه اختياراً ؛ ثم لتصير تلك الكمالات مطمح أنظار المعتقد في التخلق بها ، ثمّ بحمل جميع الناس على تطهير عقائدهم حتى يتحد مبدأ التخلق فيهم : ژ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ [٩٦] .

وكان إصلاح الاعتقاد أهمّ ما ابتدأ به الإسلام وأكثر ما تعرّضَ له ؛ ذلك لأنّ إصلاح الفكرة هو مبدأ كل إصلاح ؛ ولأنه لا يرجى صلاح لقوم تلطخت عقولهم بالعقائد الضالة وخسئت نفوسهم بآثار تلك العقائد المثيرة خوفاً من لا شيء وطمعاً في غير شيء ، وإذا صلح الاعتقاد أمكن صلاح الباقي؛ لأنَّ المرء إنسان بروحه لا بجسمه .. حتى نشأ عن هذا الاعتقاد الإسلامي : عزة النفس ، وأصالة الرّأي وحريّة العقل ، ومساواة الناس فيما عدا الفضائل. وقد أكثر الإسلام شرح العقائد إكثاراً لا يشبهه دين آخر، بل إننا ننظر إلى كثير من الأديان الصّحيحة ، فلا نرى فيها من شرح صفات الخالق إلا قليلاً.[٩٧]

المظهر الثاني : جمعه بين إصلاح النفوس بالتزكية وبين إصلاح نظام الحياة بالتشريع ، في حين كان معظم الأديان لا يتطرّق إلى نظام الحياة بشيء ، وبعضها وإن تطرّق إليه إلا أنه لم يوفه حقه، بل كان معظم اهتمامها منصرفاً إلى المواعظ والعبادات وقد قرن القرآن المصلحتين في غير ما آية قال تعالى: ژ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ژ [٩٨] .

والمظهر الثالث : اختصاصه بإقامة الحجّة ومجادلة المخاطبين ، بصنوف المجادلات وتعليل أحكامه بالترغيب والترهيب ؛ وذلك مراعاة لمراتب نفوس المخاطبين ، فمنهم العالم الحكيم الذي لا يقتنع إلا بالحجّة والدّليل ، ومنهم المكابر الذي لا يراعى إلا بالجدل والخطابة، ومنهم المترهب الذي اعتاد الرّغبة فيما عند الله ، ومنهم المكابر المعاند الذي لا يقلعه عن شغبه إلا القوارع والزواجر .[٩٩]

المظهر الرابع : أنه جاء بعموم الدّعوة لسائر البشر ، وهذا شيء لم يسبق في دين قبله قط وفي القرآن: ژ ڈ ڈ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ژ[١٠٠] .

وفي الحديث الصَّحيح : « أعطيتُ خمسَا لمْ يُعْطهنّ أحدٌ قبْلي » .. فذكر : « وكَانَ الرّسول يُبعثُ إلى قوْمِهِ خَاصّة ، وبُعثتُ إلى الناس عَامّة » .[١٠١] وقد ذكر الله تعالى الرّسل كلهم ، فذكر أنه أرسلهم إلى أقوامهم . والاختلاف في كون نوح رسولاً إلى جميع أهل الأرض إنما هو مبنيّ : على أنه بعد الطوفان انحصر أهل الأرض في أتباع نوح عند القائلين بعموم الطوفان سائر الأرض ، ألا ترى قوله تعالى : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ژ [١٠٢] ، وأيّاً ما كان احتمال كون سكان الأرض في عصر نوح هم من ضمهم وطن نوح ؛ فإنّ عموم دعوته حاصل غير مقصود .[١٠٣]

المظهر الرابع : الدّوام ولم يدع رسول من الرّسل أنّ شريعته دائمة ، بل ما من رسول ولا كتاب إلا تجد فيه بشارة برسولٍ يأتي من بعده .

المظهر الخامس: الإقلال من التفريع في الأحكام بل تأتي بأصولها ، ويترك التفريع لاستنباط المجتهدين ، وقد بيّن ذلك أبو إسحاق الشاطبي في تفسير قوله تعالى : ژ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ژ [١٠٤] لتكون الأحكام صالحة لكلّ زمان .[١٠٥]

---

[٩٦]- سورة آل عمران : ٦٤ .

[٩٧]- ينظر: التحرير والتنوير : ١/ ٧٢٨ .

[٩٨]- سورة النحل : ٩٧ .

[٩٩]- ينظر: التحرير والتنوير : ١/ ٧٢٩ .

[١٠٠]- سورة الأعراف : ١٥٨ .

١٠١- صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر) : باب : (التيمم) ، رقم الحديث: (٣٢٨) : ١/ ١٢٨ ، صحيح مسلم : باب : (المساجد ومواضع الصلاة) ، برقم: (٥٢١) : ١/ ٣٧٠ ، سنن النسائي (المجتبى من السنن) : باب : (التيمم بالصعيد) برقم: (٤٣٢) : ١/ ٢٠٩ ، مسند الإمام أحمد بن حنبل : رقم الحديث: (١٤٣٠٣) : ٣٠٤/٣ ، سنن الدارمي : باب : (الأرض كلها طهور ما خلا المقبرة والحمام) ، برقم: (١٣٨٩) : ١/ ٣٧٤ .

[١٠٢]- سورة الأعراف : ٥٩ .

[١٠٣]- ينظر: التحرير والتنوير : ١/ ٧٢٩ .

[١٠٤]- سورة الأنعام : ٣٨ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المظهر السّادس : أنّ المقصود من وصايا الأديان ، إمكان العمل بها وفي أصول الأخلاق أنّ التربية الصّحيحة ، هي التي تأتي إلى النفوس بالحيلولة بينها خواطر الشرور ؛ لأنّ الشرور إذا تسرّبت إلى النفوس تعذر أو عسر اقتلاعها منها ، وكانت
الشرائع تحمل الناس على متابعة وصاياها بالمباشرة فجاء الإسلام يحمل الناس على الخير بطريقتين : طريقة مباشرة ، وطريقة سدّ الذرائع الموصلة إلى الفساد ، وغالب أحكام الإسلام من هذا القبيل ، وإنها من جملة ما أريد بالمشتبهات في حديث : « إنّ الحلالَ بيّنٌ ، وإنّ الحرامَ بيّنٌ ، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهنّ كثيرٌ من الناس ... » .[١٠٦]

المظهر السّابع : الرّأفه بالناس حتى في حملهم على مصالحهم بالاقتصار في التشريع على مجموع المصلحة مع تطلب إبراز ذلك التشريع في صورة ليّنة ، وفي القرآن : ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ژ [١٠٧] ، وكانت الشرائع السّابقة تحمل على المتابعة بالشدّة ، فلذلك لم تكن صالحة للبقاء لأنها روعي فيها حال قساوة أمم في عصور خاصّةٍ ، ولم تكن بالتي يناسبها ما قدر مصير البشر إليه من رقة الطباع وارتقاء الأفهام .[١٠٨]

المظهر الثامن : امتزاج الشريعة بالسّلطان في الإسلام وذلك من خصائصه ؛ إذ لا معنى للتشريع إلا تأسيس قانون للأمّة وما قيمة قانون لا تحميه القوّة والحكومة ، وبامتزاج الحكومة مع الشريعة أمكن تعميم الشريعة واتحاد الأمّة في العمل والنظام .[١٠٩]

المظهر التاسع : صراحة أصول الدّين بحيث يتكرّر في القرآن ما تستقرى منه قواطع الشريعة حتى تكون الشريعة معصومة من التأويلات الباطلة والتحريفات ، التي طرأت على أهل الكتب السّابقة ويزداد هذا بياناً عند تفسير قوله تعالى : ژ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ ژ [١١٠] ، ژ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ ژ .[١١١]

* ومن الخصائص الرّئيسيّة للإسلام[١١٢] في توجيه الفرد والمجتمع .. ما يأتي :

١ - الإسلام دين التوحيد : فالإيمان بوجود خالق واحد للعالم حقيقة تقتنع بها كلّ العقول المفكرة وهذا الخالق هو الإله المستحق للعبادة وحده : كالذبح والنذر ، ولاسيما الدّعاء لقوله r : « الدّعاء هو العبادة » .[١١٣] فلا يجوز صرف شيء منها لغير الله .

٢ - الإسلام يجمع ولا يُفرّق : فهو يُؤمن بجميع الرّسل ، الذين أرسلهم الله لهداية البشر وتنظيم حياتهم، والرّسول محمّد صلى الله عليه وسلم خاتمهم ، وشريعته نسخت ما قبلها بأمر من الله تعالى أرسله الله إلى الناس جميعاً ؛ لينقذهم من جَوْر الأديان المحرّفة إلى عدل الإسلام المحفوظ .

---

١٠٥- ينظر: الموافقات في أصول الفقه (الشاطبي) : ٣/ ٣٦٩ .

١٠٦- صحيح مسلم : باب: (أخذ الحلال وترك الشبهات) ، رقم الحديث: (١٥٩٩) ٣/ ١٢١٩ ، سنن أبي داود : باب : (في اجتناب الشبهات) ، برقم: (٣٣٢٩) : ٢/ ٢٦٣ ، سنن النسائي : باب : (اجتناب الشبهات في الكسب) ، برقم: (٤٤٥٣) : ٧/ ٢٤١ ، وباب: (الحث على ترك الشبهات) ، برقم: (٥٧١٠) : ٨/ ٣٢٧ ، سنن الدارمي : باب: (الفتيا وما فيه من الشدة) ، برقم: (١٦٨): ١/ ٧٢ .

١٠٧- سورة البقرة : ١٨٥ .

١٠٨- ينظر: التحرير والتنوير : ١/ ٧٢٩ .

١٠٩- ينظر: المصدر نفسه .

١١٠- سورة آل عمرن : ٢٠ .

١١١- السورة نفسها : ١٩ . ينظر: التحرير والتنوير : ١/ ٧٣٠ .

١١٢- ينظر: توجيهات إسلاميّة لإصلاح الفرد والمجتمع : ٢-٣ .

١١٣- سنن أبي داود : باب: (الدعاء) ، برقم : (١٤٧٩) : ١/ ٤٦٦ ، سنن الترمذي : باب : (ومن سورة البقرة) ، برقم : (٢٩٦٩) : ٢٢١/٥ ، وقال عنه: (حديث حسن صحيح) ، سنن ابن ماجه : باب : (فضل الدعاء) ، برقم : (٣٨٢٨) :٢/ ١٢٥٨ ، مسند أحمد : برقم : (١٨٤١٥) : ٤/ ٢٧١ . وكلهم من حديث النعمان بن بشير t .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣ - إنّ تعاليم الإسلام سهلة واضحة مفهومة ، فهو لا يقرّ الخرافات ولا المعتقدات الفاسدة والفلسفات المعقدة ، وهو صالح للتطبيق في كلّ زمان ومكان .
٤ - إنَّ الإسلام لا يفصل بين المادّة والرّوح فصلاً كاملاً ، بل ينظر إلى الحياة على أنها وحدة تشملهما معاً ، فلا يأخذ إحداهما ويهمل الأخرى .
٥ - أكد الإسلام روح التساوي والأخوّة بين المسلمين ، فهو يُنكر الفوارق الإقليميّة والعصبيَّة ، ففي كتابه الكريم : ﮋ ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮊ [١١٤] .
٦ - ليس في الإسلام سلطة كهنوتية تحتكر الدّين ، ولا أفكار مجرّدة يصعب تصديقها ويستطيع كلّ إنسان أن يقرأ كتاب الله تعالى وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب فهم الصّحابة والتابعين ثمّ يصوغ حياته طبقاً لهما .
* فالإسلام إذاً نظام كامل وشامل للحياة[١١٥] ، وللتأكيد على ذلك أكثر يُمكننا تلخيصه فيما يأتي..
١ - إنّ الإسلام ينظم الحياة البشريّة في مختلف ميادينها الاقتصاديّة والسياسيّة والثقافيّة والاجتماعيّة كما يرسم لها الطريق الصّحيح لحلّ مشاكلها .
٢ - الإسلام يسعى إلى تنظيم الحياة للإنسان ، والعنصر الرئيسي هو تنظيم الوقت والإسلام وحده أقوى عامل لنجاح المسلم في الدّنيا والآخرة .
٣ - إنّ الإسلام عقيدة قبل أن يكون شريعة ، فالرّسول صلى الله عليه وسلم ركز جهده في مكة على التوحيد ، ثمّ بعد ذلك طبّق الشريعة عندما انتقل إلى المدينة لإقامة الدّولة الإسلاميّة فيها .
٤ - الإسلام يدعو إلى العلم ، ويُشجّع على التطوّر العلمي النافع ، فقد كان المسلمون في القرون الوسطى جهابذة في العلوم العصريّة ، مثل ( ابن الهيثم ) و ( البيروني ) وغيرهم .
٥ - الإسلام يُبيح المال المكتسب من الحلال الذي لا استغلال فيه ولا غشّ ، ويُرّغب في المال الحلال للرّجل الصّالح الذي يُدفع منه للفقراء والجهاد ، وبهذا تتحقق العدالة الاجتماعيّة في الأمّة المسلمة التي تأخذ تشريعها من خالقها ، وفي الحديث الصَّحيح : « نعم المال الصَّالح للمرء الصَّالح » .[١١٦] وأمَّا قولهم : ( ما جُمع مال من حلال ) ، فهو مكذوب لا أصل له .
٦ - الإسلام دين الجهاد والحياة : فهو يفرض على كلّ مسلم أن يبذل ماله وروحه في سبيل نصرة الإسلام ، وهو دين الحياة يريد من المسلم أن يعيش حياة هنيئة في ظلّ الإسلام وأن يُؤثر أخراه على دنياه .
٧ - إحياء الفكر الإسلامي الحرّ في حدود القواعد الإسلاميّة ، وإزالة الجمود الفكري والأفكار الدّخيلة التي شوّهت جَمال الإسلام الصّافي ، وحالت دون تقدّم المسلمين كالبدع والخرافات والأحاديث الموضوعة وغير ذلك . .

لذا قال بعض المستشرقين عن الإسلام ، ومنهم الفيلسوف ( برنادشو ) إذ قال: " إني أُكن كلّ تقدير لدين محمّد لحيويته ، فهو الدّين الوحيد الذي يبدو لي أنّ له طاقة هائلة لملاءمته أوجه الحياة المتغيّرة وصالحاً لكلّ العصور ، لقد درست حياة هذا الرّجل العجيب ، وفي رأي أنه يجب أن يسمّى منقذ البشرية دون أن يكون في ذلك عداء للمسيح . وإني لأعتقد أنه لو أتيح لرجل مثله أن يتولى حكم هذا العالم الحديث منفرداً لحالفه التوفيق في حلّ جميع مشاكله بأسلوب يؤدّي إلى السّعادة والسّلام اللذين يفتقر العالم إليهما كثيراً . إني أتنبّأ بأنّ الناس سيُقبلون على دين محمّد في أوربا في المستقبل ، وقد بدأ يَلقى القبولَ في أوربا اليوم" .[١١٧]

[١١٤]- سورة الحجرات : ١٣ .
[١١٥]- ينظر: توجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع : ٤- ٥ .
[١١٦]- مسند أحمد ، من حديث عمرو بن العاص **t** : رقم الحديث : (١٧٧٩٨) : ٤/ ١٩٧ .
[١١٧]- توجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع : ١٤٧ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهذا رجل أمريكي يتحدّث عن إسلامه فيقول : " لقد كان اهتمامي في البداية مكرّسا للديانة البوذيّة ولسنوات مضت أردتُ أن أصبح راهباً بوذيّاً ، ولكن بعد دراستي للأديان المقارنة في الجامعة اتجهت نحو الدّين الإسلامي ، وبعد تخرّجي من الجامعة سافرتُ إلى أوربا ، ودرستُ في هولندا بصحبة صديقين ، كان أحدهما طالب وهو أردنيّ ، وكان الآخر رجلاً كبيراً في السّن ذو مكانةٍ مرموقةٍ ، لقد كان في ألبانيا وأمضى في هولندا مدّة ثلاثين أو أربعين عاماً مكرّساً حياته لله ، وبتأثير هذين الشخصين دخلتُ دين الإسلام غير مهتمّ بجمال هذا الدّين ، أو نقائه ، أو فاعليّته ، بل مقتنعاً بأنّ محمّداً صلى الله عليه وسلم كان في الحقيقة رسول الله ، وإذا أعرضتُ جانباً عن رسالة الله ورسوله فيعرض الله عني " .[١١٨]

علماً أنَّ هناك الكثير من الناس في الولايات المتحدة الأمريكية ، ممّن يبحثون عن سُبل جديدة إمّا عن طريق الإسلام ، أو عن طريق الدّيانة المسيحيّة ، أو عن طريق البوذيّة أو الهندوسيّة ، ويُدرك الكثير من الأمريكيّين أنهم بحاجةٍ إلى إلهٍ ، ولكن هناك القليل من المسلمين في أمريكا ممّن يُصرّحون بأنّ الإسلام هو الطريق إلى الله . . . الطريق الذي اختاره الله لنا ، قال تعالى : ژ ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ ں ڻ ژ [١١٩] .

ففي الوقت السَّابق ، كان العالم آنذاك يعتنق عقائد ومذاهب مختلفة ذهب جوهرها وبقيت قشورها التي تصارع الناس حولها واختلفوا ، وحين سادت نظم سياسية واجتماعية واقتصادية جائرة ممعنة في قسوتها وظلمها في هذا القرن أنزل الله تبارك وتعالى القرآن على رسوله محمّد صلى الله عليه وسلم بمكة في قلب الصّحراء العربية المنعزلة في واد غير ذي زرع ، ولا يجد المرء كلمات أفضل لتصوير هذا الحادث العظيم الشأن ، الجليل القدر في نتائجه وآثاره أفضل من قول العزيز الحكيم : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ژ [١٢٠] .

لتخرج هذه البشريَّة من الظلمات ، ظلمات الوهم والخرافة ، وظلمات الأوضاع والتقاليد وظلمات الحيرة في تيه الأرباب المتفرّقة ، وفي اضطراب التصوّرات والقيم والموازين . . لتخرج البشريّة من هذه الظلمات كلها إلى النور ، النور الذي يكشف هذه الظلمات ، يكشفها في عالم الضمير وفي دنيا التفكير ، ثمّ يكشفها في واقع الحياة والقيم والأوضاع والتقاليد والإيمان بالله نور يشرق في القلب فيشرق به هذا الكيان البشري ، المركب من الطينة الغليظة ومن نفخة روح الله .[١٢١]

والإيمان بالله نور تشرق به النفس ، فترى الطريق واضحة إلى الله ، لا يشوبها غبش ولا يحجبها ضباب ، غبش الأوهام وضباب الخرافات ، أو غبش الشهوات وضباب الأطماع ومتى رأت الطريق سارت على هدى لا تتعثر ولا تضطرب ولا تتردد ولا تحتار . والإيمان بالله نور تشرق به الحياة، فإذا الناس كلهم عباد متساوون تربط بينهم آصرتهم في الله وتتمخض دينونتهم له دون سواه، فلا ينقسمون إلى عبيد وطغاة . وتربطهم بالكون كله رابطة المعرفة ، معرفة الناموس المسير لهذا الكون فإذا هم في سلام مع الكون وما فيه ومن فيه . والإيمان بالله نور ، نور العدل ونور الحريّة ونور المعرفة ونور الأنس بجوار الله والاطمئنان إلى

---

[١١٨]- توجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع : ١٤٨ .
[١١٩]- سورة النساء : ١٦٦ .
[١٢٠]- سورة إبراهيم : ١ .
[١٢١]- في ظلال القرآن : ٢٠٨٥ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عدله ورحمته وحكمته في السرّاء والضرّاء ذلك الاطمئنان الذي يستتبع الصّبر في الضرّاء والشكر في السرّاء على نور من إدراك الحكمة في البلاء . والإيمان بالله وحده إلهاً وربا ، منهج حياة كامل لا مجرد عقيدة تغمر الضمير وتسكب فيه النور، منهج حياة يقوم على قاعدة العبوديّة لله وحده ، والإذعان لربوبيّته وحده ، والتخلص من ربوبيّات العبيد والاستعلاء على حاكميّة العبيد .[١٢٢]

فالحديث عن إخراج الناس من الظلمات إلى النور تعبير رمزي على أعظم درجةٍ من الأمانة والبلاغة في تصوير حالة العالم كله وتخبطه في الظلمات وما يبشر به من النور الذي سيخرج إليه القرآن. ومن قوله تعالى: ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ژ[١٢٣]

والحديث عن الهداية إلى الأقوم في كلّ أمر ، هو حديث عن بلوغ المثل الأعلى الذي يعدّ به القرآن الكريم المؤمنين الذين يعملون الصّالحات بالنسبة لما يأخذون أو يدعون من أمر الحياة . فيخبر تعالى عن شرف القرآن وجلالته وأنه ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ژ بمعنى : أعدل وأعلى من العقائد والأعمال والأخلاق ، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع أموره .[١٢٤]

.. هكذا على وجه الإطلاق فيمن يهديهم وفيما يهديهم ، فيشمل الهدى أقواماً وأجيالاً بلا حدود من زمان أو مكان ، ويشمل ما يهديهم إليه كلّ منهج وكلّ طريق ، وكلّ خير يهتدي إليه البشر في كلّ زمان ومكان . يهدي للتي هي أقوم في عالم الضمير والشعور ، بالعقيدة الواضحة البسيطة التي لا تعقيد فيها ولا غموض ، والتي تطلق الرّوح من أثقال الوهم والخرافة ، وتطلق الطاقات البشريّة الصّالحة للعمل والبناء ، وتربط بين نواميس الكون الطبيعيّة ونواميس الفطرة البشريّة في تناسق واتساق .[١٢٥]

ويهدي للتي هي أقوم في التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه ، وبين مشاعره وسلوكه ، وبين عقيدته وعمله ، فإذا هي كلها مشدودة إلى العُروة الوُثقى التي لا تنفصم ، متطلعة إلى أعلى وهي مستقرّة على الأرض . ويهدي للتي هي أقوم في عالم العبادة بالموازنة بين التكاليف والطاقة ، فلا تشق التكاليف على النفس حتى تملّ وتيأس من الوفاء ، ولا تسهل وتترخص حتى تشيع في النفس الرّخاوة والاستهتار ، ولا تتجاوز القصد والاعتدال وحدود الاحتمال . ويهدي للتي هي أقوم في عَلاقات الناس بعضهم ببعض : أفراداً وأزواجاً وحكومات وشعوباً ، ودولاً وأجناساً ، ويقيم هذه العَلاقات على الأسس الوطيدة الثابتة التي لا تتأثر بالرّأي والهوى ، ولا تميل مع المودّة والشنآن، ولا تصرفها المصالح والأغراض الأسس التي أقامها العليم الخبير لخلقه ، وهو أعلم بمن خلق وأعرف بما يصلح لهم في كلّ أرض وفي كلّ جيل ، فيهديهم للتي هي أقوم في نظام الحكم ونظام المال ونظام الاجتماع ونظام التعامل الدّولي اللائق بعالم الإنسان . ويهدي للتي هي أقوم في تبنّي الدّيانات السّماوية جميعها والرّبط بينها

---

١٢٢- ينظر: في ظلال القرآن : ٢٠٨٥ .

[١٢٣]- سورة الإسراء : ٩ .

[١٢٤]- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٤٥٤ .

[١٢٥]- في ظلال القرآن : ٢٢١٥ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كلها ، وتعظيم مقدّساتها وصيانة حُرُماتها فإذا البشريّة كلها بجميع عقائدها السّماويّة في سلام ووئام .(١٢٦)

## الفصل الثاني

## القرآن والإسلام

إنَّ الله تبارك وتعالى قد أكمل لنا الدّين ، وذلك غاية الكمال الذي يرجوه الإنسان في كلّ أمر من أمور الدّين والدّنيا : ژ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ژ .(١٢٧) وهذه أكبر نعم الله - عزّ وجل- على هذه الأمّة إذ أكمل تعالى لهم دينهم ، فلا يحتاجون إلى دينٍ غيره ، ولا إلى نبيٍّ غير نبيِّهم - صلوات الله وسلامه عليه - ؛ ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء ، وبعثه إلى الإنس والجنّ، فلا حلال إلا ما أحله ، ولا حرام إلا ما حرمه ، ولا دين إلا ما شرعه ، وكلّ شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خُلف ، قال تعالى : ژ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ژ (١٢٨) ، أي : صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأوامر والنواهي ، فلمّا أكمل الدّين لهم تمّت النعمة عليهم ؛ ولهذا قال تعالى: ژ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ژ فارضوه أنتم لأنفسكم ، فإنه الدِّين الذي رضيه الله وأحبه وبعث به أفضل رسله الكرام ، وأنزل به أشرف كتبه .(١٢٩)

والإسلام الذي جاء به القرآن ، يتجاوز حدود الفكر أو الرّأي أو الموضوع الخاص ؛ لأنه يتسع ليشمل حياة البشرية في الماضي والحاضر والمستقبل ، بل ينفذ من

الحياة الدنيا إلى الحياة الأخرى فيرسم للإنسانية صورة بالغة الدّقة والدّلالة ليحفزها على الإيمان والعمل الصّالح ، ويحذرها من مخالفة ما أمر الله به من الأعمال الشريرة والفواحش التي تشوّه وجه الحياة وتصنع الشقاء والتعاسة للناس .(١٣٠)

وإذا كان من الصّعب ، أن نُحيط بكلّ ما جاء به القرآن في شأن الإسلام وما دعا إليه ، فإننا نرى ونحن بصدد الحديث عن القرآن ودوره في إصلاح المجتمع ، أنه من الضرورة بمكان أن نذكر هنا أهمّ ما جاء به الإسلام من قيم الخير لصالح البشريّة وهدايتها وتقدّمها .. ونقتصر في هذا المجال على القيم التي تعتز بها الحياة الإنسانيّة وتزداد بها خصباً وثراء ومن أهمّها :

**أوّلاً: المساواة :**

كانت البشرية تعاني - عند ظهور الإسلام- من التفرقة بين أبنائها سواء على المستوى العام أم المستوى الخاص ، وكانت التفرقة بين الناس تستمد أسبابها من سيادة مبدأ القوّة والقهر وتحكم القوي في الضعيف تحكما يصل إلى حدود الرّق والعبوديّة ، وقد أدّت الحروب والصّراعات المختلفة في كل مكان من المعمورة إلى تكوين طبقة العبيد من الأسرى نتيجة الحروب ونتيجة لعمليات السّلب والنهب كذلك كانت هناك تفرقة طبقيّة تستمدّ أسبابها من امتيازات تقرّرت على مدى التاريخ لبعض الطبقات كأهل الدّين والحكم وغيرهم ، وكانت هذه الحقوق تتوارث فيرثها الابن عن أبيه وأجداده ، وفي البلاد القديمة كبلاد الإغريق والرّومان كانت أعداد العبيد أضعاف أعداد الأحرار .

ولم يعرف العالم الغربي مبدأ المساواة إلا على صوت فلاسفة الثورة الفرنسيّة في القرن السّابع عشر وما بعدها ، ومن فرنسا انتقلت فكرة المساواة إلى بلاد أوربا مع تفاوت زمني بينها ، كان أخرها ما حدث أثناء الثورة البلشفية في روسيا في عام١٩١٧م التي رفعت شعارات مختلفة لتحقيق المساواة بين

---

١٢٦- ينظر: في ظلال القرآن : ٢٢١٥ .

١٢٧- سورة المائدة : ٣ .

١٢٨- سورة الإنعام : ١١٥ .

١٢٩- تفسير القرآن العظيم : ٣/ ٢٦ .

١٣٠- ينظر: الإعلام في القرآن الكريم : ١٠١.



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أفراد المجتمع ، واستخدمت من أجله الصّراع الدّموي وقضت على بعض الطبقات التي تميّزت على غيرها في الماضي ، ولم تمض سوى سنوات حتى أصبح أعضاء الحزب يمثلون طبقة جديدة تحتلّ منزلة متقدّمة بين أفراد الشعب على المستويين الاجتماعي والاقتصادي ، ونسيت شعارات المساواة.[١٣١]

فالقرآن يُقرّر أن جميع بني البشر من أصل واحد وإن تفرّقوا شعوباً وأجناساً وألواناً ، فهم جميعاً أبناء إب واحد وأمّ واحدة ، اشتركوا جميعاً في عمليّة واحدة للخلق حين يمرّون في أطوار واحدة لا فرق بين إنسان وآخر .

وإذا كانوا يتفقون ويتساوون في البداية عند الميلاد ، فإنهم جميعاً ينتهون إلى مصير واحد بالموت يقول الله تعالى في القرآن:ژ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿژ[١٣٢] ثمَّ يقول في آيةٍ أخرى : ژ ج ج چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇژ [١٣٣]، وحين تشير هذه الآية إلى المساواة في النشأة فإنها تحدّد هدفاً من أهداف الخلق ، وهو التعارف والتعاون على مستوى الأفراد والشعوب باعتبارهم أبناء أسرة واحدة .

ويذكر رسول الإسلام محمّد r بطريقةٍ واضحةٍ هذه القيمة فيقول : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلاَ لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلاَ لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلاَ لأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلاَّ بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ ؟... » .[١٣٤]

ساوى بينهم في كلّ حق ديني ودنيوي ، ولم يجعل لأحد منهم ميزة في نسب أو حسب أو مال أو حسن صورة ، إنما الميزة والتفضيل بالمعاني العالية في التقوى وتوابعها .[١٣٥]

فهنا تأكيد لوحدة الأصل التي تؤكد بوحدة التكوين والخلق ، ثم يكون التفاضل بين الأفراد مرتبطا بالعمل والتقوى ، والتقوى تعني العمل بما أمر الله ، والابتعاد عمّا نهى عنه ، فلا مجال هنا كي يتمايز الناس بأصولهم وأجسامهم وأموالهم وقوّتهم ، ولكن التمايز يكون على أساس أكثرهم طاعة لربه وأكثرهم بذلاً للعمل الصَّالح .

وقيام الرَّابطة بين قيمة المساواة وقيمة العمل الصالح ، تمثل تقديراً سامياً لمضمون المساواة ومنزلتها في الإسلام ، ويحدثنا القرآن الكريم عن موقف من مواقف رسول الله وكيف عاتبه الله ووجهه إلى تعاليمه في شأن هذه القيمة المقرّرة وحين أعرض عن مؤمن فقير أعمى بعد أن دعاه واهتمّ بأمر سيّد شريف ذي مال من أشراف مكة ، وكان صلى الله عليه وسلم حريصاً على هداية الخلق ، فمال صلى الله عليه وسلم وأصغى إلى الغنيّ ، وصدّ عن الأعمى الفقير - رجاء لهداية ذلك الغني ، وطمعا في تزكيته - فعاتبه الله بهذا العتاب اللطيف .. وأنزل عليه توجيه السّامي في هذا الموقف ، فقال : ژ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇژ .[١٣٦]

هنا يُذكّر الله تعالى رسوله بأسلوب فيه عتاب بأنّ ضعف ذلك الأعمى وفقره لا يصح أن يكون سبباً للأعراض عنه لأنه قد يكون أقرب إلى الصلاح والتقوى والطهارة من ذلك الغني الذي ظلّ أقرب إلى الجحود والكفر .

وقد طبقت المساواة بين الناس على عهد رسول الله وعهد خلفائه من بعده في كافة ألوان النشاط الإنساني والاجتماعي ، وفي نطاق الأسرة والمجتمع . فقد زوّج رسول الله بنت عمّته زينب بنت جحش وهي من أسرة من أشراف قريش أباً وأمّاً لزيد بن حارثة الذي كان عبداً رقيقاً[١٣٧] ، .. ومثل ذلك كثير .

---

١٣١- المرجع نفسه : ١١٠ .

١٣٢- سورة النساء : ١ .

١٣٣- سورة الحجرات : ١٣ .

١٣٤- مسند الإمام أحمد ، من حديث أبي نضرة t : رقم الحديث: (٢٤٢٠٤) : ٥١ / ٢٤٤ . وإسناده صحيح . ينظر : السلسلة الصحيحة للألباني : ٢٠٣/٦ .

١٣٥- كمال الدين الإسلامي وحقيقته ومزاياه : ٩١ .

١٣٦- سورة عبس : ١- ١١ . وينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٩١٠ .

١٣٧- ينظر: جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم : ٣٤ ، الكامل في التاريخ : ١/ ٣٠٣ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكانت الولاية سواء ولاية عمل مدني أو عسكري على هذه القاعدة ، فلا يختصّ الأشراف وأبناؤهم بالإمارة على المدن الإسلامية وجيوشها ، ولكنها تعطى للكفء من المسلمين ، ولو كان عبداً فقد ولى رسول الله إمارة جيشه الذي حارب الرّوم البيزنطيين في أوّل مرّة لهم إلى زيد بن حارثة أحد الموالي وكان خالد بن الوليد أشهر قادة المسلمين جنديّاً في هذا الجيش تحت أمر زيد ، كما أن ابنه أسامة كان أمير جيش آخر ، ومن جنده أبي بكر الصّديق أوّل الخلفاء وعمر بن الخطاب ثاني الخلفاء المسلمين.[١٣٨]

ولا يعني هذا أنّ المسلمين اتجهوا إلى معاملة العبيد والطبقات الدّنيا من المجتمع معاملة تتسم بالعطف والرّعاية ، بل استقرّت المساواة الحقيقيّة وأصبحت قيمة ثابتة من قيم الحياة أهلّت الكفء مهما كان جنسه أو لونه أو نسبه ليتولى أرقى مناصب الدّولة .

يأتي بلال بن رباح إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو رجلاً من أصحابه قال له يا ابن السّوداء فيغضب رسول الله على صاحبه - ونصّ الحديث : عن أبي أمامة قال: عيّر أبو ذرٍّ بلالاً بأمّه فقال: يا ابن السّوداء ، وإنّ بلالاً أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره فغضب ، فجاء أبو ذر ولم يشعر فأعرض عنه النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، فقال: ما أعرضك عني إلا شيء بلغك يا رسول الله قال : « أنت الذي تعيِّر بلالاً بأمِّه ؟ » ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « والذي أنزل الكتاب على مُحمّدٍ - أو ما شاء الله أن يحلف- ما لأحد علي فضل إلا بعمل ، إن أنتم إلا كطف الصّاع » .[١٣٩] ويصف قوله بعمل الجاهلية ويشعر صاحب رسول الله بالندم فيمضي إلى بلال معتذراً .

إذن جاء الإسلامُ بالمُساواة الصّحيحة المستقيمة التي روحها العدل والرّحمة والتكامل في الحقوق: ساوى بين طبقات الخلق في العدل في كلّ شيء ، قال تعالى : ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦﭼ [١٤٠] وساوى بين طبقات العباد في الحقوق الواجبة عليهم تبعاً لقدرتهم واستطاعتهم ، قال تعالى : ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩﭼ [١٤١] ، وقال: ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇﮈ ﮉ ﭼ [١٤٢] ، ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜﯝﭼ[١٤٣] . كما ساوى بين المكلفين في إيجاب العبادات وتحريم المحرّمات وكما ساوى بينهم في الفضل والثواب بحسب أعمالهم: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘﭼ ، ﭽ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ[١٤٤] .

وساوى بينهم في التملكات الماليّة بجميع طرقها ووجوهها ، وفي صحة التصرّفات كلها وإطلاقها حيث اشتركوا في العقل والرّشد . وساوى بينهم بأنّ الرّضا في المعاملات العوضيّة والتبرّعات والإحسان شرط لصحتها ونفوذها ، وأن من أكره منهم لا ينفذ له معاملة ولا يستقيم له تبرّع .[١٤٥]

إذن كانت قيمة المساواة قانوناً من قوانين الله ، جاء القرآن بها للناس جميعاً ، ولذلك كان حرص رسول الله عليها شديداً يطبقها على أولاده وأقرب الناس إليه . وما كان رسول الله يهتمّ هذا الاهتمام بالمساواة حتى بالنسبة له ، لولا علمه أنها تمثّل أساساً من أسس الإسلام إذ الناس كلهم سواء أمام القانون ، وبهذا يكون الإسلام قد وضع منذ ألف وأربعمائة سنة مبدأ المساواة بين الحاكم والمحكوم في الحقوق والواجبات – بالعدل- قبل أن تضمن الدّساتير الحديثة هذا المبدأ فيها ، حدث هذا وطبق على كلّ أفراد الأمّة الإسلاميّة التي امتدت من المحيط الأطلسي إلى أسوار الصِّين .

ولاشكَّ أنَّ الصِّلة الوطيدة بين العدل والمساواة واضحة وضوح الشمس ، فلا عدل بلا مساواة ولا مساواة بلا عدل ، بل إنّ بعضهم يُقرّر أنّ المساواة أساس الحكم . وقد ساوى الإسلام بين الناس أمام

---

١٣٨- ينظر: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية : ١٠ ، مآثر الإنافة في معالم الخلافة : ٤٠/١ .

١٣٩- شعب الإيمان: لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي : رقم الحديث: (٥١٣٥) : ٢٨٨/٤ .

١٤٠- سورة النساء : ١٣٥ .

١٤١- سورة التغابن : ١٦ .

١٤٢-سورة الطلاق : ٧ .

١٤٣- سورة البقرة : ٢٨٦ .

١٤٤- النحل : ٩٧ ، الأحزاب : ٣٥ .

١٤٥- ينظر: كمال الدين الإسلامي وحقيقته ومزاياه : ٨٠- ٩٠ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القضاء ، فلم يُعرف في عهد الرّسول r ولا في عهد الخلفاء الرّاشدين y فكرة المُحاكمة الاستثنائية ولا فكرة المُحاكمة الخاصّة ، التي تختصّ بمحاكمة بعض الناس دون بعض .[١٤٦]
.. هكذا صان الإسلام مبدأ المساواة والعدل بين الجميع ، ثمّ ترك الباب مفتوحا أمام كلّ فرد، للتفاضل بجهده ونتاج عمله وثمرة سعيه وخبرته ، ولم يحصر التفاضل في الجوانب الماديّة فقط كما تزعم الحِضارة الغربيّة المُعاصرة ، وتكرس ذلك في نظامها الإعلامي المعاصر ، ولم يحصر المساواة في العامل الاقتصادي كما يزعم النظام الإعلامي الشيوعي .[١٤٧]
وإن كنا اليوم في هذا القرن نشهد ألواناً من التفرقة في كلّ مكان من العالم .. حيث يتعرض الكثيرون بسبب النشأة أو اللون أو الجنس لألوان مختلفة من التفرقة والقهر .. وهو أمر يحجب الحقيقة الخالدة التي جاءت بها كلّ الأديان وأكدها الإسلام بقول القرآن الكريم: ژ ٱ ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ژ ، وقوله تعالى: ژ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ژ .. فعلى هذا النحو استقرّت المساواة ، وأصبحت ذا قيمة من قيم الحياة في الأمّة الإسلاميّة ولم تكن المساواة حقاً للعرب دون غيرهم يطبقونها على أنفسهم فحسب ، بل كانت حقاً لكلّ المؤمنين مهما اختلفت جنسيّاتهم وألوانهم . وقيمة المساواة التي جاء بها القرآن : تملك القداسة التي يملكها كلّ ما يأتي من عند الله تعالى .

**ثانياً: الإخاء :**

يرى كثيرٌ من المفكرين أنّ الأديان العالميّة ، تعدّ ثورات واسعة استهدفت أحداث التغيير العميق في حياة الأفراد والجماعات ، وهي بمخاطبتها لعقل الإنسان ووجدانه ، تعمل على تأكيد أفضل العَلاقات صلاحية للاجتماع الإنساني في كلّ مكان وزمان .
والقرآن قد أقرّ فضلاً عمَّا تقدّم قيماً أخرى تتصل بحق الإنسان في الحريّة والعدالة في وقت لم تهتم فيه الثورات الاجتماعية التي سبقت ظهور الأديان بهذه الحقوق التي لم تعرف في العصر الحديث كما أنّ الحكم الديمقراطي الذي ظهر في بلاد الإغريق في الزمن القديم لم يقرّر المبادئ المعترف بها الآن من تكافؤ للفرص بين المواطنين جميعاً مهما اختلفت جنسيّاتهم وألوانهم وأنسابهم ، ولم يعترف بالمساواة بين أبناء الأمَّة الواحدة .. فكانت هناك طبقات معترف بها لها امتيازات مقرّرة وطبقات أخرى كطبقة العبيد والأرقاء التي سلبت منها حقوق إنسانيّة أساسيّة .
ولكنَّ القرآن جاء بمجموعةٍ من القيم ، تعدّ من أهمِّ العوامل التي عملت على انتشاره ، ومن أقوى الحوافز التي دفعت الشعوب والأفراد إلى اعتناقه . ولم تكن القيم القرآنية مجردة أو مستقلة في ذاتها عن حياة المسلمين وسلوكهم ولكنها كانت مندمجة في حياة المجتمعات وفي سلوك الأفراد وفكرهم وعملهم وكان الوعي بهذه القيم والعمل بها ، من أهمّ الوسائل التي حبّبت الإسلام إلى النفوس .[١٤٨]
كما أصبح المجتمع الإسلامي بهذه القيم مصدر إشعاع للقيم الخلقية والإنسانية في كلّ مكان وأصبحت قوام حضارته ومن أهمّ مميزاتها التي عاشت بها حتى اليوم . إذ تحدثنا عن قيمتي الإنسان والمُساواة كما وردت في القرآن الكريم وكيف أصبحت المساواة أساساً من أسس طبّقها رسول الله وطبّقها خلفاؤه من بعده ، بين الناس جميعاً دون اعتبار للون أو نسب أو شرف .[١٤٩]
ولا نكاد نجد مذهباً من مذاهب الأخلاق أو الاجتماع ، بلغ في تصوير قيمة الإخاء الإنساني ما دعا إليه القرآن ، وما طبّقه رسول الله وخلفاؤه الذين جاءوا بعده . إذ طبّق رسول الإسلام مُحمّد قيمة الإخاء تطبيقاً عامّاً ، في مجتمع الإسلام الأوّل حين نزل بالمدينة يوم هاجر إليها مع أصحابه الذين ضيّق الوثنيون عليهم بمكة وصادورا حريّتهم في الاعتقاد والدّين وعذبوهم وقاطعوهم اجتماعيّاً واقتصاديّاً .
فدعا أصحابه ، أن يتخذوا لهم إخوة من بين المؤمنين سواء من بين الذين هاجروا معهم أو من بين أهل المدينة التي هاجر إليها فكان الرّجل منهم سواء كان عبداً أم سيداً يتخذ له أخاً رجلاً آخراً يُشاركه في بيته وماله حتى وصل الأمر ببعضهم أن يطلق زوجته لتصبح زوجة لأخيه الجديد وكانت هذه الإخوّة التي لا نجد لها مثيلاً في الدّعوات والثورات من أقوى الرّوابط التي أكدت وحدة الإسلام .

---

١٤٦- ينظر: أسس الحكم في الإسلام (الشورى والعدل والمساواة) : ٢٢ ، دستور للأمّة من القرآن والسنة : ٨٢ .
١٤٧- ينظر: مفهوم المساواة في الإسلام دراسة ومقارنة : ٧٢ .
١٤٨- ينظر: في ظلال القرآن : ١٥٤٨ ، الإعلام في القرآن : ١١٧ .
١٤٩- ينظر: الإعلام في القرآن : ١١٨ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فآخى رسول الله r بين أصحابه من المهاجرين والأنصار وعقد الألفة بينهم . روى الإمام أحمد بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (( أَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ r بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ فِي دَارِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ )) .[١٥٠] واستجاب الأنصار للرّسول حتى إنهم كانوا يتوارثون بهذا الإخاء إرثاً مقدّماً على القرابة فإذا مات المهاجر ورثه أخوه الأنصاري وإذا مات أحد الأنصار ورثه المهاجر ، ثمّ نسخ الإرث وبقي التناصح والتآزر والتآخي ، فشارك الأنصار المهاجرين بالمال فأشركوهم في زراعاتهم وتجاراتهم . عَنْ أَنَسٍ - رضي الله عنه – قال : (( قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، فَآخَى النَّبِيُّ r بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الأَنْصَارِيِّ فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُنَاصِفَهُ أَهْلَهُ وَمَالَهُ ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلَّنِي عَلَى السُّوقِ..)) .[١٥١]

وقد بلغ من قيمة هذا الإخاء ، أنهم كانوا يتوارثون بعد الموت فيرث الأخ ، أخاه في ماله ولم يكن للمشركين الذين تصلهم صلة القرابة أو الدّم أن يزاحموا الأخ المؤمن حقه في ميراث أخيه المؤمن وظلّ هذا المبدأ سارياً إلى أن زالت الوثنيّة واندثرت من المجتمع وانتشر الإيمان بين جميع أفراده فعادت مبادئ الإرث إلى سيرتها الأولى وقرّرت حقوق ذوي الأرحام فيما ترك آباؤهم وإخوانهم .

فكانت المؤاخاة بين المؤمنين ، البديل القوي للعصبيّة والقرابة التي كان العرب يتمسّكون بها وجعل النبيّ صلى الله عليه هذه الأخوة الجديدة ، أقوى من إخوّة الدّم والنسب ؛ ذلك لأنها قامت على الإيمان فارتفعت فوق روابط العصبيّة والقبلية وكانت بداية مجتمع لا ينظر إلا لحاضره ومستقبله القائم على القيم الأخلاقيّة الصّادقة والخيرة .

وقد وصف القرآن الكريم ذلك الإخاء فقال تعالى : ﮋ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ
ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ
ﮊ .[١٥٢]

فأتت بعد قيمة المساواة قيمة الإخاء ، والقرآن الكريم يُقرّر أنّ المؤمنين إخوة ثمّ يذهب إلى تأكيد هذه القيمة وتوسيع نطاقها إلى أبعد مدى في التطبيق العملي في الحياة ، فلم يضع القرآن حداً أو أقام عقبة تقف أمام هذه القيمة الإنسانية الجليلة الشأن ، ولم يجعل الجنس أو اللغة أو اللون سبباً يُمكن أن يُباعد بين الإنسان وأخيه ، يقول القرآن الكريم : ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﮊ [١٥٣] .

المؤمنون جميعاً في نظر القرآن إخوة من حيث أصلهم ولا يفاضلون إلا بالأعمال الصّالحة ولا يتمايز بعضهم عن بعض لأيّ سبب إلا أن يكون ذلك السّبب نابعاً من عملهم الصّالح .

وقيمة الإخاء في الإسلام ليست مبدأ نظرياً ، أو شعاراً يُرفع دون نظر إلى تطبيقه أو الأخذ به في العَلاقات الاجتماعية المختلفة ، بل إنّ هذه القيمة تعدّ مبدأ أساسياً ، وعقيدة ترتبط بإيمان الفرد بربه ودينه ، فيقول القرآن الكريم : ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﮊ ، ويقول : ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﮊ [١٥٤]. ويقول رسول الله r : « لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » .[١٥٥]

إذن الدِّين الذي يجعل من الإخاء الإنساني أصلا من أصول التعايش بين الناس ، والذي يشيد بأخوّة العقيدة كأساس للترابط بين المسلمين ، والذي يؤكد أنّ المسلمين نساءً ورجالاً بعضهم أولياء بعض هذا الدّين لا يُمكن أن يكون قاصراً على الأمور التعبديّة ، بل هو دين عام شامل لشئون الحياة الإنسانيّة كلها، وهو دين الإنسانيّة قاطبة حتى قيام السّاعة .

هذا الدّين الذي لا يفرّق بين الناس المنحدرين من أصل واحد ، والذي لا يقيم لاختلاف الأجناس والألوان أيّ وزن ، والذي يقرّر المساواة أصلاً في التعامل الإنساني ، لا يصح أن يطلق عليه أنه

---

[١٥٠]- مسند أحمد : رقم الحديث : (١٤٣٥١) :٢٩/ ٣٨٤ .

[١٥١]- صحيح البخاري : باب: (كيف آخى النبي بين أصحابه) ، رقم الحديث: (٣٩٣٧) : ١٣/ ٢٨١ .

[١٥٢]- سورة الحشر : ٨- ٩ .

[١٥٣]- سورة الحجرات : ١٠ .

[١٥٤]- سورة الحشر : ١٠ .

[١٥٥]- صحيح البخاري : باب: (من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه) ، رقم الحديث: (١٣) :١/ ٢٩ ، سنن الترمذي : باب: (قول النبي يا حنظلة ساعة ..) ، برقم: (٢٧٠٥) :٩/ ٤٢٩ ، سنن النسائي : باب: (علامات الإيمان) ، برقم: (٥٠٣٣) :١٥/ ٣٢١ ، مسند أحمد : برقم : (١٤٤٤٦) :٢٩/ ٤٧٩ ، وكلهم من حديث أنس بن مالك t .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

دين عبادة وليس دين حياة ، وأنّ العبادة لا تنفصل عن الحياة ؛ لأنّ كلّ ما يقوم الإنسان به في سبيل نفسه وغيره- إذا التزم به حدود الشرع- يكون عبادة . وإنّ أخوّة العقيدة في الإسلام لا تعدلها أخوّة الدّم والنسب ؛ لأنّ هذه الأخوة تقوم على رباط الصّلة بالله والارتباط بشريعته ، فكل من انتسب إلى هذه الشريعة انتساب اعتقاد وعمل، فهو أخ في الله لسائر المسلمين لا فرق بين إناثهم وذكورهم ، أو بين حقيرهم وأميرهم إذ يسعى بذمّتهم أدناهم وهم يد على من سواهم .[١٥٦]

والأخوّة في الله تعني الانقطاع عن كل عَلاقة دنيوية غير مشروعة وتنمي كل علاقة تقوم على المحبة والتناصر في الله ، كما أنها تعني معاداة كل من لا يؤمن بالله وموالاة كلّ من آمن بالله : ژ ۋ ۇ ۆ ژ .

ويقول سبحانه وتعالى تذكيراً وعرضاً لحالة المؤمنين الأولين قبل اعتناقهم الإسلام ، وما يجب عليهم تجاه هذا التفضل بالهداية منه سبحانه وتعالى : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ ژ .[١٥٧]

وأوّل مظاهر المحبة هو التقدير والاحترام ، وأنّ أسمى مظاهر هذه المحبة هي إيثار المرء غيره على نفسه فيحبّ لأخيه ما يحبه لنفسه ، فالمسلم الذي لا تتحقق فيه هذه الصّفات يُعدّ في نظر الإسلام ضعيف الإيمان ناقص الإسلام ، كذلك إذا قامت الكراهيّة في نفس المؤمن لأخيه الإنسان عُدّ ناقص الإيمان والدّين . أمّا الذي يحبّ أخاه الإنسان ويرجوا له ما يرجوه لنفسه ، فذلك هو الإنسان الذي اكتمل إيمانه ودينه .

والإخاء الإنساني يعده الإسلام قيمة من أهمّ قيمه ، شأنه شأن المساواة لا يعني بحال من الأحوال أن يحرم أحد من ثمرات عمله أو يهضم من حقوقه التي يكتسبها نتيجة استعداده وامتيازه في هذا العمل ذلك أنّ الإسلام يفسح المجال لكلّ كفايةٍ أو خلق أو مزيةٍ عقليةٍ أو جديّةٍ لتأخذ نصيبها الذي تستحقه بعملها فيقول القرآن الكريم : ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ژ [١٥٨] .

حتى جعلَ بعضُ المستشرقين هذه القيمة هي سبب انتشار الإسلام ، وفتحاً جديداً في تأريخ العَلاقات الإنسانيّة فيقول: " وثمّة عنصر هامّ لهذه القوّة التي هيّأت للإسلام سبل الانتشار في إصرار الإسلام على أنّ المؤمنين إخوة متساوون تماماً أمام الله ، مهما اختلفت ألوانهم أو أصولهم " .[١٥٩]

وقد قضى الإخاء الذي قرّره الإسلام وطبقه على خصومات وصراعات عميقة كانت في بلاد العرب في العهد الذي سبق الإسلام وكانت تحمل بحكم الثأر أسباب قتال دموي لا يهدأ ، كذلك أدّى هذا الإخاء إلى بث شعور الأمن في نفوس الضعفاء والغرباء وغيرهم من الطبقات الدّنيا التي تآخت مع غيرها من السّادة والأشراف وأصحاب المال .

ويصف القرآن الكريم ما أحدثه هذا الإخاء في نفوس المسلمين بقول الله تعالى : ژ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ژ [١٦٠] .

وأعلى مراتب الإخوّة في الإسلام هي الإخوّة في الله ، وتعني التقاء الناس إخواناً على حبّ الله والعمل على مرضاته ، مجرّدين عن كلّ غرض من أغراضه الدّنيويّة .

**ثالثاً : الحريّة والتحرّر :**

لعلنا نتفق بأنّ الحريّة والفرديّة بمفهومها المعاصر لم تعرف في العالم القديم ، الذي خضع لأساليب من الحكم استخدمت القوّة والقهر لإخضاع الشعوب والإنسان بسيطرتها ونفوذها ومصالحها وحريّة الإنسان بصفةٍ عامّةٍ تمثل حق الإنسان في إبداء رأية والتعبير عن فكره وحريّة العقيدة وإقامة شعائرها وحق الإنسان في ثمرات عمله ، جزء من حقه في الحريّة وحريّة الإنسان فيما يفتي -وفق

---

[١٥٦]- ينظر: الضوابط الأخلاقية : ٥٤ .
[١٥٧]- سورة آل عمران : ١٠٢- ١٠٣ .
[١٥٨]- سورة الأنعام : ١٣٢ .
[١٥٩]- الإعلام في القرآن : ١٢١ .
[١٦٠]- سورة الأنفال : ٦٣ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشروط الشرعيّة- ويملك ، هي جزء من حريّة العمل والحريّة التي أقرّها القرآن تشمل كلّ هذه المبادئ التي لم تقرّر عالمياً إلا في العهد الأخير عند إقرار حق الإنسان في التعبير والعقيدة وفي التفكير والسّلوك والمعاملة والتملك والاقتناء ، وذلك بشرط عدم الاعتداء على حريّة الآخرين .[١٦١]

وقد تأسس مبدأ الحريّة على قاعدة العبوديّة لله الواحد الأحد ، يقول r : « أَلاَ كُلُّ شَيءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيّ مَوْضُوعٌ...»[١٦٢] ، وهكذا فإنّ فكر الجاهلية وقيمها ومسلماتها التي ترتبط بها وضعت كلها ودفنت في غياهب النسيان ، ثمّ عدّد الرسول صلى الله عليه وسلم بعض تلك القيم الجاهلية التي كانت ترتبط بها قيمة الحريّة عندهم ، فقال: « دمَاء الجاهليّة موْضوعَة ... وربا الجاهلية موضوع ... ومآثر الجاهلية موضوعة » .[١٦٣]

هكذا أسس r مبدأ الحريّة على الخروج من مآثر الجاهليّة ، ومن قيد الشيطان والدخول في قيم الإسلام وقيد الرحمن ، ومن هنا تكون حرية الإنسان المسلم وإرادته لما يصلح حياته في إطار هذه القيم الثابتة والسير في ركاب هذا المفهوم يجعل حياة الإنسان في توافق وانسجام مع نواميس الكون وسنن الله في فطرة الوجود كله .[١٦٤]

فالحريَّة كما قرّرتها الشعوب كافة ، يحدها إطار اجتماعي يمنع تعدي الناس بعضهم على بعض لأيّ سبب من الأسباب ؛ لأنّ هذا يمثل عدواناً على حريّة الآخرين وهضماً لها .

وفي القرآن الكريم نرى تأكيداً لمبادئ الحريّة في كثير من الآيات وهذا التأكيد يشمل كافة الجوانب المختلفة لحريّة الإنسان وحقه في التعبير والسّلوك والتفكير والعمل بالمفهوم المعاصر لمعنى الحريّة .

وتأريخ الإسلام في كافة عهوده يشهد بأنّ المسلمين بهدى القرآن الكريم لم يفرضوا دينهم على أحد في البلاد التي فتحوها ، وأنه كان من حق أيّ إنسان أن يظلّ على دينه الذي يدين به مهما كان هذا الدّين وتقوم الدّولة بكفالة هذا الحق والدّفاع عنه .[١٦٥]

والقرآن الذي قرّر هذا المبدأ حين دعا إلى الإيمان ، جعل النظر في الكون وخلقه ونظامه وتدبيره من أهمّ الوسائل التي تهدي الناس بالعقل والتأمّل إلى الله الذي خلق كلّ شيء ودبّره ، وهو يعلن : ژ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ژ [١٦٦] .

وبناءً على ذلك يُقرّر القرآنُ أنّ حريّة الاعتقاد أمر لا جدال فيه ، وبالنسبة لموقف رسول الله الذي بعثه داعياً إلى الله نرى القرآن يؤكد أنّ رسالته لا تتجه إلى القهر والضغط لفرض الدّين ، ولكن دوره يقوم على تنوير الناس وحثهم على التفكير في أمر الحياة والخالق ليختاروا أنفسهم أي اتجاه يتجهون إليه في مجال الاعتقاد ، فالله تعالى يقول لرسوله : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ژ[١٦٧] ، ثمَّ يقول تعالى تأكيداً لهذا المبدأ : ژ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ژ [١٦٨] ، ويقول لرسوله أيضاً : ژ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ژ[١٦٩] ، ژ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ژ [١٧٠] .

---

١٦١- الإعلام في القرآن : ١٢١- ١٢٢ . وينظر: في ظلال القرآن : ٢٩١ ، ٣١٨٢ .

١٦٢- صحيح مسلم : باب: (حجة النبيّ) ، رقم الحديث: (٣٠٠٩) :٨/ ٥٤ ، سنن أبي داود : باب: (صفة حجة النبيّ) ، برقم: (١٩٠٧) : ٦/ ٣٧ ، سنن الدارمي : باب: (في سنة الحج) ، برقم: (١٩٠٣) :٥/ ٤٣٩ .

١٦٣- صحيح مسلم : باب: (حجة النبيّ) ، رقم الحديث: (٣٠٠٩) :٨/ ٥٤ ، سنن أبي داود : باب: (صفة حجة النبيّ) ، برقم: (١٩٠٧): ٦/ ٣٧، سنن الدارمي : باب: (في سنة الحج) ، برقم: (١٩٠٣) :٥/ ٤٣٩ .

١٦٤- ينظر: الحرية الإعلامية في ضوء الإسلام : ٧١ وما بعدها ، الجوانب الإعلامية في خطب الرسول صلى الله عليه وسلم : ١/ ٩٧

١٦٥- ينظر: الإعلام في القرآن : ١٢٢ .

١٦٦- سورة يونس : ١٠٨ .

١٦٧- سورة الشورى : ٥٢ .

١٦٨- سورة الغاشية : ٢١- ٢٢ .

١٦٩- سورة النحل : ١٢٥ .

١٧٠- سورة آل عمران : ١٥٩ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وممَّا تقدّم يتبيّن لنا أنَّ التوجيه القرآني السَّامي في هذه المرحلة من مراحل الدّعوة للإسلام قد مهد الطريق أمام رسول الله r ليجمع حوله الصفوة الخيرة الصادقة الصابرة التي حملت معه عبء الرّسالة وانتصرت بخيرها وإيمانها وصدقها على تعصب الوثنيّين وقسوتهم .

ويتبيّن لنا مدى ما ذهب إليه القرآن من تقرير لحريّة الاعتقاد ، وهو أمر يُعدّ بمقاييس العصر الذي ظهر فيه الإسلام غاية السّمو ، ويمثل قيمة حضاريّة لم تعرفها البشريّة قبل الإسلام .

وبعد حُريَّة العقيدة تأتي حريّة الرّأي والتعبير ، وقد اعتبر الإسلام الاجتهاد بالرّأي أصلاً من أصول استنباط الشرائع المنظمة للاعتقاد ، وإذا كانت حريّة الرأي والاجتهاد مكفولة بالنسبة لأمور الدّين فمن المنطقي أن تكون مكفولة لما دون ذلك من أمور .

ولا ريب أنَّ حريَّة الرَّأي تُعدُّ من أهمِّ ما يؤكد كرامة الإنسان ، وما يشجعه على التفكير والعمل والتعاون مع غيره لتحقيق الخير والتقدّم للمجتمع .

وحُريَّة الرّأي التي أكّدها القرآنُ الكريمُ ، على النحو الذي ذكرناه ، كانت من أسباب وحدة شعوبه وترابطها وتعاونها في مجالات العلوم والفنون المختلفة ، وكانت حلقات الحوار تقام في كلّ المدن الكبرى في المساجد والمعاهد يقودها علماء ويكون من حق كلّ إنسان أن يُشاركَ فيها بحريّةٍ تامّةٍ .

والقرآن الكريم الذي كفل حريّة التعبير ، يوجّهنا إلى خير الأساليب التي تتحقق بها هذه الحريّة فيقول تعالى : ژچ چ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ژ [١٧١] ، ويقول:ژ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ژ [١٧٢]

ژ ک ک گ گ ژ [١٧٣] ، ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ژ[١٧٤] . ويؤكّد على أهميَّة القول السّديد والدّعوة الطيّبة بقوله : ژ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ژ [١٧٥] .. وهكذا.

ونحن في هذا العصر نُدرك أنّ الحريّات بأنواعها المختلفة ، في العقيدة والفكر والرّأي والتعبير تمثل أهمّ الانجازات التي حققها الإنسان لنفسه في العصر الحديث ، كما تؤمن أنها أساس كلّ حياة إنسانية كريمه ولا غنى عنها لأيّ مجتمع أو شعب ينشد التقدّم العلميّ والاجتماعيّ والإنسانيّ . وهذه الحريّات كلها جاءَ بها القرآنُ الكريمُ ، ودعا إليها وكانت من أهمّ أسباب تقدّم العلوم والفنون والآداب التي قامت عليها الحِضارة الإسلاميّة حتى عصر النهضة .

ونحن حين نقرّر ذلك ندرك أنَّ الرُّوح الإسلاميَّة التي نؤمن بها ، تدعوا وتؤكد على حريّة الإنسان ولاسيّما الحريّة المرتبطة بالفكر والرّأي ؛ لأننا نعلم أن تقدّم الإنسانيّة وازدهار الحِضارة وسيادة الرّوح الإنسانيّة ، إنما يرتبط أشد الارتباط بما يتحقق لأفراد المجتمع الإنساني من حريّةٍ فكريّةٍ، ومن حقوق مقدّسة في إبداء الرّأي والتعبير ، وقد كان ذلك كله من دعائم الإسلام .[١٧٦]

ويلحق بهذه الحريّات الأساسيّة ما يطلق عليه في هذا العصر بالحريّة الاجتماعيّة ويعني بها تحرّر الإنسان من العوز والحاجة ، التي تشكل ضغوطاً اقتصاديّة عليه تؤثر على حريّته ومجالات فكره وتسلبه كرامته وتخضعه لألوان من الضغط تشلّ إرادته ، وقد استطاعت جماعات إنسانيّة هنا وهناك استغلال هذه الحاجات الأساسية للإنسان ، تحت شعار تحريره من العوز والحاجة ، وقادت شعوبها

---

[١٧١]- سورة الإسراء : ٥٣ .
[١٧٢]- سورة الأحزاب : ٧٠ .
[١٧٣]- سورة فصلت : ٣٤ .
[١٧٤]- سورة العنكبوت : ٤٦ .
[١٧٥]- سورة البقرة : ٢٦٣ .
[١٧٦]- ينظر: في ظلال القرآن : ٣١٨٢ ، الإعلام في القرآن : ١٢٦ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى نظم شموليّة ، حتى انتهى الأمر بها إلى سلب الإنسان أهمّ مقوّمات حريّته في الفكر والرأي والتعبير.[١٧٧]

والقرآن قد دعا إلى العمل والكسب ، ودعا إلى الاستمتاع الطيب بثمرات هذا الكسب وعدم تحريم الطيبات على الناس ، وإذا كان القرآن قد حرم بعض الأشياء ، كالخمر والقمار مثلاً فقد ثبت علمياً أضرار ما حرم على صحة الإنسان وعلى العلاقات الاجتماعية والإنسانية .

وكانت الدّولة الإسلاميّة على عهدها الأول ، أول دولة في التأريخ قرّرت لكل فرد عطاء من مواردها لسد حاجاته الأساسية ، فكان لكل فرد حق مدون في دفاتر العطاء يمثل الحد الأدنى لمواجهة أعباء الحياة والعيش .

وأقرّ القرآن الكريم حق الكسب ، والملكية الخاصة بوصفها مكملة لحقه في الحرية ، وأقرّ حق المالك في توريث أبنائه ما كسب من مال في حياته .. يأتي بعد ذلك حق الإنسان في الأمن على حياته وماله وعرضه .

والتحرّر من الخوف والذي يعني : أن يأمن الإنسان على حياته وحياة أبنائه . وأن يأمن الإنسان على ماله وما كسب له ولأولاده . وأن يأمن على عرضه . وقد كان القرآن شديد الاهتمام بتقرير الأمن والطمأنينة للإنسان في هذه الأمور ذات الأهميّة الكبرى في حياته حتى يحقق له مبدأ التحرّر من الخوف .

وبالنسبة للنفس ، أي الأمن على حياته تعدّ الشريعة الإسلامية حالة القتل العمد من أخطر الجرائم في المجتمع تستحق أشد وأقصى عقوبة يتعرّض لها الإنسان وهي القتل بالمثل ، والإسلام لا يعد هذه العقوبة ، انتقاماً ومطالباً للقانون فحسب ، بل ينظر إليها على أنها وسيلة لحفظ حياة الأفراد وضمان أمنهم واستقرار حياتهم ، فيقول القرآن الكريم : ﴿ ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ﴾[١٧٨] وهذا يعني أنَّ في القصاص من القاتل المتعمَّد حياة للأفراد والمجتمع .

والقرآن في هذا الشأن لا يفرّق بين قتيل وقتيل ، فالقصاص واجب على كلّ قاتل سواء كان القتيل حراً أو عبداً أو رجلاً أو امرأة أو طفلاً مسلماً أو غير مسلم ، وذلك هو ما قصد القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ ے ۓ ۓ ﮲ ﮳ ﮴ ﮵ ﴾[١٧٩] .. وسأوضح ذلك أكثر - في الموضوع الآتي إن شاء الله تعالى – .

## الفصل الثالث

### دور القرآن في إصلاح حريّة الرّأي

لعلّ من أهمّ الخصائص التي اتصفت بها الأمّة الإسلاميّة ، اضطلاعها بتحقيق التوازن في جميع الأمور ، والحرص على دوام ذلك ، الأمر الذي حدا بالقرآن الكريم ليصفها بالقول : ﴿ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾[١٨٠] ، فهي على سبيل المثال : مبتلاة بالخير والشرّ فتنة لها في هذه الحياة ، ليزداد المؤمن إيماناً وتقرّباً إلى الله تعالى بمواجهة الفتنة بنوعيها ، شكراً على السرّاء ، وصبراً على الضرّاء: ﴿ ﯣ

---

[١٧٧]- الإعلام في القرآن : ١٢٦ . .
[١٧٨]- سورة البقرة : ١٧٩ .
١٧٩- سورة المائدة : ٤٥ .
[١٨٠]- سورة البقرة : ١٤٣ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ژ[١٨١] ، فهي معادلة لابدّ من الحفاظ على توازنها مهما تغيّرت الظروف ، وتقلبت الأحوال وتغيّرت .

ومن جملة هذه الموازنات الصّعبة التي ابتليت الأمّة بها : ضرورة المحافظة على وحدة الأمّة في ضوء تحقيق مبدأ حريّة الرّأي والتعبير عنه . فما من شك أنّ الوحدة الجامعة لكيان الأمّة ضرورة شرعيّة تفرضها تعاليم الإسلام ، وحق التعبير عن الآراء هو أيضاً ضرورة قد يصبح في بعض الأحيان واجباً شرعيّاً ، يلحق المؤمن بكتمانه وعدم إبدائه للناس إثماً كبيراً وممّا يّشير إلى جدليّة العَلاقة بينهما (الوحدة الفكريّة وحريّة إبداء الرّأي) أنّ القرآن الكريم أشار إليهما أحياناً بشكل متلازم فعندما أمر القرآن بتحقيق الوحدة بين المسلمين وعدم جواز حصول الفرقة بينهم : ژڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦڦژ ، تلا ذلك أمر آخر بضرورة إبداء الرأي وعدم كتمانه : ژ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ گ گ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ژ[١٨٢] ، ثمّ أعقب ذلك تحذير من الفرقة والاختلاف فيما لو أخلّ بالتوازن بين الأمرين : ژ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ژ[١٨٣] أصبح الاستبداد بالرّأي ، وعدم القدرة على تقبل الرّأي المخالف ، وما نتجَ عنه من تشرذم فكري أفضى إلى الاختلاف والتنازع ، ظاهرة مألوفة في مجتمعاتنا المسلمة، وبدت وكأنها إشكاليّة جوهريّة تحول دون تحقيق الوحدة الشاملة للأمّة ولعلّ ذلك يعود إلى طبيعة العَلاقة الجدليّة بين حريّة الرأي والوحدة بشكل عام ، تلك العَلاقة التي أوحت للكثيرين بصعوبة تحقيق تفاعل إيجابي بينهما على أرض الواقع ؛ لما تقتضيه حريّة الرأي من الاختلاف المفضي إلى الفرقة غالباً، وهو ما يشكل نقيضاً للوحدة بمعناها العام ، وربما كان للأساليب التي عولجت بها هذه العَلاقة أثراً في ذلك أيضاً ، ففيما شاعت حريّة الرّأي والتعبير عنه وتمّ تبادل الأفكار والآراء في صدر الإسلام ، ممّا ساهم في توحيد الأمّة وعدم تشرذمها ، بدأ لآخرين فيما تلا ذلك من عهود أنّ حريّة الرأي عامل يهدّد وحدة الأمّة ، فعملوا على تقليص مساحته والتضييق من نطاقه ، إلى أن شاعت مقولة (إغلاق باب الاجتهاد كليّاً) وبات الناس يجترون آراء من سبقهم دون أن يؤدّي ذلك إلى تحقيق الوحدة المزعومة، أو التقليل من آثار الفرقة والاختلاف . استخدمت العربُ لفظ (حرّ) للتعبير عن كرام الناس وأشرافهم، كما عبّرت به عن خيار الأشياء وحسن الأفعال والأعمال[١٨٤] ، وجاء القرآن بعد ذلك ليتجاوز التركز على اللفظ إلى تحقيق مضمونه وذلك عندما جعل القضيّة الأساسيّة في مسألة الحريّة تدور حول إنسانيّة الإنسان وكرامته وضرورة تحقيق هذه الحريّة بإفراد الله تعالى وحده بمفهوم العبوديّة لتتحقق إنسانيّة الإنسان بالتساوي أمام خالقه مع جميع أبناء جنسه .[١٨٥]

وإذا كان مفهوم كلمة (الحريّة) أصيلاً في اللغة ، ويحمل معان إيجابيّةٍ بشكل عام في التراث فإنّ كلمة (رأي) التي تدور معانيها في اللغة بين الرّؤية البصريّة ، والرّؤية المناميّة والاعتقاد في الأمر تحمل شحنة سلبيّة . فقد نُظر إلى كلمة (رأي) على أنها في مقابل (النصّ) دوماً ممّا يعني منازعتها لقداسة النصّ ومجاله الحيوي ، ثمّ زاد الأمر بعد ذلك عندما ظهرت الفرق والجماعات الإسلاميّة، التي انحاز بعضها أثناء احتدام الصّراع إلى الرّأي المحض ، متجاهلة في بعض الأحيان دلالات النصوص ومراميها . كلّ ذلك أشاع حالة من النفور من استعمال لفظ (رأي) في حدّ ذاته ، فضلاً عن منازعة لفظ الاجتهاد له وشيوع هذا المصطلح بين المسلمين للدّلالة على الجهد العقلي المستنير والمقبول عندهم

---

١٨١- سورة الأنبياء : ٣٥ .
١٨٢- سورة آل عمران : ١٠٤ .
١٨٣- سورة آل عمران : ١٠٥ .
١٨٤- ينظر: لسان العرب : مادة : (حرّ) : ٤/ ١٧٧ .
١٨٥- ينظر: القرآن وحريّة الرّأي : ص١ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على أيّ حال ، فقد أسهم النظر إلى مفهوم (حريّة الرأي) في العصر الرّاهن استناداً إلى حمولته التراثيّة (السّلبيّة) بصفةٍ عامّةٍ ، في تفاقم حالة النفور منه ، والابتعاد عن تحقيقه أو حتى تداول لفظه فضلاً عن حالة الشعور بالضعف والفرقة والتشرذم التي تعانيها الأمّة اليوم ، ليتمّ اعتباره أحد العوامل الجوهريّة فيما وصل إليه المسلمون في وقتنا الرّاهن . يضحى إذن السّبيل إلى استعادة المعنى الحقيقي لمفهوم (حريّة الرأي) ودوره في المجتمع في تجاوز تلك الفهوم الخاطئة عنه والاستعانة بمنهج القرآن الكريم لإعادة بناء هذا المفهوم مجدّداً في ضوء دلالته اللغويّة ، التي تجعل من هذا المفهوم يتبلور في معنيين اثنين :

أحدهما: هو أن يسلك الإنسان أساليب وطرق النظر العقلي دون قيد أو مؤثر .

والثاني: أن يكون في قدرة الإنسان إبداء ما يراه ويعتقده إشاعته بين الناس دون قيد أو مؤثر .[١٨٦]

وحريّة الرّأي بهذين المعنيين مؤصّلة في القرآن الكريم مفسّرة عمليّاً في السّيرة النبويّة وحياة الصّحابة الكرام .

ولمّا كان مفهوم (العبوديَّة) في الإسلام يعني سعياً مستمرّاً من الإنسان للتحرّر والانعتاق من نير الآخرين وفتنة الشهوات والأهواء خلوصاً لله تعالى[١٨٧] ، فإنّ حريّة الرأي والتعبير عنه هي سعي مستمرّ لحفظ كرامة الإنسان على المستويين : الفردي والجماعي .

فعلى المستوى الفردي نظر القرآن إلى الفرد الذي كرّمه الله بالعقل والقدرة على التفكير فأناط به مهمّة القيام بالنظر العقلي ارتقاء بالعلم والمعرفة ، وحريّة الرأي بهذا الاعتبار ضرورة ، بل واجب عيني مادام التفكير مهمّة عينيّة ، لذلك دعا القرآن العظيم إلى إزالة كلّ العوارض والمؤثرات المعيقة لحريّة التفكير عن ذهن الإنسان ، كالتشبث بالعادات والتقاليد السّيئة : ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ژ .[١٨٨]

ودعا القرآن إلى استبعاد نهج الطغاة المستبدين الصّارف للأفكار عن سلوك طريق الحق السَّليمة كمنهج فرعون الذي قال : ژ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ژ .[١٨٩] ولكن مهما خلت نتائج النظر العقلي من مؤثرات وعوارض داخليّة أو خارجيّة فقد يعتريها شيء من القصور، فالكمال لله وحده والقرآن الكريم استدرك ذلك بتقرير حريّة الرّأي بمفهومها الثاني - أي ضرورة إبداء نتائج هذا النظر على الملأ لتكون مجالاً للتداول- فتكمل الآراء بعضها ، وهذا هو المستوى الثاني لحفظ الكرامة الإنسانيّة . فعلى المستوى الجماعي قرّر القرآن ثلاث قنوات لحريّة الرّأي[١٩٠] :

أولاً: حريّة الرّأي في مجال الجَدل في أمر الدّين والمعرفة : فالقرآن حثّ الناس على الجَدل بالحسنى طلباً للحق ذاته ، مستخدمين في ذلك سبيل الحِكمة والموعظة الحسنة : ژ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ژ[١٩١]. ولم يستثن القرآن أمراً في ذلك دون آخر ، حتى جاز الجدل والنظر في أمور العقائد والأفكار الكبرى كي تبنى على أسس متينة وسليمة .

ثانياً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : وبموجب هذه القناة يتمكن كلّ فرد في المجتمع الإسلامي أن يمارس حريّة الرّأي أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر ، ابتغاء الأجر عند الله تعالى : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ ڦ ڦ ژ ودعا القرآن إلى تكوين عصبة قائمة على الحق ترابط في رعاية هذا المبدأ

---

[١٨٦]- ينظر: القرآن وحريّة الرّأي ، ص١.

[١٨٧]- ينظر: التعريفات : ١١٦.

[١٨٨]- سورة البقرة : ١٧٠ . ينظر: الجامع لأحكام القرآن :٢٠٥/٢.

[١٨٩]- سورة غافر : ٢٩ . ينظر: تفسير القرآن العظيم : ٩٩/٤ .

[١٩٠]- القرآن وحريّة الرّأي : ١-٢ .

[١٩١]- سورة النحل : ١٢٥ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

: ژ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ژ وحذر من وبال عدم القيام بهذا الواجب وعواقبه : ژ ڈ ڈ ډ ډ ډ ډ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ ژ .[١٩٢]

ثالثاً: الشورى وإسداء النصيحة : فالشورى هي القناة الرّئيسيّة لتداول الرّأي في المجتمع الإسلامي وعَلاقة الشورى بحريّة الرّأي عَلاقة وثيقة ، بحيث لا يُمكن تصوّر أيّ وجود للشورى خارج نطاق الرّأي والرّأي الحرّ الآخر .

فالرّأي هنا مسؤوليَّة ، وإبداؤه واجب نصحاً لجماعة المسلمين ، وتحقيقاً للنفع العام والقرآن يضع العمل الشورى على مستوى الأمّة موضع الخصلة الملازمة لأهل الإيمان : ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ژ [١٩٣] .

إنَّ تحقيق الوحدة الفكريّة بين المسلمين ضرورة وواجب شرعي ، وإذا كان القرآن الكريم قد اعتبر العقيدة أصلاً يؤسّس لهذه الوحدة ، فإنّ حريّة الرّأي وإبداءه هي الآلية التي اعتمدها لتمتين هذا الأصل والشدّ من أزره ، وإذا استطعنا أن نستوعب هذا المفهوم بمعزل عن إسقاطات الماضي ومؤثراته التي منحته شحنة سلبيّة ، وتعاملنا معه على أساس كونه وسيلة لسلوك الإنسان أساليب النظر العقلي ، ومن ثمّ القدرة على إبداء ما توصّل إليه هذا الفكر دون قيد أو مؤثر ، وصولاً إلى بلورة منهج إسلامي في إعمال العقل لنيل المعارف، فإنّ ذلك سيسهم بلا شكّ في التوصّل إلى حدّ أدنى من الوحدة الفكريّة للأمّة ، تكون ركيزة للتأسيس والبناء فيما بعد .[١٩٤]

وهو الأمر الذي يُمكننا إسقاطه على كثير من معطيات واقعنا ، فعلى سبيل المثال : تعدّ الوحدة مطلباً جوهريّاً لجميع فصائل المقاومة الفلسطينيّة ، وممارسة الحريّة في إبداء الرأي بما يعني من ظهور بوادر الاختلاف بين الآراء يجب ألا يؤدي في ضوء ممارسة الشورى وحريّة الرأي إلى حجر على تلك الآراء والتصوّرات ، بل إن ما يجب القيام به هو توحيد تلك الجهود الصّادقة والنوايا الطيّبة والاستفادة من تعدّد الآراء واختلافها ، للوصول إلى قواسم مشتركة ومنهاج عمل موحد ، يخدم القضيّة الأساس ولا يفرّط بأيّ حق من الحقوق التاريخيّة فاختلاف الآراء وتعدّدها سنة إلهيّة في البشر ، لكن التعامل معها بإيجابيّة هو ما يغني حالة الوفاق والوحدة ، فيما يؤدّي الاستبداد بالرّأي والتفرّد باتخاذ القرار إلى تشتيت الجهود وزعزعة الوحدة ، ونثر بذور الفرقة والتشرذم من حيث ظهر الآخرون خلاف ذلك .[١٩٥]

**رابعاً : السَّلام :**

إنَّ السَّلام مبدأ من المبادئ التي عمّق الإسلام جذورها في نفوس المسلمين ، فأصبحت جزءاً من كيانهم وعقيدة من عقائدهم . وقد صاح الإسلام - منذ طلع فجره ، وأشرق نوره - صيحته المدويّة في آفاق الدّنيا يدعو إلى السّلام ، ويضع الخطة الرّشيدة التي تبلغ بالإنسانية إليه ، والإسلام يحب الحياة ويقدّسها ويحبب الناس فيها ، وهو لذلك يحرّرهم من الخوف ويرسم الطريقة المثلى؛ لتعيش الإنسانية متجهة إلى غاياتها من الرّقي والتقدّم وهي مظللة بظلال الأمن الوارفة .[١٩٦]

ولفظ الإسلام - الذي هو عنوان هذا الدّين - مأخوذ من مادة السّلام ؛ لانّ السّلام والإسلام يلتقيان في توفير الطمأنينة والأمن والسّكينة . وربّ هذا الدّين من أسمائه (السّلام ) ؛ لأنه يؤمن الناس بما شرع من مبادئ ، وبما رسم من خطط ومناهج .

وحامل هذه الرّسالة هو حامل راية السّلام ؛ لأنه يحمل إلى البشريّة الهدى والنور ، والخير والرّشاد والقرآن يحدّث عن رسالته ، فيقول : ژ ک ک گ گ گ گ ژ [١٩٧] .

وتحيَّة المسلمين التي تؤلف القلوب وتقوّي الصّلات وتربط الإنسان بأخيه الإنسان ، هي السّلام وأولى الناس بالله وأقربهم إليه من بدأهم بالسّلام ، وبذل السّلام للعالم وإفشاؤه جزء من الإيمان، وقد جعل الله تحيّة المسلمين بهذا اللفظ ؛ للإشعار بأنّ دينهم دين السّلام والأمان وهم أهل السّلم ومحبو السّلام .

---

[١٩٢]- سورة المائدة : ٧٨ .

[١٩٣]- سورة الشورى : ٣٨ .

[١٩٤]- ينظر: القرآن وحرية الرأي : ٢ .

[١٩٥]- ينظر: المرجع نفسه .

[١٩٦]- ينظر: فقه السنة : ٢/ ١٠٩- ١١٠ .

[١٩٧]- سورة الأنبياء : ١٠٧ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وما ينبغي للإنسان أن يتكلم مع إنسان قبل أن يبدأه بكلمة السّلام ؛ وسبب ذلك: أنّ السّلام أمان ولا كلام إلا بعد الأمان والمسلم مكلف وهو يناجي ربه بأن يسلم على نبيّه وعلى نفسه وعلى عباد الله الصَّالحين ، فإذا فرغ من مناجاته لله وأقبل على الدّنيا ، أقبل عليها من جانب السّلام والرّحمة والبركة وفي ميدان الحرب والقتال إذا أجرى المقاتل كلمة السّلام على لسانه وجب الكف عن قتاله يقول تعالى: ژ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ژ .[198]

وتحيّة الله للمؤمنين تحيّة سلام : ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ژ[199] ، وتحية الملائكة للبشر في الآخرة سلام : ژ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ژ [200] ، ومستقر الصَّالحين دار الأمن والسَّلام : ژ ژ[201] ژ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ژ [202] ، وأهل الجنة لا يسمعون من القول ولا يتحدثون بلغة غير لغة السَّلام : ژ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ژ [203] .

وكثرة تكرار هذا اللفظ - السَّلام- على هذا النحو ، مع إحاطته بالجو الدّيني النفسي ، من شأنه أن يوقظ الحواس جميعها ، ويوجّه الأفكار والأنظار إلى هذا المبدأ السّامي العظيم اتجاه الإسلام نحو المثاليّة ، بل إنّ الإسلام يوجب العدل ويحرّم الظلم ، ويجعل من تعاليمه السّامية وقيمه الرّفيعة من المودّة ، والرّحمة ، والتعاون ، والإيثار ، والتضحية .[204]

وممَّا ينبغي علينا هنا أن نستشهد بمثال قرآنيّ نهتدي به إلى السَّلام ، ومنها أنه لمّا انتشر الفساد في الأرض وعمّ البلاء بعبادة الأصنام في ما مضى ، بعث الله عباده ورسله إلى جميع خلقه، ليدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وينهوهم عن عبادة ما سواه ، فكان أوّل رسول بعثه الله إلى الأرض هو نوح u - كما ذكره المحدِّثون- [205] فلمّا بُعث إلى قومه حاورهم ودعاهم إلى إفراد عبادة الله وحده وألا يعبدوا معه صنماً ولا تمثالاً ولا طاغوتاً وأن يعترفوا بوحدانيّته ، وأنّ لا إله غيره ولا ربّ سِواه كما أمر سبحانه من بعده من الرُّسل الذين هم كلهم من ذريِّته : ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ژ [206] ، فنادى بهم : ژ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ژ [207] . عن قتادة قوله : ژﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ژ ، قال : " أرسل الله المرسلين بأن يُعْبَد اللهُ وحده وأن تتقي محارمه وأن يُطاع أمره " .[208]

وصرّح لهم قائلاً : ژ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹژ[209] ، وقال : ژ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ژ [210] ، وهذا هو صلب موضوع المحاورة السِّلميَّة إذ اختار نوحٌ u ألفاظاً بسيطة المعنى ، سريعة الوصول إلى أذهانهم ، لا تعقيد فيها ، ولم يكن خيالاً أدبيّاً فكان هذا التعبير : ژ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲژ ، ژ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨژ ، ثمّ يخوّفهم ويُهدّدهم بعد إعلامهم موضوع رسالته التي جاء من أجلها في تبليغهم بوجود الخالق الصّانع ووحدانيّة ذلك الموجد جلّ في عُلاه ، وبعد ملأ نفوسهم حذراً ورهبة من العصيان والنّفور قال : ژ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸژ ، وهذا بعد ذلك التمهيد المسبق وتلك الصّياغة العظيمة وبسط التحاور السلمي في جذب هؤلاء .. حتى قال: ژ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ژ فبيَّن لهم تأكيد هدفه في دعوته لوجود الخالق وتوحيده بعد إبداء عطفه لهم ؛ ليحدث في

[198]- سورة النساء : ٩٤ . ينظر: فقه السنة : ٢/ ١١١ .
[199]- سورة الأحزاب : ٤٤ .
[200]- سورة الرعد : ٢٣- ٢٤ .
[201]- سورة يونس : ٢٥ .
[202]- سورة الأنعام : ١٢٧ .
[203]- سورة الواقعة : ٢٥- ٢٦ .
[204]- ينظر: فقه السنّة :١١٢/٢.
٢٠٥- ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري : ٣٧٢/٦ ، شرح النووي على صحيح مسلم : ٥٥/٣ .
[206]- سورة الصافات : ٧٧ .
[207]- سورة نوح : ٢- ٣ .
٢٠٨- ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن : ٦٣٠/٢٣ .
[209]- سورة الأعراف : ٥٩ .
[210]- سورة هود : ٢٦ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نفوسهم الرّهبة والتهيؤ فجاء بهذه الصّياغة المختارة : ژ ک ک گ گ گ ژ بكامل السّلم والأدب **u** .

فنلحظ ممَّا تقدَّمَ أنَّ نوحاً عليه السّلام قد حاورهم عن طريق الإقناع والسّلام ، ولم يجبرهم إجباراً قسريّاً ؛ ذلك لأنّه يعلم أنّ العقيدة الحقيقية هي التي تقوم على الإقناع واليقين، وليس على مجرد التقليد أو الإرغام . وكلّ فرد هو حرّ في أن يعتقد ما يشاء وأن يتبنّى لنفسه من الأفكار ما يريد، حتى ولو كان ما يعتقده أفكارًا إلحاديّة ، فلا يستطيع أحد أن يمنعه من ذلك طالما أنّه يحتفظ بهذه الأفكار لنفسه ولا يؤذي بها أحدًا من الناس فيُترك وشأنه ، قال تعالى : ژ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ژ[٢١١] .

وإن كان المفسِّرون قد اختلفوا في نسخ هذه الآية بآية السّيف وعدمها ، إلا أنّ ما يؤيّد عدم النّسخ ما ذكره الإمام الطبري بقوله:" وأولى الأقوال في ذلك بالصّواب قول من قال: عُنِي بذلك : ژ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ژ ، من جميع أصناف الملل والأديان أن تبرُّوهم وتصلوهم وتُقسطوا إليهم ، إنّ الله عزّ وجلّ عمّ بقوله: ژ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ژ ، جميع من كان ذلك صفته ، فلم يخصّصْ به بعضاً دون بعض ولا معنى لقول من قال : ذلك منسوخ " .[٢١٢]

وما نقله الإمام القرطبي عن أكثر أهل التأويل أنّها محكمة[٢١٣] ، وكذلك كلام الإمام الترمذي عند قوله تعالى: ژ ژ[٢١٤] ، بأنّ ذلك رخصة في حالة الخوف والضعف مع اشتراط سلامة الدّاخل في القلب ، فإنّ مفهومه أنّها محكمة وباق العمل بها عند اللزوم ومفهومه أنّ المؤمنين إذا كانوا في حالة قوّة وعدم خوف وفي مأمن ٍمنهم ، وليس منهم قتال ، وهم في غاية من المسالمة فلا مانع من برّهم بالعدل والإقساط معهم ، وهذا ممّا يرفع من شأن الإسلام والمسلمين ، بل وفيه دعوة إلى الإسلام بحسن المعاملة وتأليف القلوب بالإحسان إلى من أحسن إليهم ، وعدم معاداة من لم يعادهم وممّا يدل لذلك من القرائن التي نهينا عنها سابقاً ما جاء في التذييل لهذه الآية بقوله تعالى : ژ ژ ڑ ڑ ک ک ژ فهذا ترشيح لما قدَّمنا كما قابل هذا بالتذييل على الآية الأخرى .[٢١٥]

وإذا ما رجعنا إلى عموم اللفظ وجدنا الآية صريحة شاملة لكلٍّ من لم يناصب المسلمين العداء ولم يظهر سوءاً إليهم ، وهي في الكفار أقرب منها في المسلمين ؛ لأنّ الإحسان إلى ضعفة المسلمين معلوم بالضرورة الشرعيّة ، وعليه فإنّ دعوى النّسخ تحتاج إلى دليل قويّ يُقاوم صراحة هذا النّص الشامل وتوفر شروط النّسخ المعلومة في أصول التفسير.[٢١٦] وقد عقد الإمام البخاري باباً أسماه : (باب الهديّة للمشركين) وروى فيه : عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِذ قَالَتْ : (( قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ **r** ، فَاستفتيْتُ رَسُولَ اللَّهِ **r** ، قلْتُ : وَهِيَ رَاغِبَة أَفَأَصِلُ أُمِّي ، قَالَ : «نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ » )) .[٢١٧]

وفي روايةٍ أخرى ، قالتْ: (( أَتتني أُمِّي رَاغِبَة فِي عَهْدِ النَّبِيِّ **r** ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ **r** ، آصِلهَا ؟ قَالَ: «نَعَمْ » )) . قَالَ ابْنُ عُيَيْنَة : " فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا : ژ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ژ ".[٢١٨]

إذن قسمٌ مسالمٌ لم يُقاتلْ المسلمينَ ولم يُخرجهم من ديارهم ، فلم ينه الله المسلمين عن برّهم والإقساط إليهم وقسمٌ غير مسالم يُقاتل المسلمين ويُخرجهم من ديارهم ويُظاهر على إخراجهم، فنهى الله المسلمين عن موالاتهم وفرّق بين الإذن بالبرّ والقسط ، وبين النّهي عن الموالاة والمودّة .[٢١٩]

---

[٢١١]- سورة الممتحنة : ٨ .
[٢١٢]- جامع البيان في تأويل القرآن : ٢٣ / ٣٢٣ .
[٢١٣]- الجامع لأحكام القرآن : ١٨/ ٤٠ .
[٢١٤]- سورة آل عمرن : ٢٨ .
[٢١٥]- ينظر: مختصر الشمائل المحمديّة : ٢٢٨ .
[٢١٦]- ينظر: مختصر الشمائل المحمديّة : ٢٢٨ .
[٢١٧]- صحيح البخاري : باب:(الهدية للمشركين)، برقم: (٢٤٧٧) :٩٢٤/٢ ، صحيح مسلم : باب: (فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين) ، برقم: (١٠٠٣) :٦٩٦/٢ .
[٢١٨]- صحيح البخاري : باب : (صلة الوالد المشرك) ، برقم : (٥٦٣٣) : ٢٢٣٠/٥ .
[٢١٩]- ينظر: مختصر الشمائل المحمدية : ٢٢٧ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهذا من محاسن الإسلام وسمو تعاليمه وإنّ العالم كله اليوم لفي حاجةٍ به ماسّة إلى معرفة هذه التعاليم السَّماوية السّامية حتى مع أعدائه ، علماً أنّ القرآن الكريم قد نصّ في أكثر من موطن على تحريم الاعتداء على غير المحاربين ، وأمر سبحانه بقتال الذين يُقاتلون المسلمين فحسب ، ونهى عن العدوان إذ قال : ژ ى ى ژ .[٢٢٠] وقد أجرم من نسب إلى الإسلام إباحة الاعتداء على الآمنين ، وزعم أنّ مجرّد المخالف هو عدوّ في نظر المسلمين .

أمَّا إذا حاول ذلك الشخص نشر أفكاره التي تتناقض مع معتقدات الناس وتتعارض مع قيمهم التي يدينون لها بالوَلاء ، فإنّه بذلك يكون قد اعتدى على النظام العام للبلد بإثارة الفتنة والشكوك في نفوس الناس . وأيّ إنسان يعتدي على النظام العام في أيّ أمّة من الأمم يتعرّض للعقاب ، لا بل يصل الأمر في ذلك إلى حدّ تهمة الخيانة العظمى التي يُعاقب عليها الإسلام بالقتل : ژ ک ک گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ژ [٢٢١] . فقتل المرتدّ في الشريعة الإسلاميّة ليس لأنّه ارتدّ فقط ، ولكن لإثارته الفتنة والبلبلة وتعكير النظام العام في الدولة الإسلامية . أمّا إذا ارتدّ بينه وبين نفسه دون أن ينشر ذلك بين الناس ويثير الشكوك في نفوسهم فلا يستطيع أحد أن يتعرّض له بسوء ، فالله وحده هو المطلع على ما تخفي الصّدور . وقد ذهب بعضُ العلماء المحدّثين إلى أنّ عقاب المرتدّ ليس في الدّنيا وإنّما في الآخرة، وإنّ ما حدث من قتل للمرتدّين في الإسلام بناء على بعض الأحاديث النبويّة فإنّه لم يكن بسبب الارتداد وحده ، وإنّما بسبب محاربة هؤلاء المرتدّين للإسلام والمسلمين [٢٢٢] .

وهذا الأمر يدعونا إلى كيفية الاستفادة من هذه الفرص المتاحة في الحوار والسّلام وطرح الآراء بعيداً عن الإكراه والقسر ، كما أنّه يقودنا إلى مكانة السّلام مع الآخرين في ديننا الإسلامي وتراثنا الطويل . إذ الإسلام كله دعوة دائمة للسّلام مع الآخرين ، بل هو دعوة خالصة للسّلام ولحوار الحضارات لبيان زيف الحضارة الماديّة وانطلاقها من الماديّات فقط وإثبات صحة منهج الحضارة الإسلامية القائمة على مراعاة الماديّات والرّوحانيّات معاً .

إنَّ الإسلام يدعوا إلى السَّلام ، ويرفض الحرب والقتال للتملك والقهر ، ويذهب في سبيل إقرار السّلام إلى حدّ الدّعوة إلى الإحسان إلى الذين لم يقاتلوا المسلمين في دينهم وإن كانوا على غير دينهم : ژ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ژ .

ومن تطلع آيات القرآن الكريم في العدوان والسّلام ، شعر بأنّ الإسلام هو الغاية الكبرى للإسلام، وأنه أورد شروطاً لرد العدوان يظهر فيه الحرص التام على الحياة وتشجيع السّلم والدّعوة إليه ، قال تعالى: ژ ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ گ گ ڳ ڳ ں ژ [٢٢٣] ، ژ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ژ [٢٢٤] ، ژ ى ى ي ي ژ [٢٢٥] ويقول: ژ ڳ ڳ گ گ ڳ ڳ ں ڻ ڻ ٹ ٹ ژ [٢٢٦] ، أي : لا عليك منهم إن عليك إلا البلاغ ، فمن تَبعك سَعِد ونجا ، وكان لك من الأجر نظير ما حصل له ، ومن تولّى عنك خابَ وخسرَ وليس عليك من أمره شيء .[٢٢٧] ويقول تعالى : ژ ۉ ۉ ۇ ۇ ې ې ى ى ژ ، بمعنى : " لستَ عليهم بمسلّط ، ولا أنت بجبّار تحملهم على ما تريد " .[٢٢٨] ولذا قال تعالى : ژ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ژ [٢٢٩]

ومن هذا يتبين ما ينطوي عليه موقف الإسلام - فيما يتعلق بمبرّرات الحرب - من حرص على حماية النفس الإنسانية واحترام الحياة ، فهو لا يبيح الحرب وما تقتضيه من إزهاق بعض الأنفس إلا

---

٢٢٠- سورة البقرة : ١٩٠ .
٢٢١- سورة الممتحنة : ٩ .
٢٢٢- ينظر: الحريّة الدينية في الإسلام : ٧٣ ، ٨٨ .
٢٢٣- سورة البقرة : ١٩٤ .
٢٢٤- سورة النساء : ٩٠ .
٢٢٥- سورة الأنفال : ٦١ .
٢٢٦- سورة الشورى : ٤٨ .
٢٢٧- ينظر: تفسير القرآن العظيم : ٢/ ٣٦٤ .
٢٢٨- جامع البيان في تأويل القرآن : ٢٤/ ٣٨٩ .
٢٢٩- سورة يونس : ١٠٨.



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حيث تدعوا إلى ذلك ضرورة قصوى ، تتعلق بالدّفاع ، أو الوقاية من نتائج الخيانة ونكث العهد ، أو القضاء على الفتنة التي تهدّد سلامة الدّولة ، وهو إذ يبيح الحرب في هذه الضرورات إنما يعمل على حماية نفوس كثيرة كادت تتعرّض للهلاك لو لم ينفر المسلمون لقتال أعدائهم ، فحماية النفس الإنسانية هي إذن الهدف الأخير الذي يرمي إليه الإسلام من وراء ما يبيحه من الحروب : ژ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ژ [٢٣٠] . بل قد ذهب الإسلام في تسامحه مع ناكثي العهد إلى أبعد من ذلك ، فأعطى لهم أحياناً مهلة زمنية واسعة قبل أن يناجزهم المسلمون بالقتال ، وسمح لهم في أثناء هذه المدة بالتوبة والرّجوع إلى العهد.[٢٣١]

ولعلّ من منافاة السّلام وأوسعه انتشاراً في الوقت الحاضر أسلوب اللجوء إلى العنف وإلى زرع المتفجرات وإلقائها على الأبرياء والأحياء والمجمّعات السّكنيّة كما حدث في تفجيرات بعض الدّول الإسلاميّة على حجة قتل السّفير الكافر والشخص المشرك وما شاكل من تلك الحجج الواهية .. حتى ينتج عن ذلك دمار للمنشآت والاعتداء على الأشخاص من الرّجال والنساء والأطفال والشيوخ سواء كانوا من أبناء البلدة نفسها أو المقيمين ، وما أثارته تلك التفجيرات من رعب وفزع وقتل للأبرياء وتدمير للمنشآت وترويع للآمنين وعدوان على الدّين .[٢٣٢]

وممّا تقدّم نخلص إلى أنّ القرآن عالميّ في دعوته ، عالميّ في ترغيبه وترهيبه ، عالمي في ندائه إذ من شأنه إذا استمع إليه إنسان أن تتحرّك مشاعره ، ويهتز قلبه ، ويقشعر بدنه خوفا، ويعتصر فؤاده رجاء ؛ لما فيه من جمال الأسلوب ، وقوّة في التعبير ، وقد وصف الله كتابه عزَّ من قائل : ژ ڈ ڈ ڎ ڎ ڈ ڈ ڎ ڎ ڈ ڈ ڎ ڎ ڈ ڈ ڎ ڎ ڈ ڈ ڎ ڎ ڈ ڈ ڎ ڎ ژ [٢٣٣] ، وروعة القرآن يحسّها القلب الخاشع .

والقرآن ليس معجزاً للعرب وحدهم فحسب ، وإنما هو معجز للعربيّ وغير العربيّ ؛ لأنّ دعوة الإسلام دعوة عالمية ليست مرتبطة بلغة معيّنة، ولا بوطن خاص، وإنما هي دعوة تحتوي العالم بأسره ومن أجل ذلك كان القرآن معجزاً لكلّ الأمم .

كما أنَّ الإسلام دين عالمي ، ودعوة كلّ العالم إلى الإسلام ، وأنّ الإسلام دعوة عالميّة ليست خاصّة بالعرب ، ليست خاصّة بالجزيرة ، فالإسلام للعالمَين ، ولذلك النبي **r** لما انتهى من الجزيرة أرسل الرّسائل خارج الجزيرة ، وأرسل رسائل دعوة للرّوم وللفرس ولغيرهم، فليس مختصّاً بفئةٍ دون أخرى.

ولا نجد في القرآن ، الذي حوى من العلم والحكمة والمثل والعظة والشريعة والهدى ، وغير ذلك من الآيات ما لا سبيل إلى حصره ، ما تجسد في كتب العلم والحكمة وغيرها ، من الألفاظ المستغلقة أو المصطلحات التي لا يفهمها إلا الخاصّة من أصحابها .

وقد استطاع القرآن الكريم أن يعيش بهذا اليسر في صدور عشرات الملايين من الناس ، كما تمكن من مخاطبة كافة العقول ، الحكماء والبسطاء ، وأن يكون بالنسبة لمن كتب الله لهم الهداية، هادياً ونبراساً ونوراً على طريقي الدّنيا والآخرة ، يقول تعالى في ذلك : ژ ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ژ ، ژ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ژ .[٢٣٤]

.. وبهذا كله وغيره ممّا ورد في الأساليب القرآنية كافة ، وبما حققته هذه الأساليب للجماعة والفرد من اطمئنان وأمان ثابتين وبما أقامته من مثل عُليا وغايات سامية للحياة البشرية ، فإنّها قد وضعت أقوم الأسس للاستجابة لها سواء من ناحية الفرد أو المجتمع ، وبهذا سما الأفراد والجماعة إلى ذروة الكمال الإنساني بإيمانهم وسلوكهم .

---

٢٣٠- سورة البقرة : ٢٥١ .

٢٣١- ينظر: الإعلام في القرآن : ١٣٠- ١٣١ .

٢٣٢- ينظر: قانون السّلام في الإسلام : ٨٠٤ .

٢٣٣- سورة الزمر : ٢٣ .

٢٣٤- سورة الأنعام : ١١٤ ، ١٢٦ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

## الفصل الرّابع
## شمولية دعوة القرآن الكريم

وعلى ضوء ما تقدّم يُمكن القول إنَّ الإسلام - الذي دعا إليه القرآن- قد استوعب كلّ حاجات البشر الماديّة والرّوحية وإنه لم يفرّط في كبيرة أو صغيرة تتصل بهذه الحاجات من قريب أو بعيد .

وفي هذا الشمول والاستيعاب الكامل يقول فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود : " والدّعوة الإسلاميّة عالميّة ونسخت لما قبلها من الدّعوات ؛ لأنّ كلّ دعوة قبلها جاءت لتعالج ناحية من نواحي حياة الإنسان ، فجاءت الموسوية لعلاج الوثنيّة وتحويل الناس إلى توحيد الله وجاءت العيوسيّة وقد أصبح الناس ماديّين ولا شيء يقدّسونه إلا المادة فاهتمت ديانة عيسى – عليه السلام - بالناحية الرّوحية والأخلاق ، وغرست في نفوس ابتاعها مزيداً من التسامح والوداعة والرّحمة ، ثمّ جاءت المحمّديّة وقد استوت البشريّة على حال تمّ عليها أن تسير في طريق يؤدي إلى دين متكامل الجوانب يعالج مشكلات الحياة كلها ويرسم لها الحل السّماوي السّوي الذي لا حلّ سواه ، ولذلك كانت الدعوة جديرة أن تلغي ما سبقها من الدّعوات إلغاءً تفصيلياً مع الاعتراف بها من ناحية الإجمال ، ودليل نسخها لغيرها من الشرائع كان في أنها لم تكتف بعلاج ناحية واحدة أو أكثر في حياة الإنسان وإنما عالجت كلّ حالات الإنسان "[٢٣٥].. ولخص ذلك الشيخ مُحمّد رشيد رضا -رحمه الله- فيما يأتي[٢٣٦] :

- كان الدّين الإسلامي وسطاً جامعاً لحقوق الروح والجسد ومصالح الدنيا والآخرة وهو نصّ قوله تعالى : ژڤ ڤ ڤژ ، أي : إنّ المسلمين وسط بين الذين تغلب عليهم الحظوظ الجيدة والمنافع الماديّة كاليهود ، والذين يغلب عليهم التعاليم الرّوحية وتعيب الجسد وإذلال النفس والزهد كالهندوس والنصارى ، وإن خالف هذه التعاليم أكثرهم .
- غاية الدّين الإسلامي هي سعادة الدارين ولا يمكن الوصول إليها إلا بتزكية النفس بالإيمان الصحيح ، ومعرفة الله ، والعمل الصالح ، ومكارم الأخلاق ، ومحاسن الأعمال لا بمجرد الاعتقاد والاتكال ولا الشفاعات وخوارق العادات .
- كون الغرض من الدعوة الإسلامية التعارف والتآلف بين البشر لا زيادة التفريق والاختلاف كما يزعم أعداء الأديان ؛ لأنّ الدّين الإسلامي عام مُكمّل للأديان التي جاء بها سائر رسل الله وبذلك امتازت أمّة مُحمّد صلى الله عليه وسلم بأنه مطالبة بالإيمان بسائر الرسل إيماناً إجمالياً فقد قص القرآن أولئك الأنبياء ومهد إلى الألفة والأخوة الإنسانية العامة ، وتلك هي حجّة الإسلام على سائر الأمم ليكون جديراً بمنصب الإمامة في الناس : ژڤ ڤ ڤڤڤ ڤ ڤڤ ڤ ڃ ڃ ڃژ ، بالأمّة الإسلامية هي الأمّة الوسط العدل في الإيمان بجميع الرسل ، والرّسول صلوات الله عليه شاهد على الأمّة الإسلاميّة يوم القيامة هل أدت رسالتها في تبليغ

---

[٢٣٥]- الإعلام في القرآن : ١٣٨ .

٢٣٦- الوحي المحمّدي : ٢٤ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الدعوة الإسلامية إلى سائر الناس -كما تقول الآية- أم قصرت في ذلك واتبعت نزعات الشياطين ؟ وهكذا تكون أمّة المسلمين على الناس دليلاً على شمولية دعوتهم وعمومها .

- كون الدّين يُسراً لا حرج فيه ولا عسر ولا إرهاق ولا إعنات ولا مشقة ، يقول الله تعالى: ژۇۇۆۆۈۈۇٴۋۋژ ، ژۇۇۆۆۈۈۇٴۋۋژ[٢٣٧]، ويقول: ژڈڈڑڑکککگگگگڳڳڳڳڱڱڱڱںںڻڻڻڻۀۀہہہہھھےےۓۓژ[٢٣٨] ، ژېېىىئئئئیییییٹٹٹٹٹٹژ[٢٣٩] ، ژڈڈڤڤڤڤڦڦڦڦڄڄڄڄڃڃژ[٢٤٠] ، ومن تفصيل هذه الآيات نفهم أنّ الواجب الذي يشق على المكلف أداؤه أو يحرجه يسقط عنه إلى بدل أو يسقط عنه سقوطاً مطلقاً دون بدل ، كالمريض يفطر في شهر رمضان ثمّ يصوم بدلاً منه، وكالشيخ الهرم يفطر في رمضان ثمّ لا يصوم بدلاً منه بل يطعم عن كلّ يوم مسكيناً أكلتين مشبعتين من مثل طعامه فإذا لم يجد ذلك فيعفوا الله وهو العفو الغفور .
- منع الغلوّ في الدّين وإبطال جماله تعذيباً للنفس ، وذلك أنّ الإسلام أباح الطيّبات بدون إسراف وأباح الزينة دون كبرياء ، قال تعالى : ژٱٻٻٻٻپپپپڀڀڀڀٺٺٿٿٿٿژ[٢٤١] ، وقال : ژٹٹٹٹٹٹٹٹڤڤڤڤڦڦڦڦڄڄڄڄڃڃڃڃچچچچژ[٢٤٢] ، وقال تعالى : ژٱٻٻٻٻپپپپژ[٢٤٣].. وفي هذا النهي اعتبار للمسلمين ؛ لأنّهم أولى بالانتهاء عن الغلوّ ؛ ولأنّ دينهم دين الرّحمة واليُسر وعدم الإعنات .
- قلة التكاليف في الشريعة الإسلامية وبساطتها وسهولة فهمها وتنفيذها ، فقد كان الإعرابي يجيء النبيّ صلى الله عليه وسلم من البادية فيعلمه الرّسول **r** ما أوجب الله وما حرّم عليه في مجلس واحد ، فيعاهده الأعرابي على العمل بما تعلم في ذلك المجلس ، وكان هذا من أعظم أسباب قبول الناس للدّعوة وإقبالهم على الدّين الإسلامي الحنيف .
- انقسام التكاليف في الإسلام إلى عزائم ورخص ، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يُرجّح جانب الرّخص . وابن عمر رضي الله عنهما يُرجّح جانب العزائم ، والناس بعد ذلك درجات في التفسير والتقصير والاعتدال .. فالإسلام دين يوافق البدوي السّاذج والفيلسوف الحكيم وما بينهما من طبقات الناس ، قال تعالى : ژٹٹٹٹٹٹٹٹڤڤڤڤڦڦڦڦڄڄڄڄڃڃڃڃچچچچژ[٢٤٤] .
- نصوص القرآن والسنة النبويّة المطهرة يراعيان درجات تفاوت البشر في العقل والفهم وعلو الهمّة وضعفها ، فالقطعي منها هو العام وغير القطعي تتفاوت فيها الإفهام فيأخذ كلّ أحد منه بما أداه إليه اجتهاده ، ولذلك كان النبي **r** يقرّ كلّ أحد من أصحابه فيه على اجتهاده ، كما

---

[٢٣٧]- سورة البقرة : ١٨٥ ، ٢٨٦ .
[٢٣٨]- سورة الحج : ٧٨ .
[٢٣٩]- سورة المائدة : ٦ .
[٢٤٠]- سورة البقرة : ٢٢٠ .
[٢٤١]- سورة الأعراف : ٣١ .
[٢٤٢]- السورة نفسها : ٣٢ .
[٢٤٣]- سورة المائدة : ٧٧ .
[٢٤٤]- سورة فاطر : ٣٢ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فعل عندما نزلت آية البقرة[٢٤٥] في الخمر والميسر الدّالة على تحريم دلالة ظنيـــة فتركهـــا بعضهم دون بعض ، والآية هي : ژ ۋ ۋ ى ى ې ې ى ى ئا ژ ، تلك التي ترك بها بعض الصـــحابة الخمـــر دون بعضهم . وأقرّ كلاً على اجتهاده إلى أن نزلت آية المائدة[٢٤٦] بالتحريم القطعي : ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ژ وتلك التي قطعت بالتحريم قال تعالى : ژ ڈ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ژ[٢٤٧]. ذلك أنّ الفرائض الدينية العامّة والمحرّمات الدينيّة العامّة كلاهما لا يثبت إلا بنص قطعي يفهمه كلّ أحد ولا يملك الاختلاف حوله مسلم ، وأمّا الآيات الظنيّة الدّالـــة وأحاديـــث الظنيّة الرّواية أو الدّلالة فهي موكولة إلى اجتهاد الناس .

- معاملة الناس بظواهرهم وجعل البواطن موكولة إلى الله سبحانه ، فليس لأحد من الحكّام ولا الرؤساء الرّسميين ولا لخليفة المسلمين نفسه ، أن يعاقب أحداً ولا أن يحاسبه على ما يعتقـــد أو يضمر في قلبه ، وإنما العقوبات في الإسلام على المخالفـــات العمليّـــة للأحكـــام العامّـــة والمتعلقة بحقوق الناس ومصالحهم .
- مدار العبادات كلها على إتباع ما جاء به النبي في الظاهر ، فليس لأحد فيها رأي شخصـــي ولا رئاسة ... ومدار العبادات في الباطن على الإخلاص لله تعالى وصحة النيّة ... والآيات والأحاديث في الأمرين كثيرة .

هذه المقاصد العشرة لا تدع شيئاً من حياة الإنسان الدّنيا إلا وضعت له النظام الوحيد الـــذي لا نظـــام سواه ، وتلك هي أكبر الآيات على الاستغناء بالدّين الإسلامي عن كلّ دين آخر قبله وعن أيّ نظـــام مُسْتحدَث من صنع البشر بعده : ژ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ ژ[٢٤٨] .

فالدِّين العام ضرورة عقليّة ؛ لأنّ ما سقناه من الحجج يوصلنا إلى نتيجة واحدة هـــي أنـــه لا عـــذر للإنسان في أيّ مكان أو زمان عن قبول دعوى القرآن هذه ، وأنه لا سبيل لسّعادته إلا بذلك ، وتلـــك الحجج والبراهين تلجئنا بني الإنسانية جمعاء إلى قبول تلك الدعوى طائعين أو مكرهين ، ولكننـــا إذا تدبّرنا القرآن عكفنا على دراسته ، دراسة واعية مستبصرة متأمّلة عرفنا أنّ الأمر ليس كذلك ، فـــإنّ الآيات البيّنات والبراهين القاطعة التي جاء بها القرآن الكريم مستدلاً بها على دعواه أسمى من ذلـــك شرفاً وأجلّ قدراً ، فإنها تحثنا وترغبنا في أن ندين بدين الله دين الحق دين الإسلام ، وقلوبنا مطمئنـــة بالإيمان مقتنعة بصدق كلمتها بدلاً من أن نقبل دعوته مكرهين أو مضطرّين لا ينشرح لها خاطرنـــا ولا تطيب لها نفوسنا ،.. وأقوى تلك الحجج والبيّنات المبثوثة في سور الكتاب العزيز وآياته البيّنـــات وأشفاها للصّدور وأقربها للعقل أربع ، هي التي صرف فيها القول وأعيد ذكرهـــا مـــراراً بأســـاليب مختلفة مبتكرة وهي :

* إنَّ الإسلام هو المنهاج الصّحيح للحياة البشرية كلها ؛ لأنه يوافق الحقيقة على ما هي عليـــه فـــي الأمر نفسه ، وكلّ طريق دونه ، ليس من الحقيقة في شيء كما ورد في التنزيل : ژ

---

[٢٤٥]- آية : ٢١٩ .
[٢٤٦]- آية : ٩٠ .
[٢٤٧]- سورة العنكبوت : ٤٣ .
[٢٤٨]- سورة آل عمران : ٨٥ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ژ[٢٤٩].. فالمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله والكافر مستسلم لله كرهاً ، فإنه تحت التسخير والقهر والسّلطان العظيم ، الذي لا يخالف ولا يمانع .[٢٥٠]

* هو المنهاج الوحيد الصّحيح للإنسان ؛ لأنه هو الحق ولا يصبح له طريق آخر حقاً وعدلاً كما قال سبحانه : ژ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ژ [٢٥١]. أي : إنَّ ربكم الله الذي خلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم، كلّ ذلك بأمره، أمرهن الله فأطعن أمرَه، ألا لله الخلق كله، والأمرُ الذي لا يخالف ولا يردّ أمره ، دون ما سواه من الأشياء كلها ، ودون ما عبده المشركون من الآلهة والأوثان التي لا تضر ولا تنفع ، ولا تخلق ولا تأمر ، تبارك الله معبودنا الذي له عبادة كل شيء ، ربّ العالمين .[٢٥٢]

* هو الطريق الصّحيح للإنسان ؛ لأنّ حقائق الأشياء على وجهها وعلى ما هي عليه لا يعلمها إلا الله وهو الذي لا يأتي هدايته الخطأ من بين يديها ولا من خلفها ، قال تبارك وتعالى : ژ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ژ [٢٥٣] ، وقال تعالى عن منهج الإسلام وهو القرآن الكريم : ژ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ژ[٢٥٤] ، وقال : ژ ۉ ۉ ې ې ې ې ژ [٢٥٥] ، وقال تعالى : ژ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ژ [٢٥٦] بمعنى : " أنّ هدى الله هو الذي يهدي إلى الإسلام ، وهو الهدي الحق ، والذي يصلح أن يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى ، وما يدعون إلى إتباعه ما هو بهدى إنما هو هوى ".[٢٥٧]

* هو الصّراط المستقيم للإنسان ؛ لأنه لا يُمكن أن يقومَ العدلُ إلا به ، وأيّ طريق يسلكه الإنسان دون هذا الطريق لا بدّ أن يفضي به إلى الظلم ويحيد به عن طريق العدل ، كما قال جلّ شأنه : ژ ژ [٢٥٨] ؛ لما نهى عن اعتداء الحدود، وهو تجاوزها ، وكان ذلك خطاباً لمن سبق له الخطاب قبل ذلك ، وأتى بهذه الجملة الشرطيّة العامّة الشاملة لكلّ فرد فرد ممّن يتعدّى الحدود أو يتجاوزها .[٢٥٩]

والقرآن الكريم بعد ذلك ، يقود الإنسان صاحب النظر والتأمّل العقلي ، وصاحب النظرة ، إلى الله تعالى وإلى ما يأمر به من عدل وخير وفضيلة ، مخاطباً في ذلك العقل والوجدان والحسّ في أسلوب معجز عامّه في السّمو والكمال ، وفي الدّلالة على وجوده تعالى ، وقدرته ووحدانيته وفضله ، وما يأمر به يطالعنا القرآن الكريم بالآيات البيّنات الآتية : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ژ

---

[٢٤٩]- سورة آل عمران : ٨٣ .
[٢٥٠]- ينظر: تفسير القرآن العظيم : ٢/ ٦٢، الإعلام في القرآن : ١٤٢ .
٢٥١- سورة الأعراف : ٥٤ .
٢٥٢- ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن : ١٢/ ٤٨٣- ٤٨٤ .
[٢٥٣]- سورة آل عمران : ٥ .
[٢٥٤]- سورة فصلت : ٤٢ .
[٢٥٥]- سورة البقرة : ٢٥٥ .
[٢٥٦]- السورة نفسها : ١٢٠ .
[٢٥٧]- التفسير الكبير (تفسير الرازي) : ٤/٣٤- ٣٥ .
[٢٥٨]- سورة البقرة : ٢٢٩ .
[٢٥٩]- ينظر: البحر المحيط : ٢/ ٤٧٦ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

گ گ گ ں ڻ ڻ ڈ ڈ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ [٢٦٠] ، ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ [٢٦١] ، ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ [٢٦٢] ، ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ [٢٦٣] ...

وعلى الرّغم من هذا فإنّ تأريخ الإسلام في كافة عهوده يشهد بأنّ المسلمين بهدي القرآن الكريم لم يفرضوا دينهم على أحد في البلاد التي فتحوها ، وأنه كان من حق أي إنسان أن يظلّ على دينه الذي يدين به مهما كان هذا الدّين وتقوم الدّولة بكفالة هذا الحق والدّفاع عنه .

والقرآن الذي قرّر هذا المبدأ حين دعا إلى الإيمان ، جعل النظر في الكون وخلقه ونظامه وتدبيره من أهمّ الوسائل التي تهدي الناس بالعقل والتأمّل إلى الله الذي خلق كلّ شيء ودبره .

## الفصل الخامس

## دور القرآن في حفظ الضرورات الخمس

عني القرآن الكريم بالضرورات[٢٦٤] الخمس : الدّين ، والنفس ، والعقل ، والنسل ، والمال لسلامة وأمن حياة الفرد والمجتمع واستقرارهما ، حتى عني علماء المسلمين بهذه الضرورات وتوسّعوا بها وبيّنوا أنها أقوى المراتب في مصالح العباد وأنها هي مقصود الشرع .

قال الآمدي : " إنّ حفظ هذه المقاصد الخمسة من الضروريات وهي أعلى مراتب المناسبات".[٢٦٥]

وعن علة حصرها بالخمسة ، قال : " والحصر في هذه الخمسة الأنواع إنما كان نظراً إلى الواقع العلم بانتفاء مقصد ضروري خارج عنها في العادة " .[٢٦٦]

.. هذا وسأتطرَّق لكلٍّ واحدة منها في مبحث خاص -وبإيجاز- ؛ لما لها من ارتباط وثيق في بناء المجتمعات وحفظها وتوجيهها نحو الحق والخير ، ولما لها من صلةٍ بموضوعنا ، وهي كالآتي ..

### المبحث الأوّل .. حفظ الدّين

---

[٢٦٠]- سورة الرعد : ٢- ٤ .
[٢٦١]- سورة الحج : ١٨ .
[٢٦٢]- سورة الملك : ١٩ .
[٢٦٣]- السورة نفسها : ٣٠ .
[٢٦٤]- ومعناها : (أنها لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا ، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وتهارج وفوت حياة ، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرّجوع بالخسران المبين ) . الموافقات في أصول الفقه : ٨/٢ .
[٢٦٥]- الإحكام في أصول الأحكام : ٣٠٠/٣ .
[٢٦٦]- المصدر نفسه .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الدّين الحق مصلحة ضرورية للناس ؛ لأنه يُنظم عَلاقة الإنسان بربه ، وعَلاقة الإنسان بنفسه وعَلاقة الإنسان بأخيه الإنسان ومجتمعه ، والدّين الحق يُعطي التصور الرّشيد عن الخالق ، والكون والحياة والإنسان ، وهو مصدر الحق والعدل ، والاستقامة ، والرّشاد .[٢٦٧]

والمقصود بحفظ الدّين والدّفاع عنه كما بيّنه الماوردي بقوله : " حفظ الدّين على أصوله المستقرّة وما أجمع عليه سلف الأمّة . فإن نجم مبتدع أو زاغ ذو شبهة عنه أوضح له الحجة وبين له الصواب، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود، ليكون الدين محروساً من خلل والأمّة ممنوعة من زلل " .[٢٦٨]

وقال أيضاً : " ومنها إزالة المفاسد والمنكرات من المجتمع كما يقضي به الإسلام إذ لا يمكن الادعاء بحفظ الدين مع ترك المفاسد والمنكرات بلا إنكار ولا إزالة مع توفر القدرة على ذلك " .[٢٦٩]

قدّر الإسلام ما للدّين من أهميّة في حياة الإنسان ، حيث يلبي النزعة الإنسانية إلى عبادة الله، ولما يمدّ به الإنسان من وجدان وضمير ، ولما يقوّي في نفسه من عناصر الخير والفضيلة ، وما يضفي على حياته من سعادة وطمأنينة . نظراً لتلك الأسباب كلها صار الدّين ضرورة حياة بالنسبة للإنسان ، قال تعالى : ژ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ژ [٢٧٠] .

ولذا يقول برجستون : " لقد وجدت - وتوجد - جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات ولكن لم توجد قط جماعة بغير ديانة " .[٢٧١]

ويدلّ على ضرورة حفظ هذا الدّين وجوب العمل به بعد الدخول فيه والإيمان به ، وأنّ من لم يدخل فيه ولم يعمل به فهو خاسر في الدّنيا والآخرة ، ومن دخل فيه وآمن به فهو فائز في الدّنيا والآخرة والحدّ الأدنى للعمل بهذا الدّين هو التزام فرائضه واجتناب نواهيه ، قال تعالى : ژ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ژ .[٢٧٢] فإذا ما اشتغل المسلم بحفظ هذا الدّين بالعمل بالحدّ الأدنى منه فقط كان عضواً صالحاً في المجتمع وكان بعيداً عمّا حرّم الله ورسوله عبادةً لربه وليس خوفاً من الناس فحسب وسلم من الخسران .[٢٧٣]

ونظراً لتلك الاعتبارات حافظت شريعة الإسلام على الدّين ، سواء من حيث غرسه في النفوس وتعميقه فيها ابتداءً ، أو من حيث تدعيم أصله وتعهده بما ينمّيه ويحفظ بقاءه استمراراً ودواماً وشرعت لذلك الوسائل الآتية[٢٧٤] :

* وسائل حفظ الدّين من جانب الوجود : من وسائل غرس الدّين في النفوس ابتداءً في الشريعة الإسلاميّة ، الوسائل الآتية :

١- ترسيخ اليقين بأصول الإيمان وأركانه ، وهي الإيمان بالله ورسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، يقول الله تعالى : ژ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ گ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ژ

---

[٢٦٧]- حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة : ٥٨ .
[٢٦٨]- الأحكام السلطانية والولايات الدينية : ٥ ، ٧ .
[٢٦٩]- المصدر نفسه : ٧ .
[٢٧٠]- سورة الروم : ٣٠ .
[٢٧١]- ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية : ٧ .
[٢٧٢]- سورة العصر : ١- ٣ .
[٢٧٣]- ينظر: الموافقات : ٢/ ٨ .
[٢٧٤]- ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية : ٧- ١٠ ، حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة : ٥٧- ٦٨ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ہ ھ ھھژ[٢٧٥] ، ويقول: ژ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڼ ڼ ڽ ڽ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم كى كي لج لح لخ لم لى ليژ[٢٧٦] .

٢- إقامة هذا الإيمان على البرهان العقلي والحجة العلميّة ، ومن هنا كانت دعوة الإسلام إلى النظر والتدبّر : ژ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ژ[٢٧٧] وكان نعيه على أولئك الذين لا يتفكرون في الآيات المبثوثة في الكون : ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ژ[٢٧٨] كما شنَّ حملة شعواء على تقاليد الآباء وأخذ المعتقدات من غير نظر ولا برهان :

٣- ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ژ[٢٧٩] .

٤- القيام بأصول العبادات وأركان الإسلام من صلاة وزكاة وصوم وحج ، بعد النطق بالشهادتين فهذه العبادات من أهمّ أسرارها وحكمها أنها تصل العبد بربه وتوثق صلته به ممَّا يُرسخ أصل الإيمان في نفسه ويجدّده ، يقول الرسول r ، فيما يرويه عن ربه : «... وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ...» .[٢٨٠] ويقول r : « بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالْحَجِّ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ »[٢٨١] .

٥- إيجاب الدّعوة إلى الله وحمايتها وتوفير أسباب الأمن لحملتها : ژ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ گ گ ک ک ک ک ڑ ڑ ژ ژ ڙ ڙ ژ ژ ڗ ڗ ږ ږ ڕ ڕ ڔ ڔ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ژ[٢٨٢] ، ژ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ژ[٢٨٣] ، ژ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ژ[٢٨٤] .

@ وسائل المُحافظة على الدّين من جانب البقاء : والمقصود بها الوسائل التي انتهجتها الشريعة في المحافظة على الدّين بعد حصوله ؛ لصيانته وإزالة العوائق من طريقه ، وتزكيته في النفوس .. ومن هذه الوسائل[٢٨٥] :

- كفالة حريّة العقيدة والتديّن وحمايتها ، فالإسلام لا يُكره أحداً على اعتناقه ، ويسمح بتعايش مختلف الأديان داخل دياره وفي رحاب دولته ، ويترك الحريّة لأهل الأديان في عقائدهم وممارستهم التعبديّة وتصرفاتهم المدنيّة ، بل إنّ من أهداف الجهاد الإسلامي

---

[٢٧٥]- سورة البقرة : ٢٨٥ .
[٢٧٦]- سورة النساء : ١٣٦ .
[٢٧٧]- سورة الأعراف : ١٨٥ .
[٢٧٨]- سورة يوسف : ١٠٥ .
[٢٧٩]- سورة البقرة : ١٧٠ .
[٢٨٠]- صحيح البخاري من حديث أبي هريرة : باب: (التواضع) ، رقم الحديث: (٦٥٠٢) : ٢١/ ٣٩٢ .
[٢٨١]- المصدر نفسه : باب: (دعاؤكم إيمانكم) ، برقم: (٨) : ١/ ١٩ ، صحيح مسلم : باب: (قول النبي بني الإسلام على خمس) ، برقم: (١٢٢) :١/ ١٤٠ ، سنن الترمذي (الجامع الصّحيح) : باب: (ما جاء بني الإسلام على خمس) ، برقم: (٢٨١٣) :١٠/ ٨٤ ، سنن النسائي : باب: (على كم بني الإسلام) ، برقم: (٥٠١٨) :١٥/ ٣٠٠ ، مسند أحمد : برقم : (٤٩٠٢) :١٠/ ٤٣٠ .. وكلهم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .
[٢٨٢]- سورة لقمان : ١٧ .
[٢٨٣]- سورة العلق : ٩- ١٠ .
[٢٨٤]- سورة البروج : ١٠ .
[٢٨٥]- ينظر : مقاصد الشريعة الإسلامية : ١١- ١٣ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تأمين حرية الاعتقاد والتديّن ، قال تعالى : ژیییئنذثث ٹٹٹٹٹڤڤڤڦڦڦڦڄڄڄڄ ڃڃڃڃچچچچڇڇڇڇژ .[٢٨٦]

- تشريع الجهاد تمكيناً للدِّين ودرءاً للعُدوان وحماية للاعتقاد ، قال تعالى : ژ ىىژ ، ژٱٻٻٻٻپپپپڀڀڀڀٺٺٺٺٿٿٿٿٹٹٹٹڤڤڤڤڦڦژ .[٢٨٧]

- الالتزام بتعاليم الدِّين وتطبيقها بعد القناعة بها ، وبذلك تظل للدِّين حيويَّته في النفوس وأثره في الوجدان ، ومن هنا قرن الإيمان والعمل الصّالح في كثير من نصوص القرآن إذ كثيرا ما يرد في القرآن : ژککگگگژ .[٢٨٨]

- تشريع عقوبة الرِّدة ، وذلك حتى يكون الإنسان جاداً في اعتناقه للإسلام ، وحتى لا يقدم على الإسلام إلا بعد قناعة تامّة ، فالإسلام لا يُكره أحداً على اعتناقه . بل إنّ الله لا يقبل من الدين إلا ما كان نابعاً عن قناعةٍ من صاحبه ، فإذا دخله الشخص فمن المفروض أن يكون على قناعةٍ بما اتخذ من قرار ، فإذا ارتدّ بعد ذلك فمعنى ذلك أنه أحدث بلبلة فكريّة وسياسيّة تضطرب بها أوضاع المجتمع ، ويفقد استقراره الفكري والنفسي المنشود ، كما قال تعالى مبيّناً دعوة المشركين إلى هذه السياسة : ژیییئنذثثٿ ٹٹٹٹٹڤڤڤژ [٢٨٩] ؛ ونظراً لذلك شرعت عقوبة الرّدة ؛ حماية لجديَّة الاعتقاد وحرمة الدِّين .

- إقامة سياج من الحاجيات والتحسينات كأداء الصّلاة جماعة ، ونوافل العبادات المختلفة وبكلّ هذه التشريعات يتأصّل الدّين ، ويرسخ في نفس الإنسان وفي المجتمع ممّا يُحقق الأنس والسّكينة والخير للفرد والمجتمع .

## المبحث الثاني .. حفظ النفس

أوجب الله تعالى حفظ النفس بأساليب شتى في النصوص والتشريع ، فقد ثبت الوعيد الشديد لمن اعتدى على النفس في الكتاب والسنة ، بل بعض العلماء من السّلف ذهبوا إلى عدم توبة من قتل نفساً محرّماً بغير حق .[٢٩٠]

ولا يكون حفظ النفس إلا بمشروعيَّة قوله تعالى : ژڭڭۇۇۆژ . وقال r : «... يَا أَنَسُ ، كِتَابُ اللَّهِ الْقِصَاصُ » .[٢٩١]

ولم يُبح الشارع القصاص ممَّن ادعي عليه أنه اعتدى على النفس إلا بإقامة البيّنة ، وأوجب الله تأخير تنفيذ الحد أو القصاص إذا كان في ذلك ضرر على غير الجاني حتى يزول الضرر

---

٢٨٦- سورة النحل : ٤٠ .

٢٨٧- الآيتان في سورتي : البقرة : ١٩٠ ، النساء : ٧٥ .

٢٨٨- سورة البقرة : ٢٧٧ .

٢٨٩- سورة آل عمران : ٧٢ .

٢٩٠- ينظر: الإسلام وضروريات الحياة : ٤٩ .

٢٩١- صحيح البخاري : باب: (الصلح في الدية)و(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ) ، رقم الحديث: (٢٧٠٣)،(٤٥٠٠) : ٢٦/١٠، ٤٧٦/١٤ ، سنن أبي داود : باب: (القصاص في السن) ، برقم: (٤٥٩٧) :١٣/ ٣٨٠ ، سنن النسائي : باب: (القصاص في السن) ، برقم: (٤٧٦٩) :١٤/ ٤٨٦ ، : ، سنن ابن ماجه : باب: (القصاص في السن) ، برقم: (٢٧٥١) : ٢٩٠/٨ ، مسند أحمد : برقم: (١٣٠٤١) :٢٧/ ٧٤ .. وكلهم من حديث أنس بن النضر t .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وربط الشارع إقامة الحدود والقصاص بالإمام ونائبه حتى لا يستعجل في إزهاق النفوس البريئة .[٢٩٢] وإنَّه لولا القَصَاص ؛ لِتَهَارَجَ الخَلقُ وَاختلَّ نظامُ المَصَالِح .[٢٩٣]

ولم يجز الشارع قتل غير المؤلف ولو أتى ما يبيح به قتل المكلف ، وأباح للمضطر - بل قد يجب عليه- أن يتناول ما هو محرّم عليه في الأصل لإنقاذ حياته . وفرض سد الذرائع الموصلة إلى قتل النفس .

فالإنسان إذاً مسئول عن نفسه ، وهو مسئول عن تزكيتها وتهذيبها وإصلاحها ودفعها إلى الخير وحجزها عن الشرّ ، قال تعالى : ژٹٹڤڤڤڤڦڦڄڄڄڄڃڃژ[٢٩٤] ، كما أنه مسؤول عن حفظها ورعاية صحتها وتمتعها في حدود المباح ، قال تعالى : ژ ىىيي ژ .[٢٩٥] ثمّ إنه منهي عن إتلاف نفسه وإضعافها وتعذيبها ، فقد نهى الله تعالى عن الانتحار بقوله : ژ ڃڃڃڃڃڃ چچژ .[٢٩٦]

وقال r : « مَنَ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا ، وَمَنْ شَرِبَ سَمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا » .[٢٩٧]

ولنعلم أنَّ ديننا الحنيف لم يكتفِ بسنِّ قوانين القصاص والحدود والكفارات والدّيات من أجل حفظ النفس فحسب ، بل إنه قرّر تدابير للوقاية من جريمة القتل ؛ لأنَّ الإسلام إذا حرّم شيئاً حرّم الأشياء التي توصل إليه ، ومن تلك التدابير للوقاية من الجرائم عامّة وجريمة القتل خاصّة : تقوية الوازع الدّيني عند المسلمين ، وتعظيم شعائر الله ، والتخويف من معصية الله ثمّ بعد ذلك بناء العَلاقات الاجتماعية على المحبة والمناصحة والمناصرة بالحق ، وتأكيد النهي عن أسباب الخلافات والفرقة وإصلاح ذات البين بين المسلمين المتخاصمين .[٢٩٨]

فالذي يقرأ أحكام الدِّين الإسلامي يجد أنَّ الإسلام قد أحاط حفظ النفس المسلمة بثلاث حصانات متينة..

الأولى: التهذيب النفسي الذي يشمل كافة العبادات ، وهي تمثل الجانب الإيماني في حياة المسلم .

---

٢٩٢- ينظر: الإسلام وضروريات الحياة : ٥٤ ، المحصول في علم الأصول : ٥/٢٢٠ .

٢٩٣- ينظر: البحر المحيط : ٧/ ١٠١ .

٢٩٤- سورة الشمس : ٧- ١٠ .

٢٩٥- سورة القصص : ٧٧ .

٢٩٦- سورة النساء : ٢٩ .

٢٩٧- صحيح مسلم : باب: (غلظ تحريم قتل الإنسان نفسهُ..) ، رقم الحديث: (٣١٣) : ١/ ٣٧٣ ، سنن الترمذي : باب: (ما جاءَ فيمن قَتَل نفسهُ بسُمٍّ أو غيره) ، رقم: (٢١٧٩) : ٨/ ٩٣ ، مسند أحمد : برقم: (٧٦٥٦) : ١٦/ ١٨٧ ، سنن الدارمي : باب: (التشديد على من قتل نفسه) ، برقم: (٢٤١٧) : ٧/ ٢٥٧ ، صحيح ابن حبان : باب : (الجنايات) ، برقم: (٥٩٨٦) : ١٣/ ٣٢٥ .. وكلهم من حديث أبي هريرة t .

٢٩٨- حرمة المسلم على المسلم : ٧٩ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والثانية: تكوين رأي عام فاضل ، وهو يتمثل بجانب الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر والنصح لكلّ مسلم .

والثالثة: العقاب ، وهو ما يتمثل بالحدود والقصاص والكفارات والدّيات .[٢٩٩]

وقد حرّمت الشريعة الإسلاميّة تعاطي كلّ ما يؤثر على صحة الإنسان أو عقله فإنّ من المقاصد العامّة الضروريّة لها حفظ النفس والعقل والمال .[٣٠٠]

والشباب الذي يربى على هذه المعاني التي تمنع الاعتداء على النفس وتوجب حفظها ، بعد أن يتعاطى المسكرات والمخدرات التي هي من أهمّ وسائل الاعتداء على النفوس ، يجد ضرر ذلك جليّاً .[٣٠١]

.. ولانتشار ظاهرة تعاطي المسكرات والمخدرات اليوم وبكثرة ، فأرى من الضرورة بمكان أن أنوّه إلى أنَّ متعاطيها لا يسلم من الأمور الآتية :

١- إتيان الفاحشة التي يترتب عليها أمور وخيمة .

٢- عدم الغَيْرة على عِرض نفسه ، ممّا قد يتسبب في وجود منكرات في أسرته واختلاط الأنساب فيها .

٣- بعض الأمراض التي تقتل نسله في حال الحمل ، أو أولاده وأفراد أسرته ؛ بسبب الآثار التي تحذر له من تناول المسكرات والمخدرات .. فالشباب الذي يقتنع بوجوب حفظ النسل ، بل بضرورته ويعلم أنه يترتب على تعاطيه المسكرات والمخدرات ما يخلّ بحفظ النسل سيبتعد عن تعاطي ذلك .[٣٠٢]

## المبحث الثالث .. حفظ العقل

للعقل في القرآن الكريم أهميّة كبرى فهو مناط المسؤوليّة ، وبه كرّم الإنسان وفضل على سائر المخلوقات وتهيّأ للقيام بالخلافة في الأرض وحمل الأمانة من عند الله ، قال تعالى : ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ژ .[٣٠٣]

والعقل من أكبر نعم الله على الإنسان ، جعله الله فرقاً بينه وبين الحيوان بما أودع فيها من طاقة للحكم على الأمور ، واستخلاص النتائج من مقدّماتها ، والغوص إلى معرفة الحقائق الكونيّة والاستدلال بها على عظمة الخالق ... والواجب أن يشكر الإنسان ربه على هذه النعمة التي لولاها لما كان هناك فرق بينه وبين الحيوان .

---

[٢٩٩]- المرجع نفسه .

[٣٠٠]- ينظر: التكافل الاجتماعي : ٤ .

[٣٠١]- ينظر: الإسلام وضروريات الحياة : ٥٩ ، ٦٤ .

[٣٠٢]- ينظر : الوقاية من تعاطي المسكرات والمخدرات : ٥ – ٦ .

[٣٠٣] - سورة الأحزاب : ٧٢ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لذلك يذكر الله آياته الكونيّة وما فيها من نعم الله على الإنسان ويعقب على ذلك التذكير بأنّ في ذلك آيات لذوي العقول ، كقوله تعالى : ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﮊ .[٣٠٤] وكذلك جعل الله تعالى آياته الشرعيّة حياة لذوي العقول التي توصلهم عقولهم على تقوى الله ، كما قال تعالى : ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﮊ .

وممَّا يدلل على ضرورة حفظ العقل أنه تعالى جعله مناط التكليف ؛ لأنّ العاقل هو الذي يكون قادراً على فهم خطاب الله ، بخلاف المجنون ، أو ناقص التصوّر بسبب نقص إدراكه لضعف عقله، كالصّبي فإنّ الله لا يكلفهم في تلك الحال ، فقد صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلاَثَةٍ : عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ » .[٣٠٥]

ولحفظ العقل وسائل عدّة ، يُمكن تلخيصها في ثلاثة أمور عامّة :

الأمر الأول: توجيهه إلى المجالات النافعة ، أي تفكيره في المصالح التي تعود على صاحبه ومجتمعه بالخير في الدّنيا والآخرة ، وتغذيته بالمعاني السّليمة الصّافية سواء ما يتعلق منها بالمغيّبات أو المحسوسات : في أمور الدّنيا والآخرة .

وقد وردت نصوص كثيرة لتوجيه العقل إلى هذا الأمر ، وحث العقل على التفكير في المحسوسات الهدف منه الوصول إلى ما يترتب عليها من الانقياد لصانع تلك المحسوسات ولهذا يعبر عنها بالآيات - أي العلامات- التي تدل العاقل على أن الانقياد لصانعها هو الشيء الطبيعي ، ومن ذلك قوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮊ .[٣٠٦] لمن عَقل مَوَاضع الحجج ، وفهم عن الله أدلته على وحدانيته . فأعلم تعالى ذكره عبادَه ، بأنَّ الأدلة والحجج إنما وُضعت مُعتبرًا لذوي العقول والتمييز ، دون غيرهم من الخلق ، إذ كانوا هم المخصوصين بالأمر والنهي ، والمكلفين بالطاعة والعبادة ، ولهم الثواب ، وعليهم العقاب.[٣٠٧] ففي هذا دعوة إلى استعمال العقل في هذا المَجال ، وهو الاستدلال ببديع صنع الله على وجوب الانقياد له وذلك أصل مصالح الدّنيا والآخرة .

ومن ذلك دعوة العقل إلى التفكير في كتاب الله الذي أنزله على رسوله **r** الذي اشتمل على كلّ ما فيه مصلحة للناس ، فإنّ ما فيه من الهداية إلى الخير والتحذير من الشر لا يتردد العقل السّليم في الإقرار به كما قال تعالى : ﮋ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬﮊ .[٣٠٨] " فالرُّسل تبيِّن للناس ما أنزل إليهم من ربهم ، وعليهم أن يبلغوا الناس البلاغ المبين ، والمطلوب من الناس أن يعقلوا ما بلغه الرّسل والعقل يتضمن العلم والعمل ، فمن عرف الخير والشر ، فلم يتبع الخير ويحذر الشرّ لم يكن عاقلا؛ ولهذا لا يُعَدُّ عاقلا إلا من فعل ما ينفعه ، واجتنب ما يضره ، فالمجنون الذي لا يفرق بين هذا وهذا قد يُلْقِي نفسه في المهالك ، وقد يفرّ ممّا ينفعه " .[٣٠٩]

---

٣٠٤- سورة النحل : ١٠- ١٢ .
٣٠٥- سنن أبي داود ، من حديث علي بن أبي طالب **t** : باب: (في المجنون يسرق أو يصيب حداً) ، رقم الحديث: (٤٤٠٥): ٥٤٦/٢.
وهو حديث صحيح . ينظر: مختصر إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل : ٦٠ .
٣٠٦- سورة البقرة : ١٦٤ .
٣٠٧- جامع البيان في تأويل القرآن : ٢٧٧/٣ ، معالم التنزيل : ١٧٨/١ .
٣٠٨- سورة يوسف : ٢ .
٣٠٩- دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية : ٢٢٧/٢ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فإذا لم يهتد الإنسان بعقله إلى ما فيه مصلحته ممّا جاء من عند الله ، فقد أضاع عقلة ولم يستفد منه وأصبح بمنزلة من لا عقل له ، لذلك ينفي القرآن الكريم عن مثل هذا الصنف من الناس العقل أو ينكر عليه عدم العقل للأمور النافعة أو الضارّة كالمشركين الذين يرفضون إتباع ما أنزل الله ويقلد الأبناء منهم الآباء ، كما قال تعالى : ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ژ .[٣١٠]

ومن الآيات التي تعرَّضت لهذا المعنى، وهو حفظ العقل على التفكر فيما ينفع فيتعاطاه ، وما يضرّ فيجتنبه هذه الآية الكريمة المتعلقة بحفظ العقل نفسه ممَّا يفسده : ژ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ژ .[٣١١] هذا البيان لاستجاشة التفكر والتدبر في أمر الدّنيا والآخرة ، فالتفكر في الدّنيا وحدها لا يعطي العقل البشري ولا القلب الإنساني صورة كاملة عن حقيقة الوجود الإنساني ، وحقيقة الحياة وتكاليفها وارتباطاتها ولا ينشئ تصوّراً صحيحاً للأوضاع والقيم والموازين .[٣١٢] وكانت هذه الآية قبل أن ينزل تحريم الخمر البات في سورة المائدة تلفت عقول شاربي الخمر إلى أنّ النفع الذي قد يحصل منها بيعاً وشراءً وشرباً في جانب مضارّها العظيمة يقتضي أن ترجح العقول السّليمة إلى البعد عنها بدلاً من تعاطيها . فإذا ما وُجّهت عقول الشباب إلى المقارنة والموازنة بين المصالح والمفاسد وما ينبغي فعله وما ينبغي تركه فإنّ ذلك وسيلة من وسائل حفظ عقولهم من الضياع .

الأمر الثاني: صيانة العقل من المفسدات المعنويّة ، وذلك يشمل العقائد والأفكار والمعارف كلها سواء كانت دينيّة أو اجتماعيّة أو سياسيّة أو عسكريّة أو اقتصاديّة ، فإنّ العقل إذا غذي بعقائد وأفكار ومعلومات فاسدة يسوء تصوره ويفسد ويضلّ ويصبح أخطر من العقل الخالي من المعلومات ؛ لأنّ هذا الأخير يُمكن أن يهيّأ له من يغذيه بالعقيدة السّليمة والفكر الصّحيح والمعلومات الصّادقة ، فيكون قبولها لها سهلاً بخلاف العقل الذي يغذى بالمعاني الفاسدة ويؤكد له صدقها ، فإنّ انتزاع تلك المعاني الفاسدة منه وإحلال معاني صحيحة محلها ليس سهلاً ، بل قد يكون في غاية الصعوبة ، وهذا واضح في أهل الملل المختلفة والأفكار المتشعبة في العالم كله .

والعقل الذي يُصان من المفسدات المعنوية يسهل أن يُصان من المفسدات الحسيّة بخلاف العقل الذي تفسده المعاني الفاسدة ، فإنه من السهل أن يستجيب لما يفسده حسيّاً .

وكان للجنّ صولات وجولات في إفساد العقول قبل الإسلام ؛ بسبب ما كانوا يحصلون عليه من استراق السّمع من السّماء ، وكانوا يضيفون إلى الكلمة الصادقة الواحدة تسعاً وتسعين كلمة كاذبة فيصدقهم الناس ، فلمّا جاء الإسلام حرس السماء بالشهب التي كانوا يرمون بها لتحفظ العقول من فسادهم ، فضلاً عن تغذية العقول بالوحي المنزل من السماء ، كما قال تعالى : ژ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ژ .[٣١٣]

وإذا كان الله تعالى قد تولى حفظ الناس من خرافات الجنِّ وكذبهم فمنعهم من استراق السَّمع فإنَّ الأرض مليئة بالخرافات التي يتولى نشرها بعض الإنس ، وكذلك الأفكار الفاسدة التي يطلق عليها الآن الغزو الفكري ، وقد حمّل الله تعالى المسؤولية علماء الإسلام وحكام الشعوب الإسلاميّة - الناجين من ذلك الغزو - فإنهم يجب عليهم أن يرموا من خالف الإسلام بشهب الحجة والحديد كما

---

٣١٠- سورة البقرة : ١٧٠- ١٧١ .

٣١١- السّورة نفسها : ٢١٩ .

٣١٢- في ظلال القرآن : ٢٣١ .

٣١٣- سورة الجن : ٨- ١٠ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رمى الله الجنّ بشهاب السّماء ، قال تعالى: ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ژ .[٣١٤] فإذا تمَّت صيانة العقل من المفسدات المعنويّة سهل كما سبق صيانته من المفسدات الماديَّة المحسوسة .[٣١٥] ولكنَّ المؤسف أنّ أكثر ولاة أمور الشباب المسلم لا يهتمون بعقول الشباب وصيانتها ممّا يفسدها معنوياً ولكنّ كثيراً منهم لا يحاولون أن يصونوها من المفسدات الماديّة ، وهم بذلك شبيهون بمن يرمي الشخص الذي لا يجيد السّباحة في البحر ثمّ يرمي له حبلاً قصيراً لا يصل إليه بل من أجل إنقاذه من الغرق .[٣١٦]

الأمر الثالث: صيانة العقل من المفسدات الماديّة ، وتندرج تلك المفسدات كلها في كلمة واحدة عني بها القرآن والسنة والفقه الإسلامي ، وهي الخمر التي هي أمّ الخبائث كلها لأنها تجمع بين التفتير والسّكر الذي هو قمّة الإضرار بالعقل ، فالسكر لا يحصل إلا بعد التخدير والتفتير ، وهذا ما أشار إليه علماء اللغة ، كما قال ابن الأثير : " وفي حديث عمر: ((أنه رزقَ الناسَ الطلاء فشربه رجلٌ فتخدر)). أي ضعف وفتر ، كما يصيب الشارب قبل السّكر ، ومنه خدر الرِّجل واليد " .[٣١٧]

وقال ابن منظور : " وقد خَدِرتَ الرِّجلُ ، تخْدَرُ والخدَر من الشراب والدّواء فتور يعتري الشارب وضعفُ ... والخَدَر: الكسل والفتور " .[٣١٨]

والأصل في تحريم الأشياء في الشريعة الإسلاميَّة كون المحرَّمات خبائث عند الله الذي يعلم خبثها سواء ظهر ذلك للناس أو له يظهر ، كما قال تعالى : ژ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ژ .[٣١٩] ومن ضمن هذه الخبائث الخمر التي حرّمها الله تعالى في كتابه وحرمها رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته وأجمعت الأمّة على تحريمها ، كما قال ابن قدامة رحمه الله : " الخمر محرّم بالكتاب والسنة والإجماع ، أمّا الكتاب فقول الله تعالى : ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ژ .[٣٢٠] وأمَّا السُّنَّة فقول النبيِّ r : « كلّ مسكر خمر وكلّ خمر حرام » .[٣٢١] وثبت عن النبيّ r تحريم الخمر بأخبار تبلغ بمجموعها رتبة التواتر وأجمعت الأمّة على تحريمها... " .[٣٢٢]

وقال ابن حزم رحمه الله : " كلّ شيء أسكر كثيره أحداً من الناس ، فالنطفة منه فما فوقها إلى أكثر المقادير خمر ، حرام ملكه وبيعه وشربه واستعماله على كلّ أحد ... " .[٣٢٣]

فإذا كان الله تعالى قد حرّم على الناس أم الخبائث ، والخمر أم الخبائث كما نصّ على ذلك الكتاب والسنة والإجماع ، فمن الواجب بمكان أن تكون صيانة الناس وعقولهم من المسكرات والمخدرات - بالطرق الآتية :

---

[٣١٤]- سورة الحديد : ٢٥ .
[٣١٥]- ينظر: الوقاية من تعاطي المسكرات والمخدرات : ٧ .
[٣١٦]- المرجع نفسه .
[٣١٧]- النهاية في غريب الحديث والأثر : ٣٣/٢ .
[٣١٨]- لسان العرب : مادة (خَدَرَ) : ٤/ ٢٣٠ .
[٣١٩]- سورة الأعراف : ١٥٧ .
[٣٢٠]- سورة المائدة : ٩٠- ٩١ .
[٣٢١]- صحيح مسلم : باب: (كل مسكر خمر ..) ، رقم الحديث: (٥٣٣٩) :١٣/ ٣٠١ ، سنن ابن ماجه: باب: (كل مسكر خمر) ، برقم: (٣٥١٥) :١٠/ ٣٠٦ ، مسند أحمد : برقم: (٤٩٣٥) :١٠/ ٤٦٣ .. وكلهم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .
[٣٢٢]- المغني (في فقه الإمام أحمد بن حنبل) : ٣٢٠/٢٠ .
[٣٢٣]- المحلى ، لابن حزم : ٧/ ٤٧٨ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأولى: منع صناعتها في داخل البلاد منعاً باتاً وإنزال العقوبة المناسبة بكلّ من تعاطى ذلك .
الثانية: منع إدخالها إلى البلاد عن طريق التجارة أو الاقتناء دون تفريق بين الناس، وإنزال العقوبة المناسبة بكلّ من حملها معه أو حاول إدخالها بأيّ وسيلةٍ .
الثالثة: الحكم على من ضبط متعاطيها لها بما في شرع الله دون تعاون .[٣٢٤]
وهذا لا يكون إلا بعد توعية وتربية الشعب كله فرداً وأسرة ومجتمعاً على أنها من الخبائث التي حرّم الله ، وأنّ الله يُعاقب من ارتكبها كما هو معلوم .
ولا يفوتني أن أذكر وسيلة مهمَّة – للغاية- في حفظ العقل ألا وهي تحريره من سلطان الخرافة وإطلاقه من مسار الأوهام ، ومن هنا حرَّم القرآن الكريم السِّحر والكهانة والشعوذة وغيرها من أساليب الدَّجل والخرافة .
وأنه منع على العقل الخوض في الغيبيّات من غير سلطان أو علم يأتيه من الوحي المنزل على الأنبياء ، وعدّ ذلك سبباً في هدر طاقته من غير طائل ، قال تعالى : ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ژ .[٣٢٥]
ولا بدّ من تدريب العقل على الاستدلال المثمر والتعرّف على الحقيقة ، وذلك من خلال وسيلتين:
الأولى : إنه وضع المنهج الصّحيح للنظر العقلي المفيد لليقين ، ومن هنا كانت دعوته إلى التثبيت قبل الاعتقاد ، قال تعالى :( ژ ى ى ي ي ژ[٣٢٦] ، ژ ى ى ي ي ژ.[٣٢٧]
الثانية : الدّعوة إلى التدبر في نواميس الكون ؛ لاستكشافها وتأمّل ما فيها من دقة وترابط ، وإلى استخدام الاستقراء والتمحيص الدّقيق من أجل الوصول إلى اليقين .[٣٢٨]
إذن الإسلام وحده هو القادر على صيانة العقل من المفسدات المعنويّة والماديّة معاً ، ولا يستطيع أيّ دين ، أو أيّ قانون أن يصونه كما يصونه الإسلام .

## المبحث الرّابع .. حفظ النسل

ولو لم يحفظ الجنس لانقرض الجنس ، وهذا أمر لا يختلف فيه البشر، وقد جبل الله عليه المخلوقات فحافظت عليه بالتزاوج ، ويمتاز الإسلام عن غيره بأنه يوجب المحافظة على النسل أن يكون عن طريق النكاح المشروع ولا يجيزة عن طريق غير مشروع .
ولهذا جاءت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة تبيّن محبة الله ورسوله لحفظ النسل وتكثيره والترغيب في النكاح والتحذير من التبتل ، وبيان المصالح العائدة على الآباء في الدّنيا والآخرة من النسل ورتبت الشريعة على حفظ النسب أحكاماً كثيرة .[٣٢٩]

---

[٣٢٤]- ينظر :الوقاية من تعاطي المسكرات والمخدرات : ٨ .
٣٢٥- سورة غافر : ٥٦ .
[٣٢٦]- سورة الإسراء : ٣٦ .
[٣٢٧]- سورة الكهف : ١٥ .
[٣٢٨]- ينظر: مقاصد الشريعة : ٢١- ٢٢ .
[٣٢٩]- ينظر: الإسلام وضروريات الحياة : ٦٧ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولا يُحفظ النَّسلِ إلا بتَحريم الزّنى وإيجاب العقوبةِ عليه ، قال تعالى : ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﮊ (٣٣٠) ؛ ذلك لأنَّ الأسبابَ داعية إلى التناصُر وَالتعَاضُدِ وَالتعاوُنِ الذِي لا يتأتى العيش إلا بِهِ عادةً .

والذي يربى على حفظ النسل بالطريقة المشروعة فلا يرتكب الزنا ولا يقربه ، قال تعالى : ﮋ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮊ (٣٣١) وإنما يحافظ على النسل من طريق النكاح المشروع ويكون بعيداً عن الأسباب التي تدفعه إلى إتيان الفاحشة التي يترتب عليه انتهاك الأعراض واختلاط الأنساب والإنجاب بطرق غير مشروعة .

ويشير الآلوسي في تفسيره عند قوله تعالى : ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮊ (٣٣٢) .. إلى أنَّ في الآية دلالة على أنّ المباشر ينبغي أن يتحرّى بالنكاح حفظ النسل لا قضاء الشهوة فقط ؛ لأنه سبحانه وتعالى جعل لنا شهوة الجماع لبقاء نوعنا إلى غايةٍ ، كما جعل لنا شهوة الطعام ؛ لبقاء أشخاصنا إلى غايةٍ ، ومجرّد قضاء الشهوة لا ينبغي أن يكون إلا للبهائم ، وجعل بعضهم هذا الطلب كناية عن النهي عن العزل .(٣٣٣)

وإذا ما قيل حفظ العِرض ، فالمقصود حفظ النسل والنسب ، بأرقى المسائل وأشرف الطرق ويُعبرُ عنه العلماءُ بحفظ النّسب أو النّسل . وإنّ وجود النسب والنسل فرعٌ من وجود النّفس الإنسانيّة التي شرعَ الله تعالى لوجودها . وإنّ الحفاظ على العِرض مقصودٌ لذاته من جهةٍ ، وهو وسيلة لحفظ النسل والذرّيّة من جهةٍ أخرى؛ حتى لا تختلط الأنساب ، وتضيع الذريّة ، ويتشرّد الأطفال . وحرّمَ الإسلام التبنّي ؛ لأنه اعتداء على نسب الطفل ، ونسل أبيه ، وأنّه يُمثل سرقة الدّم الحقيقي للإنسان .(٣٣٤)

## المبحث الخامس .. حفظ المال

٣٣٠- سورة النور : ٢ .
٣٣١- سورة الإسراء : ٣٢ .
٣٣٢- سورة البقرة : ١٨٧ .
٣٣٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ١٣٤/٢ .
٣٣٤- ينظر: حقوق الإنسان في الإسلام – دراسة مقارنة مع الإعلام العالمي والإعلام الإسلامي لحقوق الإنسان - : ٩٠- ٩١ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المال مال الله استخلفه في عباده ، فهو سبحانه المالك الحق ، ولا يجوز لخلقه الذين استخلفهم فيه أن يحرزوه أو ينفقوه إلا من حيث هو مشروع ، قال تعالى : ژ ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ژ .[٣٣٥]

قال القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية : " دليل على أنَّ أصل الملك لله سبحانه ، وإنّ العبد ليس له فيه إلا التصرف الذي يرضي الله ، فيثيبه على ذلك بالجنة " ... ثمَّ أورد قول الحسن قائلاً : "وقال الحسن : ( ژ ڳ ڳ ڳ ژ بوراثتكم عمّن كان قبلكم ، وهذا يدلّ على أنها ليست بأموالكم في الحقيقة وما أنتم فيها إلا بمنزلة النوّاب والوكلاء ، فاغتنموا الفرصة فيها بإقامة الحق قبل أن تزال عنكم إلى من بعدكم ) " .[٣٣٦]

إنَّ شأن الإسلام دائماً مع النزعات الفطرية للإنسان ، حيث يبيح إشباعها ويلبي مطالبها ضمن الحدود المعقولة ، مع التهذيب والترشيد حتى تستقيم وتحقق الخير للإنسان ولا تعود عليه بالشرّ كان هذا شأنه مع نزعة حب التملك الأصليّة في الإنسان ، فقد أباح الملكيّة الفردية وشرع في ذات الوقت من النظم والتدابير ما يتدارك الآثار الضارّة التي قد تنجم عن طغيان هذه النزعة من فقدان للتوازن الاجتماعي ، وتداول للمال بين فئةٍ قليلةٍ من المجتمع ومن النظم التي وضعها لأجل ذلك: نظم الزكاة والإرث والضمان الاجتماعي ، ومن ثمّ عدّ الإسلام المال ضرورة من ضروريات الحياة الإنسانيّة وشرعَ من التشريعات والتوجيهات ما يشجع على اكتسابه وتحصيله ، ويكفل صيانته وحفظه وتنميته من خلال الحث على السّعي لكسب الرّزق وتحصيل المعاش ، فقد حث الإسلام على كسب الأموال باعتبارها قوام الحياة الإنسانية واعتبر السّعي لكسب المال -إذا توفرت النية الصَّالحة وكان من الطرق المباحة- ضرباً من ضروب العبادة وطريقا للتقرب إلى الله تعالى ، حين قال تعالى : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ژ ، وقال : ژ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ژ .[٣٣٧] فرفع منزلة العمل وأعلى من أقدار العمَّال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ u كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ » .[٣٣٨] ، وقرَّرَ حق العمل لكلِّ إنسان ، وجعل من واجب الدّولة توفير العمل لمن لا يجده ، كما قرّر كرامة العامل وأوجب الوفاء بحقوقه الماديَّة والمعنويَّة ، يقول r : « أَعْطُوا الأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ » .[٣٣٩]

وكذلك إباحة المُعاملات العادلة التي لا ظلم فيها ولا اعتداء على حقوق الآخرين ، ومن أجل ذلك أقرَّ الإسلام أنواعاً من العقود كانت موجودة بعد أن نقاها ممّا كانت تحمله من الظلم ، وذلك كالبيع والإجارة والرّهن والشركة وغيرها ، وفتح المجال أمام ما تكشف عنه التجارب الاجتماعية من عقود

---

[٣٣٥]- سورة الحديد : ٧ .

[٣٣٦]- الجامع لأحكام القرآن : ١٧/ ٢٣٨ .

[٣٣٧]- سورة الملك : ١٥ ، الجمعة : ١٠. ينظر : مقاصد الشريعة : ٢٨ .

[٣٣٨]- صحيح البخاري ، من حديث المقدام بن معدي كرب t : باب: (كسب الرجل وعمله بيده) ، رقم الحديث: (٢٠٧٢) : ٤٦٤/٧ .

[٣٣٩]- سنن ابن ماجه ، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : باب : (أجر الأجراء) ، رقم الحديث : (٢٥٣٧) : ٧/ ٣٩٨ . وهو حديث صحيح . ينظر: مختصر إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل : ٢٩٥ ، مشكاة المصابيح : ١٧٥/٢ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شريطة أن لا تنطوي على الظلم أو الإجحاف بطرف من الأطراف أو تكون من أكل أموال الناس بالباطل .[٣٤٠]

وضبط التصرّف في المال بحدود المصلحة العامَّة ، ومن ثمّ حرّم اكتساب المال بالوسائل غير المشروعة والتي تضرّ بالآخرين ، ومنها الرِّبا ؛ لما له من آثار تخلّ بالتوازن الاجتماعي ، قال تعالى: ژگ گ گ ں ڻ ، ژٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ .[٣٤١]

وقد حرّم القرآن الكريم الاعتداء على مال الغير بالسّرقة أو السّطو أو التحايل ، وشرعَ العقوبة على ذلك ، قال تعالى : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ[٣٤٢] وأوجب الضمان على من أتلف مال غيره قال r : « كلّ المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعِرضه» .[٣٤٣]
ومنع إنفاق المال في الوجوه غير المشروعة ، وحثّ على إنفاقه في سبل الخير ، وذلك مبنيٌّ على قاعدة من أهمّ قواعد النظام الاقتصادي الإسلامي ، وهي أنّ المال مال الله وأنّ الفرد مستخلف فيه ووكيل ، قال تعالى: ژ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ[٣٤٤]، ومن ثمّ كان على صاحب المال أن يتصرّف في ماله في حدود ما رسمه له الشرع ، فلا يجوز أن يفتن بالمال فيطغى بسببه ؛ لأنّ ذلك عامل فساد ودمار قال تعالى: ژ ى ى ژ [٣٤٥] ، ولا يجوز له أن يبذر في غير طائل ؛ لقوله تعالى: ژ ى ى ې ې ې ې ۋ ۋ ژ .[٣٤٦]
سنَّ القرآن التشريعات الكفيلة بحفظ أموال القُصّر والذين لا يحسنون التصرّف في أموالهم ، من يتامى وصغار حتى يبلغوا سنّ الرُّشد ومن هنا شرعَ تنصيب الوصي عليه ، قال تعالى : ژ ې ې ې ې ۉ ۉ ې ې ې ې ۅ ۅ ژ[٣٤٧] ، وقال : ژ ې ې ې ې ۉ ۉ ۅ ۅ ۋ ۋ ۇ ۇ ۆ ۆ ژ .[٣٤٨]
ومن ذلك الحجر على البالغ إذا كان سيّئ التصرف في ماله ، قال تعالى : ژ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ژ .[٣٤٩]
ونظم التعامل المالي على أساسٍ من الرِّضا والعدل ، ومن ثمَّ قرَّر الإسلام بأنّ العقود لا تمضي على المتعاقدين إلا إذا كانت عن تراضٍ وعدلٍ ، ولذلك حرَّم القمار قال تعالى : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ[٣٤٩] ودعا إلى تنمية المال واستثماره حتى يؤدّي وظيفته الاجتماعية ، وبناء على ذلك حرّم الإسلام حبس الأموال عن التداول وحارب ظاهرة الكنز ، قال تعالى : ژ ۉ ۉ ې ې ې ې ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ژ .[٣٥٠]
.. وبهذه التشريعات كلها حفظ القرآن الكريم المال وصانه عن الفساد حتى يؤدّي دوره كقيمةٍ لا غنى عنها في حفظ نظام الحياة الإنسانية ، وتحقيق أهدافها الحضاريّة والإنسانيّة شأنه في ذلك شأن كلّ المصالح السّابقة التي تمثل أساس الوجود الإنساني وقِوام الحياة الإنسانيّة ، ومركز الحِضارة البشريّة

---

٣٤٠- ينظر: مقاصد الشريعة : ٢٩ .
٣٤١- سورة البقرة : ١٨٨ ، ٢٧٥ .
٣٤٢- سورة المائدة : ٣٨ .
٣٤٣- صحيح مسلم : باب: (تحريم ظلم المسلم وخذله) ، رقم الحديث: (٦٧٠٦) :٤١٩/١٦ ، سنن ابن ماجه : باب: (حرمة دم المؤمن وماله) ، برقم: (٤٠٦٨) :٦٨/١٢ ، مسند أحمد : برقم: (٧٩٤٣) :٤٧٧/١٦ .
٣٤٤- سورة النور : ٣٣ ، الحديد : ٧ .
٣٤٥- سورة الإسراء : ١٦ .
٣٤٦- السّورة نفسها : ٢٦- ٢٧ . ينظر: مقاصد الشريعة : ٣٠ .
٣٤٧- الآيتان في سورتي : البقرة : ٢٢٠ ، النساء : ٦ .
٣٤٨- سورة النساء : ٥ . ينظر: مقاصد الشريعة : ٣١ .
٣٤٩- سورة النساء : ٢٩ .
٣٥٠- سورة التوبة : ٣٤ . ينظر: مقاصد الشريعة : ٣٢ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والتي بدون مراعاتها وحفظ نظامها يُخرّب العالمُ وتستحيل الحياة الإنسانية ويقف عطاؤها واستثمارها في هذا الوجود .

ولا شكَّ أنَّ الذي يتعاطى اليوم المسكرات والمخدرات لا يؤمن على حفظ ماله ومال غيره في حال سكره وحال صحوه ، فهو لا يبالي أن يجمع المال بأيّ أسلوب ، مشروعاً كان أو غير مشروع بل إنه يتعدّى على حقوق الناس من أموالهم وأنفسهم وأعراضهم ، فكيف يؤمن على حفظ المال .

ومن هنا يُعلم أنّ الذي يتعاطى المسكرات والمخدرات بالبيع أو الشراء أو الصنع أو النقل أو الإباحة ليس مؤتمناً على حفظ الضرورات والأهداف العليا التي يجب على المسلمين أن يسعوا إلى تحقيقها في الحياة ، بل كلّ الأمم لا حياة لهم بدونها ، وهي: الدّين ، والنفس والنسل ، والعقل ، والمال وبالجملة فإنّ الشريعة التي جاء بها كتاب الله تعالى مدارها على ثلاث مصالح :

المصلحة الأولى: درء المفاسد - المعروف عند أهل الأصول بالضروريات- عن ستة أشياء: حفظ الدّين ، والنفس ، والعقل ، والنسب ، والعرض ، والمال .. وسبق وأن أوجزنا الكلام فيها إلا العِرض فمن المناسب القول بأنّ القرآن الكريم قد جاء بالمحافظة عليه بأقوم الطرق وأعدلها ، حتى نهى المسلم عن أن يتكلم في أخيه بما يؤذيه ، وأوجب عليه إن رماه بفرية حدّ القذف ثمانين جلدة قال تعالى: ژ [illegible] .[٣٥١]

وقبّح جلَّ وعلا غيبة المسلم غاية التقبيح بقوله : ژ [illegible] ژ[٣٥٢] ، وقال في إيجاب حدّ القاذف: ژ [illegible] ژ .[٣٥٣]

المصلحة الثانية: جلب المصالح -المعروف عند أهل الأصول بالحاجيات- : فقد فتح القرآن الأبواب لجلب المصالح في جميع الميادين وسدّ كلّ ذريعةٍ تؤدي إلى الضرر ، قال تعالى : ژ [illegible] ژ .[٣٥٤] ولأجل هذا جاء الشرع الكريم بإباحة المصالح المتبادلة بين أفراد المجتمع على الوجه المشروع ليستجلب كلّ مصلحته من الآخر ، كالبيوع والإجارات[٣٥٥] والمساقاة[٣٥٦] والمضاربة[٣٥٧] ، وما جرى مجرى ذلك .[٣٥٨]

المصلحة الثالثة: الجري على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات ، وقد حض القرآن على ذلك كثيراً، قال تعالى: ژ [illegible] ژ[٣٥٩] ، فانظر ما في هذه الآية من الحضِّ على مكارم الأخلاق من الأمر بالعفو والنهي عن نسيان الفضل . وقال تعالى: ژ [illegible]

---

[٣٥١]- سورة الحجرات : ١٢ .

[٣٥٢]- سورة الحجرات : ١١ .

[٣٥٣]- سورة النور : ٤- ٥ . ينظر: أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن : ٣/ ١٣٥- ١٣٦ .

[٣٥٤]- سورة البقرة : ١٩٨ ، النساء : ٢٩ ، الجمعة : ١٠ .

[٣٥٥]- جمع إجارة ، ومعنى الإجارة :(العقد على المنافع بعوض وهو مال وتمليك المنفعة بعوض) . أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء ، للقونوي : ٢٥٩ ، التوقيف على مهمّات التعاريف ، للمناوي : ٣٥ .

[٣٥٦]- وهي :(معاقدة جائز التصرف مثله على نخل أو كرم مغروس معين مرئي مدة يثمر فيها غالبا بجزء معلوم بينهما من الثمرة المسامحة) . المصدر نفسه : ٦٥٣ . أو بمعنى : (دفع الشجر إلى من يصلحه بجزء من ثمره) . التعريفات ، للجرجاني : ٢٧١ .

[٣٥٧]- ومعناها :(عقد شركة في الرّبح بمال من رجل ، وعمل من آخر) . المصدران أنفسهما : ٦٦٠ ، ٢٨٧ .

[٣٥٨]- ينظر: أضواء البيان : ١٣٧/٣ .

[٣٥٩]- سورة البقرة : ٢٣٧ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ى ى يژ ، وقال : ژ ﮭ ﮮ ﮬ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ے

ے ۓ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ژ [٣٦٠] فانظر إلى ما في هذه الآيات من مكارم الأخلاق ، والمروءة بأن تُعامل من عَصى الله فيك بأن تُطيعه فيه . وقال تعالى: ژ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ژ [٣٦١] أي الأمر بالإحسان إلى المحتاجين والضعفاء .[٣٦٢]

.. هذا ونخلص إلى أنّ القرآن الكريم قد حلّ المشاكل العالميّة كلها والتي عجز عنها البشر، ولم يترك جانباً من الجوانب التي يحتاجها البشر في الدّنيا والآخرة إلا وضع لها القواعد وهدى إليها بأقوم الطرق وأعدلها .

ويزداد الوضوح عند التأمّل في أحوال الأنظمة والقوانين البشريّة التي يظهر عجزها عن معالجة المشكلات البشريّة ومسايرة الأوضاع والأزمنة والأحوال ، ممّا يضطر أصحابها إلى الاستمرار في التعديل والزيادة والنقص ، فيلغون غداً ما وضعوه اليوم ؛ لأنّ الإنسان محل النقص والخطأ ، والجهل لأعماق النفس البشرية ، والجهل بما يحدث غداً في أوضاع الإنسان وأحواله ، وفيما يصلح البشريّة في كلّ عصر ومصر .[٣٦٣]

وهذا دليل حسي مشاهد على عجز البشر كله عن الإتيان بأنظمة تصلح الخلق وتقوّم أخلاقهم وعلى أنّ القرآن الكريم كلام الله سليم من كلّ عيب ، كفيل برعاية مصالح العباد وهدايتهم إلى كلّ ما يصلح أحوالهم في الدّنيا والآخرة إذا تمسّكوا به واهتدوا بهديه[٣٦٤] ، قال تعالى : ژ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ژ .[٣٦٥]

وأمَّا العقوبات والحدود الشرعيَّة في الإسلام ، فهي ليست انتهاكاً لحقوق الإنسان - كما يزعمون-، بل هي من أعظم مقاصد تشريعها: حفظ حقوق الإنسان الديّنية والخلقيّة ، وكذا حفظ النسل والآداب للمجتمع ، كما أنّ في تنفيذها: تطهير للمكلف من ذنوبه ، وإرجاع له إلى الحالة السويّة ، إذ يعود محافظاً على أخلاقه وعلى حقوق المجتمع كله ، وفيها أيضاً ردع لعموم الناس من انتهاك الحقوق والتعدي عليها .[٣٦٦]

وفي هذا دلالة واضحة على أنّ الشريعة الإسلاميّة ، جاءت بحفظ تلك الضرورات ، وهي قاعدة عظيمة لحفظ حقوق الأفراد والمجتمعات العامّة والخاصّة ، ففي حفظ الدّين مثلاً إعطاء لحق التدين والعبادة ، وفي حفظ النفس منح لحق الإنسان في الحياة ، وفي حفظ النسل ، تأكيد لحق الإنسان في التزوج ، وحفظ المال يتضمن حق الإنسان في التملك والسّعي في الأرض وممارسة أنواع المعاملات كالبيع والشراء والشراكة والتجارة ، ونحوها وحفظ العقل فيه حق الحريّة في التفكير والتدبر ، وهكذا .

## الفصل السّادس

## القرآن والمجتمع

[٣٦٠]- الأيتان في سورة المائدة : ٢ ، ٨ .

[٣٦١]- سورة النساء : ٣٦ .

[٣٦٢]- ينظر: أضواء البيان : ١٣٧/٣ .

[٣٦٣]- ينظر: الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى : ٢/ ٨٦ .

[٣٦٤]- ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن : ٢٤٧/٢ .

[٣٦٥]- سورة الإسراء : ٩ .

[٣٦٦]- المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن الكريم : ٤٧ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن يستعرض كتاب الله تعالى يجد أنّ هنالك أهدافاً كثيرة ، يُمكنه حصرها في ثلاثة أمور ينطوي تحتها بعض الأوامر والنواهي ، وما يتصل بها من الصّالحات الباقيات ..

١- إصلاح حال العباد فيما بينهم وبين ربهم .

٢- إصلاح حال العبد فيما بينه وبين نفسه .

٣- إصلاح حال المجتمع الإسلامي ، وواجب كلّ فرد نحو هذا المجتمع الذي يعيش فيه سواء في أسرته أو مجتمعه أو في الدّولة وعَلاقاتها .

تلك أهداف ثلاثة يرتبط بعضها ببعض وأولها يُعدّ أساساً لثانيها وثالثها .. والهدف هو سعادة العبد في دنياه ولا يتمّ هذا الهدف الأسمى إلا بتحقيق هذه الأهداف الثلاثة .

وإذا كان الإسلام دين قوّة وعزة فإنّ مظهر هذه القوّة وكمال العزة متصل تمام الاتصال بقوّة المجتمع وعزته ، ومبلغ تمسّكه بمبادئ دينه . فكلّ عمل يصدر من الإنسان ، ولا يقوم على أساس من التقوى وصدق الإيمان وإتباع رسالة الله فهو لغو باطل ولو ألبسه صاحبه صورة من البرّ والإحسان وكلّ قول يصدر عن قلب لا يؤمن بالله فإنّ الله لا يرفعه غليه ، ويؤكد هذا القول ما جاء به القرآن الكريم في شأن من كفر ولم يؤمن بالله ربه ، يقول تعالى : ژ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ژ[٣٦٧]، ويقول كذلك في شأنهم : ژ ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ژ .[٣٦٨]

جاءَ رجلٌ وهو سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه إلى رسول الله r يسأله ، قال : قلتُ : يا رسول قُلْ لِي فِي الإِسْلاَمِ قَوْلاً لاَ أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ - وَفِى حَدِيثِ أَبِى أُسَامَةَ غَيْرَكَ - ، قال : « قل آمنتُ بالله ثمّ استقم » .[٣٦٩]

قال القاضي عياض رحمهُ اللّه : " هذا من جَوَامِع كَلِمه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو مُطابق لقَولهِ تَعَالَى : ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ ژ [٣٧٠] أي : وَحَّدُوا اللَّه ، وَآمَنُوا بِهِ ، ثُمَّ استَقَامُوا فَلَمْ يَحِيدُوا عَنْ التَّوْحِيد وَالتَزموا طَاعته سبحانه وتعالى إلى أن تُوفوا على ذلك " .[٣٧١]

وهذه إشارة من النبيّ r إلى أنّ الإيمان أوّلاً ؛ لأنه أساس لقبول الأعمال فالإيمان أساس والأعمال بعده للبناء ، ولا يعول على بناء من دون أساس .. ولذا يتبيّن أنّ معنى الهدف الأوّل من أهداف الإسلام هو عقيدة وأخلاق وشريعة .

ومن هدف الرّسالة الإسلاميّة إصلاح حال العباد أوّلاً فيما بينهم وبين ربهم ، وذلك بتحقيق الإيمان الصّادق وإذا عرف المسلم من أين يبدأ عمله ، وعرف أنّ الأساس الذي تبنى عليه الأعمال هو إصلاح القلوب وتطهير النفوس ، أدركَ أنّ القلوب المؤمنة تنبت فيها شجرة الضمائر الإسلامية الواعية وتقوم في هذه القلوب الرّقابة الدينيّة على كلّ عمل من أعمال الإنسان .

وهكذا يستعد لتحقيق الهدف الثاني من أهداف الرّسالة الإسلاميّة ، وهو إصلاح حالة العبد في خاصّة نفسه وذلك لا يكون إلا إذا استقام واستجاب لله ورسوله فلا يخرج من حدود الله فيما رسمته الشريعة الإسلامية وبيّنته السنة المحمّديّة ، ذاكراً في جميع أحواله قول الله تعالى : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ژ . وإذا

---

[٣٦٧]- سورة النور : ٣٩ .

[٣٦٨]- سورة إبراهيم : ١٨ .

[٣٦٩]- سنن النسائي الكبرى : باب : (سورة الدخان) ، رقم الحديث: (١١٤٨٩) : ٦/ ٤٥٨ ، شعب الإيمان : فصل : (في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه..) ، برقم: (٤٩٢٤) : ٤/ ٢٣٨ .. وكلاهما من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي ، عن أبيه .

[٣٧٠]- سورة فصلت : ٣٠ .

[٣٧١]- ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم : ١١٧/١ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كان الهدف الثاني من أهداف الرّسالة الإسلاميّة هو العمل الصّالح الذي تعود فائدته إلى الإنسان نفسه فيما يكسب من الصّالحات الباقيات ، فإنّ هذا يقتضي أن يكون على علم بما كلفته به الشريعة حتى يميز بين الحلال والحرام ، وبين الطيّب والخبيث .

أمَّا الهدف الثالث من الرسالة السّماوية فهو إصلاح حال المجتمع وواجب كلّ فرد نحو المجتمع الذي يعيش فيه ، والأصول التي اتفق فيها جميع الأنبياء في كلّ عصر : ژ ڑ ڑ ک ک ک گ گ ژ .[٣٧٢]

وقوّة الإسلام وعزته يرتبطان بقوّة المجتمع الذي يتمسّك بمبادئه ، ولذلك تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة على تشريع المبادئ القويمة والآداب الاجتماعيّة التي تربي المجتمع تربية دينيّة ويكون أفراد المجتمع كالبُنيان الواحد يشدّ بعضه بعضاً ، ويكون كالجسد الواحد: «... إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمّى » .[٣٧٣] ، بل : « الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِن اشْتَكَى عَيْنُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ وَإِن اشْتَكَى رَأسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ » .[٣٧٤]

ولا شكّ أنّ إصلاح المجتمع يتوقف على صلاح طائفتين : الطائفة المشرِّعة ، والطائفة المنفذة .. وبفساد إحداهما يفسد المجتمع . وإنّ الشريعة الإسلاميّة قد رسمت للناس منهج الحياة العزيزة الكريمة، وإنّ الله تعالى قد جاءهم بكتاب مبين ضمنه مصالح العباد وهو أعلم بما فيه نفعهم وقد ملأه بالنذر والتهديد ليقوم بذلك عوجهم، وأرسل إليهم الأنبياء وأنزل على نبيّنا هذا القرآن العظيم ؛ ليبيّن للناس ما نزل إليهم .

ومن أجل المحافظة على سلامة مجتمعاتنا الإسلاميّة فلا بدّ من التمسّك بالقوّة: ژ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۆ ۋ ۋ ۇ ې ې ژ [٣٧٥] ، والعدل: ژ ۋ ۇ ې ې ې ى ى ژ [٣٧٦] ، والتضامن: ژ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ژ ، والنظام والطاعة: ژ ې ى ى ژ [٣٧٧] ، ژ ی ی ئى ئى ئې ئې ژ [٣٧٨] ، وعدم تصديق الشائعات الكاذبة: ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ [٣٧٩]، والشورى: ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ژ [٣٨٠] ، والعمل الصّالح: ژ ڈ ژ ژ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ژ [٣٨١] ، والرِّضا والقناعة: ژ ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۆ ۆ ژ [٣٨٢] ، والأمانة: ژ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۆ ۋ ژ [٣٨٣] والصِّدق: ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ [٣٨٤] ، والصَّبر: ژ ژ [٣٨٥] ، والصُّلح: ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ھ

---

[٣٧٢]- سورة الشورى : ١٣ .

[٣٧٣]- صحيح مسلم : باب: (تراحم المؤمنين وتعاطفهم) ، رقم الحديث: (٦٧٥١) :١٦/ ٤٧١ ، مسند أحمد : يرقم: (١٨٨٧٠ ، ١٨٨٧٧) : ٤٠/ ٣٢ ، ٣٩ .. وكلاهما من حديث النعمان بن بشير t .

[٣٧٤]- صحيح مسلم ، من حديث النعمان بن بشير : باب: (تراحم المؤمنين وتعاطفهم) ، رقم الحديث: (٦٧٥٤) : ١٦/ ٤٧٤ .

[٣٧٥]- سورة الأنفال : ٦٠ .

[٣٧٦]- سورة النساء : ٥٨ .

[٣٧٧]- سورة النور : ٥١ .

[٣٧٨]- سورة النساء : ٥٩ .

[٣٧٩]- سورة الحجرات : ٦ .

[٣٨٠]- سورة الشورى : ٣٨ .

[٣٨١]- سورة النحل : ٩٧ .

[٣٨٢]- سورة النساء : ٣٢ .

[٣٨٣]- السّورة نفسها : ٥٨ .

[٣٨٤]- سورة الزمر : ٣٣ .

[٣٨٥]- سورة آل عمرن : ٢٠٠ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ﮬﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛﮊ[٣٨٦] ، وطهـــارة الكســـب: ﮋ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮊ[٣٨٧] ، ﮋ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿﮊ[٣٨٨] ، والتواصي بالرَّحمة والإحسان : ﮋ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﮊ [٣٨٩] وتجنب ما يُثير العداوة والبغضاء: ﮋ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﮊ[٣٩٠] ، وتكافل المجتمع وحماية الضعفاء: ﮋ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﮊ[٣٩١] ، ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ
ﮊ [٣٩٢] ، ﮋ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﮊ [٣٩٣] ، وإبداء روح السَّلام: ﮋ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮊ [٣٩٤] ، ورفض الاستعمار وولاية الأعــداء: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮊ .[٣٩٥] والابتعاد عن كلّ ما يؤدّي إلى فساد المجتمع من فتن: ﮋ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﮊ[٣٩٦] ، واختلاف وفرقة: ﮋ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﮊ[٣٩٧] ، ﮋ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮊ[٣٩٨] ، وفساد المتــرفين: ﮋ ﯥ ﯦ ﮊ [٣٩٩] ، والتمسُّك بالقديم الفاسد: ﮋ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﮊ [٤٠٠] ...

وممَّا تجدر الإشارة إليه أن الكثرة الغالبة في الآيات القرآنية اتجهت إلى مخاطبة الجماعة ممّا يدل علـــى أنّ القرآن الكريم يجعل صلاح المجتمع أساساً لصلاح الفرد ، وهو ما ذهبــت إليـــه النظريّـــات العلميّـــة الحديثة في علم النفس والاجتماع . فإذا ما اتجهنا إلى أخلاق الفرد ، تجلى نفس الهدف القرآني في تحقيق الكمال الخلقي للإنسان ، في مجموعة ضخمة من المعادن الخلقيّة التي لا تترك صغيراً ولا كبيـــرة فـــي السّلوك الإنساني ، الفاضل فيها أو الرّذيل إلا بيّنته ، فدعت إلى الفاضل بأعظم وأبلغ الأساليب تأثيراً فـــي النفس ونهت عن الرّذيل فيها وبيّنت شرّه بنفس الأسلوب المعجز .. ويمكننا الآن أن نـــدرج تحــت هــذا الفصل المطالب الآتية ؛ ليتسنّى لنا إيضاح ما تقدّم أكثر :

## المطلب الأوّل

## دعوة القرآن المجتمع إلى ترك الفساد ، وحثهم إلى الصّلاح

---

[٣٨٦]- سورة الحجرات : ٩ .
[٣٨٧]- سورة البقرة : ١٨٨ .
[٣٨٨]- سورة النساء : ٢ .
[٣٨٩]- سورة النساء : ٣٦ .
[٣٩٠]- سورة المائدة : ٩١ .
[٣٩١]- سورة البقرة : ٢١٥ .
[٣٩٢]- سورة آل عمران : ٩٢ .
[٣٩٣]- سورة البقرة : ٢٧١ .
[٣٩٤]- سورة الممتحنة : ٨ .
[٣٩٥]- السورة نفسها : ١ .
[٣٩٦]- سورة الأنفال : ٢٥ .
[٣٩٧]- سورة آل عمران : ١٠٥ .
[٣٩٨]- سورة الأنعام : ١٥٩ .
[٣٩٩]- سورة الإسراء : ١٦ .
[٤٠٠]- سورة الأعراف : ٣٨ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال تعالى : ژ ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ گ ژ والإفساد هنا : " فعل ما به الفساد والهمزة فيه للجَعْل أي جعل الأشياء فاسدة في الأرض " .[٤٠١] ولإعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحققاً كقوله تعالى : ژ ڭ ڭ ڭ ژ[٤٠٢] فالفساد : " انتقاض صورة الشيء " .[٤٠٣]

" وأصل الفساد هو استحالة منفعة الشيء النافع إلى مضرّة به أو بغيره ، وقد يُطلق على وجود الشيء مشتملاً على مضرّة وإن لم يكن فيه نفع من قبل يقال: فسد الشيء بعد أن كان صالحاً . ويُقال: فاسد إذا وجد فاسداً من أوّل وهلةٍ . وكذلك يُقال: أفسد إذا عمد إلى شيء صالح فأزال صلاحه . ويُقال: أفسد إذا أوجد فساداً من أوّل الأمر " .[٤٠٤]

والأظهر أنّ الفساد موضوع للقدر المشترك من المعنيين ، وليس من الوضع المشترك فليس إطلاقه عليهما كما هنا من قبيل استعمال المشترك في معنييه . فالإفساد في الأرض منه تصيير الأشياء الصّالحة مضرّة كالغش في الأطعمة ، ومنه إزالة الأشياء النافعة كالحرق والقتل للبراء ، ومنه إفساد الأنظمة كالفتن والجور ، ومنه إفساد المساعي كتكثير الجهل وتعليم الدّعارة وتحسين الكفر ومناوأة الصَّالحين المصلحين ولعلَّ المُنافقين قد أخذوا من ضروب الإفساد بالجميع فلذلك حذف متعلق ژ گژ تأكيداً للعموم المستفاد من وقوع الفعل في حيز النفي .[٤٠٥] وذكر المحل الذي أفسدوا ما يحتوي عليه وهو الأرض لتفظيع فسادهم بأنه مبثوث في هذه الأرض لأن وقوعه في رقعة منها تشويه لمجموعها . والمراد بالأرض هذه الكرة الأرضية بما تحتوي عليه من الأشياء القابلة للإفساد من الناس والحيوان والنبات وسائر الأنظمة والنواميس التي وضعها الله تعالى لها ونظيره قوله تعالى : ژ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ .[٤٠٦]

ژ ڱ ڱ ڱ ں ژ : " رد للناصح على سبيل المبالغة ، والمعنى : أنه لا يصح مخاطبتنا بذلك فإنّ شأننا ليس إلا الإصلاح ، وإنَّ حالنا متمحضة عن شوائب الفساد ؛ لأنّ إنما تفيد قصر ما دخلت عليه على ما بعده " .[٤٠٧]

فأفاد إنما هنا قصر الموصوف على الصّفة ردّاً على قول من قال لهم : ژ ڱ ڱ ژ ؛ لأنَّ القائل أثبت لهم وصف الفساد إما باعتقاد أنهم ليسوا من الصّلاح في شيء أو باعتقاد أنهم قد خلطوا عملاً صالحاً وفاسداً ، فردوا عليهم بقصر القلب وليس هو قصرا حقيقيا ؛ لأنّ قصر الموصوف على الصّفة لا يكون حقيقياً ، فجعلت جملة القصر اسمية لتفيد أنهم جعلوا اتصافهم بالإصلاح أمرا ثابتاً دائماً إذ من خصوصيات الجملة الاسمية إفادة الدّوام .[٤٠٨]

هذا وقد ذكر ابن الجوزي رحمه الله خمسة أقوال في تحديد معنى قوله : ژ ڱ ڱ ڱ ں ژ ..

أحدها: أنّ معناه إنكار ما عرفوا به ، وتقديره: ما فعلنا شيئاً يوجب الفساد .

---

٤٠١- التحرير والتنوير : ١٦٧/١ .

٤٠٢- سورة القيامة : ٤٠ . ينظر : الكشاف ، للزمخشري : ١٠٠/١- ١٠١ ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، والمعروف بـ(تفسير النسفي) :٢٠/١ .

٤٠٣- التوقف على مبهمات التعاريف : ٥٥٥ .

٤٠٤- التحرير والتنوير : ١٦٨/١ .

٤٠٥- المصدر نفسه . وينظر: جامع البيان في تأويل القرآن : ٧٥/١ .

٤٠٦- سورة البقرة : ٢٠٥ . التحرير والتنوير : ١/ ١٢٠ .

٤٠٧- أنوار التنزيل وأسرار التأويل والمعروف بـ(تفسير البيضاوي) : ٢٧/١ .

٤٠٨- التحرير والتنوير : ١٦٨/١ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والثاني: أنّ معناه إنّا نقصد الإصلاح بين المسلمين والكافرين ، والقولان عن ابن عباس رضي الله عنهما .
والثالث: أنّهم أرادوا مصافاة الكفار صلاح لا فساد ، قاله مجاهد وقتادة رضي الله عنهما .
والرّابع: أنهم أرادوا: إنّ فعلنا هذا هو الصّلاح وتصديق مُحمّد r هو الفساد ، قاله السّدي .
والخامس: أنهم ظنوا أنّ مُصافاة الكفار صلاح في الدّنيا لا في الدّين ؛ لأنّهم اعتقدوا أنّ الدّولة إن كانت للنبيِّ r فقد أمّنوه بمبايعته ، وإن كانت للكفار فقد أمّنوهم بمُصافاتهم ذكره .[٤٠٩]
ژ ڳ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ژ [٤١٠] ردّ عليهم في غرورهم وحصرهم أنفسهم في الصّلاح فردّ عليهم بطريق من طرق القصر هو أبلغ فيه من الطريق الذي قالوه ؛ لأنّ تعريف المسند يفيد قصر المسند على المسند إليه فيفيد قوله : ژ ڳ ں ڻ ژ قصر الإفساد عليهم بحيث لا يوجد في غيرهم ، وذلك ينفي حصرهم أنفسهم في الإصلاح وينقضه وهو جار على قانون النقض وعلى أسلوب القصر الحاصل بتعريف الجنس وإن كان الرد قد يكفي فيه أن يُقال : إنهم مفسدون بدون صيغة قصر إلا أنه قصر ليفيد ادعاء نفي الإفساد عن غيرهم . وقد يفيد ذلك أنّ المنافقين ليسوا ممّن ينتظم في عداد المصلحين ؛ لأنّ شأن المفسد عُرفاً أن لا يكون مُصلحاً إذ الإفساد هيّن الحصول ، وإنما يصد عنه الوازع فإذا خلع المرء عنه الوازع وأخذ في الإفساد هان عليه الإفساد، ثمّ تكرّر حتى يصبح سجيّة ودأباً لا يكاد يُفارق موصوفه .[٤١١]
وفي المقابل نجد أنّ القرآن قد حثّ على الإصلاح ودعا إليه ، وهو مهمّة الأنبياء ، كما قال خطيبهم شعيب عليه السَّلام : ژ ۓ ۓ ڭ ژ
ژ إنه القيام بشؤون الناس في معاشهم ومعادهم ، وحفظ حقوقهم ، فهو قبل كلّ شيء إرادة قويّة وعزم صارم وليس شعاراً أو ادعاءً ، بل نوع من التصحيح الشامل و منهجٌ جاد للتغيير نحو الأفضل وبرامج واضحة للبناء والعمل ، كما يقول شعيب u ژ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ژ وحينما يُعبّر عن هذه الإرادة لا يفرض رأياً خاصّاً ، ولا يُحاكم الناس لجزئيات صغيرة ، بل يطرح عليهم بكلّ وضوح حسب استطاعته : ژ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ژ[٤١٢] ، فالإصلاح ليس تكريساً لمنهج طائفةٍ معيّنة ، وعزلاً أو إقصاءً لمنهج طائفةٍ أخرى ، وليس تقريباً لخيار فئة من الناس وإبعاداً لخيار فئة أخرى، بل عرض وتبيين ، وإرادة للخير يقتنع به الناس ، ويشعرون حياله بالثقة والأمن ، وحفظ حقوقهم ودينهم وممتلكاتهم ، فالعمل الإصلاحي يجب أن يقصد به كل ما فيه مصلحة المواطن والوطن والناس جميعاً .[٤١٣]
إنَّ الأوضاع التي تفتقد الاستقرار قد تؤثر على حقيقة الإصلاح ومعناه ، كالأوضاع التي يشهدها العالم الإسلامي اليوم ، ممّا تشيع نوعاً من التحفز ، فالبلد الواحد تدافع فيه كلّ فئةٍ أو طائفةٍ أو عِرق عن مصالحها ، وتستشعر بأنها مُهدّدة ، وتسعى إلى أن تعوّض ما تراه من ظلم لها وهضم لحقوقها وإهدار لاحتياجاتها ، فترتفع وتيرة المطالب ، وتزداد الخطورة ويتحوّل ذلك إلى عمليّةٍ عكسيّةٍ ، فبدلاً من أن يكون تغييراً إيجابيّاً للأوضاع القائمة ومساعدتها على الاستقرار والأمن والتعايش والتصالح يصبح ذلك الشعور القاهر سبباً للسّعي إلى تحجيم الفئات الأخرى ، وازدرائها وتبخيسها ، والاصطراع معها وربما القضاء على البقيّة الباقية من الرّوابط التي تجمع بين هؤلاء الناس تحت

---

[٤٠٩]- زاد المسير في علم التفسير : ٣٢/١ .
[٤١٠]- سورة البقرة : ١٢ .
[٤١١]- التحرير والتنوير : ١٢١/١ .
[٤١٢]- سورة الغاشية : ٢١- ٢٢ .
[٤١٣]- ينظر: الإصلاح .. إرادة : ص١ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سقف واحد تجاه قضاياهم وحقوقهم جميعاً ، ومصير أمنهم واستقرارهم ، فالجهد الإصلاحي هو في أن نرفع رايةً واضحة للتعاون والعمل والتصحيح الجاد الذي يستهدف المجموع كله دون أيّة استثناءات .[٤١٤]

وجوانب الإصلاح والتغيير في العالم الإسلامي يجب أن تكون واسعة بسعة البلاء الذي يحلّ بها فمع أنّ عناصر الثراء والغنى والأهميّة موجودة في العالم الإسلامي ، إلا أنك تجدها أقلّ تفعيلاً واستغلالاً في وجوه التعمير والتنمية والبناء والإنتاج التي تحفظ تلك القوّة الاقتصاديّة على المدى البعيد ومع أنّ النفط - مثلاً- ثروة إسلاميّة كبيرة إلا أنك تجد أنّ تقنيّات استخراجه وصناعته آليات غربيّة ولا يزل العرب والمسلمون إلى اليوم بعيدين عن اكتشافها وتطويرها . وكذلك الزراعة وهي أحد أهمّ مصادر الدّخل في العالم الإسلامي تجد أنّ معظم تقنيّاتها مستوردة .[٤١٥]

أمَّا النموّ الاقتصادي في العالم الإسلامي بالعموم الذي يزخر بثروات ضخمة جداً فإنه لا يتجاوز ٢% ولا يزال دخل الفرد في العالم الإسلامي يتراجع بالنظر إلى زيادة عدد السّكان وربما في العالم العربي أكثر من ٧٠ مليون إنسان تحت خط الفقر ، وفي العالم الإسلامي كله رقم أكثر بكثير ، ونسبة البطالة في العالم العربي كله حوالي٢٠% ، والكثير من الشباب والفتيات يُواجهون مشكلة كبيرة لقلة فرص العمل وضآلة المساعدات .[٤١٦]

أمَّا التراجع السياسي فذلك أمر مشهود ، ولا يُمكن نسيان دوره في بذر الشقاق والاقتتال الطائفي والحروب الأهليّة الفتية التي يسمعها العالم كله ، ويعرفها ويُدرك أنها الأكثر حضوراً في البلدان العربيّة الإسلاميّة .. ويا لخيبة الأمل! والمشكلة الأساسية التي تحتاج للإصلاح هي في أنماط التفكير والنظر التي تحكم تلك المجالات كلها ، فتشيع فيها أسلوبها البعيد عن القيم الإسلامية والحِضاريّة والإنسانيّة .[٤١٧]

وفي معالجتنا لقضايانا لا زلنا ننتظر البطل المنقذ الذي يحيل طمي الفقر وأوحال التخلف عسجداً وذهباً وحتى في قراءتنا للتاريخ نقرأه مشدّدين على عنصر البطل الوحيد الذي يفعل الأفاعيل، دونما إدراك إلى أنها قضيّة جيل واع وتربية رشيدة قويمة ومجتمع عاقل يلد هذه الرّموز لتصبح نتيجة طبيعيّة لذلك وليست مثلاً شاذاً وفرداً واحداً يقلب كلّ شيء .[٤١٨]

إنَّ هذا الكون وهذه الحياة تسير ضمن سنن إلهيّةٍ وقواعد ثابتة للتقدم والتأخر ، والقوّة والضعف والازدهار والانحسار ؛ فالأنظمة التي تحكم البشريّة تسير ضمن سنن إلهيّةٍ في القديم والحديث على حدٍّ سواء ، والإنسان العاقل لا يركن إلى واقع مُعيّن ، ويستسلم له مهما كانت الضمانات ، فالإصلاح ليس مهمّة مؤقتة أو طارئة أو مقيّدة ، بل هو مشروع سرمدي قائم ، وعمليّة قويّة دائمة ، و ما دامت هناك أمّة ترغب في البقاء فعليها أن تكون منهمكة في عمل إصلاحي مستمر ، والمسلمون ليسوا استثناءً من أيّ قاموس كوني إلهي : ژ ڎ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڨ ڃ ڃ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ چ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ژ .[٤١٩]

وقبل أن أنهيَ هذا المطلب أودّ أن أشيرَ إلى أهمِّ الأسباب الدَّاعية إلى نشر الفساد في المجتمع من خلال الآيات القرآنيّة ، ومنها :

---

٤١٤- الإصلاح .. إرادة : ص١ .

٤١٥- المرجع نفسه .

٤١٦- المرجع نفسه .

٤١٧- المرجع نفسه .

٤١٨- الإصلاح .. إرادة : ص١ .

٤١٩- سورة النساء : ١٢٣- ١٢٤ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- الفتن ، قال تعالى : ژ ى ى ىيژ.[٤٢٠]

- الاختلاف والفُرقة : ژہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭژ ، ژ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍژ [٤٢١].

- فساد المترفين ، قال تعالى: ژ ىىژ.[٤٢٢]

- التمسّك بالقديم الفاسد – المخالف لشرع الله- : ژہ ھ ھ ے ے ۓ ۓژ .[٤٢٣]

إذن فإننا بحاجةٍ إلى إرادةٍ حاضرةٍ للإصلاح في العالم الإسلامي ، إرادة صادقة عند الكبار والصّغار؛ لأنّ الله سبحانه جعل التوفيق في الإرادة الحقيقيّة الصّادقة للإصلاح، فيجب علينا أن نضع هذه الإرادة بكلِّ قوَّة وعزيمةٍ ، يقول الله تعالى : ژ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک کژ .

## المطلب الثاني

## أثر القرآن في إصلاح أمن المجتمع

يعيش الإنسان على هذه الأرض ويتقلب في مناكبها ، ويسعى بين جنباتها ، وقد يعرض له ما يخيفه ويحذر منه ونتيجةً لذلك أصبح الأمن مطلباً ضروريّاً للإنسان في حياته . والمتأمّل في كتاب الله تعالى يجد أنّ القرآن الكريم قد كفل للإنسان أمنه وطمأنينته في حياته الدّنيا ، وفي حياته الأخرى .

والأمن الذي نادى به القرآن الكريم شامل وكامل في حياة الإنسان ،" ولا يتوفر الأمن بمجرد ضمانه لحياة الإنسان فحسب ، بل هو يحتاج إلى الأمن على عقيدته التي يؤمن بها ، وعلى هويته الفكرية والثقافية، وعلى موارد حياته الاقتصاديّة والماديّة " .[٤٢٤]

يقول تعالى ممتناً على قريش بما هيأه لها من الأمن دون سائر القبائل ، وليكون ذلك داعياً لها إلى عبادة الله تعالى وتوحيده : ژ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿژ .[٤٢٥] قال الحافظ ابن كثير : " أي تفضل عليهم بالأمن والرخص ، فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له ، ولا يعبدوا من دونه صنماً ولا نداً ولا وثناً " .[٤٢٦]

وقال تعالى مبيّناً أنّ الأمن الحقيقي يكون لمن آمن به ووحّده ولم يخلط إيمانه بشرك ، وإن غير ذلك من الأمن تبع له ، ويتضح ذلك في معرض قصّة إبراهيم u مع قومه : ژ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇژ .[٤٢٧]

ويبيّن القرآنُ العظيمُ أنّ الأمن الحقيقي والدّائم هو ما يكون يوم القيامة من دخول المؤمنين الجنة كما في قوله تعالى : ژ ۈ ۇٴ ۋ ۋژ .[٤٢٨] سالمين من الآفات ، مسلمًا عليكم ، ژۉ ژ من كلِّ خوف وفزع ، ولا تخشوا من موت ، ولا إخراج ، ولا انقطاع ، ، ولا مرض ، ولا فناء .[٤٢٩]

---

[٤٢٠]- سورة الأنفال : ٢٥ .
[٤٢١]- الآيتان في سورتي : آل عمران : ١٠٥ ، الأنعام : ١٥٩ .
[٤٢٢]- سورة الإسراء : ١٦ .
[٤٢٣]- سورة الأعراف : ٣٨ .
[٤٢٤]- الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام : ٨ .
[٤٢٥]- سورة قريش : ٣- ٤ .
[٤٢٦]- تفسر القرآن العظيم : ٤٩٢/٨ .
[٤٢٧]- سورة الأنعام : ٨٠- ٨٢ . وينظر: إرشاد العقل السّليم إلى مزايا القرآن الكريم ، لأبي السّعود : ١٢٣/٤ ، معاني القرآن الكريم : لأبي جعفر النحاس : ٤٥٣/٢ .
[٤٢٨]- سورة الحجر : ٤٦ .
[٤٢٩]- ينظر: زاد المسير : ٤٠٣/٢ ، تفسير القرآن العظيم : ٥٣٧/٤ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمَّا في هذه الحياة الدُّنيا فإنَّ الإنسان يتقلّب بين أمن وخوف ، ولكن في الحقيقة لا أمن ولا طمأنينة له إلا بالاعتصام بكتاب الله تعالى ، والإيمان به وعبادته سبحانه دون شريك له ، قال تعالى : ژ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ژ .[٤٣٠] " ولَيُبدلنّ بعد خوفهم من الناس أمنا وحكماً فيهم " .[٤٣١] وقال تعالى منبهاً على خصوصيّةٍ لبيته الحرام ، وهي خاصيّة الأمن دون سواه من البيوت : ژ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ژ .[٤٣٢] وبيّن تعالى أنَّ من دخل بيته الكريم فهو آمن، قال تعالى: ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ژ .[٤٣٣] قال الطبري : " وإذ جعلنا البيت مرجعا للناس ومعاذاً يأتونه كلّ عام ويرجعون إليه ، فلا يقضون منه وطرا " .[٤٣٤]

وبعد أن بيَّن الله تعالى أسباب الأمن الحقيقيّة في كتابه الكريم حذّر من مغبّة اختراقها ، والاعتداء على حقوق الله تعالى ، وحقوق الناس ، وأنّ ذلك مَدعاة للخراب والخوف والدّمار ، قال تعالى : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ .[٤٣٥] فمن عبد الله حق عبادته ، واستجاب لأمره ، جَمَع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة ، ومن عصاه سلبهما منه .[٤٣٦]

ومن الوسائل العظيمة التي شرعها القرآنُ الكريمُ كي يعمّ الأمن وتقوم الحياة على منهاج آمن صحيح : الحدود الشرعية ، وتنفيذ أحكام الله تعالى بين الناس ، قال تعالى : ژ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ژ .[٤٣٧] ولا ريب أنّ تشريعات القرآن العظيمة قد كفلت الأمن والسّعادة للإنسان في حياته الدّنيا الآخرة فكان التميّز القرآني المجيد على غيره من النظم والقوانين الوضعيّة ، والتي باتت ترنو إلى شيء من آثار القرآن الكريم وتشريعاته العالية الرّفيعة .[٤٣٨]

وإنَّ أهميَّة التشريع وضرورته لصلاح الحياة الإنسانيّة أمرٌ لا خلاف فيه فالحياة الإنسانيّة لا تصلح إلا بنظام ترجع إليه ، وتشريع تحتكم إليه ، ومن أخطر مشكلات الإنسان التي يواجهها في طريق بحثه عن السّعادة والأمن والاستقرار مشكلة التشريع الذي يرجع إليه في نشاطه ، والنظام الذي يحكمه في تصرّفاته والضوابط التي يلتزم بها في عَلاقاته مع عناصر الوجود كله .

والقرآن الكريم هو المصدر الأعلى الجامع لأصول التشريع ، والسنة النبويّة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع ، وهي تالية للقرآن الكريم في منزلة المصدريّة ورتبتها، وتجيء مبيّنة لمجمله، مفسرة لمبهمه مقيّدة لمطلقه ، محققة لشرطه والتطبيق العملي لنصوص الكتاب والسنة ووضع هذه النصوص موضع التنفيذ هو التطبيق الواقعي المستقيم لمقاصد الشريعة ، وهو التطبيق الذي جرى عليه الخلفاء الرّاشدون وعلماء الصّحابة في فتواهم وأمراء الولايات والفتوحات والجهاد في سياستهم وأحكامهم ومن استنّ سنّتهم وسار على دربهم إلى أن يرثَ اللهُ الأرضَ ومَنْ عَلَيْهَا .[٤٣٩]

---

٤٣٠- سورة النور : ٥٥ .

٤٣١- تفسير القرآن العظيم : ٧٧/٦ . قال الطبري : " وإنما سمّاه الله **(**أمْناً**)** ؛ لأنه كان في الجاهلية معاذاً لمن استعاذ به ، وكان الرّجل منهم لو لقي به قاتل أبيه أو أخيه ، لم يهجه ولم يعرض له حتى يخرج منه ، وكان كما قال الله جل ثناؤه:**(**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ**)**[العنكبوت:٦٧] " . جامع البيان في تأويل القرآن : ٢٩/٢ .

٤٣٢- سورة البقرة : ١٢٥ .

٤٣٣- سورة آل عمران : ٩٧ .

٤٣٤- جامع البيان في تأويل القرآن : ٢٦/٢ .

٤٣٥- سورة النحل : ١١٢ .

٤٣٦- ينظر: تفسير القرآن العظيم : ٤٩٢/٨ .

٤٣٧- سورة البقرة : ١٧٩ .

٤٣٨- ينظر: الدّعوة إلى التمسك بالقرآن الكريم وأثره في حياة المسلمين : ٩٢- ٩٥ .

٤٣٩- القرآن شريعة المجتمع : ١٥ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والحكم بما أنزل الله هو البرهان الأكبر على فهم المنهج الصّحيح والتزامه ؛ لأنّ اعتقاد شمولية الدّين لكلّ شؤون الحياة لا يتحقق إلا بالحكم بشريعة الله في كلّ هذه الشؤون، ولهذا فشلت تجارب لتطبيق الشريعة في بعض الدّول ، بل وأصبحت مجال شماتة الأعداء ؛ لأنها لم تقمْ على حكم الله تعالى بوعي وإيمان .

والقرآن الكريم بالمعنى الخالد هو الذي يجمع بين الأصالة بالمحافظة على دلالات النصوص التشريعيّة والمعاصرة المنسجمة مع مراعاة المصالح ودرء المفاسد ، وفهم الوقائع وملاحظة مقتضيات العادات والأعراف الصّحيحة لا الفاسدة .

لذا امتازت النصوص التشريعيّة في الإسلام بالمرونة والسّعة واستيعاب المستجدّات والمسائل الطارئة وهذا يُمهّد بيُسر وسهولةٍ لممارسة الاجتهاد المطلوب على يد أهل الحلّ والعقد لمجابهة التحديات وإدراك المشكلات ، ومحاولة التوفيق بين أهدافها وضغوطها وبين مقاصد الشريعة القائمة على رعاية المصالح العامّة ومقاومة المفاسد والمضارّ .[٤٤٠]

## المطلب الثالث

## دور القصّة القرآنيّة في إصلاح المجتمع

إنَّ اشتمال القرآن الكريم على ضرب المثل ، وحكاية القصّة ، له أثره الكبير في شدّ انتباه النـــاس، في حين تعدّ القصّة من مخاطبة الواقع الاجتماعي ، وتحريك عواطفهم ، ولاسيّما المتابعين لقراءتهـــا وتدبّرها ، فحينئذٍ نجدها وكأنّها تحاكي وتخاطب مجتمع الناس بفئاتهم المختلفة .

والقصّة بأسلوبها الفني وما تستدعيه في النفس ، كانت وسيلة من وسائل تطهير النفس لتســموا إلـــى الرؤية والإدراك الوجداني ، والقصّة القرآنية التي استخدمت كأسلوب من أساليب الإعـــلام والـــدّعوة القرآنيّة ، خاطبت العقل والشعور جميعاً ، فتحت أمام قلب الإنسان وعقله أبواب الإدراك واليقين ومن الواضح أنّ أهداف الأسلوب القصصي في القرآن ، يتصل في غالبية بالجانب الإيماني والـــدّيني وإن دعت أحياناً إلى غايات فاضلة وخيره من السّلوك التي يتحلى به المؤمنون والمتقون .[٤٤١]

وهي تمتاز بجمال فني معجز ، سواء في أسلوبها اللغوي ، أو بنيانهـــا الفنـــي وتصـــاعد الأحـــداث والمواقف - ويلاحظ في كثير من القصص القرآني أن تبدأ القصص بذكر ملخصها ثمَّ تعـــرض بعـــد ذلك تفصيلاتها من البداية وحتى النهاية ، وهو تناول يؤدّي إلى التشويق وإثـــارة انتبـــاه المســـتمعين واستدعاء مشاعرهم ، وفي أحيان أخرى تبدأ القصّة بتوضـــيح المغـــزى أو العاقبـــة ، ثـــمّ تســـرد التفصيلات- لتحقيق الأهداف نفسها المتصلة بإثارة الانتباه والتشويق مع ما في ذلك من تكثيف للهدف النهائي الدّيني السلوكي للقصّة بتأكيده في شعور الإنسان .[٤٤٢]

هذا ممَّا جعل لها دور بارز على المجتمع ، له تأثيره البالغ في تربيته وتهذيبه ، مع التماس العظـــات والعبر منها ممّا جعلها ذات فوائد عظيمة تتميّز بما يأتي :

١- إنها من واقع الناس ، فليست خياليّة ، ولا هي من نسج الأوهام والخرافات ، وبالتالي فإنّ ما فيه عبرة وعظة من هذه القصص الوقائع القرآنيّة ، يصلح للاقتداء والتطبيق فـــلا تصـــف فـــي جملـــة المثاليات التي يصعب تحقيقها ، فإنّ بعض الناس إذا دعي إلى بعض القيم والأخلاق الإسلاميّة، تذرّع

---

[٤٤٠]- ينظر: وسطية الإسلام وسماحته : ٣٥ .
[٤٤١]- ينظر: الإعلام في القرآن : ٢٦٢ .
[٤٤٢]- ينظر: الإعلام في القرآن : ٢٦٢- ٢٦٧ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بأنها مثاليات لا تتحقق في الواقع ، أو أنه لا يمكن فعلها في عصرنا ، فذكر الدّعاة لشيء من هذه القصص والأحداث والوقائع يزيل التصوّر الخاطئ في المجال العملي التطبيقي .[٤٤٣]

٢- إنّ ذكر القصّة القرآنيّة ، وتلمس الحلول للمشكلات الواقعيّة من خلالها ، يوجد حركة اجتماعيّه ومحاورات ذات جدوى يعود نفعه على المجتمع ؛ وذلك من خلال الاستدلال بها إنّ تتبع القصّة القرآنيّة من قبل الناس توجد فيهم قدراً كبيراً من أهل الغيرة ، وتحرّك التفاعل ، والمشاركة الجماعيّة والشجاعة الأدبيّة ، ممّا توقظ المشاعر ، والتفكير الجماعي ، إذ إنّ من الأمراض السّقيمة التي تفشت في كثير من المجتمعات اليوم ، أن يعيش الإنسان لنفسه فحسب ، فلا يبالي بمشكلات الآخرين ، بل لا يبالي لمشكلات جيرانه وإخوانه ، والأقربين منه ، وربما اعتقد أنّ الأمر لا يعنيه وتركه من حسن إسلامه وبذلك ضاقت مساحة الإصلاح في المجتمع وتقلصت وظيفة الأمر بالمعروف والتناصح والتعاون على البرّ والتقوى ، واتسعت مساحة الصّمت ، وعدم إنكار المنكر والتهيب من المناصحة والتذكير .[٤٤٤]

في حين أنّنا لمّا نقرأ القصَّة القرآنيَّة ، نجدها أحداثاً واقعيّة ، ممّا ينبغي علينا أن نتنبّه إلى أمر عقدي وهو أنّ هذه القصّة ثابتة باليقين ، إصلاحيّة بتمامها ؛ وذلك لاشتمالها على العِبَر والعِظات ولكونها مناسبة للوسط الذي يعيش فيه المخاطبون ، الذين لا تنبو عنها أسماعهم ، أو تمجّها عقولهم . ولا نتصوّرها قصّة خياليّة ، علماً أنّ القصّة القرآنيّة قد تميّزت عن غيرها بما يأتي :

١- التثبّت الشديد ، والتوثق الأكيد من وقوع القصّة أو الحادثة ، سواء بقراءتنا لها من خلال كتب التفسير الموثوق بها ، أو بسماعنا إيّاها من أفواه العلماء والدّعاة المصلحين المشهود لهم بالضبط والتثبت والإتقان ، بينما نجد القصّة الخياليّة مخالفة للواقع ، أو مجانبة بعض تفصيلاتها للحقيقة . لذا فإنّ التثبّت في النقل والأخبار منهج إسلاميّ أصيل ، يجب أن يراعيه المسلم في عَلاقاته المختلفة ولاسيّما خطباء هذه الأمّة ، ودعاتها ، ووعّاظها ومصلحيها ؛ لأنّ دائرة النشر لديهم أوسع من غيرهم ، والجمهور المتلقي منهم أكبر من غيرهم .[٤٤٥]

٢- إنَّ القصّة القرآنيّة مدعاة للتواصل والاستمرار في القراءة ، إذ تمثل دورة مكثفة مستمرّة وفائدة التواصل والاستمرار في كل الظروف ، وفي جميع الفصول والمواسم ، له دور كبير في إرساء المفاهيم الإسلاميّة ، وتقليل الشرّ والفساد ورفع مستوى الخير والصّلاح، والحث على الفضائل ، وحفظ الموضوعات المتعلقة بتصحيح العقيدة ، وتجنب الشرك بأنواعه وألوانه، وما يصون إيمانه ، ويحمي جناب التوحيد عنده ، ووعي الموضوعات الاجتماعيّة التي تتناول حياة المسلم في جوانبها الاجتماعيّة المتنوّعة ، وعَلاقات المُسلم المختلفة، وكذلك الموضوعات الأخلاقيّة التي تسمو بخلق المسلم وتزكي سلوكه ، وفهم الموضوعات التي تبصّر المسلم بفقه دينه ، ومعرفة الأحكام الشرعيّة في شؤون حياته المختلفة ، وإدراك الموضوعات السياسيّة التي تبصّر المسلم بواقع أمّته ، وهموم مجتمعه ، وحقوق إخوانه المسلمين ، وواقع الأقليّات المسلمة في البلاد الأخرى .[٤٤٦]

وإذا ما قرأنا الآيات القرآنيّة بتمهل وتدبر وجدنا أنّ الدّعوة القرآنية توجّه الإنسان إلى حقيقة خالدة وتسلكه في هذا التيار المتدفق للإيمان ، وترفع منزلته حين تصله بالمؤمنين من بدء الخليقة وتحذره

---

[٤٤٣]- ينظر: خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة : ٤١ .
[٤٤٤]- ينظر: المرجع نفسه : ٤٢ .
[٤٤٥]- ينظر: المرجع نفسه : ٤٣ .
[٤٤٦]- ينظر: المرجع نفسه : ١٩٨ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عاقبة الكافرين والجاحدين ، وبذلك يشعر الإنسان أنه واحد في الصّف المؤمن ، وأنه فرد في مجتمع المؤمنين الممتد عبر الزمن ويزوده ذلك ترصيد شعوري كبير يمدّه بالعزة والقــوّة والصّــبر ؛ لأنــه واحد من صفوة بني الإنسان .

## المطلب الرّابع
## الأسلوب القرآني في مُخاطبة الرُّوح الجماعيَّة

تتجلى عظمة الأسلوب القرآني في تزكية روح الاجتماع في الإنسان وإثراء الأخوّة الإنسانيّة التي تقود إلى الخير والنجاح ، يقول عز وجل في ذلك : ژ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ژ .[٤٤٧]

بهذا الحب الذي يبثه الأسلوب القرآني نهض مجتمع الإسلام الأوّل الفريد في تاريخ البشرية مجتمع كل فرد فيه امّة ، وهو على ضخامة شخصياته وإيجابيّتها العجيبة الفذة ، متحاب مترابط لا تكاد تحسّ أين يبتدئ كيان كلّ واحد منهم ، وأين ينتهي الأخر ؛ لأنّ الحب قد أزال الحدود . والأسلوب القرآني يغذي روح الاجتماع بتوجيهاته الدّائمة إلى التعاون والتشاوُر والوفاق ، ويحث المؤمن على أن يحب إخوانه المؤمنين ويحسن إليهم : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ، ژ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ، ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ژ ، ژ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ژ .[٤٤٨] [٤٤٩]

فاعتنى الإسلام بتكوين روح الجماعة لدى المسلم إلى جانب تكوين روح الاعتداد بالنفس لديه ، حتى يتكون المجتمع من أفراد أقوياء متعاونين متحابين متساندين صفًا واحدًا كأنهم بُنيانٌ مرصوص تتكاتف جهودهم للعمل لهذا الدّين والانتصار له وإقامة الأمّة الإسلاميّة القويّة المنيعة التي تتأبى على الذلّ والهوَان ، وتترفع عن الخضوع للكفار والتبعية لهم .

ومن الطرق التي سلكها الإسلام لتكوين الرّوح الجماعيّة لدى المسلم: تقوية أواصر الأخوة الإسلامية بين المسلمين والتحذير من كلّ ما يزعزعها . وتكوين الوعي الكامل بوحدة الأمّة الإسلامية وترابط مصالح الفرد والجماعة . وتقرير المسؤوليّة الجماعيّة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والتأكيد على الجماعة في الشعائر التعبديّة المشروعة أداؤها جماعة كالصّلاة المفروضة . والدّعوة الصّريحة إلى لزوم جماعة المسلمين وترك التفرّق .[٤٥٠]

وإذ يهتم الإسلام هذا الاهتمام الكبير بأن يكون المسلم متآلفاً مع الجماعة ، فإنه لا يترك هذه الرّوح الجماعيّة بدون شروط تجب مراعاتها ، ولهذا جاءت النصوص الكثيرة تبيّن هذه الشروط التي يجب توفرها في تنمية الرّوح الجماعيّة ، ولعلّ أهمّ هذه الشروط أن يكون الاجتماع والتآلف والتآخي على أساس الإيمان والتقوى والعمل الصّالح ، كما قال تعالى: ژ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ژ .[٤٥١]

ومن هذا الباب جاء الحث على اختيار الرّفقة الصّالحة ، حتى تكون وسيلة للتعاون على الخير والمحافظة على شخصية المسلم ووقايتها من الذوبان والانحلال الذي ربما جرّ -والعياذ بالله- إلى التشبه بالكفار .

---

[٤٤٧]- سورة الحشر : ٩ .
[٤٤٨]- الآيات – بالترتيب- في سور : المائدة : ٢ ، آل عمران : ١٠٣ ، الفتح : ٢٩ ، الشورى : ٣٨ ، الحجرات : ١٠ .
[٤٤٩]- الإعلام في القرآن : ٣١٨ .
[٤٥٠]- ينظر: موسوعة الخطب والدروس : ١٥ .
[٤٥١]- سورة التوبة : ١١ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فعن أبي موسى t قال : قال رسول الله r : « مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ ، وَكِيرِ الْحَدَّادِ ، لاَ يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ ، وَكِيرُ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ أَوْ ثَوْبَكَ أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً » .[٤٥٢]

ويُغذّي القرآن الأمّة بالخطاب الجماعي والتوجيهات الجماعيّة .. التي تلقي المسؤوليّة على الجماعة كلها متساندة ؛ لأنها ــ في الواقع ــ مسؤوليّة كلّ فرد ومسؤوليّة الجميع ، قال تعالى : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ژ ، ژ ی ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ژ ، ژ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ژ ، ژ ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ژ .[٤٥٣]

.. وهكذا تتحد الجماعة في الهدف ، وتتحد في العمق فتلتقي القلوب لترتبط كلها بالله في النهاية ، فلا يقوم بينها الشقاق والخصام ، وتلتقي النزعة الفرديّة المؤمنة الخلاقة والنزعة الجماعيّة الدّاعية إلى الخير كلتاهما في كلّ واحد يعمل لتحقيق مجتمع الله المتصف بالكمال والمغفرة والعفو ، وخرج منها الإنسان بمعرفة جديدة ، هي عداء الشيطان له ليباعد بينه وبين ربه .

## المطلب الخامس

## القرآن والمجتمع اليماني

إنّنا لسنا بحاجةٍ إلى تأكيد فكرة ارتباط المجتمع اليماني بالقرآن الكريم ، باعتباره المصدر الأوّل للتشريع الإسلامي الذي يُؤمن به جميع الناس في هذا البلد المعطاء[٤٥٤] ، ولا أعتقد كذلك أنّ أحداً يُجادلُ في أهمّيّة أن يكون هذا القرآن مصدراً لكلّ التشريعات ، ولكلّ المسلمين في العالم دولاً وأفراداً ما داموا يرون أنّ هويّتهم هي الإسلام وليست شيئاً آخراً يتلقفونه من هنا وهناك .

وأهميّة القرآن في حياتنا هي التي جعلت أبناء هذا البلد يتحدّثون عن القرآن ومكانته في حياتنا، وهي التي جعلتهم يولون هذه المكانة بصورة عمليّة ما تحتاجه من أعمال ؛ لكي تحقق النتائج المطلوبة منها في حياة الناس كلهم .

---

[٤٥٢]- صحيح البخاري : باب: (في العطار وبيع المسك) ، رقم الحديث: (٢١٠١) :١٦/٨ ، صحيح مسلم : باب: (استحباب مجالسة الصالحين) ، برقم: (٦٨٦٠) :١٠٨/١٧ .. ولفظ مسلم هو: « إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً » .

[٤٥٣]- الآيات ــ بالترتيب ــ في سورة : آل عمران :١١٠ ، الأنفال : ٢٥ ، التوبة : ١٢٣ ، مُحمّد : ٧ ، الحجرات : ٦ ، الصف :١٠-١١ .

[٤٥٤]- إنّ قوانين الجمهوريّة اليمنيّة مستمدة من أحكام الشرع ، استناداً إلى دستور الجمهوريّة لعام ١٩٩٤م ، التي نصّت المادة الثالثة منه على أنّ : (الشريعة الإسلاميّة مصدر التشريعات جميعاً) . القضاء الإداري في اليمن (الأسس العامّة) : د. محمد محمد الدرّة ، ط٣جامعة تعز / اليمن ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م : ٢٧ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن أجل تلك الأهميّة انبثقت هذه المسابقة حول (القرآن ودوره في إصلاح المجتمع) برعايةٍ كريمةٍ وطيّبةٍ من ذوي الفقيد الرّاحل الحاج هائل سعيد -عليه رحمات الله تعالى- ، بوساطة صرحهم العلميّ الكبير ، مؤسسة الحاج هائل سعيد الثقافيّة - جزاهم الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء- .

ولمكانة كتاب الله تعالى ، فقد أولت وزارتي التربية والتعليم العالي أهمّية كبرى في تحفيظ القرآن الكريم للطلبة والطالبات ، ويُدعمان المسابقات في هذا الميدان ، بل هنالك أقسام عدة تابعة لكليتي الآداب والتربية ، وعلى مستوى محافظات جمهوريّة اليمن السّعيد[٤٥٥] ، يختصّ بعضها بالقرآن وعلومه وبعضها بالدّراسات الإسلاميّة كافة وفي مقدمتها دراسة الكتاب والسنّة .

ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ فحسب ، بل هنالك جامعات إسلاميّة كجامعة الإيمان ، والتي لا يتخرّج الطالب الأكاديمي منها حتى يحفظ القرآن الكريم كله ، وكليّات للقرآن الكريم ، والعلوم الشرعيّة .. وفي بعضها الآخر أقسام متخصّصة في تدريس القرآن وعلومه ككلية الآداب والتربية عامّة على مستوى الجمهوريّة اليمنيّة ، والتابعة لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي .

وكذلك الكليّة العُليا للقرآن الكريم وتعليم القراءات ، ومركز الشاطبي لتعليم القراءات القرآنيّة وكلاهما في العاصمة صنعاء .. وبترخيص من قبل وزارة الشؤون الاجتماعيّة في الجمهوريّة . فضلاً عن المعهد العالي للتوجيه والإرشاد لتخريج الأئمّة والخطباء والدّعاة في صنعاء ، وفرعه الثاني في عدن .. التابع لوزارة الأوقاف والإرشاد في الجمهوريّة .

كما أنَّ وزارة الأوقاف والإرشاد ، ووزارة الشؤون الاجتماعيّة يشرفان ويتبنّيان المدارس الدّينيّة المسمّاة بـــ(المراكز الشرعيّة) ، والجمعيات الخيريّة لتحفيظ القرآن الكريم في محافظات الجمهوريّة وحواضرها بحيث أصبح عددها حاليا ما يُقارب (٣٠٠) مركز – كحد أدنى- لتحفيظ القرآن الكريم للذكور والإناث ، متضمّناً ذلك حلقات فرعيّة على نطاق واسع في المُحافظات كلها . وكذلك حفظ صحيحي البخاري ومسلم مع إجراء المسابقات لذلك . و(٣٠) جمعيّةٍ بين خيريّة ، وإصلاحيّةٍ ، وعلميّة – كحد أدنى أيضاً – بالنسبة للأصول دون الفروع على مستوى الجمهوريّة .[٤٥٦]

.. هذا بالنسبة على نطاق التعليم ، وأمَّا عن حريَّة الإعلام الدَّاعي له القرآن الكريم فقد تميَّزت جمهوريَّة اليمن بنصٍّ مادة (٤١) على أنّ : " لكلٍّ مواطن حق الإسهام في الحياة السياسيَّة

---

[٤٥٥]- ينظر: كتاب الإحصاء السّنوي ، لعام (٢٠٠٤م) : وزارة التخطيط والتعاون الدّولي – الجهاز المركزي للإحصاء - ، ط مؤسّسة الثورة - اليمن ٢٠٠٤م :٢٤٩- ٢٦٢ .

[٤٥٦]- جمعتُ هذه المعلومات كلها ، بوساطة الأخ العزيز مدير إدارة تحفيظ القرآن الكريم ، ورئيس قسم التوجيه والإرشاد في محافظة إب عند زيارتي له .. ، وقد أوعدني خيراً بتزويدي بالمصادر المختصّة لاحقاً إن شاء الله تعالى ، إذ قال لي هذا الكلام كله مدعم بوثائق ومصادر .. علماً أنّني بذلتُ جهداً من أجل الحصول على بعض المصادر في هذا الشأن .. لكن للأسف لم أقف عليها .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والثقافيَّة ، وتكفل الدّولة حريَّة الفكر ، والإعراب عن الرَّأي بالقول والكتابة والتصوير في حدود القانون " .[٤٥٧]

وهذا ما نراه اليوم ونسمعه من الإعلام اليمني الذي بقي وما يزال حريصاً على توجيه المجتمع وإرشاده من خلال المحاضرات والندوات التي يُلقيها سعادة العلماء والدّعاة والأساتذة الفضلاء، وبث روح التسامح والتصالح بين أبناء هذا المجتمع الواحد ، وذلك من خلال الإذاعات المرئيّة والمسموعة .. ولا أبالغ إذا قلتُ إنّ الفضائيّة اليمنيّة متميّزة عن بقيّة فضائيّات البلدان الأخرى في تحفظها عن إخراج وإعلان كلّ ما يؤدّي إلى التفسخ الخُلقي ، أو فساد المجتمع .

وأمَّا عن حريَّة الصحافة والمطبوعات ، وإبداء الآراء المختلفة فقد نصّت مادة (٥) من القانون (٢٥) لسنة ١٩٩٠م على أنّ :"الصّحافة حرّة فيما تنشره ، وحرّة في استيفاء الأنباء ، والمعلومات من مصادرها ، وهي مسئولة في حدود القانون" .[٤٥٨]

ولا شكَّ أنه أصبح لوسائل الإعلام في اليمن دور مهم في الرّقابة على أعمال الإدارة ، نتيجة ما تحضى به الصّحافة من حريّةٍ بفضل التوجيه الديمقراطي ، فعن طريق ما تنشره من أخبار تكشف انحرافات تلك الإدارة وتجبرها على تصحيح أخطائها . وإنّ نشر مثل هذه الانحرافات تؤدي إلى إطلاع أكبر عدد مُمكن من الأفراد على حقيقة مجريات الأمور .[٤٥٩]

ولا يفوتني أن أذكر ما تقدّمه وزارة الأوقاف والإرشاد من خدمةٍ جليلةٍ تجاه أهل العلم ، من إقامة دورات صغرى على نطاق المحافظة ، وكبرى على نطاق الجمهوريّة ، وتعني تلك الدورات بالتوجيه والتقوية لإعداد خطباء متميّزين في الشخصيّة والأداء .

وكذلك فتح دوراتٍ تعليميّةٍ وإرشاديّة – بدءاً بهذا العام - ، لتوعية الحجاج والمعتمرين ، عند مقربة وقت أداء فريضة الله تعالى ، وذلك على مستوى الجمهوريّة ، وعلى حسب المديريّات التابعة لوزارة الأوقاف والإرشاد .

إذن فمن الواضح أنّ القرآن الكريم يحتاج لكلّ ما أشرتُ إليه ، كما أنه يحتاج إلى أكثر من ذلك بكثير؛ لأنه هو الذي يجب أن يدير شؤون حياتنا كلها ، ونحن إن جعلناه يفعل ذلك فإننا سنبني مجتمعاً مثاليّاً يتحقق فيه الأمن والعدل وكلّ سُبُل الحياة التي يحتاجها كلٌّ منا وبقدر بُعدنا عنه تتعقد تلك الحياة الكريمة التي نتطلع إليها .

والقرآن الكريم من أهمّ المصادر التي يُمكنه إصلاح ذلك كله لو قدّم للشباب بصورة جيّدة مظاهر العنف -بكلّ أنواعه- بدأت تسري في جسد المجتمع وبعضهم يتكئ على القرآن في تسويغ

---

[٤٥٧]- الجريدة الرّسميّة ، العدد (١٩) ، الجزء الثاني ، لعام ١٩٩٤م . نقلاً عن القضاء الإداري في اليمن (الأسس العامّة) : ١٢١ .

[٤٥٨]- القضاء الإداري : ١٨٧ .

[٤٥٩]- ينظر: المرجع نفسه .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذا العنف فأين ذلك كله من الفهم الصّحيح للقرآن الكريم ؟ وهل يُمكن أن ننقل ذلك الفهم لأبنائنا؛ كي نقضي على ذلك العنف المدمّر؟.

القرآن الكريم خيرٌ كله لكننا نريد أن ننقل حروفه وكلماته ومعانيه لشبابنا بصورة جيّدة تحقق لهم الخير كما تحققه في الوقت نفسه للمجتمع الذي يعيشون فيه .

وهناك أصوات نشاز تطالب بإلغائها وتغلف تلك المطالبة بقضايا واهية ، وكأنّ هذه المدارس في نظرهم أصبحت خطراً على المجتمع وعبئاً عليه .

القرآن الكريم يجب أن يكون فاعلاً في حياتنا ، نراه قولاً وعملاً ، يحقق لنا الحِضارة الماديّة والمعنويّة بكلّ أنواعها وألوانها ، ولكي يكون كذلك لابدّ أن نهيّئ أشخاصاً قادرين على القيام بذلك الدّور ، ولابدّ أن يكون المجتمع كله واقفاً معهم ؛ كي يتحقق الخير الذي نأمله .

هذا وسأتعرّض في الصَّفحات الآتية – إن شاء الله- لبعض المفاهيم التي تبلورت لدينا مسائل الإصلاح مع الاعتراف بالقصور والتقصير ، وكون ما نقوله لا يعدو أن يكون اجتهاداً يحتمل الخطأ والصّواب إنما المراد أن نثري السّاحة الدعويّة بالأفكار الإيجابيّة .. وعلى الله قصد السّبيل .

.. وأخيراً ، فإنه من خلال هذه الوقفات القرآنيّة تتجلى لنا طبيعة منهج هذا الدّين ، كما يتمثل في القرآن الكريم .. إنها طبيعة حركية تواجه الواقع البشري بهذا القرآن مواجهة واقعية عمليّة ..

فقد كان هذا الكتاب يتنزل على رسول الله r في مكة ، والقلة المؤمنة معه محصورة بين شعابها والدّعوة الإسلاميّة مجمّدة فيها ، والطريق شاق طويل لا يكاد المسلمون يرون له نهاية! فكان هذا النور يكشف لهم عن نهاية الطريق ، ويريهم معالمه في مراحله جميعاً ويأخذ بأيديهم وينقل خطاهم في هذا الطريق ، وقد بات لاحباً موصولاً بموكب الدّعوة الكريم على مدار التاريخ البشري ، وبات بهذا الرّكب الكريم مأنوساً مألوفاً لا موحشاً ولا مخوفاً! . . إنهم زُمرة من موكب موصول في طريق معروف ، وليسوا مجموعة شاردة في تيه مقطوع! وإنهم ليمضون من نقطة البدء إلى نقطة الختام وفق سنة جارية ، ولا يمضون هكذا جزافاً يتبعون الصُّدفة العابرة! .[٤٦٠]

هكذا كان القرآن يتحرّك في الصّف المسلم ، ويحرّك هذا الوصف حركة مرسومة مأمونة .. وهكذا يُمكن اليوم وغداً أن يتحرّك القرآن في طلائع البعث الإسلامي ، ويحركها كذلك في طريق الدّعوة المرسوم ..

إنَّ هذه الطلائع في حاجةٍ إلى هذا القرآن تستلهمه وتستوحيه . تستلهمه في منهج الحركة وخطواتها ومراحلها ، وتستوحيه في ما يصادف هذه الخطوات والمراحل من استجابات، وما ينتظرها من عاقبةٍ في نهاية الطريق .

والقرآن بهذه الصّورة لا يعود مجرد كلام يتلى للبركة . ولكنه ينتفض حياً يتنزل اللحظة على الجماعة المسلمة المتحركة ، لتتحرك به ، وتتابع توجيهاته ، وتتوقع موعود الله فيه .

---

[٤٦٠]- ينظر: في ظلال القرآن : ١٩٤٨ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهذا ما نعنيه بأنَّ هذا القرآن لا يتفتح عن أسراره إلا للعصبة المسلمة التي تتحرّك به لتحقيق مدلوله في عالم الواقع . لا لمن يقرأونه لمجرد التبرّك! ولا لمن يقرأونه لمجرد الدّراسة الفنيّة أو العلميّة ، ولا لمن يدرسونه لمجرد تتبع الأداء البياني فيه! .

إنَّ هؤلاء جميعاً لن يدركوا من هذا القرآن شيئاً يذكر . فإنّ هذا القرآن لم يتنزل ليكون مادة دراسة على هذا النحو ، إنما تنزل ليكون مادة حركة وتوجيه ..[٤٦١]

إنَّ هؤلاء وحدهم الذين يفقهون هذا القرآن ؛ لأنهم يعيشون في مثل الجو الذي نزل فيه : ويحاولون المحاولة التي كان يحاولها من تنزل عليهم أوّل مرة ، و يتذوقون في أثناء الحركة والجهاد ما تعنيه نصوصه ؛ لأنهم يجدون هذه المعاني ممثلة في أحداث ووقائع . . وهذا وحده جزاء على كلّ ما يصيبهم من عذابات وآلام .

.. هذا ويطول بنا الحديث إلى غير حدٍّ ، إذا أردنا أن نتقصّى ما أورده القرآن الكريم في توجيهه المؤمنين إلى العوامل التي تحفظ مجتمعهم ، وتمكن له أسباب البقاء سليماً طاهراً يمضي على طريق الله والخير .

وممَّا تجدر الإشارة إليه أنّ الكثرة الغالبة في الآيات القرآنيّة اتجهت إلى مخاطبة الجماعة ممّا يدلّ على أنّ القرآن الكريم يجعل صلاح المجتمع أساساً لصلاح الفرد ، وهو ما ذهبت إليه النظريات العلميَّة الحديثة في علم النفس والاجتماع . فإذا اتجهنا إلى أخلاق الفرد ، تجلى الهدف القرآني نفسه في تحقيق الكمال الخلقي للإنسان في مجموعةٍ ضخمةٍ من المعادن الخُلقيّة ، التي لا تترك صغيرة ولا كبيرة في السّلوك الإنساني ، الفاضل فيها أو الرّذيل إلا بيّنته فدعت إلى الفاضل بأعظم وأبلغ الأساليب تأثيراً في النفس ، ونهت عن الرّذيل فيها وبيّنت شرّه بالأسلوب المعجز نفسه .

.. وبهذا نختم القول بأنّ طريق الخلاص وعنوان السّعادة التمسّك بكتاب الله تعالى ، ذلك الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وكذلك التمسك بالسنة المطهرة الثابتة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فإنهما أي الكتاب والسنة هما المصدران الوحيدان لعقيدة الإسلام وشريعته .

فأيّ منهج جانبَ هذا الطريق فإنه منهج خاسر ، فالتمسك بالقرآن الكريم هو سبيل المؤمنين وطريق الوصول إلى مرضاة ربّ العالمين ، والحصن الحصين ، وهذا هو المنهج الذي يحفظ الله به الأمّة من بدع المُبتدعين وانتحال المُبطلين ، وتأويل الجاهلين وتحريف الغالين وهو الطريق الذيَ صلحت به أحوال الأمّة في صدر الإسلام ، ولا فلاح لنا ولا نجاح إلا بالرّجوع إليه منهجاً ، ودستوراً .

هذا وأرى أن أقتصر في هذا الباب عل ما مضى ؛ لأنه سيأتي في الباب الثاني ما يُمكن أن يغني عن الإطالة هنا في هذا الموضوع إن شاء الله تعالى .

---

[٤٦١]- ينظر: في ظلال القرآن : ١٩٤٨ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

# الباب الثاني
# دور القرآن في إصلاح المجتمع

ويحتوي الفصول الآتية ...

- الفصل الأوّل : دور القرآن في إصلاح المجتمع عقدياً .. ويشمل ما يأتي :
  - المبحث الأوّل: أثر القرآن في إصلاح البناء الفكري
  - المبحث الثاني: أثر القرآن في الدّعوة إلى الاعتدال الفكري
  - المبحث الثالث: دور القرآن في إصلاح مشكلة الغلو
  - المبحث الرّابع: فتنة التكفير وضرره على المجتمع
- الفصل الثاني : دور القرآن في إصلاح المجتمع من حيث العبادة .. ويحتوي ثلاثة مباحث :
  - المبحث الأوّل: ضرورة الدّين لإصلاح المجتمع
  - المبحث الثاني: أثر القرآن في تيسير التشريع والتكليف



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- المبحث الثالث: الوسطيّة في التشريع والتكليف

- الفصل الثالث : دور القرآن في الإصلاح الدّعوي .. ويتضمّن مبحثين أساسيين هما:
  - المبحث الأوّل: دور القرآن في إصلاح الدّعوة .. ويشمل المطالب الآتية :
    المطلب الأوّل: أهميّة الدعوة في إصلاح المجتمع
    المطلب الثاني: أثر القرآن في إصلاح خطبة الخطيب
    المطلب الثالث: أثر القرآن في الدّعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
  - المبحث الثاني: دور القرآن في إصلاح الدّعاة

- الفصل الرّابع : دور القرآن في إصلاح المجتمع خُلقياً .. ويحتوي المطالب الآتية :
  المطلب الأوّل: أثر القرآن في الدّعوة إلى تعاون أفراد المجتمع
  المطلب الثاني: دعوة القرآن إلى إنصاف المجتمع
  المطلب الثالث: دعوة القرآن إلى إصلاح التآخي والمحبة بين الأفراد
  المطلب الرّابع: أثر القرآن في إعلام مصادر الإلزام الخُلقي

- الفصل الخامس : دور القرآن في إصلاح النظام الاجتماعي .. ويتضمّن ما يأتي :
  - المبحث الأوّل: دور القرآن في إصلاح نظام الأسرة واستقراره
  - المبحث الثاني: أثر القرآن في إصلاح التربية والتنظيم والتعليم
  - المبحث الثالث: دعوة القرآن إلى المحافظة على النفس والصّحة
  - المبحث الرّابع: دور القرآن في إصلاح حقوق المرأة
  - المبحث الخامس: أثر القرآن في إصلاح المُساواة بين الرّجل والمرأة
  - المبحث السّادس: دعوة القرآن إلى تطوّر المجتمع حِضاريّاً
  - المبحث السّابع: أثر القرآن الكريم في إصلاح حقيقة التغيير
  - المبحث الثامن: صلاح الفرد بصلاح المجتمع
  - المبحث التاسع: توسيع الشريحة الوسطى مهمّة إصلاحيّة كبرى

- الفصل السّادس : دور القرآن في إصلاح النظام الاقتصادي .. ويحتوي أربعة مطالب:
  - الأوّل : أثر القرآن في إحكام النظام الاقتصادي
  - الثاني : دور القرآن في إصلاح كسب المال وإنفاقه
  - الثالث : دور القرآن في إصلاح المال وحفظه
  - الرّابع : أثر القرآن في تكامل نظام المسؤوليّة المدنيّة والجنائيّة

- الفصل السّابع : دور القرآن في إصلاح السّياسي (دعوة القرآن إلى بناء الدّولة وإصلاحها) .. ويشمل المباحث الآتية :
  - المبحث الأوّل: دور القرآن في إصلاح مبدأ الشورى
  - المبحث الثاني: أثر القرآن في إصلاح طاعة ولاة الأمور
  - المبحث الثالث: دور القرآن في إصلاح العدالة تجاه أبناء المجتمع



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- المبحث الرّابع: أثر القرآن في إصلاح ترسيخ العَلاقات الدّوليّة

- الفصل الثامن : دور القرآن في إصلاح الإعلام .. ويتضمّن ما يأتي :

المطلب الأوّل: أثر القرآن في إصلاح رجل الإعلام

المطلب الثاني: دور القرآن في إصلاح الشعور بالأمن إعلاميّاً

المطلب الثالث: دور الرّسالة الإعلاميّة الإسلاميّة

## الفصل الأوّل

## دور القرآن في إصلاح المجتمع عَقدياً

إنَّ من المقاصد الأصيلة التي جاء بها القرآن الكريم لتبيانها والتأكيد عليها ، هو إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصّحيح ، وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق ؛ لأنه يزيل عن النفس عادة الإذعان لغير ما قام عليه الدليل ويطهر القلب من الأوهام الناشئة عن الإشراك والدهريّة وما بينهما ، وقد أشار إلى هذا المعنى قوله تعالى : ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮊ[٤٦٢] ، فأسند لآلهتهم زيادة تتبيبهم وليس هو من فعل الآلهة ، ولكنه من آثار الاعتقاد بالآلهة .[٤٦٣]

فللقرآن الكريم آثاره العظيمة في المجتمع المسلم ، ولعلّ أعظم ذلك هو الأثر الإيماني ، والمتأمّل في أحوال الجاهليّة وما كانت عليه من شرك ، وظلم ، وفساد في المعتقد ، وعكوف على الأصنام والأوثان والأحجار ، يُدرك مدى ما كان عليه أولئك الناس من ضلالٍ مبين ، وهو ما ذكره الله تعالى في معرض امتنانه على هذه الأمّة بقوله سبحانه : ﮋ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﮊ .[٤٦٤]

والإيمان الذي نعنيه هو: قول ، وعمل ، واعتقاد .[٤٦٥] وفي حديث جبريل - المشهور- الذي يرويه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وسؤاله له للنبيّ صلى الله عليه وسلم عن الإيمان بقوله: « فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ ؟ قَالَ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ . قَالَ صَدَقْتَ » .[٤٦٦]

ومعلوم النقلة الإيمانيّة العظيمة التي أحدثها القرآن الكريم في نفوس المسلمين ، فانقاد الناس لتوحيد ربّ العالمين ، وانغرست في قلوبهم معاني الخير للناس أجمعين ، كذلك أثمر الإيمان في نفوس

---

٤٦٢- سورة هود : ١٠١ .

٤٦٣- ينظر: التحرير والتنوير : ١/ ١٨ .

٤٦٤- سورة الجمعة : ٢ .

٤٦٥ ينظر: الجواب الصَّحيح لمن بدَّل دين المسيح : ٦/ ٣٦ ، شرح العقيدة الطحاوية : لابن أبي العز الحنفي : ٤٦٧ ، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم : ٢/ ١٣٩.

٤٦٦- صحيح مسلم : باب: (بيان الإيمان والإسلام والإحسان ..) ، رقم الحديث: (٨) : ١/ ٣٦ ، سنن ابي داود : باب: (في القدر)، برقم: (٤٦٩٥) : ٦٣٥/٢ ، سنن الترمذي : باب: (وصف جبريل للنبي.. ) ، برقم: (٢٦١٠) :٦/٥ ، سنن النسائي : باب: (نعت الإسلام) ، برقم: (٤٩٩٠) :٩٧/٨ ، سنن ابن ماجه : باب: (في الإيمان) ، برقم: (٦٣) : ٢٤/١ ، مسند أحمد : برقم: (١٩١):٢٨/١ .. وكلهم من حديث عمر بن الخطاب t .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الناس التقوى والإخبات لله تعالى والخوف والخشية منه ومراقبته تعالى في السرّ والعلن ، فكان لذلك الأمر نتائجه العظيمة في صلاح الناس واستقامة أحوالهم .[٤٦٧]

قال تعالى: ژ ڃ ڃ ڃ چ چ چ ژ [٤٦٨] ، والحصر المستفاد من هذه الآية هو قصر علة خلق الله الإنس والجنّ على إرادته أن يعبدوه ، فكان المعنى إلا ليعبدوني وحدي ليوحدوني لا ليُشركوا غيري في العبادة فهو ردّ للإشراك .[٤٦٩] فالعقيدة المبنيّة على توحيد الله عزّ وجل، والخالصة من كلّ شائبة ، هي التي تنقي المجتمعات ، وتنقذ الشعوب من الرّدى وتثبت لهم عزّهم وفخرهم وتنجّيهم من الفتن والمِحَن والمصائب .

وعلى المسلمين كافة الاعتقاد بأنّ الخير والشرّ بتقدير الله وعلمه وإرادته ، ولكن فعل الخير والشرّ من العبد باختياره ، ومراعاة الأمر والنهي واجبة على العبد ، فلا يجوز له أن يعصي الله ويقول : (هكذا قدر الله ذلك)!!! الله أرسل الرّسلَ وأنزل عليهم الكتب ؛ ليبيّنوا طريق السّعادة والشقاء وتكرّم على الإنسان بالعقل والتفكير ، وعرّفه الضلال والرّشاد ، قال الله تعالى : ژ ژ .[٤٧٠]

فإذن ترك الإنسان الصّلاة أو شَربَ الخمر استحقّ العقوبة لمخالفة أمر الله ونهيه ، وعندها يحتَاج إلى التوبة والندم ، ولا يحتجّ بالقدر . وإنما يحتجّ بالقدر عند نزول المصيبة ، فيعلم أنها من عند الله فيرضى ، قال تعالى : (ژ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ژ .[٤٧١]

وغرس العقيدة الإسلاميّة الحيّة في نفوس الناس ، وتربيتهم على التوحيد وصفاء معتقداتهم هو مدعاة إلى تربية المجتمع على هذا الدّين تربية صحيّة لا غبار عليها ، لذا صار التعليم في حاضرنا المعاصر من أوسع سبل التربية العقديّة ، ولاسيما المراحل الأوليّة بالنسبة للناشئة إذ هو تعليم يزرع في عقولهم منذ البداية ، فلا بدّ أن يكون وفق المنهج الحقيقيّ ، الذي هو من شأنه غرس المعنى الصّحيح للعبادة بصفته غاية الوجود ، والذي يظهر صفاء ونقاوة هذا الدّين الحنيف ، ولا يكون ذلك إلا من خلال مادة التوحيد ، مع نفي كل شائبةٍ إلحاديّةٍ ، يمكن أن تدنسه ، وعلى عكس ما يبتغيه ويتمنّاه بعض المستشرقين في استحداث وتجديد بعض المناهج التعليميّة . ونُدرك ثمرة هذه التربية الإسلاميّة في المسلم نفسه ، إذا ما قارنّاها بما يقابلها من النظرة الوثنيّة التي سادت الفكر والتعليم في أوروبا ومنها انتقلت إلى المسلمين وأثرت في مناهجهم التعليميّة .

علماً أنَّ المسلمين اليوم لا يعوزهم التجديد العَقدي ، وإنما يعوزهم العودة إلى ما كان عليه نبيّهم صلى الله عليه وسلم ، وسائر الأنبياء من قبله عليهم السّلام ، وسلف هذه الأمّة وصالحيها رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

ومن المؤسف أنَّ بعض الناس ينظرون إلى أنّ التزام الأمّة الإسلاميّة بعقيدتها في عالمنا المعاصر نظرة ريبةٍ أو استخفاف بهذا الالتزام ، ولاسيّما أنّ الدّولة في العصر الحديث في أوروبا وغيرها من المجتمعات التي سيطرت عليها الحضارة الغربيّة قد جاءت بعيدًا عن الدّين ، والفكر الغربي منذ زمن طويل ، قد نجح في فصل الدّين عن الدولة ، وحاول جاهدًا عزلة الدّين عن المجتمع، وتهميشه في إصلاحه وتقدّمه ، ووجد هذا الفكر تأييدًا من جانب الذين تأثروا بالثقافة الغربيّة في بعض البلدان الإسلاميّة ، وطرحت قضيّة المنهج الإسلامي على بساط البحث ، على الرّغم من ظهورها ووضوحها في عقول المسلمين

---

[٤٦٧]- ينظر: الدّعوة إلى التمسك بالقرآن الكريم وأثره في حياة المسلمين : ٦٩ .

[٤٦٨]- سورة الذاريات : ٥٦ .

[٤٦٩]- ينظر: الجامع لأحكام القرآن : ١٧/ ٥٠ ، التحرير والتنوير : ١/ ٢١٥٤.

[٤٧٠]- سورة الإنسان : ٣ .

[٤٧١]- سورة الحديد : ٢٢ . ينظر: توجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع :٣٣ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقلوبهم ، فالذين يريدون إبعاد الدّين عن عمله القيادي في إصلاح المجتمع ونموّه وتطوّره ، لا يجرؤون على نقد العقيدة الإسلاميّة في مجتمع مسلم ، وهي العقيدة التي يدينون بها ولكنهم يدعون إلى الإصلاح والتقدّم الإنساني في كافة مجالات الحياة على أسس وضعيّة، لا أثر للدّين فيها في ميادين السياسة والاجتماع والاقتصاد ، وبذلك ينعزل الإسلام عن حياة الناس ويصبح مكانه الوحيد في القلوب أو في المساجد فقط ، فلا ضرر عند هؤلاء من أن يكون الدّين لله أمّا الدّنيا فهي خالصة للناس ، يضعون شرائعها ويُحدّدون .[٤٧٢]

والإسلام اليوم وسط بين أقوام أسرفوا في الاعتقاد فصدّقوا كلّ شيء ، وآمنوا بغير برهان واستسلموا للخرافة ، وأقوام ماديّين ينكرون كلّ ما وراء الحسّ دون إنصات لصوت الفطرة ونداء العقل ، فدعا الإسلام إلى الاعتقاد والإيمان بما قام عليه دليل قطعيّ وبرهان يقينيّ، وما عدا ذلك فهي أوهام .[٤٧٣]

وللتفصيلات أكثر ، رأيتُ من الضرورة بمكان أن أقسِّمَ هذا الفصل على مباحث عدَّة :

## المبحث الأوّل
## أثر القرآن في إصلاح البناء الفكري

إنَّ البناء الفكري أو التصوّري هو أساس كلّ القيم والمعايير والموازين ؛ لأنّ العمل فرع عن تصوّره فلا يُمكن لأيّ إنسان أن يقوم بأيّ عمل أو يقدم عليه حتى يكونَ قد كوّن عنه فكرة أو تصوّراً محدّداً سواء أكان هذا التصوّر خاطئاً أم صائباً ، ومن ثمّ يتشكل السّلوك بناءً على ذلك التصوّر .

ولعلّ الدّارسَ للقرآن الكريم يُشاهد الآيات القرآنيّة في العهد المكي تتنزل ، ولا تُعنى إلا بجانب واحد وهو جانب العقيدة والتصوّر ، وإذا ما ذكرت أسس الأخلاق وبعض جوانب منها لا تذكر إلا على سبيل الاقتضاء والتبع لوجود العقيدة .

وعُرضت هذه القضيّة - قضيّة العقيدة- بشتى الأساليب ، وكانت تركز على أنّ الله الذي خلق الكون والإنسان ودبّر ذلك كله .. هو الذي رزق كلّ شيء وهو الذي يُحييه ويُميته، وهو الذي يُدبّر أمره على ظهر هذه الأرض ، وهو مالك الملك وأنه لا شريك له ولا ندّاً، وأنه الضارّ النافع وأنه هو الحاكم الذي لا رادّ لحكمه ، وكما أنه يخلق فهو يُميت ثمّ يَبعثُ مَنْ في القبور ، ثمّ يُجازي يوم الجزاء إنْ خيراً فخير وإنْ شرّاً فشرّ .[٤٧٤]

وعلى ضوء هذه الفكرة الموجزة عن قضيّة العقيدة ظلّ القرآن يتنزّل ويُؤكد على هذه المعاني: إفراد الله بالسّلطان المطلق في الأرض وفي السّماء ، في عالم الشهود وعالم الغيب في الظاهر والباطن فلا يُعطى لغيره جزءاً من هذا السّلطان في الفكر والعقيدة أو في الشعائر أو في الحكم والسّلوك ، وهذا واضح من أوّل آيةٍ قرآنيّةٍ : ژ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ ژ .[٤٧٥] هذا التصوّر هو الأصل الذي قام عليه الإصلاح التربوي كله ؛ لأنه قلب الموازين كلها ، فإذا كان الفرد –في جاهليّته وقبل تلقيه هذا التصوّر– يتلقى موازينه وقيمه من الأعراف والتقاليد والموازين الجاهليّة المنبثقة من القبيلة أو البيئة ، فإنّ الفردَ الدّاخل إلى الإسلام أصبح يتلقى من مصدر آخر وينبذ المصدر القبلي ، أو العشائري أو البيئي ، ولم يَعُدْ أمامه إلا مصدر واحد يتلقى منه

---

٤٧٢- ينظر: الضياء اللامع من الخطب الجوامع : ٨٠/٢ .
٤٧٣- ينظر: وسطيّة الإسلام وسماحته ودعوته للحوار : ٢٥ .
٤٧٤- دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة : ٧٣ .
٤٧٥- سورة العلق : ١- ٥ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كلّ شيء .. إنه القرآن العظيم ، ومن ثمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي نزل عليه هذا الكتاب ، قال تعالى : ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ .[٤٧٦]

وهذا الموقف وحده هو الذي كان يُثيرُ الجاهليّة ، ويُلهب ُالغيظ في هذه الفئة نفسها وعلى الرّغم من قلتها وضعفها ، وعدم إشهار السّلاح في وجه الجاهليّة ، ومن هنا فإنّ هذه الفئة تعاني الكثير من الضغط ؛ لأنها قرّرت أن تشق لها طريقاً غير طريق المجتمع المحيط .. فلم تعُدْ تدين بالوَلاء له ولا لقيادتهِ ، ولا تشاركه اهتماماته وتوجهاته وسلوكيّاته ، بل تتبع من أصل خاص بها ، وتسير على نهج خاص أيضاً بها .[٤٧٧]

بهذا التصوّر العقدي الواضح تجمع الكيان البشري كله ولم يَعُدْ مفرقاً بين الآلهة المتشاكسة .. وهذا هدف تربويّ ضخم تحقق في حياة الأفراد ، وتحقق في حياة المجتمع ، وأصبح الجميع يندفعون في تيّار واحد غيّر مسَار التأريخ البشري كله ؛ لأنه جعل سكان الأرض كلهم صنفين لا ثالث لهما : يدين ويخضع للمنهج الربّاني ، ويُفرد الله بالوحدانيّة والعبوديّة والسّلطان ، ولا يُشاركه أحدٌ من خلقه في إدارة شئون الأرض ، ويعمل على نشر هذا المنهج في الأرض . وصنف متمرّد على الله يقف معادٍ له يُحادّه ، ويترصّد لعباده بالمرصاد.[٤٧٨]

وكان القرآن - وهو يتنزل ليُثبت الجانب العَقدي- يستخدم وسائل شتى وأساليب متنوّعة لتوضيح العقيدة السّليمة ، وتصحيح الانحرافات التي يقع فيها الناس حين تستولي عليهم الجاهليّة وتبعدهم عن الهدى الربّاني ، ثمّ يثبت هذه العقيدة ويعمّق أثرها في النفس ..

ومن أهمِّ هذه الوسائل[٤٧٩] :

١- عرض قصص الأنبياء السَّابقين ، في تلقيهم لقضايا العقيدة وصبرهم ومثابرتهم في أداء مهمّتهم ، وفي حرصهم على تبليغ ما أرسلوا به إلى أقوامهم منهم .. كلّ هذا كان يؤكد في نفس الرّسول صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه توحد وتشابه الموكب الإيماني عبر العصور والقرون ، فيدخل في نفوسهم الاطمئنان والاسترواح ولا يجدون أنفسهم بدعاً من البشر ، أو أنّ دعوتهم غريبة على البشريّة ، بل هم جزء من قافلةٍ موصولةٍ على مدار التأريخ البشري .

٢- استحياء النفس البشريَّة من خلال استثارة نهاية هذا الإنسان من موت وبعث ونشور وحشر وحساب وجزاء (جنة أو نار) .

٣- التذكير الدّائم بفاعليّة الله تعالى في الكون في كلّ جوانبه من خلق وتدبير ومحاسبة وعلم وإحاطةٍ ، ولفت النظر إلى دقة قدرته ، واستحالة وجود شريك له في هذا الملك وهذا التدبير

٤- مواجهة الإنسان بحقيقة ما يدور في نفسه في حال الرّخاء ، وحال الشدّة .

.. كلّ هذا وغيره عمل على إيجاد نفوس تسير على هذه البقعة وقلوبها معلقة بالله تعالى، لا ترى نفسها مُراقبَةً من قبل القوانين والقِوى الأرضيّة ولكنها –لصلتها بالله– كانت تُراقِبُ نفسَها ذاتيّاً من داخلها .

& الرّد على من يقول بأنّ العالم وجد من قبيل الصّدفة :

---

٤٧٦- سورة النحل : ٤٤ .

٤٧٧- ينظر: دراسات في عهد النبوّة والخلافة الراشدة : ٧٣ .

٤٧٨- ينظر: المرجع نفسه : ٧٤ .

٤٧٩- ينظر: ركائز الإيمان : ١٨ - ١٩ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من المفيد بمكان أن أثيرَ هذه المسألة هنا ؛ لما لها من انتشار على ألسنة الناس عامَّة والمسلمين خاصَّة إذ نسمع منهم كثيراً قولة : (إنّ الشيء الفلاني حَدَثَ صُدْفة) ، ويمرّ هذا اللفظ على الأسماع كأنه قول صحيح .. والواقع أنّ هذا اللفظ غير صحيح ، وليس له المدلول الذي يتبادر إلى الأذهان فليس في الكون مكان (للصّدفة) وإنما هناك أسباب ومسبّبات ونتائج تسبقها مقدّمات ، وما يسمّى (صُدفة) ما هو في الحقيقة إلا حدَث يجهل الناس أسبابه .. ولكنّ الجهل بالشيء لا يعني عدم وجود ذلك الشيء وتوضيح هذه الحقيقة أنَّ هذا الكون الواسع العجيب المُدهش الذي خلقه الله تعالى : ژ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ے ژ .[٤٨٠]

هذا الكون يجري بموجب أسباب ومسبّبات تكوّن قانوناً عامّاً هو في غاية الدّقة والإحكام والشمول بحيث لا يخرج عنه شيء ولا يفلت منه مخلوق ، يحكم كلّ شيءٍ من المخلوقات بلا استثناء: من أصغر ذرّة إلى أكبر جرم ، ومن الجماد والنبات بأنواعه إلا ذي الرّوح بأنواعه ، ومن حركة الذرة في مادّتها التي لا نشعر بها إلى حركة الرّيح العاصف التي تقلع الأشجار وتخرب البُيُوت . فالكلّ خاضع ومنقاد لهذا القانون العظيم المحكم لا يستطيع منه تفلتاً ولا خلاصاً ، وهذا الخضوع التامّ من الجميع ما هو في الحقيقة إلى خضوع للملك القويّ الجبّار واضع هذا القانون وخالق هذا الكون وعلى هذا دلّ القرآن الكريم ، قال تعالى: ژ ۋ ۋ ى ى ې ژ[٤٨١]، وقال : ژ ژ[٤٨٢] . وهذا القانون الإلهي العام المسمَّى في القرآن الكريم (سنَّة الله) لا يقبل التبديل ولا التحويل .[٤٨٣]

وقد ذكرت كلمة (سُنّة) بالإضافة إلى لفظ الجلالة وأنها لا تتبدّل ، في القرآن الكريم في مواضع كثيرة حتى يرسخ مفهومها في النفوس وتنحسر الأوهام عن العقول . (وسنَّة الله) أو هذا القانون الإلهي العام يقوم على الأسباب والمسبّبات وربط النتائج بالمقدّمات على نحو هو في غاية الدّقة والصّرامة والاطراد .. والإنسان - وهو جزء من هذا الكون ، ولكنه جزء ممتاز - يخضع لهذا القانون في جميع حركاته وسكناته وتقلبات أحواله ، وتخضع له أيضاً الأمم في علوّها وانخفاضها وسعادتها وشقائها وعزها وذلها وبقائها وهلاكها وهذا الخضوع من الأفراد والأمم في جميع أحوالهم لهذا القانون العظيم يساوي بالضبط خضوع الأحداث الكونيّة الماديّة لهذا القانون ، فكما أنّ سقوط تفاحة من شجرة هو نتيجة حتميّة لأسباب معيّنة أدّت إلى هذا السّقوط فكذلك يُعدّ سقوط دولة أو هلاك أمّةٍ نتيجة حتميّة لأسباب معيّنة أدّت إلى هذا السّقوط .[٤٨٤]

وهذا ما تقضي به سنّة الله العامَّة التي لا تقبل التخلف ولا التبديل : ژ ى ى ې ې ژ[٤٨٥] ، وكلّ الفرق بين الأحداث الكونيَّة الماديَّة وبين الأحداث الاجتماعيَّة هو أنَّ أسباب الأولى واضحة بيّنة مضبوطة إذا عرفناها أمكننا الحكم بدقةٍ على نتائجها ومقدّمات هذه النتائج فالماء مثلاً ينجمد إذا بلغت درجة برودته كذا درجة ، ويصل إلى الغليان إذا وصلت درجة حرارته إلى كذا درجةٍ وبعد كذا من الوقت ، ... وهكذا .[٤٨٦]

---

[٤٨٠]- سورة السجدة : ٧ .
[٤٨١]- سورة يس : ٣٨ .
[٤٨٢]- سورة آل عمران : ٨٣ .
[٤٨٣]- القانون الرّهيب : ١٩ .
[٤٨٤]- ينظر: القانون الرّهيب : ١٩- ٢٠ .
[٤٨٥]- سورة الفتح : ٢٣ .
[٤٨٦]- ينظر: في ظلال القرآن : ٢٢٤٦ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمَّا أسباب الأحداث الاجتماعيّة فهي بمختلف أنواعها من سياسيّةٍ واقتصاديّةٍ وحِضاريّةٍ وعِمرانيّةٍ وغلبةٍ ونصر وهزيمةٍ وخذلان .. الخ ، أسباب دقيقة وكثيرة ومتشعّبة ومتشابكة وقد يعسر على الكثيرين الإحاطة بها تفصيلاً ، ولكن مع هذا العُسر يُمكن للمتأمّل الفاحص الدّقيق أن يعرفها ويُحيط بها علماً ، ويُمكنه الجزم بحصول نتائج معيّنةٍ بناءً على أسباب معيّنةٍ وإن لم يُمْكنه الجزم بميعاد حصول هذه النتائج ، فنستطيع مثلاً أن نحكم على وجه الجزم واليقين بزوال حكم أو سلطان إذا وجدناه قائماً على الظلم

والإرهاب وإن كنا لا نستطيع تحديد وقت زواله على وجه الدّقة والضبط كما نحدّد ميعاد غروب الشمس أو شروقها .

ومن أجل هذا الفرق بين الأحداث الكونيّة الماديّة وبين الأحداث البشريّة يغفل الناس كثيراً عن سنة الله في الاجتماع البشري وفي تصرّفات وسلوك الأفراد والأمم ، ويظنون أنّ أمورهم لا تخضع كما تخضع الظواهر الكونيّة لقانون الأسباب والمسبّبات ، ويقوّي هذا الظن الخاطئ في نفوسهم أنهم يرون في الظاهر أسباباً متشابهة في دولتين أو أمّتين ولكن أحوالهما مختلفة ، فيقولون: أين هو القانون العام الذي تزعمون؟ وهذه الأسباب فيهما واحدة ولكن لم تؤدّ إلى نتائج واحدة؟ وفاتهم أنّ الأسباب تؤدّي حتماً إلى مسبّباتها إلا لمانع ، وأنّ المقدّمات تؤدّي حتماً إلى نتائجها إلا لعارض، وهم لم يبصروا الموانع والعوارض ، كما لم يبصروا كلّ الأسباب والنتائج ، فتراكمَ الخطأ عليهم فلم يعودوا يُبصرون.[٤٨٧]

وقد ردَّ الإمامُ ابنُ تيميَّة رحمه الله على من لم يعتبر الأسباب ويُنكر أن تكون مسبّباتها ناتجة عنها بقوله : " وأمّا قولهم محو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل ، وهو طعن في الشرع أيضاً، فإنّ كثيراً من أهل الكلام أنكروا الأسباب بالكليّة وجعلوا وجودها كعدمها كما أنّ أولئك الطبعيين جعلوها عللاً مقتضية ، وكما أنّ المعتزلة فرّقوا بين أفعال الحيوان وغيرها والأقول الثلاثة باطلة فإنّ الله تعالى يقول: ژ ی ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خح خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ مج مح مخ نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ٱ ژ[٤٨٨] ، وقال تعالى : ژ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ژ[٤٨٩] وقال : ژ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ژ[٤٩٠] ، وقال تعالى : ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ژ[٤٩١] وأمثال ذلك ، فمن قال يفعل عندها لا بها فقد خالف لفظ القرآن مع أنَّ الحسَّ والعقل يشهدان أنها أسباب ، ويعلم الفرق بين الجبهة وبين العين في اختصاص أحدهما بقوّة ليست في الآخر وبين الخبز والحصى في أنّ أحدهما يحصل به الغذاء دون الآخر . وأمَّا قولهم الإعراض عن الأسباب بالكليّة ، قدح في الشرع بل هو أيضاً قدح في العقل فإنّ أفعال العباد من أقوى الأسباب ؛ لما نيط بها فمن جعل الذين آمنوا وعملوا الصّالحات كالمفسدين في الأرض ، أو يجعل المتقين كالفجّار ، فهو من أعظم الناس جهلاً وأشدّهم كفراً بل ما أمر الله به من العبادات والدّعوات والعلوم والأعمال من أعظم الأسباب فيما نيط بها من العبادات ،

---

[٤٨٧]- القانون الرّهيب : ٢١- ٢٢ .
[٤٨٨]- سورة الأعراف : ٥٧ .
[٤٨٩]- سورة البقرة : ١٦٤ .
[٤٩٠]- سورة المائدة : ١٦ .
[٤٩١]- سورة البقرة : ٢٦ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكذلك ما نهى عنه من الكفر والفسوق والعصيان هي من أعظم الأسباب؛ لما علق بها من الشقاوات "[٤٩٢].

وعن سنّة الله فقد بيّنتها آيات كثيرة في القرآن الكريم ، فنحن نجدها في آيات قصص القرآن الكريم وسيرة الأنبياء ، وما جرى لهم مع أقوامهم ، وفي أخبار الأمم السّابقة وفي صراع أهل الحق مع أهل الباطل . ولو ذهبنا نعدّ هذه الآيات لألفيناها أكثر من آيات الأحكام ، فعلى ماذا يدلّ هذا؟ نعتقد أنّ هذه الكثرة من آيات القرآن التي جاء فيها ذكر (سُنّة الله) ومعناها وتطبيقها تدلّ دَلالة قاطعة على أهميّة المعرفة بسنّة الله في الكون ووجوب فهمها من قبل المسلمين ، كما يجب عليهم فهم أمور العبادات التي تخصّهم ؛ لأنّ الله عزّ وجلّ لا يخصّ بالذكر في القرآن الكريم إلا ما يلزم ذكره ويحتاج الناس إلى معرفته ، فإذا تكرّر ذكر شيء دلّ ذلك على أهميّته ولهذا جاء في هذه الآيات التي أشرنا إليها ما يدعو إلى التأمّل والاتعاظ والتفكر في سنن الله تعالى ، كما جاء فيها دعوة صريحة إلى وجوب فهم سنن الله في الاجتماع البشريّ . فمن النوع الأوّل : قوله تعالى: ژ [٤٩٣]
. ومن النوع الثاني: قوله تعالى : ژ [٤٩٤].

ولهذا نرى أنَّ من الضروري جدّاً للمسلمين عموماً أن يتفهّموا سنن الله في الاجتماع البشريّ؛ لينجوا من الهلكة أو ليتخلصوا منها إذا وقعوا فيها وقد وقعوا فيها فعلاً ، وأن يعلموا أنّ هذا الفهم من لوازم الإيمان ومن فهم أحكام الإسلام .

## المبحث الثاني

## أثر القرآن الكريم في الدّعوة إلى الاعتدال الفكري

يسعى القرآن إلى تحقيق منهج فكريٍّ معتدل في الحياة ؛ لإيجاد التوازن في حياة الإنسان الرّوحيّة والماديّة ، وفق فطرة الله التي فطر الناس عليها ، منهج يلتقي فيه عالم الشهادة بعالم الغيب؛ لأنّ الإسلام دين عقيدة ترتكز على المادة والرّوح معاً .

فذلك منهج اكتملت أصوله في حياة النبيّ صلى الله عليه وسلم ، كما رسمها القرآن الكريم ولم تحدث ظاهرة زيادة شيء جديد له من بعد ، وليس فيه سرّ ولا نقصان ولا ما يصدم العقل أو العلم أو الفطرة. فالاعتدال الفكري مزيّة فريدة للإسلام حتى يطمع كثير من الناس أن تحقق للبشريّة عملاً مهماً .

يقول هاملتون جب : " أؤمن بأنّ الإسلام لا تزال له رسالة يؤدّيها إلى الإنسانيّة جمعاء ، إذ يقف وسطاً بين الشرق والغرب ، وإنه أثبت أكثر ممّا أثبت أيّ نظام سواه ، مقدّرة على التوفيق والتأليف بين الأجناس المختلفة ، فإذا لم يكن بدّ من وسيط يسوّي ما بين الشرق والغرب من نزاع وخصام، فهذا الوسيط هو الإسلام " .[٤٩٥]

فالنصوص القرآنيَّة تدعوا إلى الاعتدال والوسطيَّة في الاعتقاد ، وكثيراً ما تُحذّر من التطرُّف وتعبّر عنه بعدَّة ألفاظ منها : الغلو والتنطع والتشدّد ، فمن خلال تلك النصوص أصبح من الواضح الجلي أنّ

---

[٤٩٢]- مجموع فتاوى ابن تيميَّة : ٨/ ١٧٥- ١٧٦ . (بتصرف يسير) .
[٤٩٣]- سورة يوسف : ١١١ .
[٤٩٤]- سورة آل عمران : ١٣٧ . ينظر: القانون الرهيب : ٢٢- ٢٦ .
[٤٩٥]- ينظر: عالمية الإسلام : ٣٧ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإسلام ينفر أشدّ النفور من هذا الغلوّ ويحذر منه أشدّ التحذير ، قال تعالى : ﮋﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛﮊ ، وقال : ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﮊ [٤٩٦] .

قال ابن تيمية رحمه الله : " ليُعلم أنّ المنتسب إلى الإسلام أو السنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضاً من الإسلام والسنة ، حتى يدّعي السنة من ليس من أهلها ، بل قد مرقَ منها وذلك بسبب الغلوّ الذي ذمّه الله تعالى في كتابه " .[٤٩٧]

وفي الحديث الصَّحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال : «إيّاكُمْ وَالغلوّ في الدّين ، فإنما أهلكَ مَنْ كانَ قبلكُم الغلوّ في الدّين » .[٤٩٨]

وعن المتنطعين المجاوزين الحدود ، فقد روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « هلكَ المتنطعونَ » ، قالها ثلاثا .[٤٩٩]

وأوضح هذا الحديث الإمام النووي رحمه الله بقوله : " أي المتعمِّقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم " .[٥٠٠]

وقال الخطابي رحمه الله : " المتنطع : المتعمّق في الشيء المتكلف للبحث عنه على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم ، الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم " .[٥٠١]

هذا وقد ذمَّ الله تعالى أيضاً التشدّد المفرط ، بقوله : ﮋﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﮊ [٥٠٢] ، وبقوله : ﮋ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮊ .[٥٠٣] فلمَّا شدّدوا على أنفسهم بتحريم ما أحله الله تعالى لهم نهاهم : ﮋ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛﮊ من المطاعم والمشارب ، فإنها نعم أنعم الله بها عليكم ، فاحمدوه إذ أحلها لكم ، واشكروه ولا تردّوا نعمته بكفرها أو عدم قبولها ، أو اعتقاد تحريمها فتجمعون بذلك بين القول على الله الكذب ، وكفر النعمة واعتقاد الحلال الطيّب حراماً خبيثاً فإنَّ هذا من الاعتداء ، والله قد نهى عن الاعتداء : ﮋ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢﮊ ، بل يبغضهم ويمقتهم ويعاقبهم على ذلك ، لذا أمر بضدّ ما عليه المشركون ، الذين يحرّمون ما أحلّ الله فقال : ﮋﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﮊ [٥٠٤] بمعنى كلوا من رزقه الذي ساقه إليكم بما يسّره من الأسباب ، إذا كان حلالاً لا سرقة ولا غصباً ، ولا غير ذلك من أنواع الأموال التي تؤخذ بغير حق ، وكان أيضاً طيبّاً ، وهو الذي لا خبث فيه .[٥٠٥]

---

٤٩٦- سورة النساء : ١٧١ ، المائدة : ٧٧ .
٤٩٧- مجموع الفتاوى : ٣٨٣/٣ . (مع بعض التصرّف)
٤٩٨- سنن النسائي : باب: (التقاط الحصى) ، برقم: (٣٠٥٧) : ٥/ ٢٦٨ ، سنن ابن ماجه : باب: (قدر حصى الرمي) ، برقم : (٣٠٢٨) : ١٠٠٨/٢ ، مسند الإمام أحمد : رقم الحديث: (١٨٥١ ، ٣٢٤٨) : ١/ ٢١٥ ، ٣٤٧ ، صحيح ابن حبان : باب : (ذكر وصف الحصى التي ترمي بها الجمار) ، برقم: (٣٨٧١) : ٩/ ١٨٣ ، سنن البيهقي الكبرى : باب : (أخذ الحصى لرمي جمرة العقبة وكيفية ذلك) ، برقم: (٩٣١٧) : ٥/ ١٢٨ .
٤٩٩- صحيح مسلم : باب: (هلك المتنطعون) ، رقم الحديث: (٢٦٧٠) : ٤/ ٢٠٥٥ ، سنن أبي داود : باب: (في لزوم السنة) ، برقم: (٤٦٠٨) : ٦١١/٢ ، مسند الإمام أحمد : برقم: (٣٧٢٧) : ٢٥٤/٨ .
٥٠٠- شرح النووي على صحيح مسلم : ٢٢٠/١٦ .
٥٠١ - عون المعبود شرح سنن أبي داود : ٢٣٥/١٢- ٢٣٦ .
٥٠٢- سورة الأعراف : ٣١- ٣٢ .
٥٠٣- سورة المائدة : ٨٧ .
٥٠٤- سورة المائدة : ٨٨ .
٥٠٥- ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السّعدي) : ٢٤٢ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وذمَّ النبيُّ r التشدّد ونهى عنه ، وقد صرَّح بذلك في حديثٍ - إسناده حسن- ، يرويه عنه أنس ابن مالك رضي الله عنه إذ قال : « لا تشدِّدوا على أنفسكم، فيشدّد الله عليكم ، فإنّ قوماً شدّدوا على أنفسهم فشدّدَ عليهم ، فتلكَ بقاياهُم في الصّوامع والدّيارات : ژگ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ژ [٥٠٦] » .[٥٠٧]

.. وهكذا يتضح لنا من خلال النصوص الشرعيَّة المتقدِّمة ، أنَّ الإسلام منهج معتدل ووسط في كلّ شيء ، في التصوّر والاعتقاد والتعبّد والمعاملة والتشريع ، وينهى عن الغلوّ والتطرّف ، ولذا يمتدح الله تعالى هذه الأمّة بقوله : ژ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ژ .[٥٠٨]

وقد فسَّرها الحافظُ ابنُ كثير رحمه الله بقوله : " إنما حوّلناكم إلى قبلة إبراهيم عليه السّلام واخترناها لكم ؛ لنجعلكم خيار الأمم ، لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم ؛ لأنّ الجميع معترفون لكم بالفضل والوسط ههنا الخيار والأجود " .[٥٠٩]

فلمَّا علمنا أنَّ الوسط هو الخيار العدل الخارج من بين طرفي إفراط وتفريط ، علمنا أنّ الله تعالى أكمل عقول هذه الأمّة بما تنشأ عليه عقولهم من الاعتياد بالعقائد الصّحيحة ، ومجانبة الأوهام السّخيفة التي ساخت فيها عقول الأمم ، ومن الاعتياد بتلقي الشريعة من طرق العدول وإثبات أحكامها بالاستدلال استنباطاً ، بالنسبة للعلماء وفهما بالنسبة للعامّة ، فإذا كان كذلك لزم من معنى الآية أنّ عقول أفراد هذه الأمّة عقول قيّمة ، وهو معنى كونها وسطاً .[٥١٠]

ووسطيّة الإسلام تلزم الأمّة الإسلاميّة برفض الغلوّ والتطرّف في الدّين ، وردّ الغلاة إلى منهج الاعتدال والحِكمة ، ورعاية حقوق نفسه وحقوق غيره ، وحينما نتحدّث عن وسطيّة الإسلام يتبادر إلى أذهاننا ما يقابلها من كلمة سائدة على ألسنة الناس اليوم وهي التطرّف الدّيني ، فالإسلام يدعو إلى الوسطيّة ويحذر من التطرّف بجميع صوره وأشكاله .

إذ الوسطيّة الإسلاميّة ترفض لأمّتها وأفرادها كلّ تطرّف خارج عن قواعدها ، وتحذر منه أشدّ التحذير وتدعو إلى معاني العدل والاعتدال والاستقامة والتوازن واحترام الآخر ، وما شاكل ذلك. فهي وسطيّة في التصوّر والاعتقاد ، لا تغلو في التجرّد الرّوحي ولا في الارتكاس المادّي[٥١١] ، وسطيّة في التنظيم والتنسيق ، لا تدع الحياة كلها للمشاعر والضمائر ولا تدعها كذلك للتشريع والتأديب، حتى تطوّرت وأصبحت ..

- وسطيّة في العقيدة ، قال تعالى: ژ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ژ.[٥١٢]
- وسطيّة في الأخلاق والسّلوك ، قال تعالى: ژ ى ى ي ي ژ .[٥١٣]
- وسطيّة في التشريع ، قال تعالى: ژ و ۉ ۉ ې ې ې ژ [٥١٤] .[٥١٥]

---

[٥٠٦]- سورة الحديد : ٢٧ .

[٥٠٧]- سنن ابي داود : باب: (في الحسد) ، رقم الحديث: (٤٩٠٤) : ٦٩٣/٢ ، مسند أبي يعلى : برقم : (٣٦٩٤ ) : ٣٦٥/٦ .

[٥٠٨]- سورة البقرة : ١٤٣ .

[٥٠٩]- تفسير القرآن العظيم : ١/ ٢٥٨ .

[٥١٠]- ينظر: التحرير والتنوير : ١/ ٤٣٨ .

[٥١١]- ينظر: في ظلال القرآن : ١٣١ .

[٥١٢]- سورة النساء : ١٧١ .

[٥١٣]- سورة الفرقان : ٦٧ .

[٥١٤]- سورة النحل : ١٢٦ .

[٥١٥]- ينظر: وسطية الإسلام : ٧ ، ١٢



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولن نعني بوسطيّة الإسلام أو وسطيّة الأمّة الإسلاميّة ، وسطيّة تاريخيّة ولا جغرافيّة ولا ثقافيّة ولا عِرقيّة ؛ لأنّ معيار الصّلاح والتقوى هو المقياس الذي وضعه الإسلام منهجاً تقاس به أفضليّة الأمم والأفراد وكمالها ، قال تعالى : ژ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ژ .[٥١٦]

هذا وللوسطيَّة آفاق عدَّة تجعل الحياة البشريّة مزدانة بأوصاف الحق والخير والاعتدال، أو الاتزان في معالجة مُشكلات الحياة ، ومن أهمّ مظاهر الوسطيّة أو آفاقها : ضرورات بناء قاعدة الإيمان أو العقيدة ، والإيمان الصّحيح منطلق كل عمل مثمر ، وقاعدة قبول الأعمال الصالحة، وأصول الإيمان السّتة: الإيمان بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، تتآزر مع بعضها لتحقيق بناء شخصيّة المؤمن ، وتكامل الذات والتوصّل إلى الغايات السّامية والنفعيّة في عالم الدّنيا والآخرة .

وقمَّة الإيمان : توحيد الله وتعظيمه ؛ لأنه الخالق الرّازق والمهيمن على شئون الكون ، ومرجع الحساب والثواب والعقاب في الآخرة ، ممّا يزرع في النفس إجلال الذات الإلهيّة ووجوب إرضاء الله وطاعته ، والخوف من مخالفة أوامره ونواهيه ، وكذا محبته وشكره وعبادته . وتعمل بقيّة عناصر الإيمان على تزويد الإنسان بطاقات اليقين والهيبة ودفعه إلى العمل الصّالح في الدّين والدّنيا والآخرة .[٥١٧]

وعقيدة الإيمان في شريعة الإسلام بسيطة غير معقدة ، وسهلة الفهم ، وتتقبّلها العقول بسرعة ، وتريح النفس وتحقق لها الطمأنينة وتجنّبها القلق والاضطراب وتعينها على تجاوز مشكلات الحياة وتقلّباتها ، بما فيها من خير وشر ، وعزّ وذل وغنى وفقر ، وصحة ومرض ، وقوّة وضعف ، ومتعة أو لذة وحرمان وسلام أو أمان وحرب وخوف ، وغير ذلك من ظواهر الحياة الاجتماعيّة والإنسانيّة .

ومن يُحْرَم أصول الإيمان هذه يتعرّض لكثير من الهزّات والأزمات ، فيتعرّض للقلق والاضطراب، والوقوع في فريسة الأهواء والجهالة والغموض ، والعمل دون هدف نبيل ، أو الوصول لغاية شريفة أو مطلب معسول ، ويكون أشبه بالهائم في الأرض ، لا يدري فهم حقائق البدء والمسيرة والانتهاء .

فيكون الإيمان بحسب أصول الإسلام طريق إسعاد وإنقاذ ونجاة وفلاح وعمران وبناء ، وسمعة عالية وأثر عميق في التاريخ ، وكلّ ذلك بفضل بساطة العقيدة الإسلاميّة ووسطيّة مفاهيمها ومداركها وغاياتها .[٥١٨]

وفي مقدّمة مظاهر عقيدتنا واعتدالها : تقرير حريّة الإنسان في اختيار أفعاله ومسئوليّته عن أعماله في مظلةٍ من القيود أو النواميس الكونيّة بحيث لا يستطيع اختراقها كالحياة والموت والإقامة والارتحال والقوّة والضعف ، والعزّ والذلّ ، وكلٌّ ميسَّر لما خلق له ، في نطاق المشيئة والإرادة الإلهيّة ، فليس الإنسان مجبوراً ظاهراً وباطناً ، ولا خالقاً لأفعاله، من غير تدخل خلق الله وإيجاده لقوله تعالى : ژ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ژ [٥١٩] .[٥٢٠]

ومنهج الاعتدال يدعو إلى الوُحدة ونبذ الخِلافات وإجراء حوار الحِضارات وتقوية التبادل ويبيّن أنّ النزاعات الدّاخليّة قد أضعفت بكثير قوّة الأمّة الإسلاميّة وعرقلت تطوّرها وتقدّمها وإنّ تقوية الوُحدة وتعزيز العَلاقة ، أصبحت حاجة ماسّة وواجبة للأمم ، وليس في استطاعة الأمّة أن تجابه تحدّيات العصر والعَوْلمة إلاّ بالاتحاد والتعاون ، فالوسطيّة الإسلاميّة تهدف إلى تنمية الوحدة، والتعاون بين

---

[٥١٦]- سورة الحجرات : ١٣ .
[٥١٧]- ينظر: وسطية الإسلام وسماحته : ١٢ .
[٥١٨]- ينظر: وسطية الإسلام وسماحته : ١٢ .
[٥١٩]- سورة الصافات : ٩٦ .
[٥٢٠]- ينظر: وسطية الإسلام وسماحته : ١٣ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شعوب العالم الإسلامي انطلاقاً من مبدأ : ژۇ ۇ ۆ ژ لإجراء الحِوارات فيما بينهم؛ لتقوية التعاون وتعزيز العَلاقة بينها ، وانطلاقاً أيضاً من شموليّة الإسلام ، وهي الكلمة التي تعني في مفهومها الخاص : " الشريعة التي جاء بها سيدنا مُحمَّد r خاتم الأنبياء والمرسلين إلى العالمين ، والتي لا تقتصر على جنس أو قوم ، ولكن إلى الناس كافة ، وهي بهذا شريعة عالميّة كاملة " .[٥٢١]

ويدلُّ على هذا : أنَّ النبيَّ قبله r ، كان يُرسل إلى قومه خاصّة كما حكت آيات القرآن في ذلك، كقوله تعالى : ژۇ ۇ ۆۆ ژ ، ژ ڭ ۇ ۇ ۆۆ ژ ، ژ ڃ ڃ چ چ ڃ ژ [٥٢٢]، أمَّا رسول الإسلام فقد أرسل للناس كافة ، وخاطبه القرآن بقوله : ژ ک ک گ گ گ گ ژ [٥٢٣]ژ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ژ[٥٢٤] لما للإسلام من معنى خاص قد انفرد بعدّة خصائص وتميّز بها عن غيره من الأديان .. ومن أهمّ هذه الخصائص :

١- الرّبانيّة : فهو من عند الله ، فمصدره ومُشرِّع أحكامه هو الله تعالى بخلاف الشرائع الوضعيّة فمصدرها الإنسان . والنصوص الشرعيّة التي تدلّ على ربانيّة هذا الدّين كثيرة منها: قوله تعالى : ژ ڃ ڃ چ چ ڃ ژ ، ژ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ژ[٥٢٥] وغيرها من الآيات الدَّالة على أنَّ الإسلام بدوره من عند الله تعالى .

٢- الشموليّة : فهو يجمع بين مصالح الدّنيا والدّين ، وهو شامل لكلّ شؤون الحياة، وسلوك الإنسان وهو رسالة الزمن كله ، والعالم كله ، والإنسان كله ، في أطوار حياته ومجالاتها كلها وهناك شمول في جميع التعاليم الإسلاميّة .

٣- الوسطيّة : ويعبّر عنها أيضاً بالتوازن ويعنى بها التعادل بين طرفين متقابلين ، أو متضادّين بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير ويطرد الطرف المقابل ، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه ويطغى على مقابله ويحيف عليه ، وقد أوردنا لاحقاً الآيات الدّالة على هذه الخصوصيّة .

٤- الواقعيّة : وتعني مراعاة واقع الكون من حيث هو حقيقة واقعة ووجود مشاهد ، ولكنه يدلّ على حقيقةٍ أكبر منه ، ووجود أسبق وأبقى من وجوده ، هو وجود الواجب لذاته ، وهو الله تعالى . وكذلك مراعاة واقع الحياة من حيث هي حافلة بالخير والشرّ ، تنتهي بالموت توطئة لحياة أخرى وكذلك مراعاة واقع الإنسان من حيث ازدواج طبيعته واشتمالها على الجانب الرّوحي والجانب المادّي ، وبهذا لم يكن الإسلام كغيره مجرد وصايا ومواعظ ، وإنما كان للدّين والدّنيا وللعقيدة والشريعة والعبادات والمعاملات والأخلاق .

٥-الجمع بين الثبات والمرونة : إنّ الإسلام دين مرن متطوّر في أحكامه وتعاليمه ، وفي الوقت ذاته هو دين خالد ثابت في تشريعه وتوجيهه ، فهو بهذا دين متوازن ، وهنالك أنظمة للإسلام يتكوّن كلّ نظام منها من مجموعة من الأحكام ، ومن هذه الأنظمة: نظام الأخلاق ، ونظام المجتمع ، ونظام الإفتاء ، ونظام الحسبة ، ونظام الحكم ، ونظام الاقتصاد والمال ، ونظام الجهاد ونظام الجريمة والعقاب ونظام الأسرة ، ونظام العلاقات الدّوليّة ، ونظام العَلاقة بالآخر .

---

[٥٢١]- مفاهيم إسلامية : ٢٥ .
[٥٢٢]- الثلاثة في سورة الأعراف : ٦٥ ، ٧٣ ، ٨٥ .
[٥٢٣]- سورة الأنبياء : ١٠٧ .
[٥٢٤]- سورة سبأ : ٢٨ .
[٥٢٥]- الآيتان في سورة آل عمران : ١٩ ، ٨٥ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٦-احتواء توجيهاته على مقوّمات العطاء الحضاري التي مارسها سلف المسلمين فصنعوا حضارة كانت هي الأساس الذي قامت عليه النهضة الأوربيّة .[٥٢٦]

## المبحث الثالث

## دور القرآن في إصلاح مشكلة الغلو

ظاهرة الغلو من أخطر الظواهر الفكرية التي تنشا في المجال الدّيني ، وقد أخذت هذه الظاهرة تتبعث في عصرنا بصورة مقلقةٍ للغاية ، ويتزايد ظهورها بين أوساط الشباب خاصّة وبالشكل الذي يلفت النظر إليها ، ويحرض على التأمّل فيها . لهذا كان من الضروري العودة إلى القران الكريم الذي تحدّث عن هذه الظاهرة ؛ وذلك لمعرفة المنطق القرآني في النظر لهذه الظاهرة .

وكلمة الغلو وردت في القران الكريم مرّتان ، وجاءت في سياق الحديث عن نهي أهل الكتاب والنصارى منهم بالذات عن الغلوّ في الدّين ، والآيتان هما ، قوله تعالى : ژ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ژ[٥٢٧] ، وقوله تعالى : ژ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ژ[٥٢٨] .. وعند التأمّل والنظر في هاتين الآيتين يُمكننا أن نستفيد منهما الحقائق الآتية :

أولاً : تتحدّد كلمة الغلو من حيث الاستعمال الحقيقي لها في مجال العَلاقة بالدّين ، ويُراد من هذه الكلمة وصف العَلاقة غير السّويّة بالدّين - أي بتجاوز الحدّ زيادة وإضافة- أو نقصاناً ونكراناً على ما حدّده وقرّره الدّين . الزيادة والإضافة هو ما وقع فيه النصارى باعتقادهم أنّ المسيح هو ابن الله أو أنه الله، أو القول بعقيدة التثليث . والنقصان والنكران هو ما وقع فيه اليهود بنكرانهم لنبوّة نبيّ الله عيسى .[٥٢٩]

ثانياً : إنّ الخطاب في هاتين الآيتين موجّه إلى أهل الكتاب[٥٣٠] الذين وقعوا في مشكلة الغلو وكانت أعظم مشكلة وقعوا فيها . والقرآن ينبّهنا إلى هذه المشكلة الخطيرة ويُلفت نظرنا إليها لكي نكون على بصيرة في أمر ديننا .

ثالثاً : قد حدّدت هاتان الآيتان مفهوم الغلوّ في إطار عَلاقته بمفهوم الحق : ژ ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ژ ، وفي آية المائدة : ژ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ژ .. وهذا يعني أنَّ الغلوَّ هو خروج أو تجاوز على الحق . والمقصود بالحق تارة ما قرّره الوحي والكتاب وهذا من جهة النص ، وتارة ما وافق السّنن والقوانين الإلهيّة وهذا من جهة الواقع .[٥٣١]

رابعاً : إنَّ مشكلة الغلوِّ قد تنشأ بطريقةٍ ذاتيّةٍ ، وقد تنشأ بطريقةٍ متوارثةٍ من قوم سابقين فآية النساء تشرح مشكلة الغلوّ حين ينشأ بطريقةٍ ذاتيّةٍ بسبب إشكاليات وتفسيرات بشريّةٍ خاطئةٍ في فهم العقيدة ژپ ڀ ڀ پ پ ٺ ٺ ژ. وآية المائدة تشرح مشكلة الغلوّ حين ينشأ بطريقةٍ متوارثةٍ من قوم سابقين: ژ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ ژ عطف على النهي عن الغلو ، وهو عطف عام من وجهٍ على خاص من وجهٍ ؛ وهذا نهي لأهل الكتاب الحاضرين عن متابعة تعاليم الغلاة من أحبارهم ورهبانهم الذين أساءوا فهم الشريعة عن هوى منهم .[٥٣٢]

خامساً: إنَّ آية النساء تخاطب أهل الكتاب وتذكر بعصرهم القديم حين ظهرت عندهم مشكلة الغلو في الدّين ، وآية المائدة تخاطب أهل الكتاب بعد ظهور الإسلام وتذكرهم بألا يتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل.[٥٣٣]

---

٥٢٦- ينظر: مفاهيم إسلامية : ٩٧ ، التشريع الإسلامي مصادره وأطواره : ٣٦ .
٥٢٧- سورة النساء : ١٧١ .
٥٢٨- سورة النساء : ١٧١ ، المائدة : ٧٧ .
٥٢٩- ينظر: معالم التنزيل : ٨٣/٣ ، البحر المحيط : ٤٩١/٤ .
٥٣٠- ينظر: أسباب النزول ، للواحدي : ٣١٢/١ .
٥٣١- ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٢١٦/١ .
٥٣٢- ينظر: التحرير والتنوير : ١١٨٠/١ .
٥٣٣- ينظر: تفسير النسفي : ٢٦٣/١ ، ٢٩٦ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سادساً: قد حدّدت آية المائدة مصير الغلو في الدّين ، وأنه ينتهي بأهله إلى الضلال والابتعاد عن سواء السّبيل . واللافت في هذه الآية أنها كرّرت كلمة الضلال بصيغة الفعل ثلاث مرات مرّة كان المقصود بها الذين أدخلوا الغلوّ في الدّين وهم الذين وصفتهم الآية : ژ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ژ ومرّة كان المقصود بها الناس الذين اتبعوا أولئك في ضلالهم ، وهؤلاء هم الذين قالت عنهم الآية ژ ٺ ٺ ٿ ژ والكثرة هنا إشارة إلى الناس .
ومرّة كان المقصود بها الذين بقوا على ضلالهم بإعراضهم عن الإسلام بعد بلاغه إليهم، وهؤلاء هم الذين قالت عنه الآية : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ژ .[٥٣٤]
سابعاً: إنَّ مشكلة الغلوِّ التي ظهرت عند أهل الكتاب لا يُمكن أن تحدث في الإسلام ، لكن يُمكن أن تحدث عند المسلمين أو عند بعضهم ، ومن المفترض أن لا تحدث أساساً ؛ لأنّ الإسلام نزل بلسان عربيّ مبين ، ويهدى من يتبعه سبل الرّشاد ؛ ولأنه نزل كاملاً : ژ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ژ ؛ ولأنه يمثل سواء السِّبيل - أي انه دين الوسطيّة والاعتدال والتوازن– قال ابن القيِّم رحمه الله : " ما أمر

الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان : إمّا إلى تفريط وإضاعة ، وإمّا إلى إفراط وغلو ، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه ، كالوادي بين جبلين والهدى بين ضلالتين ، والوسط بين طرفين ذميمين ، فكما أنّ الجافي عن الأمر مضيع له، فالغالي فيه مضيع له هذا بتقصيره عن الحدّ ، وهذا بتجاوزه "[٥٣٥].
والغلوّ يُضلّ صاحبه عن سواء السِّبيل أي ينتهي بصاحبه إلى التطرّف والتحجّر والجمود .. لهذا فإنّ ظاهرة الغلوّ هي ظاهرة غريبة عن الإسلام ، وهي من الظواهر الخطيرة التي تضلّ الإنسان عن سواء السّبيل .[٥٣٦]
.. هذا وقد اجتهد العلماء في وضع تعريف للغلوِّ بعبارة موجزة ، وهذه بعض تلك التعريفات :
- قال الإمام ابن تيميّة رحمه الله : " الغلو هو مجاوزة الحدّ بأن يُزاد في حمد الشيء أو ذمّه على ما يستحق ونحو ذلك " .[٥٣٧]
- وعرّفه الحافظ ابن حجر رحمه الله بأنه : " المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحدّ " .[٥٣٨]
وصنف ابن القيِّم رحمه الله الغلوَّ على نوعين : " نوع يُخرجه عن كونه مطيعاً ، كمن زاد في الصّلاة ركعة أو صام الدّهر مع أيّام النهي أو رمي الجمرات بالصّخرات الكبار التي يرمى بها في المنجنيق أو سعى بين الصّفا والمروة عشراً ، أو نحو ذلك عمداً . وغلو يخاف منه الانقطاع والاستحسار كقيام الليل كله وسرد الصّيام الدّهر أجمع بدون صوم أيّام النهي والجور على النفوس في العبادات والأوراد".[٥٣٩]
ومن الملاحظ على ضوء ما تقدَّم :
أ- أنَّ الغلوَّ في حقيقته حركة في اتجاه القاعدة الشرعيّة والأوامر الإلهيّة ، ولكنها حركة تتجاوز في مداها الحدود التي حدّها الشارع .
ب - أنَّ الغلوَّ ليس دائماً فعلاً ، بل يدخل فيه الترك أيضاً .
ج - إنّ نسبة الغلوّ إلى الدِّين بقول : (الغلوّ الدِّيني) أو (التطرُّف الدِّيني) تجوّز في العبارة ، إذ الغلوّ إنما هو في أسلوب التديّن لا الدّين نفسه .
د - إنّ الحكم على العمل بأنه غلو يجب أن يُتأنى فيه ، ويُنظر إلى العمل بدقة ، فقد يُحكم عليه بأنه غلو مع أنه سليم ، ولكنّ الوسيلة إليه قد تكون من باب الغلو ، فيقع الخلط من هذا الباب.

---

٥٣٤- ينظر: المصدر نفسه : ٢٦٣/١ ، اللباب : ١٩١/٦ .
٥٣٥- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : ٤٩٦/٢ .
٥٣٦- ينظر: مشكلة الغلو في الدّين في العصر الحاضر- الأسباب ، والآثار ، والعلاج : ٣٥ ، وما بعدها .
٥٣٧- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم : ١٠٦ .
٥٣٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري : ١٣/ ٢٧٨ .
٥٣٩- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : ٢/ ٤٦٩ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هـ - ليس من الغلوّ طلب الأكمل في العبادة ولكن من الغلو الإثقال على النفس إلى درجة الملل .
وعلى هذا وذاك يُمكننا الآن تحديد الغلو الذي تقع فيه الأمّة اليوم في نوعين[٥٤٠] :
* الغلو الكلي العقدي : وهو المتعلق بكليّات الشريعة وأمّهات مسائلها ، وهذا الغلو الكلي العقدي أشدّ خطراً من الغلو الجزئي العملي ؛ لأنه يتجاوز حدوده - ولاسيِّما عمل الإنسان- ليكون هو المحدَّد لمواقفه من الخلق ، ومنه يحدث الافتراق .
* الغلو الجزئي العملي : وهو ما كان متعلقاً بجزئيّةٍ أو أكثر من الشريعة العمليّة ، سواء أكان قولاً باللسان أم عملاً بالجوارح ، وذلك مثل : قيام الليل كله .
وأضحت مشكلة الغلو من أهمِّ المُشكلات في العصر الحديث ، وصارت همّاً يؤرّق أعداء الإسلام والمسلمين ، كما هي همّ يؤرّق أهل الإسلام .. ولهذا الاهتمام مظاهر منها :
- اهتمام السَّاسة بهذه المشكلة في أنحاء العالم ، إذ تجد مكاناً في تصريحاتهم والبيانات الختاميَّة للقاءاتهم .
- كثرة الكتابات والمؤلفات ، والمقالات والندوات عن هذه المشكلة .
-تصدر الأخبار المتعلقة بالغلو نشرات الأخبار والصّفحات الأولى من الجرائد حتى صار الغلو .. مشكلة مركبة ، فلم يعد قاصراً على غلوّ الغلاة ، بل اكتنفه ظروف زادت الأمر إشكالاً، ومن بين ذلك :
- عالميّة المُشكلة : إنّ الغلو من السّمات الظاهرة في هذا العصر ، إذ صار في كلّ بلد وفي كلّ حِضارة طوائف عرفت بتلك الأعمال ، وتختلف طبيعة كلّ فئةٍ بحسب الحِضارة ، أو الدّين والمذهب الذي يعتنقه أفرادها ، كما أنَّ للعالميَّة وجهاً آخراً : فقد نقل الإعلام المعاصر الأحداث (الإرهابيَّة) من المحليِّة إلى العالميِّة .
- تدارس المفهوم الصّحيح للغلو: إذ أصبحت المفاهيم المتعلقة بالغلوّ ، مفاهيم نسبيّة تحملها كلّ طائفةٍ على ما يوافق أهواءها ، وذلك على المستوى المحلي ، وعلى المستوى العالمي وأصبحت المفاهيم ضائعة في جوٍّ من الضبابيّة والاختلاف .
- تعقد المظاهر والأسباب وتشابكها: ممّا يعقّد المشكلة في العصر الحديث من حيث تعدد مظاهرها وأسبابها ومواردها ، إذ لم تعد تلك المُشكلة التي ليس لها مظهر أو مظهران ، بل تعدّدت المظاهر وتنوّعت .
- وفي الأسباب مثل ذلك ، فقد تنوّعت وتعدّدت وتشابكت لتشكل المُشكلة المُعاصرة ، والكلام فيها بعدل مقتضياً توسيع النظر في الأسباب والمظاهر .
- تصدّي أصناف متعدّدة لهذه المشكلة : إنّ الواقع يُظهر أنّ هذه المُشكلة أضحت نهباً لآراء متباينة تباين اتجاهـــات المتكلمين فيها ، بحسب تباين مشاربهم وعقائدهم ، بل وأصبح التصدّي للغلو و(الإرهاب) سلماً لأغراض دنيويّة كثيرة . وكلّ ذلك زاد المُشكلة تعقيداً، وزاد في اضطراب الرّؤية .

- انقسام الناس ما بين مهوّل ومهوّن : إنّ تهويل المُشكلة يفقد الدّارس لها الرّؤية الصّحيحة كما أنّ تهوينها يفقد الرّؤية الصّحيحة أيضاً ، وعندما يُفتقد العدل في التعامل مع القضايا المتشابهة تزداد المُشكلة تعقيداً ، بل يصبح ذلك الجور في التعامل جزءاً من المُشكلة ذاتها .[٥٤١] فبهذا يتضح أنّ المشكلة لم تعد مشكلة الغلو فقط ولكنها مشكلة الغلوّ ومشكلة الخطأ في فهم الغلو ، ومُشكلة تصدّي من ليس بأهل للكلام في المُشكلة للكلام فيها ومُشكلة اتخاذ الغلوّ ذريعة لمحاربة الإسلام ، ومُشكلة انقسام الناس ما بين مهوّل ومهوّن إنها مُشكلة مرتبطة بمشكلات أخرى .
ولا ننسَ المُصطلحات في العصر الحاضر إذ قد أضحت أدوات للصّراع والنزاع .. أدوات في الصّراع الحِضاري والفكري ، فمن بين الأمم والحِضارات ، وفي داخل الأمّة ذاتها ، يهتمّ أعداء أيّ

---

[٥٤٠]- مشكلة الغلو المركبة من أبرز التحديات لمجتمعاتنا : ص١ .
[٥٤١]- مشكلة الغلو المركبة من أبرز التحديات لمجتمعاتنا : ص١ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مبدأ أو فكرة في الصّراع مع المبادئ الأخرى بالألفاظ والمصطلحات ، وهما مصطلحان يرمزان إلى حال معيّنةٍ في التاريخ الغربيّ ، ونقلا إلى العالم الإسلامي واتسما بكثير من التشويش .
لذا شهدت السّاحات الإعلاميَّة والثقافيَّة مولد مصطلحات كثيرة ذات صلةٍ بالغلوّ ، ولعلّ من أشهر ذلك مصطلحي (الأصوليَّة والإرهاب) . ولا يزال هذان المصطلحان ينتشران بحسب وجود الأحداث وطبيعتها ، ولا أخال أنّ وقتاً كثر ترديد المصطلح فيه كهذه الفترة الزمنيّة التي نعيشها ، فقد أصبح المصطلح عالميّاً ، بل صار معياراً للتفريق بين الدّول والهيئات . فمصطلح الإرهاب مثلاً فيه اختلاف كبير ، ومع أنّ القضيّة لها وجه قانوني ، ومن طبيعة القضايا القانونيّة أنها محدّدة ، فإنها تحوّلت إلى كونها إعلاميّة ، حتى أصبح استخدام مصطلح (الإرهاب) نوعاً من الإرهاب الفكري [٥٤٢] .
هذا وقد قال الأستاذ عبد الرحمن اللويحق : " جمعت عشرات التعريفات لجهات رسميّة وعلميّة في أنحاء العالم ، ولاحظتُ من خلال هذا الحشد لتعريفات (الإرهاب) الملاحظ الآتية: إنّ المفهوم غامض غير محدّد ، وشدّة التباين في تحديد معنى المصطلح ، وتعدّد التعريفات وأنّ التعريفات نسبيّة وحمّالة وجوه ، وافتقاد المعيار ، وعدم وفاء اللفظة للمعاني الدّاخلة فيها " .[٥٤٣]

**C** ملامح الغلوّ.. وحقيقته :

إنَّ أظهر الألفاظ الشرعيّة المتعلقة بهذا النوع من الانحراف : الغلو ، وبالتأمّل في النصوص الناهية عن الغلو ، والنصوص التي فيها معالجة لبعض قضاياه ، والنصوص التي فيها بيان قيام الدّين على اليُسر ورفع الحَرَج ، تتبيّن لنا ملامح الغلو في الدّين من خلال ما يأتي[٥٤٤] :

١- أن يكون الغلو متعلقا بفقه النصوص ، وذلك بأحد أمرين :

أ- تفسير النصوص تفسيراً متشدداً .

ب- تكلف التعمّق في معاني التنزيل .

٢- أن يكون الغلو متعلقا بالأحكام ، وذلك بأحد أمرين :

أ- إلزام النفس أو الآخرين ما لم يُوجبه الله عزّ وجل تعبّداً وترهباً .

ب- تحريم الطيّبات التي أباحها الله عزّ وجل على وجه التعبد .

٣- ترك الضروريّات أو بعضها .

٤- أن يكون الغلو متعلقاً بالموقف من الآخرين ، وذلك بأحد أمرين :

أ - أن يقف الإنسان من بعضهم موقف المادح الغالي الذي يوصل ممدوحه سواء أكان فرداً أم جماعة إلى درجة العِصمة فيجعله مصدر الحق .

ب - أن يقف الإنسان من بعض الناس أفراداً أو جماعاتٍ موقف الذامّ الغالي ، فيصف المسلم بالكفر والمروق من الدّين ، أو يصف المجتمع المسلم بأنه مجتمع جاهلي .

ولا شكّ أنّ العنف أو التطرّف الذي يأتي -غالباً- نتيجة الغلو في الدّين ، قد ذمّه القرآن الكريم –كما تقدّم- ؛ لأنه يخرج صاحبه عن المنهج الوسط الذي اختاره الله لهذه الأمّة ..

ويُعدّ العنف من الأمور الطارئة في حياة الأمم والشعوب والتي يؤثر وجود العنف فيها على الاستقرار والأمن في المجتمع . ولتحقيق تماسك بنيان المجتمع وضمان أمنه ، لا بد من السّعي إلى القضاء على العنف أو التقليل منه وبالرّغم من أنه لا توجد تعريفات محددة للعنف نظرًا لاختلاف ظروفه ومسبباته إلا أنه يُمكن الإشارة إلى أنّ العنف يُعدّ سمة من سِمات الطبيعة البشريّة ، يظهر حين يكف العقل عن قدرة الإقناع أو الاقتناع فيلجأ إلى الأنا تأكيدًا لذاته ووجوده وقدرته على الإقناع المادي أي استبعاد الآخر الذي لا يقتنع على إرادة الأنا ، وإمَّا نهائيًّا بإنهاء ذات وجوده .[٥٤٥]

---

[٥٤٢]- ينظر: المرجع نفسه : ١- ٢ .

[٥٤٣]- مشكلة الغلو المركبة : ٢ .

[٥٤٤]- ينظر: الغلو في الدّين في حياة المسلمين المعاصرة : ٦٦ - ٨٣ ، التطرف والإرهاب في المنظور الإسلامي والدّولي : ٣٧ ، وما بعدها .

[٥٤٥]- ينظر: حقوق الإنسان وأسباب الضعف في المجتمع الإسلامي في ضوء أحكام الشريعة : ١٣ ، العنف والشريعة في مصر (دراسة قانونية) : ٤٩.



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويرى آخرون أنَّ العنف هو الاستخدام العقلي للقوّة ، أو التهديد باستخدامها لإلحاق الأذى والضرر بالأشخاص والإتلاف للممتلكات .[٥٤٦]

ونستنتج من هذين التعريفين أنّ العنف لا يأتي من خلال التفكير المتعقل ، وإنما يأتي بعد أن يتوقف العقل عن التفكير ويرى طريقًا واحدًا فقط لإقناع الآخرين برأيه أو منهجه عن طريق القوّة فينتج عن ذلك اختلافات كبرى ، وزعزعة للاستقرار سواء بين الأفراد أو المجتمع .

والعنف له صور مختلفة فمنها ما يُمكن أن يطلق عليه العنف الفردي والذي يقتصر ضرره على نطاق محدود ، وهناك العنف الاقتصادي الذي تعود جذوره إلى أسباب اقتصاديّة مثل الفقر والبطالة وأيضًا هناك العنف الاجتماعي الذي يعود لأسباب اجتماعيّة

مثل فقدان أحد الوالدين ، أو الشعور بظلم المجتمع ، أو الشعور بالرّغبة في الانتقام لأسباب اجتماعيّة .

أمَّا أخطر صور العنف ، وأكثرها تأثيرًا في بُنيان المجتمع وتماسكه فهو العنف العَقدي ، أي الذي يعود لأسباب عقديّة ، فهو لا يرتبط بمشكلات شخصيّةٍ ولا اجتماعيّةٍ ولا اقتصاديّةٍ . ولكنه يرتبط بالغلو ومجاوزة الحد والتشدد والمبالغة في الأمور الشرعية ، قال تعالى محذرًا من الغلو والتشدد في الدّين : ژ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ژ .. ولهذا التطرّف والغلو مظاهر وعلامات يأتي في مقدّمتها :

التعصب للرّأي ، والتمحور حول الشخصيات والأحزاب والجماعات ، والتقليد الأعمى وسوابق الأفكار والانطواء والتقوقع والنقص العلمي وعدم الاتزان الفكري والتجرؤ على الفتوى ، والطعن في العلماء والتشنيع على المخالف ، والجلافة والغلظة والشدة والفهم الخاطئ للإسلام ، والتزام التشديد دائمًا .[٥٤٧]

والخوارج أوّل من بدأ في سلوك طريق التشدد في الدّين ، إذ كانت أبرز معالم تشددهم تظهر في :

- الطعن في مخالفيهم وتضليلهم وتكفيرهم : ودليل ذلك طغيانهم في رسول الله r وقسمته وتكفيرهم لأمير المؤمنين عثمان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما والحكمين وأصحاب الجمل .
- سوء الظنِّ : ودليل ذلك اتهامهم الرَّسول r بعدم الإخلاص في القسمة ؛ لأنهم لم يفهموا مقصده السّامي لقصر نظرهم ومرض قلوبهم .
- المبالغة في العبادة بغير علم : لقوله r : « يحقرُ أحدكُم صلاته مع صلاتِهم وصيامه معَ صيامِهم... » .[٥٤٨]
- الشدّة على المسلمين : لقوله r : « يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان... » .[٥٤٩]
- نقص التجربة والخبرة وصغر السنّ وسفاهة العقل : لقوله r : « سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان سفهاء الأحلام... » .[٥٥٠]

---

٥٤٦- ينظر: دراسة خاصة عن العنف السياسي في مصر ، دراسة خاصة عن العنف السياسي في مصر : ٥٦٨ ، العنف والشريعة في مصر (دراسة قانونيّة) : ٥٠ .

٥٤٧- ينظر: المتطرّفون : ١١١ - ١١٢ ، ٧٥ .

٥٤٨- صحيح البخاري : باب: (علامات النبوة في الإسلام) ، رقم الحديث: (٣٤١٤) :١٣٢١/٣ ، صحيح مسلم : باب: (ذكر الخوارج وصفاتهم) ، برقم: (١٠٦٤) :٧٤١/٢ ، سنن ابن ماجه : باب: (في ذكر الخوارج) ، برقم: (١٦٩) :٦٠/١ ، مسند أحمد : برقم: (١١٦٣٩) :٦٥/٣ .. وكلهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

٥٤٩- صحيح البخاري : باب: قول الله تعالى:{وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله} ، رقم الحديث: (٣١٦٦) :١٢١٩/٣ ، صحيح مسلم : باب: (ذكر الخوارج وصفاتهم) ، برقم: (١٠٦٤) :٧٤١/٢ ، سنن أبي داود : باب: (في قتال الخوارج) ، برقم: (٤٧٦٤) :٦٥٦/٢ ، سنن النسائي : باب: (المؤلفة قلوبهم) ، برقم: (٢٥٧٨) :٨٧/٥ ، مسند أحمد : برقم: (١١٦٦٦) :٦٨/٣ .. وكلهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

٥٥٠- صحيح البخاري : باب: (قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم) ، رقم الحديث: (٦٥٣١) :٢٥٣٩/٨ ، صحيح مسلم : باب: (التحريض على قتل الخوارج) ، برقم: (١٠٦٦) :٧٤٦/٢ ، سنن أبي داود : باب: (في قتال الخوارج) ، رقم: (٤٧٦٧) :٦٥٧/٢ ، سنن الترمذي : باب: (في صفة المارقة) ، برقم: (٢١٨٨) :٤٨١/٤ ، سنن النسائي : باب: (من شهر سيفه ثم وضعه في الناس) ، رقم: (٤١٠٢) :١١٩/٧ ، سنن ابن ماجه : باب: (في ذكر



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- قلة الفقه لعدم تتلمذهم على الصّحابة : لقوله r : « يقرؤُون القرآنَ لا يُجَاوز تراقيهم يمرُقُونَ من الدّين كمَا يَمْرقُ السّهمُ مِن الرّميَةِ... » .[٥٥١]

+ طبيعة مشكلة الغلوِّ .. وحجمها :

تُعدّ معرفة طبيعة الغلو مدخلاً مهمّاً لتقويم المشكلة وعلاجها في كلّ عصر من العصور ومن دون هذه المعرفة يتخبّط الباحث أو الدّارس المعالج لهذه المشكلة خبط عشواء ، وكثير من الأخطاء التي يقع فيها الدّارسون للمشكلة سببها غياب الفهم لطبيعتها ، ويُمكن إجمال التساؤلات التي تجلي الإجابةُ عنها طبيعة الغلوّ في العصر الحديث فيما يأتي :

هل المشكلة فعلّ أو ردّ فعل ٍ؟ هل هي مشكلة مرحليّة أو مشكلة دائمة ؟ هل هي مشكلة تربويّة اجتماعيّة أو سياسيّة أو هي أعمّ من ذلك ؟ هل هي مشكلة محليّة في بلد واحد أو عالميّة ؟ هل هي مشكلة نابعة من المجتمع أو هي وافدة ؟ هل المشكلة فرديّة أو جماعيّة ؟

وسنعمل هنا على بيان الإجابة عن هذه التساؤلات بما يكشف طبيعة الغلوّ في حياة المسلمين المعاصرة..

أولاً : هل المشكلة فعل أو ردّ فعل ؟[٥٥٢]

فالغلو في أصله استجابة سلوكيّة ، يميل السّلوك البشري عادة إلى الانطباع بها كانعكاس لعدد من العوامل الدّاخليّة المتعلقة بصميم الحياة النفسيّة للفرد ، والخارجيّة المتعلقة بتأثيرات البيّئة بمفهومها الشامل : عَقدياً وثقافيّاً واجتماعيّاً واقتصاديّاً وغير ذلك . وغالباً ما يحدث الغلو في البيّئات أو الأزمنة المضطربة ، فهو في حقيقة الأمر ردّ فعل أكثر من كونه فعلاً بدليل أنّ الغلوّ باستعراض التاريخ يحدث غالباً في أوقات الأزمات واضطراب أحوال الأمم .

ولا يردّ على هذا حدوث الغلوّ في عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم وعهود صحابته رضوان الله عليهم أو العهود ذات الحكم العادل الرّشيد ، إذ إنّ الغلوّ الذي حدثَ في عهودهم ردّ فعل لأوضاع خاطئةٍ بزعم الغالي ، وليس هذا تبرئة لساحة الغلاة وتبريراً لما وقعوا فيه ، إذ إنّ الغلاة مرضى بما يُمكن تسميته بالقابليّة للغلوّ ، فهم غير أسوياء في الناحيّة العلميّة بشرع الله . وغير أسوياء في الفكر من حيث المنهج المستخدم لفهم نصوص الشارع . وقليلو الاتصال بأهل الذكر والعلم ، وهذه القابليّة أو التربة الصّالحة

للغلو يقع وزر تهيئتها وإصلاحها لاستنبات الغلو على الغلاة أولاً ، وإنّ عدم فهم هذين الجانبين للمشكلة وهما:

- إنّ هناك أفعالاً هي التي أوجدت ردّ الفعل .
- إنّ هناك قابليّة للغلو عند الغلاة .

أوجد خللاً في فهم المشكلة ، الأمر الذي أدّى إلى خلل في تقويمها وعلاجها .

ويكاد هذا - أي القول : إنّ الغلو في هذا العصر الحديث ردّ فعل - أن يكون محلّ اتفاق بين الباحثين المهتمّين بهذه المشكلة .

ثانياً : هل هي مشكلة مرحليّة ، أو مشكلة دائمة ؟[٥٥٣]

الذي يراه الباحث أنه للإجابة عن هذا السؤال لا بدّ من التفريق بين الأفراد والأمة ، فهي بالنسبة إلى الأفراد مشكلة مرحليّة في غالبيّة الأحوال ، وهي بالنسبة إلى الأمّة مشكلة دائمة هذا بالنسبة إلى الأفراد أمّا بالنسبة إلى مجموعة الأمّة ، فالأمر غير هذا ، إذ إنّ الغلو حال دائمة تتسع وتضيق بحسب اتساع عواملها ، فلا يكاد يخلو زمان من وجود غلاة ، واستعراض التأريخ من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهد لهذا .

ثالثاً : هل المشكلة محليّة في بلدٍ واحدٍ أو هي عالميّة ؟[٥٥٤]

---

الخوارج) ، برقم: (١٦٨) :٥٩/١ ، مسند أحمد : برقم: (٦١٦) :٨١/١ .. وكلهم من حديث علي ، عدا الترمذي وابن ماجه فمن حديث ابن مسعود رضي الله عنهما .

[٥٥١]- ينظر في تخريج الحديث : مصادر النقطة الثالثة نفسها .

[٥٥٢]- مشكلة الغلو المركبة من أبرز التحدّيات لمجتمعاتنا : ٢ .

[٥٥٣]- المرجع نفسه .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إنَّ هذه المشكلة ليست مشكلة محليّة مقتصرة على بلدٍ واحد ، بل أصبحت مشكلة عالميّة تشمل جميع أرجاء الوطن الإسلامي ، والمشكلة مطروحة على السّاحة في كثير من البلاد الإسلاميّة ، لكنها تتفاوت في الحدّة ، فهي في بعض البلدان أكبر وأظهر من بعضها الآخر وهذا يعود إلى قوّة العوامل المنتجة لهذه المشكلة وضعفها في كلّ بلدٍ من البلاد الإسلاميّة ونحن في بلادنا لسنا بدعاً من الناس بل وقع الغلوّ في بلادنا ، ووقوع الغلوّ في العالم كله في هذه المرحلة الزمنيّة يعني -فيما يعني- أنّ العوامل العالميّة المشتركة هي الأظهر في أحداث الغلوّ ، أمّا النظر المحلي الخاص لعوامل الغلوّ ، مع أنّ الحدث عالميّ ، ففيه نوع من الظلم والإجحاف .

رابعاً : هل المشكلة نابعة من المجتمع أو وافدة ؟[٥٥٥]

تعدّ هذه الإشكاليّة الأكثر تردداً على الألسنة وفي المقالات بعد حوادث الغلو ، وتجد الناس ينزعون إلى أحد منزعين :

المنزع الأول : القول بأنها وافدة ، وكثيراً ما يطرح هذا الرّاغبون في تبرئة المجتمع ومؤسساته .

المنزع الآخر : القول بأنها نابعة من المجتمع ، بل قد يزيد هؤلاء فيقولون : بل غلو الآخرين نابع من مجتمعنا ، وكثيراً ما يطرح هذا الرّأي الرّاغبون في إدانة المجتمع أو مؤسساته ، أو مناهج التعليم فيه ونحو ذلك .

وأحسب أنَّ كثيراً من الكتابات المتعلقة بهذه الإشكاليَّة لم تكن ناتجة من دراسات علميَّة ، بقدر ما هي مجرد انطباعات نابعة من مواقف مسبقة . إنَّ حلّ هذه الإشكالية يكمن في وضع دراسات علميّةٍ لتحديد منابعها ، وأسبابها وعواملها وبمعرفة هذه العوامل والأسباب يظهر مصدر المشكلة .

خامساً : هل المشكلة فرديّة أو جماعيّة ؟[٥٥٦] إنّ النظر في أنواع الغلو ، وأنه على نوعين :

- غلو كليّ اعتقادي .

- غلو جزئي عملي .. يظهر به أنَّ كون المشكلة فرديّة أو جماعيّة أمر دائر مع نوع الغلو ، فإن كان الغلو غلوّاً كليّاً عقديّاً فهو جماعيّ ، وإن كان غلوّاً جزئيّاً عمليّاً فهو غلوّ فرديّ ، وهذا في غالب الأحوال .

وقبل الانتهاء من هذا المبحث أودّ أن أذكرَ أنَّ الميزان الأهم لصلاح الفرد والمجتمع وفسادهما هو أنّ المجتمع الصّالح هو المجتمع الإسلامي بمعنى القائم على أساس العقيدة الإسلاميّة التي ينبثق عنها النظام الاجتماعي الإسلامي ، الذي ينظم شؤونه المختلفة والذي بيّنا بعض خصائصه . والمجتمع الفاسد هو الذي يقوم على غير أساس العقيدة الإسلاميّة ولا يحكمه النظام الاجتماعي ، وتشيع فيه المنكرات ، وهو الذي يسمّيه الإسلام بالمجتمع الجاهلي . أو بكلمةٍ أخرى المجتمع الصّالح هو القائم على معاني الإسلام وأفكاره ومناهجه والتي تطبق فيه أحكامه والمجتمع الفاسد بخلافه .[٥٥٧]

## المبحث الرّابع

## فتنة التكفير وضرره على المجتمع

وعلى وفق ما تقدّم ، أردتُ الآن أن أصلَ بالقارئ الكريم إلى التعرّف بالمنهج المتطرّف الجديد ألا وهو(منهج التكفير) ؛ ليكون على بصيرة في التفريق بين ما تطرّقنا إليه من سماحة الإسلام ووضوحه والاعتدال الفكري ، وبين هذا الثوب الجديد .

ومن الأهميّة بمكان أن أعرّج بأصل كلمة التكفير أوّلاً ، ومن ثمّ أبيّن حكمه ، ومدى ضـــرره علـــى المجتمع ..

---

[٥٥٤]- المرجع نفسه .

[٥٥٥]- مشكلة الغلو المركبة من أبرز التحدّيات لمجتمعاتنا : ٢ .

[٥٥٦]- المرجع نفسه .

[٥٥٧]- ينظر: الوحي المحمّدي : ٣٢٠ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- فالتكفير لغة : التغطية والسّتر، ومنه قولــه تعــالى : ژ ج ج ج ج ج ژ[٥٥٨] - أي الغراس ، إذ أنهم يسترون الحبوب داخل التربة . وأكْفرْتُ الرّجل ، أي دعوتُه كافِراً ، يقــال : لا تُكفرْ أحداً من أهل القبلة ، أي لا تنسُبهم إلى الكُفْر .[٥٥٩] وقيل للزارع : كافر ؛ لأنه إذا ألقى البذر في الأرض كفره أي غطاه وستره .[٥٦٠]
- وفي الاصطلاح : " فهو نسبة أحد من أهل القبلة إلى الكفر " .[٥٦١]
- وأمّا معنى الكفر في الشرع : فهو نقيض الإيمان ، وهو الجحود ، ومنه قوله تعالى : ژ ڭ ڭ ۇ ۇ ژ [٥٦٢] - أي جاحدون .[٥٦٣] وهو بهذا لا يخرج عن المعنى اللغــوي ؛ لأنّ الكافر يستر قلبه ويغطيه بكفره .[٥٦٤]

حكمه : إنّ نسبة أهل الكفر إلى كفرهم لا شيء فيه بالاتفاق ، ولكن نسبة المسلم إلى الكفر فإنه يدور بين حكمين ..

أحدهما: التحريم ، وذلك إذا كان المسلم باقياً على إسلامه ، ولم يقم دليل على كفره لقوله تعــالى : ژۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ژ .[٥٦٥] ولقوله r فيما يرويه عنه أنس بن مالك t قال : « مَنْ صلَّى صلاتَنَا واستقبلَ قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمّة الله وذمّــة رســوله ، فــلا تحقروا الله في ذمّته » .[٥٦٦] وفي روايةٍ : « مَنْ صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنــا فــذلكم المسلم » .[٥٦٧] وصرَّحَ النبيُّ r في حديث آخر ، يرويه عنه أبو هريــرة t ، قــال : « إذا قــالَ الرّجلُ لأخيهِ : يا كافر ، فقد باءَ به أحدهُما » .[٥٦٨] وبوضوح أكثر في رواية مسلم[٥٦٩] ، فعن ابــن عمر رضي الله عنهما أنّه قال ، قال رسول الله r : « أيّمَا امْرئ قالَ لأخيهِ: يا كافر ، فقد باءَ بهــا أحدُهُما إنْ كانَ كما قالَ ، وإلا رجعتْ عليه » .

قال ابن عبد البر: " وفائدة هذا الحديث النهي عن تكفير المؤمن وتفسيقه ؛ قال الله عزّ وجــل : ژ ژ[٥٧٠] ، فقال جماعة من المفسّرين في هذه الآية : هو قول الرّجل لأخيه

---

٥٥٨- سورة الحديد : ٢٠ .
٥٥٩- ينظر: الصّحاح في اللغة : مادة : (كفر) : ٢/ ٨٨ ، تاج العروس من جواهر القاموس : المادة نفسها : ١٤/ ٦٢ .
٥٦٠- التبيان في تفسير غريب القرآن : ٤٠٩/١ .
٥٦١- مفاهيم إسلامية : ٩٧ .
٥٦٢- سورة القصص : ٤٨ .
٥٦٣- ينظر: أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء : ١٧٤ ، التوقيف على مهمّات التعاريف : ٦٠٦ .
٥٦٤- ينظر: تحرير ألفاظ التنبيه : ٤١ .
٥٦٥- سورة النساء : ٩٤ . ينظر: البحر المحيط : ٢٣٧/٤ ، التفسير الكبير : ٤٦٤/٤ .
٥٦٦- صحيح البخاري : باب : (فضل استقبال القبلة) ، رقم الحديث : (٣٨٤) : ١٥٣/١ .
٥٦٧- سنن النسائي : باب : (صفة المسلم) ، برقم : (٤٩٩٧) : ١٠٥/٨ .
٥٦٨- صحيح البخاري : باب : (من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال ) ، رقم الحديث: (٥٧٥٢) : ٢٢٦٣/٥ ، مسند أحمد : برقم: (٥٠٧٧) : ٤٧/٢ .
٥٦٩- في صحيحه : باب: (بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر) ، رقم الحديث: (٦٠) : ٧٩/١ .
٥٧٠- سورة الحجرات : ١١ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يا كافر ، يا فاسق وممّن قال بذلك : عكرمة والحسن وقتادة وهو معنى قول مجاهد لأنه قال هو الرجل يدعى بالكفر وهو مسلم " .[٥٧١]

ثانيهما: الوجوب وذلك في حقّ من صدر عنه ما يكفره ممّن له صلاحية إصدار الحكم كالإفتاء والقضاء لمصلحة شرعيّة معتبرة تترتب على الحكم بتكفيره . وحتى تكون نسبة أحد إلى الكفر صحيحة لابدّ وأن يكون من حكم بكفره قد رجع عن الإسلام بأحد صور الرّجوع كالقول أو الفعل أو الامتناع عن الفعل ، بشرط كونه قاصداً ، عالماً ، فلا يحكم - مثلاً- بكفر من جرى على لسانه الكفر دون قصد أو دراية لمعنى ما صدر عنه .[٥٧٢]

ومن أخطر صور الانحراف – اليوم- عن منهاج الإصلاح والاعتدال ، والبُعد عن طريق رسول صلى الله عليه وسلم ، وصحابته الكرام ، ومن تبعهم بإحسان ، القول بتكفير أصحاب الكبائر وخروجهم من الإسلام ، تلك الفتنة القديمة الجديدة: قديمة ؛ إذ قالت بها فئة خرجت على جماعة المسلمين في عهد الخلفاء الرّاشدين ، فسمَّاها المسلمون : (الخوارج) ، وترتب على خروجها في التكفير والقول على الله وعلى رسوله بغير علم ، فتن وخلافات بين المسلمين ، سُفكت فيها الدّماء وانتهكت فيها الحُرُمات ، وقاسى المسلمون من آثارها المدمّرة منذ بدأت إلى الآن ، آلامًا عظيمة، ومحناً كبيرة. وجديدة ؛ لأنّ بعض الجماعات الإسلاميّة في الوقت الحاضر تقول بتكفير الحكام المسلمين والمجتمعات الإسلاميّة ، وتدعو للخروج عليهم، وهذه الجماعات بهذا المسلك تلتقي مع الخوارج في تكفير أصحاب الكبائر، والدّعوة إلى الخروج على ولاة الأمر ، وإثارة الفتن في صفوف المسلمين.[٥٧٣]

ومن أسباب ضلال أصحاب هذه الأقوال ، فِهمُهم الخاطئ لقول الله تبارك وتعالى : ژ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ژ [٥٧٤] ، فقد فسَّروا الكفر هنا بالخروج من الدّين ، وأنه لا فرق بين من وقع فيه ، وبين أصحاب الملل الأخرى الخارجة عن ملة الإسلام ولم يرجعوا إلى فهم صحابة رسول الله r وأقوال الأئمَّة المعتبرين في هذا المجال ، ولا إلى معنى لفظ الكفر في اللغة العربيَّة .

وهذا ممَّا يُؤكد على ضرورة أن يكون الدّعاة على علم بكتاب الله تعالى ، وسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم ، وأقوال السّلف الصّالح في ذلك ، ومدلولات اللغة العربيّة في نصوص الكتاب والسنة .

إنَّ لفظ الكفر في هذه الآية ، لا يدلّ على معنى واحد فقط ، وهو الخروج عن الدّين ، شأنه شأن الظلم والفسق في الآيتين الكريمتين ، وهما قول الله تعالى : ژ ٻ ژ[٥٧٥] ، ژ ڃ ڃ چ چ ژ

---

[٥٧١]- الاستذكار ، لابن عبد البر : ٥٤٩/٨ .
[٥٧٢]- ينظر: مفاهيم إسلامية : ٩٧ .
[٥٧٣]- ينظر: الأمّة الوسط والمنهاج النبوي في الدّعوة إلى الله : ٦٤ .
[٥٧٤]- سورة المائدة : ٤٤ .
[٥٧٥]- السّورة نفسها : ٤٥ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ﭼ ﭽ ﭾ ﭿﮀ [٥٧٦] ، فالوصف بالظلم ، أو الفسق لا يعني خروج المتصف به عن الإسلام ، فكذلك وَصْــفُ من وصف بالكفر لا يعني خروجه عن الدِّين . [٥٧٧]

وقد أوضح علماء السَّلف **y** هذا الموضوع بكلِّ وضوح ، ورفعوا عنه لثام الغرابة والغمــوض ، إذ قسَّموا الكفر إلى : عملي ، واعتقادي . وقد يُراد بهذه الآية الكريمة الكفر العملي ، الذي لا يُخرج من الدّين بالكليّة ، ولكنه يدلّ على المخالفة في هذه الأعمال .

لذا فسَّرَ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما هذه الآية بقوله : " إنه ليس بالكفر الذي يذهبون إليه ، إنه لــيس كفراً ينقل عن الملة ، كفر دون كفر " .[٥٧٨] وقال طاوس : " وليس كمن يكفر بالله وملائكته وكتبــه ورسله " .[٥٧٩] وفسّرها أيضاً عطاء بقوله :" كفر دون كفر ، وفسق دون فسق ، وظلــم دون ظلــم " .[٥٨٠] وقال عكرمة : " ومن لم يحكم بما أنزل الله جاحداً به فقد كفر ومن أقرّ به ولم يحكم به ، فهــو ظالم فاسق " .[٥٨١]

وهذه التفسيرات هي التي تنسجم مع النصوص الأخرى ، التي وردت فيها كلمة الكفر، وهي لا تعني الخروج من الدّين ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنَّ النبيَّ الله صلى الله عليه وسلم قال: « سِبَابُ المُسْلم فُسُوقٌ ، وَقتالُهُ كُفرٌ » .[٥٨٢] فالكفر هنا هو المعصية، والخروج عن الطاعة ، وليس الخروج من الملة .[٥٨٣]

يُؤكد ذلك وصف الله تعالى الطائفتين المتقاتلتين بالإيمان في قوله سبحانه : ﮋ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﮊ [٥٨٤] . فوصف الله سبحانه وتعالى الطائفة الباغية بكونها من المؤمنين وإن كانت تقاتل الطائفة التي على الحق .[٥٨٥]

إذن دلت النصوص على أنّ التكفير - كسائر الأحكام الشرعيّة- لا يتمّ إلا بوجود أسبابه وانتفاء موانعه ولذا قد يرد في الكتاب والسنة ما يفهم منه أنّ هذا القول أو العمل أو الاعتقاد كفر ، ولا يكفر من اتصف به ؛ لوجود مانع يمنع من كفره كالإكراه ، وقد ينطق المسلم بكلمة الكفر لغلبة فرح أو

---

٥٧٦- السّورة نفسها : ٤٧ .

٥٧٧- ينظر: الأمّة الوسط والمنهاج النبوي في الدّعوة إلى الله : ٦٥ .

٥٧٨- أخرجه الحاكم في المستدرك على الصَّحيحين :وقال عنه : (صحيح) : رقم الحديث: (٣٢١٩) : ٢/ ٣٤٢ . وقال عنه الذهبي في تعليقه : (صحيح) ، سنن البيهقي الكبرى : باب: (تحريم القتل من السنة) ، برقم: (١٥٦٣٢) :٢٠/٨ .

٥٧٩- ينظر: تفسير القرآن العظيم : ٢/ ٨٠ .

٥٨٠- ينظر: تفسير سفيان الثوري : ١٠١/١ سنن الترمذي : ٢١/٥ ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٥٨٠/٤ .

٥٨١- ينظر: تفسير البغوي (معالم التنزيل) : ٦٠/١ .

٥٨٢- صحيح البخاري : باب : (باب ما ينهى من السباب واللعن) ، برقم : (٥٦٩٧) : ٥/ ٢٢٤٧ ، صحيح مسلم : باب : (باب بيان قول النبي صلى الله عليه وسلم سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) ، برقم : (٦٤) : ١/ ٨١ ، سنن الترمذي : باب: (ما جاء في الشتم) ، برقم: (١٩٨٣) :٣٥٣/٤ ، سنن ابن ماجه : باب: (في الإيمان) ، برقم: (٦٩) :٢٧/١ ، مسند أحمد : برقم: (٣٦٤٧) :٣٨٥/١ .

٥٨٣- ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري :١١٢/١ ، شرح النووي على صحيح مسلم :٥٣/٢ .

٥٨٤- سورة الحجرات : ٩ .

٥٨٥- ينظر: الأمّة الوسط : ٦٦ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

غضب أو نحوهما ، فلا يكفر بها ؛ لعدم القصد . كما في قصّة الذي قال : « اللهمّ أنتَ عبدي وأنا ربّك، أخطأ من شدّة الفرح » .[٥٨٦]

وأمَّا أصحاب هذا النهج فقد أخذوا بظواهر النصوص دون فقهٍ أو تثبّت ، ولا اعتبار لدلالة المفهوم ولا قواعد الاستدلال ، ولا الجمع بين الأدلة ، ولا اعتبار لفهم العلماء ، ولا نظر في أعذار الناس حتى تجرّؤا فحكموا بذلك على الأشخاص والجماعات والأنظمة ، دون اعتبار للضوابط الشرعيّة، وهو ما وقع فيه بعض الأفراد والجماعات في هذا العصر ، إذ توجهوا إلى تكفير الناس بغير برهان من كتاب الله ، ولا سنة رسوله r ورتبوا على ذلك استباحة الدّماء والأموال والاعتداء على حياة الناس الآمنين المطمئنين في مساكنهم ومعايشهم ، والاعتداء على مصالحهم العامّة التي لا غنى للناس في حياتهم عنها ، فحصل بذلك فساد كبير في المجتمعات الإسلاميّة .[٥٨٧]

فلمَّا صارت وسطيَّة الإسلام هي من أعظم حقوق هذه الأمّة الإسلاميّة التي سمّاها الله تعالى : ژ ڤ ڤ ژ فمن الواجب عليها أن تدافع عنها كلما حدث في المجتمع

الإسلاميّ أيّ انحراف عنها فكريّاً أو سلوكيّاً ، ويجب على الأمّة الوسط الدّفاع عن وسطيّتها في العقيدة والأخلاق والتشريع والسّلوك ضدّ كلّ غلوّ أو تطرّف .[٥٨٨] ويجب التحذير من الإفراط والتفريط والتسرّع في تبديع أو تفسيق أو تكفير المسلمين ، ولاسيّما الدّعاة لمجرد خطأ وقعوا فيه وكذلك التحذير من أهل الغلوّ في الجرح في زماننا الذين لم يسلم من لسانهم أحد من الصّالحين .[٥٨٩]

والاعتدال الإسلامي منهج اجتماعي ، ففي العصر الحديث تعرّض العالم الإسلاميّ للاحتلال الدّائم والغزو الشامل من المستعمرين الغربيّين ، فبالرّغم من أنّ كثيراً من بلدان العالم الإسلاميّ قد تخلصت من الاستعمار وحققت الاستقلال ، بيدَ أنهم في الحقيقة خرجوا من باب ودخلوا في باب آخر من أبواب الاستعمار التي دبّرتها أعداء الإسلام ، وقد فرضت عليهم الدّول الغربيّة القوّة العسكريّة والوكالة السياسيّة والهيمنة الاقتصاديّة ، الأمر الذي جعل العالم الإسلاميّ دائماً تحت أزمات ومشكلات داخليّةٍ وخارجيّةٍ ، وتدهورت الأوضاع وفقد التوازن في السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة ، وتعدّ حقاً هذه الفترة من الزمن في التأريخ الإسلاميّ تأريخ الهوان والذل والمقاومة، وتحت مثل هذه الظروف الصّعبة القاسية لم تستطعْ وسطيّة الإسلام أن تبرز خاصيّتها ، بل تكاد تفقد صورتها أمام تحديات التيّارات والأفكار المناقضة ، ومنها التطرُّف .[٥٩٠]

---

٥٨٦- صحيح مسلم : باب : (أخطأ من شدّة الفرح) ، برقم : (٢٧٤٧) : ٤/ ٢١٠٤ .
٥٨٧- ينظر: إرهاب المستأمنين وموقف الإسلام منه : ١٢ .
٥٨٨- ينظر: أصول المجتمع الإسلامي : ١٨٣ .
٥٨٩- ينظر: الرائد دروس في التربية والدعوة : ٣٣ .
٥٩٠- ينظر: وسطيّة الإسلام : ١٧ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إذن القرآن الكريم ومن خلال ما تقدَّم يُؤكد أنَّ الإسلام دين وسط معتدل ، صالح للمجتمعات كلها زماناً ومكاناً ، واسع الأفق ، قابل لكلّ تجديد في سبيل الرّقي والتقدّم والبناء ويرفض الجمود والتعصّب والعنف والهدم .

## الفصل الثاني

## دور القرآن في إصلاح المجتمع من حيث العبادة

إنَّ الأثر التعبدي الذي أحدثه القرآن الكريم في المجتمع المسلم فهو من دون شكّ أثر عظيم وكبير وذو فوائد جَمَّة عديدة . والعبادة التي نعنيها ليست قاصرة على نوع محدّد من العبادات بل هي شاملة لكلّ ما يطلق عليه اسم العبادة .

ففرض الله تعالى الدّين الإسلاميّ على عباده ، وهو سبحانه أعلم بما تصلح به أحوالهم في دنياهم وأخراهم ، وهذا الدّين لا يستقيم أمره ، إلا بإقامة شعائره كاملة ، ولكلّ شعيرة جانب تربوي للنفوس وتأثير في بناء المجتمع .

والقرآن الكريم ، قد حرص كلّ الحرص على تصحيح أعمال الناس في دينهم الإسلاميّ ؛ لأنّ الله تعالى قد جعلهم حماة له ، وذلك بإثبات أصوله : عملاً واهتماماً ، وتأصيل شعائره تعليماً وترغيباً ودعوة ؛ لتكون صافية من الشوائب . ويبرز هذا في الصّلاة والزكاة والصّوم والحج ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وإقامة الحدود الشرعيّة ، وغيرها من شعائر الإسلام ، التي يهتمّ بأدائها ، كما فرضت وفي أوقاتها ، ورعاية أوامر هذا الدّين ، ويحرص على توجيه المجتمع في تعظيم شعائر الإسلام والدّعوة إليه ، وتطبيق أحكامه ، امتثالاً لقوله تعالى : ژ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ژ .[٥٩١]

ويمتاز الإسلام بأنه جمع في الترغيب بين العمل للدّنيا والعمل للآخرة ؛ لتتحقق المصلحتان وتتوافر المنفعتان ، ولإكمال رسالة الدّنيا وجعلها جسراً للآخرة ؛ لأنّ متطلبات الحياة الدنيويّة كثيرة، وتعمير الدّنيا وتقدّمها وتحضرها من مقاصد الخلق الإلهي ، وذلك مثل الاستعداد بالإيمان والعمل الصّالح للآخرة دار الخلود ، قال الله تعالى في قصة قارون : ژ ى ى ي ي ژ[٥٩٢] .[٥٩٣]

والإنسان فاعل مختار ضمن ظروف وأحوال محيطة به ، فهو في شأنه وسط ، وهو حر في حدود النظام الكوني العام ، وما مثله إلا كمثل من يعيش في حديقة غنّاء واسعة يتمتع بكل ما فيها من خيرات ونعم وثمار وظلال ، ويتجنب ما قد يكون فيها من مخاطر ومضارّ ، ولكنه لا يستطيع تجاوز سور الحديقة .[٥٩٤]

---

٥٩١- سورة الحج : ٣٢ .
٥٩٢- سورة القصص : ٧٧ .
٥٩٣- ينظر: معالم التنزيل : ٢٢١/٦ ، تفسير القرآن العظيم : ٢٥٣/٦ .
٥٩٤- ينظر: وسطيّة الإسلام وسماحته : ١٤ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويوضح ذلك فيما يفعله الإنسان ، فهو مباشر للفعل بإرادته وحريّته ، والله يهيّئ له أسباب المباشرة ويحقق له نتائج العمل ، وينسب الله له فضيلة هذا العمل ، ويمنحه القوّة والعون على فعله، وله الثواب في الطاعة ، وعليه العقاب في المعصية أو المخالفة، وهذا معنى قوله تعالى : ژ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ژ ، وقوله : ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ژ ، وقوله سبحانه : ژ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ ژ ژ .[٥٩٥]

ونُدرك آنذاك معنى العمل وفائدة الدّعاء وطلب التوفيق من الله تعالى ، وندرك أيضاً سرّ العمل وجدواه في الدّنيا التي هي دار امتحان واختبار ، ثمّ نهاية العمر أو الموت ، وتحمّل مسؤوليّة التكاليف الإلهية والحساب عليها في الآخرة ، وفي ذلك خير للفرد والجماعة وكلّ ذلك مرتبط بحكمةٍ إلهيّةٍ عميقةٍ ودقيقةٍ وإلا كان الوجود في الدّنيا نقمة أو عبثاً أو ضياعاً ، والله تعالى منزّه عن العبث ، وعن الوجود الإنساني من غير هدف ، وهذا ما قرّره القرآن الكريم في تصريحه للمجتمع : ژ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ژ [٥٩٦].[٥٩٧]

ومن بين أصول ووسطيّة الشريعة الإسلاميّة ، مسايرة أوضاع الفطرة الإنسانيّة أو مراعاتها في منهجيّتها وأحكامها العمليّة ، والخلقيّة ، وممارسة العبادات بما يلائم طبيعة الإنسان وإمكاناته المزدوجة الجامعة بين حقّ الجسم وحق النفس أو الرّوح ، ويحفظ التوازن دون إلحاق جور أو ضرر أو كبت أو إرهاق لجانب على جانب آخر ، حتى وصف الإسلام بأنه (دين الفطرة )[٥٩٨] كما جاء في قوله تعالى : ژ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ژ [٥٩٩] .[٦٠٠]

فشرِّعت العبادات المفروضة ونوافلها في الإسلام من طهارة وصلاة وصيام وحجّ وزكاة ونحوها وتميّزت باليسر والسّماحة ، وقلة التكاليف ، وسهولة الممارسة ، والبعد عن التشدّد والغلوّ والتنطع وكون المشقة فيها معتادة ، فضلاً عن فوائدها الجمّة ، وآثارها التهذيبيّة والاجتماعية ، والتعبير بها عن عبوديّة الإنسان لله الخالق ، فإنّ لله تعالى حقوقاً على عباده ، بل إنّ الغاية الأصليّة من الخَلْق الإلهي للبشريّة هي عبادة الربّ تبارك وتعالى قال سبحانه : ژ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ژ .[٦٠١]

والطهارة أوّل الأسس في حماية البيئة والنفس والتحرّز عن المؤذيات والمضارّ . والصّلاة بفرائضها الخمس: صلة بين العبد وربّه ، وتذكير بالواجبات والمسؤوليّات واحترام قيمة الوقت وتهذيب النفس. والصّوم: صحة وعافية ، وتدريب على الصّبر وقوّة الإرادة ، وشحذ العزيمة ، والترفع عن الماديّات والتشبّه بالملأ الأعلى من الملائكة ، وانتصار على الأهواء والشهوات والمغريات . والزكاة لتحقيق التكافل الاجتماعي ، والتعاون والتراحم ، وعلاج ظواهر البؤس والفقر والعوز أو الحاجة وتطهير المال وصونه من الضياع والسّرقة . والحجّ يحقق منافع كثيرة أوّلها جمع المسلمين على قدم المساواة وتوحيد الله ووحدة الاتجاه والالتفاف حول مركز واحد وهو الكعبة المشرّفة ، وتربية الأخلاق بالاغتراب والسّفر والاحتكاك بالآخرين .[٦٠٢]

---

٥٩٥- سورة الأنفال : ١٧ ، آل عمران : ١٢٦ ، ١٦٠ .
٥٩٦- سورة المؤمنون : ١١٥ .
٥٩٧- ينظر: التحرير والتنوير : ٣٦٩/١٤ .
٥٩٨- ينظر: وسطية الإسلام وسماحته : ٨ .
٥٩٩- سورة الروم : ٣٠ .
٦٠٠- ينظر: وسطية الإسلام وسماحته : ١٥ .
٦٠١- سورة الذاريات : ٥٦ .
٦٠٢- ينظر: وسطية الإسلام وسماحته : ١٧ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإذا ما نظرنا نظرة تأمّل في مشروعيّة صلاة الجماعة ، وجدناها قد شرّعت لأجل التوادّ والتواصل بين المجتمع وعدم التقاطع ، فباجتماعها يحصل التآلف والوئام ، والأنس والانسجام، والتعاطف والتلاطف والالتئام فتصفو القلوب ، وتزكو النفوس ويجتمع الشمل ويرتئب الصّدع ، وتتقشع سحب الضغينة وغيوم الإحن والأحقاد ، ويبقى المجتمع نظيفاً من الغلّ والحسد ، طاهراً نقيّاً من السّخيمة والشحناء ، تخيّم عليه المحبة الواثقة ، وتملأ أفئدة بنيه المودّة الكامنة الصّادقة به ، ويطلع المسلم على أحوال أخيه ويتحسّس مواضع حاجته فيسعفه ويواسيه ، يعرف من ملامح وجهه ورثاثة حاله ما يعتلج في جنانه من شظف عيش وسوء حال ، وعوز وفاقة ، وما يخالج ضميره من همّ وكدَر فيخفف عن آلامه بمدّ يد العون والرّفد والعطاء ، ويعالج ما أقلقه من مصائب وغموم ، فيزيل عنه شديد قلقه وثقيل أتراحه[٦٠٣] قال r ، فيما يرويه عنه أبو موسى الأشعري t : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً » .[٦٠٤]

وهذه نقاط مضيئة ومثمرة لبناء الفرد والجماعة ، والأمّة والدّولة ، وتلك إصلاحيّة بنّاءة أو إيجابيّة وتربية ناجعة على الدّوام ، لا تقتصر على فترة زمنيّة سرعان ما يتناسى الإنسان آثارها ومراميها .

ولا تنبني مثل هذه العبادات إلا على اعتبار تأثير البواعث والنيَّات : قال الله تعالى : ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ژ[٦٠٥] ، وقد ثبت في السنة النبويّة فيما أخرجه الشيخان[٦٠٦] ، عن عمر t أنّ النبيّ r قال: « إنَّما الأعمال بالنيَّات ، وإنَّما لكلِّ امرئ ما نوى » ، ومنه استنبطت قاعدة المعاملات : ( الأمور بمقاصدها ) .[٦٠٧] واعتبر الباعث السّيئ في بيوع الآجال وزواج التحليل وبيع العنب لعاصره خمراً ، وبيع السّلاح في الفتنة ونحو ذلك ، سبباً عند جمهور العلماء لإفساد العقود وتحريمها فيكون أساس الأعمال وتحقيق الثوابت هو النيّة الطيّبة والإخلاص في العمل .

وإعمال هذه الأصول في الحياة العمليَّة يُحقق التوازن والاعتدال والطمئنينة والتوسّط في الأمور ويمنع التحايل على شرع الله وقواعده الكليّة ، ويجنّب من الوصول إلى غايات غير مشروعة لمصادمتها مقاصد الشريعة ، وهو ما يعرف بمبدأ : ( سدِّ الذرائع )[٦٠٨] ؛ وذلك لأنَّ الشريعة تحرص على نقاء الظاهر والباطن ، وتطارد الانحراف بذرائع وأسباب ووسائل مشبوهة أو مصادمة لأصل التشريع وغاياته الرّشيدة ، وتجعل الإخلاص والنقاء هو محور العمل ، وأنّ النتائج المتحققة غير المشروعة تعدّ دليلاً على سوء النيّة ، وخبث الباعث أو الدّافع . ومن المعلوم أنّ مقاومة الفساد مطلب أساسيّ في شرعة الله تعالى ، فإذا انتشر وباء الفساد ، قضى على الإيجابيّات ومناهج إصلاح المجتمع وصادر الدّعوة إلى الخير والفضيلة وذلك يوجب مراعاة هذه الاعتبارات الذاتيّة ، وتفعيل منهج الوسطيّة .[٦٠٩]

---

٦٠٣- ينظر: وظيفة المسجد في المجتمع : ٣٥ .

٦٠٤- صحيح البخاري: باب: (نصر المظلوم) ، برقم: (٢٣١٤) : ٨٦٣/٢ ، صحيح مسلم : باب: (تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم) ، برقم: (٢٥٨٥) :١٩٩٩/٤ ، سنن الترمذي : باب: (ما جاء في شفقة المسلم على المسلم) ، برقم: (١٩٢٨) : ٣٢٥/٤ ، سنن النسائي : باب: (أجر الخازن إذا تصدق بإذن مولاه) ، برقم: (٢٥٦٠) : ٧٩/٥ .

٦٠٥- سورة البينة : ٥ .

٦٠٦- صحيح البخاري : باب : (كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، برقم : (١) : ٣/١ ، صحيح مسلم : باب: (قوله صلى الله عليه وسلم : إنما الأعمال بالنية ) ، برقم: (١٩٠٧) : ١٥١٥/٣ .

٦٠٧- ينظر: الفوائد في اختصار المقاصد : ٤٣ ، القواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها من الأحكام : ٢٦٩ .

٦٠٨- وهو: (منع الجائز ؛ لأنه يجرّ إلى غير الجائز وبحسب عظم المفسدة في الممنوع يكون اتساع المنع في الذريعة وشدته) . الموافقات في أصول الفقه : ١١٣/١ .

٦٠٩- ينظر: وسطية الإسلام وسماحته : ٢٥ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعن دور الوسطيّة في الإصلاح التعبدي ، فلنا في قصّة نهي رسول الله r ثلاثة من أصحابه عن الغلوّ في العبادة اعتباراً وعظة ، إذ ظنّ هؤلاء الثلاثة رضي الله عنهم أنّ أفضليّة العبادة وعظم ثوابها لا تحصل إلا بالمشقة البالغة وحرمان أنفسهم من طيّبات الدّنيا وقد صحّح النبيّ r فهمهم الخاطئ وأرشدهم منهج وسطيّة العبادة في الإسلام .

فكمال الوسطيَّة أو وسطيّة الكمال قد وضع الله سبحانه وتعالى لها منهجاً ربانيّاً شاملاً وسعى رسول الله r في حياته وسيرته إلى التطبيق الكامل لهذه الوسطيّة فهذه الوسطيّة خصيصة الأمّة الإسلاميّة المرحومة بمفهومها الإسلاميّ المتمثل في لغة القرآن ومعانيه ومواقفه ، كما أورده القرآن الكريم وطبقه رسوله الكريم r ، فهي تختلف تمام الاختلاف عن مفهوم الوسطيَّة عند غير المسلمين . فالوسطيَّة الإسلاميَّة لا تهدف إلى الجمع بين المتضادِّين أو المتعارضين أو التوسط بين النقيضين أو إرضاء الطرفين واتخاذ موقف محايد ، وإنما الهدف من الوسطيّة الإسلاميَّة هو الوصول إلى الحقّ .[٦١٠]

هذا ويتجلى أثر الإصلاح التعبدي في المجتمع من خلال ما يأتي[٦١١] :

- الارتباط بالله والشعور بمعيّته ، وسرعة الأوبة إليه لمن حصل منه شرود وغفلة .
- التمسّك بالقرآن الكريم والسنة النبويّة في الهدي والعمل ، والتيقن بهما في مجال العبادات والتديّن .
- الإقتداء بالسّلف الصّالح t في كيفية منهجيّة الحياة وتطوّرها .
- الالتزام بأقوال علماء هذه الأمّة ودعاتها وصالحيها ، علماً وترجيحاً .
- الحرص على الوفاء بالعبادات واستكمال شروطها واتقاء مبطلاتها بالسّؤال والتحرّي.
- الاهتمام بالفرائض والمبادرة إليها وتعظيمها وتقديمها على ما سواها ، والشعور بضياع من يهملها ويتكاسل عنها وفساده .
- الرّغبة في نوافل العبادات والتطوّعات صلاة وزكاة وصوماً .
- الحرص على قراءة القرآن والأذكار والأدعية المأثورة .
- الحرص على إظهار شعائر الإسلام والالتزام بتعاليمه وتطبيقها بعد القناعة بها ، وبذلك تظلّ للدّين حيويته في النفوس وأثره في الوجدان ، ومن هنا قرن الإيمان والعمل الصّالح في كثير من نصوص القرآن الكريم ، إذ كثيراً ما يرد فيه : ژ ک گ گ گ ڳ ڳ ڳ ژ [٦١٢] وتمثل هذه الصّور بعمومها سِمة للمجتمع .

.. واستكمالاً لما بدأنا به ، جاءت المباحث الآتية ..

## المبحث الأوّل
## ضرورة الدّين لإصلاح المجتمع

قدّر الإسلام ما للدّين من أهميّة في حياة الإنسان إذ يلبّي النزعة الإنسانيّة إلى عبادة الله ولما يمدّ به الإنسان من وجدان وضمير ، ولما يقوى في نفسه من عناصر الخير والفضيلة وما يضفي على حياته

---

٦١٠- ينظر: وسطية الإسلام : ١٣ .

٦١١- ينظر: المرجع نفسه .

٦١٢- سورة البقرة : ٢٥ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من سعادةٍ وطمأنينةٍ ؛ نظراً لتلك الأسباب كلها كان الدّين ضرورة حياة بالنسبة للإنسان ، قال تعالى : ژ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ژ .[٦١٣]

ولذا يقول هنري برجسون : " لقد وجدتُ وتوجدُ جماعاتُ إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات ولكن لم توجد قط جماعة بغير ديانةٍ " .[٦١٤]

ونظراً لتلك الاعتبارات حافظت شريعة الإسلام على الدّين ، سواء من حيث غرسه في النفوس وتعميقه فيها ابتداء ، أو من حيث تدعيم أصله وتعهده بما ينمّيه ويحفظ بقاءه استمراراً ودواماً وشرعت لذلك الوسائل الآتية[٦١٥] :

أ- وسائل حفظ الدِّين من جانب الوجود : من وسائل غرس الدّين في النفوس ابتداءً في الشريعة الإسلاميّة الوسائل الآتية[٦١٦] :

١- ترسيخ اليقين بأصول الإيمان وأركانه ، وهي الإيمان بالله ورسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر والقدر خيره وشرّه ، يقول الله تعالى : ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ژ[٦١٧] ، ويقول تعالى : ژ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ژ .[٦١٨]

٢- إقامة هذا الإيمان على البرهان العقلي والحجّة العلميّة ، ومن هنا كانت دعوة الإسلام إلى النظر والتدبّر : ژ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ژ[٦١٩] وكان نعيه على أولئك الذين لا يتفكرون في الآيات المبثوثة في الكون : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ ژ [٦٢٠] وشنَّ حملة شعواء على تقاليد الآباء وأخذ المعتقدات من غير نظر ولا برهان : ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ڤ ڤ ٹ ٹ ژ .[٦٢١]

٣- القيام بأصول العبادات وأركان الإسلام من صلاة وزكاة وصوم وحج ، بعد النطق بالشهادتين فهذه العبادات من أهمّ أسرارها وحكمها أنها تصل العبد بربه وتوثق صلته به ممّا يرسخ أصل الإيمان في نفسه ويجدّده ، يقول الرَّسول r ، فيما يرويه عن ربه : « وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبّ إليّ ممّا افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه...» .[٦٢٢] ويقول r : « بُنيَ الإسلامُ على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ مُحمَّداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان » .[٦٢٣]

٤- إيجاب الدّعوة إلى الله وحمايتها وتوفير أسباب الأمن لحملتها : ژ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ژ ، ژ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ژ ، ژ ې ې ژ

---

[٦١٣]- سورة الروم : ٣٠ .

٦١٤- الدين - بحوث ممهدة لدراسة الأديان - : ٨٣ .

[٦١٥]- ينظر: مقاصد الشريعة : ٧ .

[٦١٦]- المرجع نفسه : ٨-١٠ .

[٦١٧]- سورة البقرة : ٢٨٥ .

٦١٨- سورة النساء : ١٣٦ .

٦١٩- سورة الأعراف : ١٢٥ .

٦٢٠- سورة يوسف : ١٣٥ .

٦٢١- سورة البقرة : ١٧٠ .

٦٢٢- صحيح البخاري ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : باب: (التواضع) ، برقم الحديث: (٦١٣٧) :٥/ ٢٣٨٤ .

[٦٢٣]- صحيح البخاري : باب : (الإيمان) ، رقم الحديث : (٨) : ١٢/١ ، صحيح مسلم : باب : (بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام) ، برقم : (١٦) : ٤٥/١، سنن الترمذي : باب : (ما جاء بني الإسلام على خمس) ، برقم : (٢٦٠٩) : ٥/٥ ، سنن النسائي : باب : (على كم بني الإسلام) ، برقم : (٥٠٠١) : ١٠٧/٨، مسند أحمد : برقم : (٦٠١٥) : ١٢٠/٢ . وكلهم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ژ[٦٢٤] ، ژ ڈ ڈ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ [٦٢٥] ، ژ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ
ژ ژ ڑ ک ک ک ک گ گ ژ .[٦٢٦]

ب- وسائل المحافظة على الدّين من جانب البقاء : والمقصود بها الوسائل التي انتهجتها الشريعة في المحافظة على الدّين بعد حصوله ، لصيانته وإزالة العوائق من طريقه، وتزكيته في النفوس .. ومن هذه الوسائل[٦٢٧] :

١- كفالة حُريَّة العقيدة والتديّن وحمايتها ، فالإسلام لا يُكره أحداً على اعتناقه ، ويسمح بتعايش مختلف الأديان داخل دياره وفي رحاب دولته ، ويترك الحريّة لأهل الأديان في عقائدهم وممارستهم التعبديّة وتصرفاتهم المدنيّة ، لذا صار من أهداف الجهاد الإسلامي تأمين حريّة الاعتقاد والتديّن ، قال تعالى : ژ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ژ .[٦٢٨]

٢- تشريع الجهاد تمكيناً للدِّين ودرءاً للعُدوان وحماية للاعتقاد ، قال تعالى : ژ ی ی ژ ، ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ژ .[٦٢٩] الالتزام بتعاليم الدِّين وتطبيقها بعد القناعة بها وبذلك تظلّ للدّين حيويّته في النفوس وأثره في الوجدان ، ومن هنا قرن الإيمان والعمل الصَّالح في كثير من نصوص القرآن الكريم ، إذ كثيراً ما يرد في القرآن : ژ ک گ گ گ گ ژ .

٣- تشريع عقوبة الرِّدة وذلك حتى يكون الإنسان جادّاً في اعتناقه للإسلام ، وحتى لا يقدم على الإسلام إلا بعد قناعة تامّة ، فالإسلام لا يُكره أحداً على اعتناقه . بل إنّ الله لا يقبل من الدّين إلا ما كان نابعاً عن قناعةٍ من صاحبه ، فإذا دخله الشخص فمن المفروض أن يكون على قناعةٍ بما اتخذ من قرار ، فإذا ارتدّ بعد ذلك فمعنى ذلك أنه أحدث بلبلة فكريّة وسياسيّة تضطرب بها أوضاع المجتمع ، ويفقد استقراره الفكري والنفسي المنشود . كما قال تعالى مبيّناً دعوة المشركين إلى هذه السياسة : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ ڦ ڦ ڦ ڦ ژ .[٦٣٠] ونظراً لذلك شُرِّعت عقوبة الرِّدة ؛ حماية لجديَّة الاعتقاد ، وحرمة الدِّين .

٤- إقامة سياج من الحاجيات والتحسينات كأداء الصّلاة جماعة ، كنوافل العبادات المختلفة وبكلّ هذه التشريعات يتأصّل الدّين ، ويرسخ في نفس الإنسان وفي المجتمع ممّا يحقق الأنس والسّكينة والخير للفرد والمجتمع .

## المبحث الثاني

## أثر القرآن في تيسير التشريع والتكليف

---

٦٢٤- سورة لقمان : ١٧ .
٦٢٥- سورة العلق : ٩- ١٠ .
٦٢٦- سورة البروج : ١٠ .
٦٢٧- مقاصد الشريعة : ١١-١٣ .
٦٢٨- سورة الحج : ٤٠ .
٦٢٩- الآيتان في سورتي : البقرة : ١٩٠ ، النساء : ٧٥ .
٦٣٠- سورة آل عمران : ٧٢ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إنَّ يُسر التكليف ، ورفع الحَرَج عن هذه الأمّة ، أمرٌ قرّره القرآن العظيم في أكثر من موضع ومن أقوى الأدلّة وأصرحها في الدّلالة على رفع الحَرَج قوله تعالى : ژ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ژ[٦٣١] وقوله : ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ژ ، ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ژ .[٦٣٢]

ويُمكن تحديد الحديث عن تقرير القرآن لرفع الحَرَج والتيسير على هذه الأمّة في تشريعها وتكليفها في فقراتٍ متتاليةٍ ؛ ليسهل تحرير هذه القضيّة واستيعابها ..

١ - امتنَّ اللهُ على هذه الأمَّة في الكتاب العزيز بأن وضع عنها الإصر والأغلال التي كانت على من قبلها ، ولم يحمّلها ما حمَّل من قبلها ، فكان ذلك مظهرًا من مظاهر تيسير هذا الدّين . يقول تعالى في وصف نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم لموسى عليه السّلام : ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ک گ گ ژ[٦٣٣] .

وإنَّ من جملة دعاء رسول الله والمؤمنين : ژ ى ى ي ي ژ[٦٣٤] . وفي الحديث الصَّحيح : « إنَّ هذا الدّين يُسر ولن يشادّ هذا الدّين أحدٌ إلا غلبه » .[٦٣٥] وكذلك كان يأمر أصحابه الذين يرسلهم إلى بث الدّين ؛ فقال لمعاذ وأبي موسى حين أرسلهما إلى اليمن : « يسِّرا ولا تُعسِّرا »[٦٣٦] ، وقال لمعاذ لما شكا بعض المصلين خلفه من تطويله : « يا معاذ أفتان أنتَ » .[٦٣٧]

فكان التيسير من أصول الشريعة الإسلاميّة وعنه تفرّعت الرّخص بنوعيها .[٦٣٨] والإصر هو العهد الثقيل الذي في تحمّله أشدّ المشقة . والأغلال هي الشّدائد التي كانت في عبادتهم .[٦٣٩] وفي آيتي البقرة والأعراف إشارة إلى أنه ، عليه الصَّلاة والسَّلام ، قد جاء بالتيسير والسَّماحة .[٦٤٠] قال الجشمي : " دلّت آية – الأعراف- على أن شريعته أسهل الشّرائع ، وأنه وضع عن أمّته كلّ ثقل كان في الأمم الماضية".[٦٤١] وقال الطبري في تفسير آية سورة الحج : " جعل الدّين واسعًا ولم يجعله ضيّقًا " .[٦٤٢]

والأدلة على ذلك قطعيّة ، قال الشاطبي: " إنّ الأدلة على رفع الحرج فى هذه الأمة بلغت مبلغ القطع".[٦٤٣]

---

٦٣١- سورة الحج : ٧٨ .
٦٣٢- سورة البقرة : ١٨٥ ، ٢٨٦ .
٦٣٣- سورة الأعراف : ١٥٧ .
٦٣٤- سورة البقرة : ٢٨٦ .
٦٣٥- صحيح البخاري : باب : (الدين يسر) ، برقم : (٣٩) : ٢٣/١ ، سنن النسائي : باب : (الدين يسر) ، برقم : (٥٠٣٤) : ١٢١/٨ .. وكلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
٦٣٦- صحيح البخاري : باب : (قول النبي صلى الله عليه وسلم : يسروا ولا تعسروا) ، برقم : (٥٧٧٣) : ٢٢٦٩/٥ ، صحيح مسلم : باب : (في الأمر بالتيسير وترك التنفير) ، برقم : (١٧٣٣) : ١٣٥٩/٣ ، مسند أحمد : رقم الحديث : (١٩٧٥٧) : ٤١٧/٤ . وكلهم من حديث سعيد بن ابي بريدة عن ابيه عن جده .
٦٣٧- صحيح البخاري : باب : (من شكا إمامه إذا طول) ، برقم : (٦٧٣) : ٢٤٩/١ ، صحيح مسلم : باب : (في قراءة العشاء) ، برقم : (٤٦٥) :٣٣٩/١ ، سنن ابي داود : باب : (في تخفيف الصلاة) ، برقم : (٧٩٠) : ٢٦٩/١ ، سنن النسائي : باب : (اختلاف نية الإمام والمأموم) ، برقم : (٨٣٥) : ١٠٢/٢ ، مسند أحمد : رقم الحديث : (١٤٢٢٦) : ٢٩٩/٣ . وكلهم من حديث جابر بن عبد الله t
٦٣٨- ينظر: تفسير القرآن العظيم : ٣٣٥/٢ ، التحرير والتنوير : ٩٣٤/١ .
٦٣٩- ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٨٢/٦ ، معالم التنزيل : ٣٥٧/١ .
٦٤٠- ينظر: تفسير القرآن العظيم : ٣٣٥/٢ .
٦٤١ - ينظر: تفسير القاسمي ، المسمى: (محاسن التأويل) : ٢٨٨٢/٧.
٦٤٢ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٩١/٩ .
٦٤٣- الموافقات : ٣٤٠/١ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولبيان تيسير الإسلام في التكاليف في ضوء ما شرعه الله في كتابه ، وعلى لسان رسوله r ، نذكر نماذج من الأحكام التي جاءت في التوراة التي بين أيديهم ، حتى يتبيَّن منها الأغلال والآصار التي كانت عليهم .[٦٤٤]

ــ جاء في سفر الخروج في الإصحاح الحادي والعشرين : " من شتم أباه وأمّه يُقتل قتلاً . إذا نطح ثور رجلاً أو امرأة وكان الثور نطاحًا من قبل ، وقد أشهد على صاحبه ولم يضبطه فقتل رجلاً أو امرأة فالثور يُرجم وصاحبه يُقتل " .

ــ وفي الإصحاح الخامس والثلاثين وفي السفر نفسه :" ولا تأخذوا فدية عن نفس القاتل المذنب للموت بل إنه يقتل " .

ــ وفي الإصحاح الحادي عشر من سفر اللاويين : " كلّ من مسّ حائضًا يكون نجسًا إلى المساء وكلّ ما تضطجع عليه في طمثها يكون نجساً ، وكلّ ما تجلس عليه يكون نجساً ، وكلّ من مسّ فراشها يغسل ثيابه ، ويستحم بماء ، ويكون نجسًا إلى المساء " .

ــ وفي الإصحاح الثاني والعشرين من سفر التثنية : " تحرث على ثور وحمار معاً ، ولا تلبس ثوباً مختلطاً صوفاً وكتاناً معاً " .

قال الدكتور صالح عبد الله بعد أن ساق هذه النماذج : " وأصدق من ذلك وأبلغ قول الحق تبارك وتعالى في الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا خلفه ، تنـــزيل من حكيم حميد : ژ ۓ ۓ ﮬ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ژ[٦٤٥] ، وقوله سبحانه في بيان أنواع من المحرَّمات عليهم بسبب بغيهم : ژ ۋ ې ې ۉ ﯦ ى ى ﯧ

ژ[٦٤٦] وكلّ ذلك ساقه الله في كتابه لبيان ما امتنّ به على هذه الأمَّة من التخفيف ، والتيسير والتسهيل ، ونعت نبيّه صلى الله عليه وسلم ، بأنَّه : ژ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ژ[٦٤٧]. وقد ذكر علماؤنا رحمهم الله شيئًا من الآصار والأغلال التي كانت على من قبلنا منها: قطع موضع النجاسة من الثوب أو منه ، ومن البدن ، وإحراق الغنائم وتحريم السَّبت ، وقطع الأعضاء الخاطئة ، وتعيّن القصاص في العمد والخطأ من غير شرع الدّية وأمروا بقتل أنفسهم علامة على التوبة ، وطلب منهم أداء ربع المال في الزكاة ، وعدم جواز الصّلاة إلا في البيعة ، وحُرمة الجماع في أيّام الصّوم بعد العتمة والنّوم وحُرمة الطعام بعد النوم وعدم التّطهير بالتيمّم ، وكتابة ذنب اللّيل بالصّبح على الباب "[٦٤٨].

وممَّا سبق يتّضح دلالة آيتي البقرة والأعراف على تقرير منهج التيسير ورفع الحَرَج في التّشريع والتّكليف ، وهو من أعظم أسس الإصلاح في كسب العباد ودوامهم على عبادتهم .

٢- وردت آيات كثيرة تُبيّن أنّ الله لا يُكلّف نفسًا فوق طاقتها ، ولا يُكلف نفسًا إلا وُسعها وقدرتها قال تعالى : ژ ۆ ۈ ۈ ۇ ۇ ۆ ژ ، ژ ۆ ۇ ۋ ۇ ۉ ۉ ۋ ژ[٦٤٩] ، ژ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ژ ﮍ ﮎ ژ[٦٥٠] وقال عزّ وجل : ژ

---

٦٤٤ - ينظر: رفع الحرج في الشريعة – ضوابطه وتطبيقاته - : ١٥٨ .

٦٤٥- سورة النساء : ١٦٠ .

٦٤٦- سورة الأنعام : ١٤٦ .

٦٤٧- سورة الأعراف : ١٥٧ .

٦٤٨ - رفع الحرج في الشريعة : ١٥٨- ١٦٠ .

٦٤٩- سورة البقرة : ٢٣٣ ، ٢٨٦ .

٦٥٠- سورة الطلاق : ٧ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

پ ٹ ٹ ٹٹ ٹ ڈ ڈ ٹٹ ژ[٦٥١] ، وقال : ژ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ژ [٦٥٢] وقال تعالى: ژ ڈ ڈ ٹ ٹ ٹٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ژ .[٦٥٣]

وعلى الرّغم من أنّ قوله تعالى : ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ژ ظاهر الدّلالة على عدم التّكليف إلا في حدود القدرة والميسرة ، إلا أنّ الله سبحانه وتعالى قد أعقب هذه الجملة بدعاء على لسان عباده المؤمنين ، يُبيّن فيه أنّ ما امتنّ عليهم من عدم المؤاخذة بالخطأ والنّسيان وحطّ الآصار والأغلال وعدم التّكليف بما لا يُطاق ، وقد انتظم ذلك في ثلاثة أمور :

الأول: قوله تعالى : ژ ې ې ې ى ى ژ .

الثاني: قوله : ژ ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ژ .

الثالث: قوله تعالى : ژ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئي ئي ژ .[٦٥٤]

قال البقاعي معلقاً على هذه الآية : " عرّفهم – أي عباده- مواقع نعمه من دعاء رتّبه على الأخف فالأخف على سبيل التعلي ، إعلامًا بأنه لم يؤاخذهم بما اجترحوه نسياناً ، ولا بما قارفوه خطأ ولا حمل عليهم ثقلاً ، بل جعل شريعتهم خفيفة سمحة ، ولا حمّلهم فوق طاقتهم ، مع أنَّه له جميع ذلك وأنَّه عفا عنهم في سترهم فلم يخجلهم بذكر سيئاتهم " .[٦٥٥]

ولاشكّ أنّ الأحكام الشّرعيّة إذ كانت مطلوبة في حدود الوسع والاستطاعة دون بلوغ غاية الطّاقة ففي ذلك الدّلالة الظّاهرة على أن الحَرَج مرفوع ، وأنَّ الشريعة مبنيّة على التيسير وعدم التعسير فهي حنيفيَّة سهلة سمحة .[٦٥٦]

قال الإمام الطبري : " يعني بذلك جلّ ثناؤه لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً فيتعبدّها إلا بما يسعها ، فلا يضيق عليها ولا يجهدها " .[٦٥٧]

وقال المفسِّر الشيخ مُحمَّد رشيد رضا في تفسيره[٦٥٨] بمعنى : " ولا يُحاسبها إلا على ما كلّفها والتّكليف هو الإلزام بما فيه كلفة ، والوسع ما تسعه قدرة الإنسان من غير حرج ولا عسر ، وقال بعضهم : هو ما يسهل عليه من الأمور المقدور عليها ، وهو ما دون مدى طاقته ، والمعنى : أنَّ شأنه تعالى وسنته في شرع الدّين ألا يُكلّف عباده ما لا يُطيقون " .

والوسع ما يسع الإنسان فلا يعجز عنه ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه ، فقوله تعالى : ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ژ أي : لا يحملها إلا ما تسعه وتطيقه ولا تعجز عنه أو يحرجها دون مدى غاية الطّاقة فلا يكلّفها بما يتوقّف حصوله على تمام صرف القدرة ، فإنَّ عامّة أحكام الإسلام تقع في هذه الحدود ففي طاقة الإنسان وقدرته الإتيان بأكثر من خمس صلوات وصيام أكثر من شهر، ولكنَّ الله جلّت قدرته ووسعت رحمته أراد بهذه الأمَّة اليُسر ولم يرد بها العُسر .[٦٥٩] بل جاء تقرير هذه القاعدة عند ذكر بعض الأحكام الجزئيَّة ، فقال سبحانه : ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ژ، وكذلك قوله : ژ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ژ ، وكذلك أيضًا : ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ

---

٦٥١- سورة الأنعام : ١٥٢ .
٦٥٢- سورة الأعراف : ٤٢ .
٦٥٣- سورة المؤمنون : ٦٢ .
٦٥٤- الآيات الثلاث في سورة البقرة : ٢٨٦ .
٦٥٥ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ٥٥٨/١ .
٦٥٦ - ينظر: رفع الحرج في الشريعة : ٧١، ٧٣ .
٦٥٧ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٥٤/٣ .
٦٥٨- تفسير القرآن العظيم ، المعروف بـ(تفسير المنار) ، للشيخ محمد رشيد رضا (ت١٣٥٤هـ) : ١٢٧/٣ .
٦٥٩ - رفع الحرج في الشريعة الإسلامية : ٦٩ . وينظر : تفسير القرآن العظيم : ٣٨٠/١ ، ٤٥٥ ، معالم التنزيل : ٣٥٦/١ – ٣٥٧ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ﯿ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ .[٦٦٠] هذه هي الآيات التي وردت مبيّنة أنَّ التّكليف بحسب الوُسع والطّاقة ، ولا شكَّ أنَّ الأحكام الشَّرعيّة إذا كانت مطلوبة في حدود الوُسع والاستطاعة دون بلوغ غاية الطّاقة ، ففي ذلك الدّلالة الظّاهرة على أنّ الحَرَج مرفوع ، وأنَّ اليُسر سِمة هذا الدّين ، والتّوسعة على العباد خاصِّيَّة من خصائصه فهي الحنيفيَّة السّمحة والوسطيَّة التي لا عَنَتَ فيها ولا مشقَّة .[٦٦١]

وعن لفظة اليُسر قال تعالى : ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﮊ ، وقال : ﮋ ﯨ ﯩ ﯪ ﮊ[٦٦٢] وقال : ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﮊ[٦٦٣] ، وقال أيضاً : ﮋ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﮊ .[٦٦٤]

ونقل القاسمي قول الشعبي في تفسير آية البقرة ، إذ قال : " إذا اختلف عليك أمران ، فإنَّ أيسرهما أقربهما إلى الحق لهذه الآية " .[٦٦٥]

وهذه الآيات السّالفات تبيّن أنّ الله أراد بهذه الأمَّة اليُسر والتّخفيف ، ونفي إرادة العُسر والمشقّة وهذه الآيات وإن كان بعضها ورد في سياق قضيّة خاصّة ، كالآية الأولى وردت في شأن الرّخصة في الصّيام إلا أنّ المراد منها العموم ، كما صرّح بذلك غير واحد من المفسّرين ومثل ذلك آية النساء فقد وردت في سياق ما أبيح من نكاح الإماء عند العجز عن الحرائر إلا أنّ الذي صرّح به كثير من المفسّرين أنّ المراد عموم التّخفيف في الشّريعة وإرادة التيسير ورفع المشقّة .[٦٦٦]

فلمَّا أورد القرطبي قولي مجاهد والضّحاك في معنى اليُسر بالفطر في السّفر ، والعُسر بالصّوم في السّفر . أعقب رحمه الله قائلاً :" والوجه عموم اللفظ في جميع أمور الدّين، كما قال تعالى : ﮋ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮊ " .[٦٦٧]

وقال مُحمَّد رشيد رضا رحمه الله عن آية سورة البقرة – المتقدّمة- : " وهذا تعليل لما قبله ، أي: يريد فيما شرعه من هذه الرّخصة في الصّيام ، وسائر ما يشرعه لكم من أحكام ، أن يكون دينكم يُسرًا تامًّا لا عُسر فيه " .[٦٦٨]

ولا يفوتنا قوله تعالى ﮋ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﮊ . قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: " أي في شرائعه ، وأوامره ، ونواهيه ، وما يقدّره لكم " .[٦٦٩]

وقوله سبحانه : ﮋ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮊ ، وقوله : ﮋ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮊ، وقوله تعالى : ﮋ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮊ .[٦٧٠]

وفي هذه الآيات دلالة ظاهرة على رفع الحَرَج على هذه الأمَّة ، وأنَّ الله لم يجعل في التّشريع حرجًا وبعض هذه الآيات وإن كانت خاصّة في أحكام معيّنة ، ولكنَّنا نجد التّعليل عامًّا ، فكأنّ التّخفيف ورفع الحَرَج في هذه الأحكام والفروض بإعادة الشيء إلى أصله وهو رفع الحرج عن هذه الأمَّة، فكلّ شيء يؤدّي إلى الحَرَج لسبب خاصّ أو عامّ فهو معفوّ عنه رجوعًا إلى الأصل والقاعدة .

٦٦٠- الآيات في السور الآتية : البقرة : ٢٣٣ ، الطلاق : ٧ ، الأنعام : ١٥٢ .
٦٦١ - ينظر : رفع الحرج في الشريعة الإسلامية : ٧٣ .
٦٦٢- سورة الأعلى : ٨ .
٦٦٣- سورة الشرح : ٥- ٦ .
٦٦٤- سورة النساء : ٢٨ .
٦٦٥ - ينظر: تفسير القاسمي : ٤٢٧/٣ .
٦٦٦ - ينظر: رفع الحرج في الشريعة : ٦٨ .
٦٦٧ - الجامع لأحكام القرآن : ٢٩٣/٢ .
٦٦٨ - تفسير المنار : ١٦٤/٢ .
٦٦٩ - تفسير القرآن العظيم : ٦٣٦/١ .
٦٧٠- الآيات في السور الآتية : المائدة : ٦ ، التوبة : ٩١ ، الأحزاب : ٣٨ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفيها أيضاً دَلالة واضحة على أنّ هناك تكليفًا وأمرًا بالتعبد - أوامر ونواهي- ، ولكنه في حدود الوُسع والطاقة ، وعدم المشقة ، وليس فيهما تضييق أو عسر أو إجهاد ، وهذه هي حقيقة التيسير والتخفيف على هذه الأمّة ، والتي جاءت لإرساء قواعد هذا الدّين .

ومن خلال ما سبق ، اتضحت المنطلقات الأساسيّة التي تُبيّن المنهج الشّرعي في التّشريع والتّكليف إذ ذكرت أن الله وضع عنّا الإصر والأغلال التي كانت على من قبلنا ، وأنّ الله لا يُكلّف نفسًا فوق طاقتها بل لا يكلّف نفسًا إلا وسعها ، وما آتاها ، وآيات رفع الحرج دلالة قويّة على متانة هذا المنهج العظيم يؤكد ذلك ويقرّره ما صاحب ذلك من يُسر ورفع للعسر والمشقة .

## المبحث الثالث

## الوسطيّة في التشريع والتكليف

ممَّا يُؤكّد ويقرّر منهج الوسطيَّة في التشريع والتّكليف ، الآيات التي وردت برفع الحَرَج –السّالفة الذكر- ومثل تلك الآيات التي جاءت تنفي الحَرَج عن فئةٍ معيّنةٍ ، كقوله

تعالى : ﴿ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ﴾[٦٧١]. وبعد أن بيَّن سبحانه جواز الزواج من زوجة الابن المتبني إذ زوّج رسول الله r من زينب بعد طلاق زيد لها قال سبحانه : ﴿ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ﴾[٦٧٢].

ويبيّن وسطيّة هذا الدّين ورفع الحرج عنه ، الحافظ ابن كثير بقوله :" أي ما كلفكم ما لا تطيقون وما ألزمكم بشيء يشقّ عليكم إلا جعل الله لكم فرجاً ومخرجاً ، فالصّلاة التي هي أكبر أركان الإسلام بعد الشهادتين تجب في الحضر أربعاً وفي السّفر تقصر إلى اثنتين وفي الخوف يصليها بعض الأئمّة ركعة وتصلى رجالاً وركباناً مستقبلي القبلة وغير مستقبليها ، وكذا في النافلة في السّفر إلى القبلة وغيرها والقيام فيها يسقط لعذر المرض فيصليها المريض جالساً فإن لم يستطع فعلى جنبه إلى غير ذلك من الرّخص والتخفيفات في سائر الفرائض والواجبات " .[٦٧٣]

وقال رشيد رضا في تفسير آية المائدة – المتقدّمة- : " ولما بيّن فرض الوضوء وفرض الغسل، وما يحلّ محلهما عند تعذّرهما أو تعسرّهما ، تذكيرًا بهما ومحافظة على معنى التعبّد فيهما وهو التيمم بيّن حكمة شرعهما لنا مبتدئًا ببيان قاعدة من أعظم قواعد هذه الشّريعة السمحة، فقال : ﴿ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ﴾ أي : ما يُريد الله ليجعل عليكم فيما شرعه لكم في هذه الآية حرجًا ما ، أي أدنى ضيق وأقل مشقّةٍ ؛ لأنه تعالى غنّي عنكم رءوف رحيم بكم ، فهو لا يشرع إلا ما فيه الخير والنفع لكم".[٦٧٤]

---

٦٧١ - سورة النور : ٦١ .
٦٧٢- سورة الأحزاب : ٣٧ .
٦٧٣- تفسير القرآن العظيم : ٣١٧/٣ .
٦٧٤ - تفسير المنار : ٢٥٨/٦ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فرفع الحَرَج ، والسّماحة والسّهولة راجع إلى الوسط والاعتدال ، فلا إفراط ولا تفريط فالتنطع والتّشديد حَرَج في جانب عُسر التكاليف ، والإفراط والتقصير حرج فيما يؤدّي إليه من تعطل المصالح وعدم تحقيق مقاصد الشرع . قال تعالى : ژ ڦ ڦ ڦ ڦ ژ فالتوسط هو منبع الكمالات، والتّخفيف والسّماحة ورفع الحَرَج على الحقيقة هو في سلوك طريق الوسط والعدل .[٦٧٥] وقد كانت الشّدائد والعزائم في الأمم ، فأعطى الله هذه الأمَّة من المسامحة واللين ما لم يعط أحدًا قبلها رحمة من الله وفضلاً .

قال ابن العربي : " ولو ذهبت إلى تعديد نعم الله في رفع الحرج لطال المرام " .[٦٧٦]

ومن الأهمّيّة بمكان أن نواصل ذكر الأدلة العلميّة من القرآن الكريم في باب التّشريع والتّكليف التي تقرّر منهج الوسطيَّة ، والذي يُعدّ سِمة هذا الدّين ، وسرّ من أسرار عظمته ومن بين هذه الآيات.

* قوله تعالى في شأن المطلقات : ژ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ژ [٦٧٧] وقال : ژ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ژ [٦٧٨] والقضيَّة تدور على عدَّة محاور ، فإمَّا ألا يكون هناك أي تمتيع[٦٧٩] للمطلقة ، وهذا له آثاره السّلبيّة ، وبخاصّة على المطلّقة التي ستستقبل حياة جديدة ، تحتاج إلى تخفيف وقع الطّلاق وأثره حسّيًّا ومعنويًّا . وإمّا أن يكون هناك تمتيع مغلّظ ، وهذا فيه إثقال على الزوج المطلق. وإمّا أن تكون هناك متعة يُراعى فيها ظروف الزوج وإمكاناته ، مع عدم إهمال حقّ المطلقة في المتعة[٦٨٠] ، وهذا هو الأمر الوسط الذي أقرّه القرآن، وأصبح شرعًا من لدن حكيم عليم .

* وقوله تعالى : ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ژ [٦٨١] ، وقال : ژ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ژ[٦٨٢] وموضوع الحنث في اليمين ، إمّا أن يكون فيه كفارة بإطلاق ، أو لا يكون فيه كفارة بإطلاق أو التفصيل .

والأمر الأوَّل : فيه من المشقة والعسر ما لا يخفى . والثاني: يُؤدّي إلى الاستهانة باليمين وهو قادح من قوادح الإيمان . أمّا التفصيل : وهو التفريق بين لغو اليمين[٦٨٣] الذي يصعب التحرّز منها، فهذا معفو عنه

---

٦٧٥ - ينظر: رفع الحرج في الشريعة : ١٣ .

٦٧٦ - ينظر: أحكام القرآن لابن العربي : ٥٥٧/٢ .

٦٧٧- سورة البقرة : ٢٣٦ .

٦٧٨- السّورة نفسها : ٢٤١ .

٦٧٩- ومعنى التمتيع : (أن يعطي الزوج امرأته حين يطلقها عطية جبرا لخاطرها لما يعرض لها من الانكسار) . التحرير والتنوير : ٣٣٤٥/١ .

٦٨٠- ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢/ ٥٤٢، ٥٩٨ ، تفسير القرآن العظيم : ١/ ٣٩٨ .

٦٨١- سورة البقرة : ٢٢٥ .

٦٨٢- سورة المائدة : ٨٩ .

٦٨٣- ومعنى اليمين اللغو : (ما يحلف عليه ظانّاً أنه كذا وهو بخلافه عند أبي حنيفة وأحمد . وعند الشافعي : ما ورد على ما سبق اللسان من غير قصد) . ينظر : المغني (لابن قدامة) : ١٦٧/١١ ، أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء : ١٧٢/١ ، التوقيف على مهمات التعاريف : ٧٥١/١ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمّا ما عداه ففيه الكفارة الشّرعيّة صيانة لليمين والقسم، فهذا هو الأمر الوسط ، فلا إفراط فيه ولا تفريط [٦٨٤].

ولهذا الموضوع مناسبة لما قبله من حيث التيسير ، ورفع الحَرَج ، واختصاص هذه الأمّة المرحومة بهما ، قال الإمام ابن تيميّة عليه رحمة الله : " ولهذا لما لم يكن في شرع من قبلنا كفارة ، بل كانت اليمين توجب عليهم فعل المحلوف عليه ، أمر الله أيّوب u أن يأخذه بيده ضغثاً فيضرب به ولا يحنث لأنه لم يكن في شرعه كفارة يمين ولو كان في شرعه كفارة يمين كان ذلك أيسر عليه من ضرب امرأته ولو بضغث ، فإنّ أيّوب كان قد ردّ الله عليه أهله ومثلهم معهم لكن لما كان ما يوجبونه باليمين بمنزلة ما يجب بالشرع كانت اليمين عندهم كالنذر ، والواجب بالشرع قد يرخص فيه عند الحاجة كما يرخص في الجلد الواجب في الحدّ إذا كان المضروب لا يحتمل التفريق بخلاف ما التزمه الإنسان بيمينه في شرعنا فإن لا يلزم بالشرع لزمه ما التزمه وله مخرج من ذلك في شرعنا بالكفارة ولكن بعض علمائنا لما ظنوا أنّ الإيمان من ما لا مخرج لصاحبه منه بل يلزمه ما التزمه فظنوا أنّ شرعنا في هذا الموضع كشرع بني إسرائيل احتاجوا إلى الاحتيال في الإيمان : إمّا في لفظ اليمين، وإمّا بخلع اليمين وإما بدور الطلاق ، وإمّا يجعل النكاح فاسداً فلا يقع فيه الطلاق وإن غلبوا عن هذا كله دخلوا في التحليل ؛ وذلك لعدم العلم بما بعث الله به محمّداً صلى الله عليه وسلم في هذا الموضع من الحنيفيّة السّمحة ، وما وضع الله به من الآصار والأغلال " .[٦٨٥]

* وقوله تعالى في بيان كفارة اليمين : ژ ۈ ۇ ۆ ۆ ۈ ۉ ې ې ې ى ژ[٦٨٦] . والوسطيَّة في هذه الآية من ثلاثة وجوه :

١- أنَّ إطعام المساكين يُراعى في نوعيّة الطعام أو الكسوة الوسط في ذلك ، وجعل المقياس الذي يُرجع إليه في اختيار هذا الوسط إطعام الرّجل لأهله أو كسوتهم ، فينظر في ذلك ويُخرج الوسط منه .. قال ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة y : " أي من أعدل ما تطعمون أهليكم وقال عطاء الخراساني : من أمثل ما تطعمون أهليكم " .[٦٨٧] .. وفي هذا تتحقق الوسطيَّة من وجهين أيضاً .

الأول: مراعاة الوسط في حق كلّ إنسان ، فلم يؤخذ من أعلى ماله أو أدناه ، وليس بأفضله ولا بأخسه بل الوسط منه ، مراعاة للفقير أيضًا .

---

[٦٨٤]- الوسطية في ضوء القرآن الكريم : ١٩٦ ، وينظر: أحكام القرآن للجصاص : ١١٢/٤ .
[٦٨٥]- مجموع الفتاوى الكبرى : ٢٥٦/٣ .
[٦٨٦]- سورة المائدة : ٨٩ .
[٦٨٧]- تفسير القرآن العظيم : ١٢٢/٢ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الثاني: مراعاة الفرق بين حال الغنيّ والفقير والمتوسّط ، وهذا فيه من معنى الوسطيَّة ما فيه فلم يأتِ الحكم بالتسوية بينهم .[٦٨٨]

٢- إنَّه جعل الكفارة تدور على أحد ثلاثة أمور: إمّا الإطعام ، أو الكسوة ، أو الإعتاق والحالف مخيّر بينها دون إلزام بواحد منها ، وهذا فيه من التوسعة والتيسير ما لا يخفى.[٦٨٩]

٣- إذا لم يجد الحالف أو لم يستطع على أيّ نوع من هذه الثلاثة انتقل إلى الصّيام ، وهذه رحمة من الله وتوسعة على عباده .[٦٩٠]

وبهذا اجتمعت أطراف الوسطيَّة في هذه القضية، وهي قضية جزئية يسيرة، فلا شك أن ما كان أعلى منها وأشدّ كلفة تكون مراعاة الوسطيَّة فيه من باب أولى ؛ لأنّ الله غني عنّا وعن أعمالنا ، ولكن التّشريع ميدان للامتحان والابتلاء ، والله بنا رءوف رحيم .

* كذلك نلحظ الوسطيَّة في هذا التشريع ، قال سبحانه : ژ ۆ ۈ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ې ې ې ى ى ئا ئا ژ[٦٩١]

والوسطيَّة تبرز في موضوع الطعام ، وموضوع النكاح من أهل الكتاب ، ممّا لا يحتاج إلى شرح أو تفصيل .[٦٩٢]

* وكذلك نرى إقرار منهج الوسطيَّة في موضوع الطّلاق وأحكامُه فلم يُحرّم الطّلاق ، ولم يجعله مُتاحاً دون قيد أو شرط أو وصف . بل إنَّه فرّق بين الحالات التي تبينُ فيها المرأة من طلقةٍ واحدة أو من ثلاث طلقات ،.. وهكذا .[٦٩٣]

ولا شكّ أنّ موضوع الطّلاق وأحكامه من أقوى الأدلة على وسطيّة هذا الدّين والذي روعيت فيه أحوال وأوضاع تتعلّق بالرّجل والمرأة والأسرة . والآيات التي وردت في سورتي البقرة والطّلاق هي البرهان على ذلك .

هذه بعض الأدلّة العمليّة على الوسطيَّة التي رسمها القرآن الكريم ، وأكدها في أكثر من موضع في باب التشريع والتّكاليف .

وقد اتضح لنا ممّا سبق أنّ آيات رفع الحَرَج دليل واضح وبرهان قاطع على وسطيَّة هذا الدّين في تشريعه وتكاليفه . وأنّ الوسطيَّة ركنٌ من أركان ديمومة هذا الدِّين وعالميّته ..

كلّ ذلك أوصلنا للحقيقة الواضحة ، وهي أنَّ القرآن الكريم عنى عناية تامّة في رسم منهج الوسطيَّة وتثبيته .

---

[٦٨٨]- الوسطية في ضوء القرآن الكريم : ١٩٧ ، وينظر: زاد المسير في علم التفسير : ٤١٤/٢ ، أحكام القرآن (للجصاص) : ١١٥/٤ .

[٦٨٩]- ينظر: تفسير القرآن العظيم : ٦٥/٢ .

[٦٩٠]- ينظر: أحكام القرآن (للجصاص) : ١١٤/٤- ١١٥ .

[٦٩١]- سورة المائدة : ٥ .

[٦٩٢]- الوسطية في ضوء القرآن الكريم : ١٩٩ .

[٦٩٣]- المرجع نفسه .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

## الفصل الثالث

## دور القرآن في إصلاح الدّعوة[٦٩٤] والدّعاة

إنَّ من آثار القرآن الكريم العظيمة في المجتمع : أثره في دعوة الناس إلى الله تعالى وإصلاحهم في مختلف المجالات الاجتماعيّة والحياتيّة . والدّعوة إلى الله تعالى لا تقتصر على أمر معيّن بل ينتظم فيها كلّ ما يهمّ المسلم في دينه ودنياه ، وبمعنى آخر : تُعد الدّعوة صياغة جديدة لحياة المسلم مبناها على التوحيد الخالص لله تعالى ، والالتزام بشرعه والتمسّك بأمره والابتعاد عن نهيه .

والدّعوة إلى الله من أجلّ الأعمال التي يقوم بها المسلم ، لخدمة الإنسانيّة وطاعة ربّ العالمين، ندرك ذلك إذا علمنا من هو الدّاعية الأول : إنّ أوّل من دعا إلى الله هو حبيبنا مُحمّد r قال الله تعالى: ژ ٻ ٻ ٻ ٻ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ژ [٦٩٥] ، وقال تعالى: ژ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ژ[٦٩٦] ، وقال: ژ ڃ ڃ

---

٦٩٤ ـ عرّفت الدّعوة بعدة تعريفات منها: ما ذكره الأستاذ محمّد الغزالي ، إذ قال :" هي برنامج كامل يضمّ في أطوائه جميع المعارف الّتي يحتاج إليها النّاس ليُبصروا الغاية من محياهم ، وليستكشفوا معالم الطريق الّتي يجمعهم راشدين ". مع الله ـ دراسات في الدعوة والدعاة - : ١٧.

- وعرّفها الدكتور أبو بكر زكرى بقوله :" هي قيام من له أهلية النصح والتوجيه السّديد من المسلمين في كلّ زمان ومكان بترغيب النّاس في الإسلام اعتقاداً ومنهجاً ، وتحذيرهم من غيره بطرق مخصوصةٍ " . الدعوة إلى الإسلام : ٨ . وعرّفها آخرون بتعريفات أعرضنا عن ذكرها هنا ، وأرى أنّ ما ذكره الأستاذ الغزالي هو أشمل وأوسع ، لهذا الوقت المعاصر .

٦٩٥ - سورة الأحزاب : ٤٥- ٤٦ .

٦٩٦ - سورة الحج : ٦٧ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يدددڈڈژ[٦٩٧] وقال تعالى: ژچچچچچچچچڇڇڇڇڍڍڍڍڌڌڎڎڈڈژژڑڑکککگگگگگ ژ .[٦٩٨]

والدّعوة إلى الله تعالى وظيفة الرّسل جميعاً ، ومن أجلها بعثهم الله إلى الناس ؛ لبيان الطريق الصّحيح للإيمان بالله وإفراده بالعبادة ، وتوجيه الخطاب إلى سيّد المرسلين لا يعني أنّ الدّعوة مقصورة عليه صلى الله عليه وسلم وحده ، فالأصل أن يشمل الخطاب الناس جميعاً ما لم يكن هناك استثناء ، ولم يوجد الاستثناء هنا ، وبهذا يكون التشريف بالدّعوة إلى الله شاملاً لأمّته صلى الله عليه وسلم ، والدّليل القاطع على ذلك هو قوله تعالى : ژ ٹ ٹ ڈ ڈ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ .[٦٩٩]

ومن هنا كانت النقلة النوعيّة العظيمة في حياة المجتمعات الإنسانيّة حينما ابتدأت الدّعوة الإسلاميّة وظهرت وانتشرت ، فدخل الناس في دين الله أفواجاً ، واستقامت حياتهم على الحقّ والخير والهدى والصّلاح .

ولا ريب أنّ الدّور الدّعوي والإصلاحي الذي أحدثه القرآن الكريم في المجتمع المسلم دور عظيم وكبير ، ليس في داخل الأمّة الإسلاميّة فحسب ، بل تأثرت به المجتمعات الإنسانيّة الأخرى وأصبحت تلك المجتمعات تنظر إلى المسلمين نظرة الإعزاز والتقدير ، وتتمنى أن تصل إلى ما وصل إليه المسلمون في حياتهم وشؤونهم الخاصّة والعامّة .[٧٠٠]

هذا وسأنطلق في كتابتي لهذا الفصل بعد تقسيمي له على مبحثين أساسيين هما ..

الأول: دور القرآن في الإصلاح الدّعوي . والثاني: في إصلاح الدّعاة .

## المبحث الأوّل

## دور القرآن في الإصلاح الدّعوي

كان لدعوة القرآن الكريم الإصلاحيّة أثر واضح في تطهير المجتمعات من العقائد الباطلة وتنقيتها من كلّ شائبةٍ رذيلةٍ ؛ وذلك من خلال وصولها إلى معظم البلدان إذ عملت على تعليم الناس وتوعيتهم ونشر الوعّاظ والمرشدين في المدن والأرياف ، وكان لهؤلاء دور كبير في إصلاح الناس، وتثقيفهم ونشر مبادئ الشريعة الإسلاميّة ، والسّير على هداها .

وكانت خصلة الإصلاح من أهمّ المناهج المتبعة لدى الأنبياء في دعوتهم ، قال تعالى : ژ ۈ ۇ ۆ ۆ ۈ ۇ ۆ ۆ ۈ ۇ ۆ ۆ ى ى ي ي ژ .

ولعناية القرآن الكريم بهذا الرّكن –الدّعوة- اعتناءً عظيماً ، واهتماماً بالغاً ، فقد ذكره في عدّة مواضع منه ، تارة بذكر آدابه وأساليبه التي يجب إتباعها ضماناً لنجاحها ، كما قال تعالى : ژ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ژ[٧٠١].[٧٠٢]

---

٦٩٧- سورة القصص : ٨٧ .

٦٩٨- سورة المائدة : ٦٧ .

٦٩٩- ينظر: أهميّة الدعوة وصفات الدّاعية : ٣١٤ .

٧٠٠- ينظر: الدعوة إلى التمسك بالقرآن الكريم وأثره في حياة المسلمين : ٧١، ٧٤ .

٧٠١- سورة النحل : ١٢٥ .

٧٠٢- ينظر: تفسير القرآن العظيم : ٢٩٥/٥ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتارة بذكر قصص الأنبياء مع أممهم المخالفة لأمر الله وما حلّ بها ، كقصة موسى مع فرعون، قال تعالى : ژ ى ى ي ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ژ[٧٠٣] ، وقال : ژ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ژ .[٧٠٤]

وأخرى بالحثّ والترغيب في الدّعوة إلى الله ، قال تعالى : ژ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ ژ ، وقال تعالى : ژ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ[٧٠٥] . إنَّ كلمة الدَّعوة حينئذٍ هي أحسن كلمة تقال في الأرض وتصعد في مقدمة الكلم الطيّب إلى السّماء .. ولكن مع العمل الصَّالح الذي يصدق الكلمة، ومع الاستسلام لله الذي تتوارى معه الذات ، فتصبح الدّعوة خالصة لله ليس للدّاعية فيها شأن إلا التبليغ .[٧٠٦]

هذا وقد أحدثت الدّعوة وعياً دينيّاً كبيراً في شتى أرجاء المعمورة ، إذ أحيت الشريعة وأنارت العقول والقلوب ، وقضت على الخرافات والبدع وترّهات الأمور من العبادة لغير الله سبحانه وتعالى ، وأنها استطاعت أن تجعل الرّابطة الدّينيّة تحل محلّ الرّابطة القبَليّة .

وأكدت الدّعوة القرآنية على دور المسجد في توجيه الناس والتزامهم بآداب الشرع والالتزام بإقامة الصّلوات الخمس في أوقاتها في المساجد ؛ ذلك لأنّ المسجد ركن ركين للعلم ومعين قويّ لا ينضب ومرتاد لكلّ رائد للعلم أريب ، ومنهل ينهل منه أفراد المجتمع ما يروي نهمهم ، ويشبع رغباتهم ويعطيهم قوّة علميّة وشحنة إيمانيّة تدفع عنهم الشكوك والأوهام وتحميهم من سموم الأعداء ونفثاتهم المحمومة المسعورة التي يحاولون بها الدّسّ والتضليل وذرّ الرّماد في العُيون السّليمة؛ لتنعكس مرئياتها ومفاهيمها ، وتعشو أبصارها فتتبلبل أفكارها ، يحاولون بذلك إرضاء نزعاتهم الشرّيرة ورغباتهم الجامحة ونزواتهم الطائشة ژ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ژ.[٧٠٧] ففي المسجد غذاء الرّوح وزاد الإيمان للناس كافة ، يرويهم من بين أروقته علماً زلالاً ويكسبهم منه خُلقاً حميداً وسِمات فريدة . يجالس المسلم فيه أصفياء أوفياء خيّرين وأصدقاء أحماء طاهرين يستفيد منهم سلوكاً حسناً ، ونهجاً مشرّقاً ، يحفزونه على العلم والهدى ، ويرشدونه إلى الحق والتقى، ويمنحونه العلم الذي يرفعه الله به درجات .[٧٠٨]

وما من علم تحتاجه الأمّة المسلمة إلا وللمسجد فضل في تطويره ونشره ورفع مستواه وحثّ الناس على الاقتباس منه ، والاصطياد من خرائده ولآلئه ودراريه ، سواء كان علميّاً أو نظريّاً ، علوم دنيا أو آخره .. هذا وقد انطوى تحت هذا المبحث المطالب الآتية :

## المطلب الأوّل

## أهميَّة الدَّعوة في إصلاح المجتمع

---

٧٠٣- سورة النازعات : ١٥-١٧.

٧٠٤- سورة طه : ٤٤ . وينظر: التفسير الكبير : ٤١٥/١٠ ، ١٩ ، الحوار (آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسّنّة) : ٢٣٦ .

٧٠٥- الآيتان في سورتي : يوسف : ١٠٨ ، فصلت : ٣٣ .

٧٠٦- في ظلال القرآن : ٣١٢١ .

٧٠٧- سورة التوبة : ٣٢ . ينظر: وظيفة المسجد في المجتمع : ٢٤ .

٧٠٨- ينظر: وظيفة المسجد في المجتمع : ٢٤ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال تعالى : ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ژ .[٧٠٩] إنَّ الدَّعوة إلى الله تعالى تعني تحمّل الأمانة التي كُلف الإنسان بحملها ، والعمل بمقتضاها ثمّ دعوة الناس لها ، ولذا كانت من وظائف الأنبياء والمرسلين ومنهاج الصّالحين المتقين من عباد الله؛ لأنهم صفوة خلق الله ، وهي من أهمّ ركائز الإيمان وأعظم ركن من أركانه وأمرها وفضلها وخطرها بمكان معلوم ، إذ هي بمنزلة الرّأس من الجسد والغذاء للبدن والرّي للعطشان ، بها نشر الملة السّمحاء التي تمتاز في منهجها ببيان الحقّ ونشر الخير والهُدى وتحقق السّعادة للبشر ، وتكشف وسائل الباطل والمُنكر وأساليبه الملتوية بشتّى الطرق والوسائل .

ولمَّا كانت الدَّعوة الإسلاميّة ضروريّة في كلّ وقت ومتجدّدة بتجدّد الزمان ؛ للظروف التي تواجه مجتمعنا اليوم ، إذ تضفي على موضوع الدّعوة وإعداد الدّعاة أهمّيّة خاصّة لأسباب أهمّها[٧١٠] ..

١- ما يتعرّض له مجتمعنا من تيّارات وأفكار متباينة ، قد تتعارض في كثير من القيم والاتجاهات مع قيمنا الدّينيّة الأصيلة ، والطريق مفتوح أمام هذه التيارات عن طريق وسائل الاتصال الحديثة ، ومهما يبذل القائمون على الثقافة في مجتمعنا من جهود في الرّقابة على البرامج أو في الانتقاء فيما يُنشر أو يُذاع ، فلن يستطيعوا الوقوف أمام التيارات الجارف تيار الأقمار الصِّناعيَّة والكاسيت والفيديو كاسيت وغيرها ، ومن هنا كانت الطريقة المثلى – مع الرِّقابة والانتقاء– هي التوعية الرَّشيدة المستمرّة عن طريق الدّعوة والدّعاة ، وتحصين نفوس ابنائنا وبناتنا - ولاسيَّما الشباب – بالتربية الدّينيّة السّليمة ، وبالقيم الأصيلة، والتفهم الواعي للفكر الإسلامي .

٢- استشراء بعض السّلبيات في السنوات الأخيرة في سلوكيات بعض فئات من المجتمع ولاسيّما تلك الفئات التي تتعامل مع جماهير الشعب في العمل والتجارة والأسواق؛ لأسباب قد يغلب من بينها الجانب الاقتصادي ، ولا تجد هذه السّلوكيّات السلبيّة من الوازع الدّيني ما يكبح جماحها في كثير من الأحيان .

٣- تطرّف بعض فئات من الشباب في فهم دينهم ، أو تعصّب بعضهم الآخر تعصّباً أعمى، وفي كلتا الحالتين ، يرجع السّبب إما إلى سوء فهم لأحكام الدّين ، وللشريعة السّمحة ، وإمّا إلى تأثير المذاهب الهدّامة المستوردة ، وإمّا إلى انقياد أعمى لبعض المضللين الذين يتخذون من الدّين تجارة ، وإمّا إلى فراغ دينيّ لم يجد من يسدّه .

٤- ظهور بعض اتجاهات نشيطة ، مناوئة للإسلام ، في بلاد إسلاميّةٍ ، أو بلاد بها أقليّات إسلاميّة وضرورة التصدّي بقدر ما تتيحه إمكاناتنا لهذه الاتجاهات بتجلية أحكام الإسلام ومفاهيمه لهذه الشعوب .

ومن هنا نرى أهميّة الدّعوة والدّعاة اليوم ، ونحن نعلم أنّ رسالة الكليات والمعاهد والمدارس الدّينيّة في جمهوريّة اليمن السّعيد لا تقف عند الجانب التعليمي فحسب ، وإنما تتجاوز هذه المهمّة إلى حفظ التراث الإسلاميّ ودراسته وتجليته ونشره ، وإلى أداء رسالة الإسلام إلى الناس جميعاً والعمل على إظهار حقيقته وأثره في تقدّم البشر ، ويقتضي الأمر – لكي تؤدّى الرّسالة على أكمل وجهٍ – أن تكون هنالك خطة لإعداد الدّعاة وتدريبهم على أسس علميّةٍ واقعيّةٍ وسليمةٍ .

## المطلب الثاني

---

[٧٠٩]- سورة الأحزاب : ٧٢ .

[٧١٠]- الإعلام في القرآن الكريم : ٤٤٠ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

## أثر القرآن في إصلاح خُطبة[٧١١] الخطيب

تُعد الخُطبة مَعْلم من مَعَالم الدّعوة الإسلاميّة ، إذ لها ضرورة اجتماعيّة تفرضها الظروف وتعبّر عن المجتمع بوجهٍ عام ، وكلّ الأمم في حاجةٍ إليها ، بل إنّ المواقف المجيدة في تاريخ الأمم مدينة للخطباء الذين عبّروا عن قضاياهم أصدق تعبير ، وأثروا في مجتمعاتهم أعظم التأثير .. ولنا في هذا الموضوع مقدّمات لا بُدّ من التطرّق لها أوّلاً ، كإلمامنا بأنواع الخطابة وطرقها ، ثمّ الحديث عن الخطابة كفنّ؛ حتى نتوصّل إلى ما نبتغيه ..

فللخَطابة أنواع كثيرة منها : الخَطابة العلميّة ، والخطابة السياسيّة ، والخطابة العسكريّة والخطابة الدينيّة ، والخَطابة الاجتماعيّة ، والخطابة القضائيّة ، والخَطابة الحفلية .

وللخطابة طرق للتحصيل وعوامل للرّقيّ ، فمن طرق تحصيلها : الموهبة والاستعداد الفطري ودراسة أصول الخطابة ، ودراسة كثير من كلام البلغاء ، وحفظ الكثير من الألفاظ والأساليب، وكثرة الاطلاع على العلوم المختلفة ، والتدريب والممارسة . وأمّا عوامل رقيّها فمن أهمّها : الحريّة وطموح الأمّة بذلك ؛ لترتقي إلى حياة سعيدة وأفضل .[٧١٢]

وعن فنّ الخطابة فله أصول يتعلق بعضها بالخطيب وبعضها بالخُطبة.. فأمّا ما يتعلق بالخطيب فأهمه: الموهبة ورباطة الجأش ، وسلامة الصّوت من العيوب وطول النفس وحسن الوقفة ، وحسن استخدام الإشارة في موضعها المناسب ، والسّمت الذي يستميل سامعيه .

وأمَّا ما يتعلق بالخُطبة فأهمّه : براعة الاستهلال ، ووفرة المحصول من مختلف أساليب البيان والتنقل بين الإنشائيّة والخبريّة ، ووضوح المعاني من خلال قصر الجمل، وملاحظة تقسيم الخُطبة، ثمّ موضوع الخُطبة ، ثمّ الختام الذي يجب أن يشتمل على جمل يسهل ترددها وتذكرها بعد انتهاء الخطيب من خطبته ، ولاسيّما في النوعين السّياسي والدّيني من الخطابة .[٧١٣]

وللخطابة عَلاقة وثيقة بغيرها من العلوم ، فبالنسبة للعلوم الإنسانيّة : لها عَلاقة وثيقة بعلم المنطق وعلم النفس ولاسيّما علم نفس الجماعة ، وعلم الاجتماع .

وبالنسبة للعلوم الإسلاميَّة : فهي تتصل بكلِّ هذه العلوم ، والعلوم الإسلاميَّة تفيد علم الخطابة بصفةٍ عامّةٍ والخطابة الدينيّة بصفةٍ خاصّةٍ .

ومن أهمِّ ما يحتاجه الخطيب من العلوم الإسلاميّة ومصادرها : القرآن الكريم ، والسُّنَّة النَّبويّة، ومقارنة الأديان ، ومعرفة الأحكام الفقهيَّة ومصادر التشريع ، والعلم بالتأريخ الإسلامي – ولا تخفى عَلاقتها– أيضاً بالشعر والأدب ، والكتابة ، والأخلاق والسّياسة .[٧١٤]

وإنَّ الذي لقن أهل القرآن ما فيه جماع طرائق الرّشد بوجهٍ لا يحيط به غير علام الغيوب لم يهمل إرشادهم إلى التحلي بزينة الفضائل ، وهي أن يقدروا النعمة حق قدرها بشكر المنعم بها فأراهم كيف يتوجون مناجاتهم بحمد واهب العقل ومانح التوفيق . ولذلك كان افتتاح كلّ كلام مهمّ بالتحميد سنة الكتاب المجيد . فسورة الفاتحة بما تقرّر منزلة من القرآن منزلة الديباجة للكتاب أو المقدّمة للخطبة

---

[٧١١]- عرّف بعض المُحْدَثين الخُطبة بقوله :" نوع من فنون الكلام ، غايته إقناع السّامعين واستمالتهم والتأثير فيهم بصواب قضيّةٍ أو بخطأ أخرى " . الخطابة وفنّ الإلقاء : ٧ .
- وعرّفها آخر بأنها : " علم يقتدر بقواعده على مشافهة الجماهير بفنون القول المختلفة لإقناعهم واستمالتهم " . الخطابة : د . يوسف محمّد يوسف عيد : ٢١ .

[٧١٢]- ينظر: مفاهيم إسلاميّة : ١٣٨ .

[٧١٣]- ينظر: المرجع نفسه

[٧١٤]- ينظر: المرجع نفسه .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهذا الأسلوب له شأن عظيم في صناعة الأدب العربي وهو أعون للفهم وأدعى للوعي ، وقد رسم أسلوب الفاتحة للمنشئين ثلاث قواعد للمقدّمة[٧١٥] :

القاعدة الأولى: إيجاز المقدّمة ؛ لئلا تملّ نفوس السّامعين بطول انتظار المقصود ، وهو ظاهر في الفاتحة وليكون سنة للخطباء فلا يطيلوا المقدّمة ؛ كي لا ينسبوا إلى العي فإنه بمقدار ما تطال المقدّمة يقصر الغرض ومن هذا يظهر وجه وضعها قبل السّور الطوال مع أنها سورة قصيرة .

الثانية: أن تشير إلى الغرض المقصود وهو ما يسمّى براعة الاستهلال ؛ لأنّ ذلك يهيّئ السّامعين لسماع تفصيل ما سيرد عليهم فيتأهّبوا لتلقيه إن كانوا من أهل التلقي فحسب أو لنقده وإكماله إن كانوا في تلك الدّرجة ؛ ولأنّ ذلك يدلّ على تمكن الخطيب من الغرض وثقته بسداد رأيه فيه بحيث ينبّه السّامعين لوعيه ، وفيه سنة للخطباء ليحيطوا بأغراض كلامهم وهذا وجه من أوجه تسمية الفاتحة بأمّ القرآن .

الثالثة: أن تكون المقدّمة من جوامع الكلم ، وقد بيّن ذلك علماء البيان عند ذكرهم المواضع التي ينبغي للمتكلم أن يتأنق فيها ، فعليه أن يفتتح بحمد الله تعالى .

إنَّ القرآن أنزل هدى للناس وتبياناً للأحكام التي بها إصلاح الناس في عاجلهم وآجلهم ومعاشهم ومعادهم ولما لم يكن لنفوس الأمّة اعتياد بذلك لزم أن يهيّأ المخاطبون بها إلى تلقيها ويعرف تهيؤهم بإظهارهم استعداد النفوس بالتخلي عن كلّ ما من شأنه أن يعوق عن الانتفاع بهذه التعاليم النافعة، وذلك بأن يجرّدوا نفوسهم عن العناد والمكابرة ، وعن خلط معارفهم بالأغلاط الفاقرة ، فلا مناص لها قبل استقبال تلك الحِكمة والنظر من الاتسام بميسم الفضيلة ، والتخلية عن السفاسف الرَّذيلة .

ولما لقن المؤمنون هذه المناجاة البديعة : ژ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ژ[٧١٦] التي لا يهتدي إلى الإحاطة بها في كلامه غير علام الغيوب سبحانه قدّم الحمد عليها ليضعه المناجون كذلك في مناجاتهم جرياً على طريقة بلغاء العرب عند مخاطبة العظماء أن يفتتحوا خطابهم إيّاهم وطلبتهم بالثناء والذكر الجميل .[٧١٧]

هذا وتتميَّز خُطبة الجُمُعة إلى جانب ذلك بتنوّع الحاضرين إليها ، وباختلاف مستوياتهم وطبقاتهم العلميّة ، والاجتماعيّة ، فإنّ الخطيب في خُطبة الجمعة يُخاطب جميع فئات المجتمع ، ولا يختصّ الحضور على فئةٍ دون أخرى ، وهذا التنوّع يعني تذليل العقبات التي تحول دون تنفيذ طرائق الإصلاح الاجتماعيّة ، فإنّ العامل وصاحب العمل ، والطالب والمعلم والموظف والرّئيس كلهم يُخاطبون في آن واحد ، ويوضعون أمام مسؤولياتهم ؛ ولأنهم تركوا أعمالهم جميعاً وجاءوا ملبّين قوله تعالى : ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ژ[٧١٨] ، فلا تُخاطب فئة منهم في غياب الفئة الأخرى ، ولا تحمّل المسئولية على فئةٍ منهم دون الأخرى . ومن هنا كان اختيار عنوان الخطبة ليس بالسّهل ، وعلى الخطيب أن يكون يقظاً نبهاً حتى يبرز دوره في إيقاظ الهمم ، وشحذ العزائم ، في تبصير المسلمين كافة بحقائق دينهم، وعقيدتهم ومكايد عدوّهم ، وممّا يجب عليهم ، وما لا يسعهم جهله .[٧١٩]

وممَّا يحسن الاستشهاد به في الخُطبة أيضاً ، وتنويه الخطيب به بين الحين والآخر ما يزخر به واقع غير المسلمين من تناقضات ، وما يعصف به من فساد وموبقات ، وآثار مدمّرة في المجالات الصحيّة

---

[٧١٥]- ينظر: التحرير والتنوير : ٨٧/١ .

[٧١٦] - سورة الفاتحة : ٢ .

[٧١٧]- ينظر: التحرير والتنوير : ٨٧/١ .

[٧١٨]- سورة الجمعة : ٩ .

[٧١٩]- ينظر: خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمّة : ٥ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والاجتماعيّة ، والاقتصاديّة ، تتمثل في الأمراض الجنسيّة الفتاكة وجرائم القتل والاغتصاب ، والسّرقة وترويج المخدرات ، وتفكك الأسرة ، والرّوابط الاجتماعيّة ، وغير ذلك ممّا يصلح أن تكون كلّ جزئيّةٍ منه مداراً لمضمون خُطبة ، ومحوراً للتوجيهِ والتذكير ، واستخلاص العِبر ولكن ليحذر الخطيب في هذا المجال من التهويل والمبالغة ، والإفراط في وصف تلك المجتمعات والاعتماد في استقاء المعلومات والإحصائيّات على مصادر غير موثوق بها ، أو جهاتٍ غير معتمدة. وليكن قصده بيان عظمة الإسلام ونعمته ، وسلامة المجتمع الإسلامي من أمراض الانحراف والشذوذ والإيدز وغير ذلك ممّا تُعاني منه المجتمعات الكافِرة والخارجة على دين اللهِ تعالى المتمرّدة على شرائعه ، وليست مهمّة الخُطبة إيصال المعلومات الجديدة للناس ، بقدر ما هي تفعيل للسّامعين وتحريك لنفوسهم ثمّ الانتقال بهم من حال التأثر إلى التغيّر والإصلاح .[٧٢٠]

وسارت على هذا النمط الأجيال المؤمنة تستخدم منابر المساجد والإرشاد والتوجيه والإنذار والتحذير وبيان الأحكام ، وغرس العقيدة الصّحيحة ، وعلاج ما في المجتمع من أدواء وعيوب ، واستئصال شأنات الحقد والحسد وكلّ خلق ذميم ، والحثّ على المنهج الصّحيح ، والسّلوك المستقيم حتى يعيشَ المجتمعُ المسلمُ نقيّاً صافياً متوادّاً متراحماً ، متكاتفاً متعاطفاً يحسّ فرده بما يقلق جماعته، وجماعته بما يزعج فرده : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً » ، « مثلُ المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعت إليه سائر الأعضاء بالسَّهر والحُمَّى » .[٧٢١]

ومن الواضح أنه كم من خطبةٍ تناقل الناس عباراتها ، واحتجّوا بأفكارها ، وتداولوها بينهم إعجاباً واستحساناً بها ، وكم من خطبةٍ أحدثت تحوّلاً في عادات الناس وتصوّراتهم ، وكم من خطبةٍ فتحت باب الأمل والتوبة لدى بعض المخاطبين . بيدَ أنه بالمقابل ربّما كان للخُطبة آثار سيئة ، وأضرار خطيرة على المخاطبين من تهييج أو تيئيس ، أو تناقل أخبار من قبيل الشائعات ، أو طمس سنة، أو بث فتنةٍ وفساد بين الناس .[٧٢٢]

## المطلب الثالث

## أثر القرآن في الدَّعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إنَّ الدَّعوة إلى إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يُعدّ من أولويات وأسس الدّعوة الإسلاميّة إذ هو دعامة المجتمع ، ولا يقوم المجتمع إلا إذا شعر كلّ فرد من أفراده أنه جزء من كلٍّ ، وأنّ فساد جزء من هذا الكلّ فساد للجميع ، وأنّ من يُحبّ لنفسه أن يكون صالحة فعليه أن يُحبّ لأخيه أن يكون صالحاً مثله وجوياً ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدُكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبّ لنفسه».[٧٢٣]

وإذا شعر الإنسان بهذا الشعور النبيل وهو ما يقتضيه الإيمان ويفرضه عليه ، فإنه لا بدّ أن يسعى في إصلاح المجتمع بشتى الوسائل بالطرق التي تضمن المصلحة وتزول بها المفسدة فيأمر بالمعروف بالرّفق واللين والإقناع ، وليصبر على ما يحصل له من الأذى القولي والفعلي فإنه لا بدّ من ذلك لكلّ داع كما جرى ذلك لسّيد المصلحين وخاتم النبيّين صلى الله عليه وسلم ، وليجعل الأمل والنجاح

---

٧٢٠- ينظر: المرجع نفسه : ٤٠ .

٧٢١- الحديثان سبق تخريجهما .

٧٢٢- ينظر: خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة : ٢ ، ١٤ .

٧٢٣- صحيح البخاري : باب : (من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه) ، برقم : (١٣) : ١/ ١٤، صحيح مسلم : باب : (الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير) ، برقم : (٤٥) : ١/ ٦٧. وكلاهما من حديث أنس بن مالك .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نصب عينيه ، فإنّ ذلك أكبر عَون له على سيره في مهمّته ، ولا يجعل لليأس عليه سبيلاً فتفتر همّته وتضعف عزيمته . وإنّ على المؤمنين كلهم أن يتعاونوا في هذا الأمر الجليل العظيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن يُساعدوا من رأوه قائماً به ، ويقوموا معه نصرة للحق وقضاء على الباطل وأن لا يخذلوا الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أو يرجفوا به ، فإنّ في ذلك نصراً للباطل وإذلالاً للحق .[٧٢٤]

اتخذ بعض الناس عادة توجب توهين عزائم الدّعاة إلى الله وتضعف همم الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، وكان الأجدر بهؤلاء أن يشجّعوا ويقولوا للدّاعي والآمر إنك على خير وقد حصلت أجراً أو أبرأت ذمّتك ، وسينفع الله بذلك إن شاء الله ، ويُبشروه بقوله r : « لأنْ يهديَ اللهُ بكَ رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمُر النعم » .[٧٢٥] وهو واجب علينا جميعاً أن نتعاون تعاوناً حقيقيّاً فعّالاً في إصلاح المجتمع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن نكونَ جنداً وهيئة في هذا الأمر العظيم كما جعلنا نبيّنا r فقال : « مَنْ رأى منكم منكراً فليغيّره بيده فإنْ لم يستطعْ فبلسانهِ ، فإنْ لم يستطعْ فبقلبهِ ، وذلك أضعف الإيمان » .[٧٢٦] وإنّ علينا أن نعرف أن الذمّة لا تبرأ ونحن نعلم بالمنكر ولا نغيّره أو نبلغه لمن يغيّره .[٧٢٧]

وقد جعل القرآن الكريم والسنة النبويّة استقرار الإيمان بأصوله وفروعه في المجتمع الإسلامي ملازماً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما جعل الوَلاء الحق بين المسلمين معتمداً على تآمرهم بالمعروف وتناهيهم عن المنكر ، فقال تعالى : ژ ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ژ .[٧٢٨]

فإذا ما فُقد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مجتمع ، أصبح وَلاء بعض هذا المجتمع قائماً على النفاق ، وليس على الإيمان ، وكان العصيان شعارهم والفسق قائدهم إلى لعنة الله وأليم عقابه بدلاً من تلك الرّحمة المبنيّة على الطاعة والوَلاء الصّادق الذي لا ينفك عنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى : ژ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ۓ ۓ ﮲ ﮳ ﮴ ﮵ ﮶ ﮷ ژ .[٧٢٩]

وعندما يُفقد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع يكون شبيهاً بركاب سفينةٍ اتخذوا بأيديهم أسباب غرقها بهم وهلاكهم في البحر ، كما أنّ المجتمع الذي تقوم فيه قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون عكس ذلك ، وهو أنه اتخذ الوسائل والأسباب كلها المؤدية إلى سلامة سفينتهم وسلامتهم من الغرَق ، كما بيّن ذلك حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، عن النبي r قال : «مثلُ القائم عَلى حُدود الله والوَاقع فيها كمثل قوْمٍ استهموا على سفينةٍ فأصابَ بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماءِ مرّوا على مَنْ فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا

---

[٧٢٤]- ينظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (أصوله وضوابطه وآدابه) : ٤٩ ، الضياء اللامع من الخطب الجوامع : ٤٦٧ .

٧٢٥- صحيح البخاري : باب : (مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي ابي الحسن رضي الله عنه) ، برقم : (٣٤٩٨) : ٣/ ١٣٥٧ صحيح مسلم : باب : (من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه) ، برقم : (٢٤٠٦) : ٤/ ١٨٧٢.. وكلاهما من حديث سهل ابن سعد t .

[٧٢٦]- صحيح مسلم : باب : (بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان) ، برقم : (٤٩) : ١/ ٦٩، سنن الترمذي : باب : (ما جاء في تغيير المنكر باليد أو باللسان أو بالقلب) ، برقم : (٢١٧٢): ٤/ ٤٦٩ ، وقال عنه الترمذي : (حسن صحح) . وكلاهما من حديث طارق بن شهاب .

[٧٢٧]- ينظر: الضياء اللامع من الخطب الجوامع : ٤٦٧/٢ .

[٧٢٨]- سورة التوبة : ٧١ .

[٧٢٩]- السّورة نفسها : ٦٧ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً » .[٧٣٠]

والأمر بالمعروف ، والنّهي عن المنكر له صفة الشّمول ، فليس متعلقًا بعمل معيّن ، بل يشمل كلّ معروف وكلّ منكر ، بينما سائر الأعمال نجدها أعمالاً مخصوصة معيّنة ، فالصّيام يتعلّق بعمل مخصوص ، والزّكاة والحج وغيرهما كذلك . ولذلك فهو يشترك مع الإيمان في صفة الشّمول ، إذ أنّ الأمر بالمعروف يشمل جميع أبواب الإيمان والإسلام .

هذا وللآمر بالمعروف شروط ، من أهمّها ..

١-أن يكون عالماً بالمعروف الذي يدعو إليه وبالمنكر الذي ينهى عنه ، وهذا واضح فكما أنّ من يعالج المريض يحتاج إلى فهم بالمرض والدّواء – أي طبيباً جيداً - فكذلك الدّاعي إلى المعروف ويُستفاد ذلك من قوله تعالى: ژ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ ژ ڑ ک ک ک گ گ ژ يوسف: ١٠٨ **( قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي)**[٧٣١]، والبصيرة تشمل ما تقدم .

٢- أن يكون أمره ونهيه برفق ولين ، حتى تقبلهُ النفوس ، قال تعالى مخاطباً موسى وهارون : ژ ڈ ڈ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ ژ والقول اللين الذي أشارت هذه الآية الكريمة ذكره الله تعالى في سورة النازعات : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ژ [٧٣٢] فإذا رأيتَ إنساناً يشتم ويَكفر فانصحه برفق ، واطلب منه أن يستعيذ بالله من الشيطان الرّجيم الذي كان سبباً في هذا الشتم ، وأنّ الله الذي خلقنا وأنعم علينا بنعم كثيرة يستحق الشكر ، وأنّ هذا الكفر لا يجدي نفعاً ، بل يكون سبباً في شقاء الدّنيا وعذاب الآخرة ، ثمّ تأمره بالتوبة والاستغفار .

٣- أن يعرفَ الحلال والحرام فيما يأمر به ، حتى ينفعَ ولا يضرَّ بجهله .

٤- يحسن بالآمر أن يكون مطبّقاً لما يأمر به ، ومبتعداً عمّا ينهى عنه ، حتى تكونَ الفائدة أتمّ وأنفعَ قال تعالى مخاطباً من يأمر ولا يعمل : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ژ[٧٣٣] ، وعلى المُبتلى أن يحذر ممّا هو واقع فيه معترفاً بخطئه.

٥- أن يُخلص في العمل ، ويدعو للمخالفين بالهداية ، ويكون له العذر عند الله ، قال تعالى : ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ژ .[٧٣٤]

٦- أن يكون الآمر شجاعاً لا يخاف في الله لومة لائم ويصبر على ما قد يصيبه .

٧- أن ينظر إلى المصالح والمفاسد ، ومعنى ذلك أن يكون قول الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر بفقهٍ ونظر فيما يصلح من ذلك للمجتمع وما لا يصلح له ، وما يقدر عليه وما لا يقدر ، فإذا تعارضت المصالح والمفاسد فيما يأمر به أو ما ينهى عنه نظر : فإن كان فيما يقوله أمراً ونهياً مصالح أعظم من المفسدة التي تحصل في أمره ونهيه وجب عليه الأمر والنهي وإن كان العكس، أي المفاسد أعظم لم يجب عليه بل قد يحرم .

٨- أن يبلغ حسب الإمكان ، وليس من شروط أداء واجب التبليغ أن يصل أمر الآمر ونهي الناهي إلى كلّ إنسان مكلف في العالم ؛ إذ ليس هذا من شرط تبليغ الرّسالة فكيف يشترط فيما هو من

---

[٧٣٠]- صحيح البخاري : باب: (هل يقرع في القسمة والاستهام فيه) ، رقم الحديث: (٢٣٦١) : ٨٨٢/٢ ، سنن الترمذي : باب:(ما جاء في تغيير المنكر باليد أو باللسان أو بالقلب) ، برقم: (٢١٧٣) :٤٧٠/٤ ، مسند أحمد : برقم: (١٨٣٨٧) :٢٦٨/٤ .

[٧٣١]- سورة يوسف : ١٠٨ .

[٧٣٢]- سورة النازعات : ١٨- ١٩ .

[٧٣٣]- سورة البقرة : ٤٤ .

[٧٣٤]- سورة الأعراف : ١٦٤ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

توابعها، بل يشترط أن يتمكن المكلفون من وصول ذلك إليهم ثمّ إذا فرطوا فلم يسعوا في وصوله إليهم مع قيام فاعله بما يجب عليه فإن التفريط منهم لا منه .[٧٣٥]

وهنالك وسائل عدّة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من جملتها :

١- الخُطبة يوم الجُمُعة والعيدين ، يبيّن الخطيب أنواع المنكرات .

٢- المحاضرة أو المقالة في مجلةٍ أو صحيفةٍ لبيان أمراض المجتمع وإعطاء العلاج الشافي

٣- الكتاب : يعرض المؤلف ما يريد بيانه للناس من أفكار لإصلاح الناس .

٤- الموعظة : تكون في مجلس ، فيتكلم أحد الحاضرين مثلاً عن أضرار الدّخان الجسميّة والماليّة .

٥- النصيحة : تكون بين الأخ وأخيه سرّاً لترك خاتم الذهب ، أو تحذيره من ترك الصّلاة .

٦- الرّسالة : من أفيد الوسائل ، فكلّ إنسان يستطيع أن يقرأ صفحات قليلة عن الصّلاة أو الجهاد، أو الزكاة ..[٧٣٦]

إذن الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر من خصائص هذه الأمَّة العمليَّة قيامها بالأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر ، وهذه شهادة الله لها : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ژ .

والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر أوجبه الله على من قبلنا ، ولكنهم فرَّطوا وضيَّعوا : ژ ڈ ڈ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ژ[٧٣٧] ونجد مصداق خيريَّة هذه الأمَّة لقيامها بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، أنَّه منذ بُعِثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا الحاضر وهذا الرّكن العظيم لم ينقطع ولم يترك كما فعل بنو إسرائيل، الذين كانوا إذا رأوا منكراً لا ينهون عنه، ولا ينهي بعضهم بعضاً حتى ذمّهم الله تعالى فقال : ژ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ژ .

قال القرطبي مفسّراً هذه الآية : " أي لا ينهى بعضهم بعضاً : ژ ڻ ڻ ژ ، ذمّ لتركهم النهي وكذا من بعدهم يذمّ من فعلَ فعلهم " .[٧٣٨] ثمَّ قال في موضع آخر : " دلت الآية على أنّ تارك النهي عن المنكر كمرتكب المنكر ، فالآية توبيخ للعلماء في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " .[٧٣٩]

وقال الحافظ ابن كثير : " أي كان لا ينهي أحد منهم أحدًا عن ارتكاب المآثم والمحارم ، ثمّ ذمهم على ذلك ليحذر أن يُرْكَبَ مثل الذي ارتكبوا، فقال : ژ ڻ ڻ ژ " .[٧٤٠]

إذن جاءت الآيات لتبيّن خطورة ترك الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وأنّ تضييع هذا الرّكن وعدم القيام به انحراف عن الصّراط السّوي ، وهي بهذا تحذّر المؤمنين من سوء عاقبة هذا الأمر وترشدهم إلى طريق الحق والسّلامة والنّجاة .

## المبحث الثاني

## دور القرآن في إصلاح الدّعاة

إنَّ الدُّعاة المصلحين هم أساتذة المجتمع ، يعلمون الناس ويفقهوهم ، ويرشدوهم إلى الحق وإلى صراط مستقيم ، وهي وظيفية شرّفهم الله تعالى بها بل علموا أنها واجبة عليهم تجاه إخوانهم؛

---

[٧٣٥]- ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية : ١٢٥/٢٨، ١٢٩، توجيهات إسلاميّة لإصلاح الفرد والمجتمع : ٩٧ ، أصول الدعوة : ٤٥٦ .

[٧٣٦]- ينظر: توجيهات إسلاميّة لإصلاح الفرد والمجتمع : ٩٥ .

[٧٣٧]- سورة المائدة : ٧٨- ٧٩ .

[٧٣٨]- الجامع لأحكام القرآن : ٢٥٣/٦ .

[٧٣٩] - المصدر نفسه : ٢٣٧/٦ .

[٧٤٠]- تفسير القرآن العظيم : ١٦٠/٣ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لنصحهم ودعوتهم نحو الخير والصّلاح . كما كان من قبلكم من الصّحابة الأجلاء رضوان الله عليهم يفهمون أنّ الدّعوة إلى الله تعالى واجبة ، إذ كانوا يبادرون بسؤال الرّسول r تعليمهم وتفقيههم؛ ليقوموا بدعوة أقوامهم من خلفهم .[٧٤١]

والدّاعية يبدأ بإصلاح نفسه ، ثمَّ بمن يعول ، ثمَّ بالبعيد فالأبعد ، إن استطاع وإلا فليس عليه ترك دعوة المجتمع ، بحجة أنه لم يفعل ما يأمرهم ، ثمّ يستدل بقوله تعالى : ژ ڈ ڈ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ژ ، وقد أوضح المفسرون معنى هذه الآية ، ومن بينهم الحافظ ابن كثير إذ قال : " ذمّ الله تعالى أهل الكتاب على صنيعهم ونبّههم على خطئهم في حق أنفسهم إذ كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه ، وليس المراد ذمّهم على أمرهم بالبرّ مع تركهم له، فإنّ الأمر بالمعروف معروف وهو واجب على الدّاعية ولكنّ الواجب والأولى بالدّاعية أن يفعله مع من أمرهم به ولا يتخلف عنهم كما قال شعيب u : ژ ی ی ی ی ژ ، فكلٌّ من الأمر بالمعروف وفعله واجب لا يسقط أحدهما بترك الآخر على أصحّ قوليّ العلماء من السّلف والخلف ، وذهب بعضهم إلى أنّ مرتكب المعاصي لا ينهى غيره عنها وهذا ضعيف ، وأضعف منه تمسّكهم بهذه الآية فإنه لا حجّة لهم فيها والصّحيح: أنّ الدّاعية يأمر بالمعروف وإن لم يفعله ، وينهى عن المنكر وإن ارتكبه ، لذا يقول سعيد بن جبير : (( لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ، ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر))".[٧٤٢] بَيْدَ أنه رحمه الله يمضي قائلاً : " لكنه والحالة هذه مذموم على ترك الطاعة وفعله المعصية لعلمه بها ومخالفته على بصيرة ، فإنه ليس من يعلم كمن لا يعلم " .[٧٤٣]

وقال الشيخ السَّعدي : " وهذه الآية ، وإن كانت نزلت في سبب بني إسرائيل ، فهي عامّة لكلّ أحد لقوله تعالى : ژ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ژ [٧٤٤] وليس في الآية أنّ الإنسان إذا لم يقم بما أمر به أنه يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لأنها دلت على التوبيخ بالنسبة إلى الواجبين ، وإلا فمن المعلوم أنّ على الإنسان واجبين: أمر غيره ونهيه ، وأمر نفسه ونهيها ، فترك أحدهما ، لا يكون رخصة في ترك الآخر ، فإنّ الكمال أن يقوم الإنسان بالواجبين والنقص الكامل أن يتركهما وأمّا قيامه بأحدهما دون الآخر ، فليس في رتبة الأوّل ، وهو دون الأخير وأيضاً فإنّ النفوس مجبولة على عدم الانقياد لمن يخالف قوله فعله فاقتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجرّدة ".[٧٤٥]

وهذا ما نرجحه ونميل إليه ، وهو الذي تطمئنُّ إليه النفوس ؛ ذلك لورود أحاديث صحيحة قد توعدت بمن يعمل المعاصي وينهى الناس عن إتيانها وهو عالم بذلك .. ومنها :

- عن أسامة بن زيد قال : سمعتُ رسول اللهِ r يقول : « يُجاءُ بالرّجُل يومَ القيامةِ فيلقى في النّار ، فتندلقُ أقتابهُ في النار ، فيدور كما يدور الحِمَارُ برحَاه ، فيجتمعُ أهلُ النار عليه فيقولونَ : أي فلانا مَا شأنُكَ ؟ أليسَ كنتَ تأمرنَا بالمعروف ، وتنهانا عن المنكر ؟ قالَ : كنتُ آمرُكم بالمعروف ولا آتيهِ ، وأنهاكم عن المنكر وآتيهِ » .[٧٤٦]

---

٧٤١- البصيرة في الدعوة إلى الله : ٥ .
٧٤٢- ينظر: تفسير القرآن العظيم : ٢٤٧/١ .
٧٤٣- المصدر نفسه .
٧٤٤- سورة الصف : ٢- ٣ .
٧٤٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٥١ .
٧٤٦- صحيح البخاري : باب: (صفة النار وأنها مخلوقة) ، رقم الحديث: (٣٠٩٤) : ١١٩١/٣ . صحيح مسلم : باب: (عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله) ، برقم: (٢٩٨٩) : ٢٢٩٠/٤. ومعنى (فتندلق



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله r : « مثل العالم الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به ، كمثل السّراج يضيء للناس ويحرق نفسه » .[٧٤٧] وحديث آخر عن أنس ابن مالك t قال : قال رسول الله r : « ليلة أُسريَ بي رأيتُ قوماً تقرضُ ألسنتهم بمقاريض من نار – أو قال : من حديد – قلتُ : مَنْ هؤلاء يا جبريل ؟ قالَ : خطباء أمّتكَ » .[٧٤٨]

فالدَّاعية إذن من أوْلى الناس مطالبة بالإخلاص لله تعالى ؛ لأنه ربّما رأى مقامه وهو يتكلم أمام المئات ويعلمهم ويذكرهم فيرى أنّ له فضلاً عليهم ، وتقدّماً دونهم ، فتحمله نفسه على العُجُب والتعالي والغض من قدر غيره ونسبتهم إلى الجهل ، فالإخلاص لله تعالى يعرفه قدر نفسه ، ويقيه شرّها ، ومن هدي رسول الله r في الحديث الصّحيح في خطبة الحاجة أنه كان يبتدئ الخطبة بقوله : « إنَّ الحمدَ للهِ نستعينُهُ ونستغفرُهُ ونعوذ باللهِ من شرور أنفسنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يُضلل فلا هادي له».[٧٤٩]

وهي كلمات عظيمة ، وافتتاحية جليلة ، يبتدئ بها الكلام ، فليتدبّر الدّاعية أو الخطيب هذه الكلمات ولا يجريها على لسانه دون وعي لمضمونها ، فإنّ فيها نسبة الحمد للهِ تعالى استحقاقاً وأنه يستعين به جلّ وعلا في شأنه ويستغفره لذنبه وتقصيره ، ويستعيذ به سبحانه من شرّ نفسه ، فهو لا يزكيها في هذا المقام ، بل يحذرها ويستعين باللهِ تعالى عليها ، ويحتمي به من غدراتها ووساوسها ، وما تزيّنه له. ومن قبح الرّياء أنّ علاماته تلوح على صاحبه ، فتنفر الناس منه ، وتفقدهم الثقة فيه وقلّ ما أخفي فساد السّريرة ولم تفضحه لوائح الظاهر والعلانيّة .[٧٥٠]

وعلى الخطيب أن يكون له هدف عال في خطبته يهدف في صعوده المنبر ، تصحيح مفاهيم الناس وبخاصّةٍ حول معتقداتهم ، وأن يهدفَ في صعوده أيضاً تقريب الناس من ربهم وأن يحبّب الدّين وأحكامه إليهم ، وعليه بما يقويّ فيهم الإيمان ويزرع فيهم الخير والنفع والرّحمة والشفقة ، وأن يهدف إلى تصحيح أوضاع اجتماعيّةٍ تعارف عليها الناس ، وقد يكون الصّواب في غيرها ، فله أن يجتهد في توجيه الناس إلى الصّواب ، وحذار من السّخريّة والاستفزاز والإعجاب وسرعة الوصول إلى النتائج .

إنك أيّها الخطيب تهدف إلى إصلاح المجتمع ولن يتأتى هذا العلاج بخُطبة أو خُطبتين فوطن نفسك على الرّفق وحبّ الخير للناس ونصحهم وتوجيههم في كلّ قول تقوله ، إذ أنّ أحكام الإسلام متفاوتة في أهميّتها فأعط كلّ حكم ما يستحقه من الاهتمام ، والحِكمة ضالة المؤمن قال عزّ وجل : ژ ژ .[٧٥١]

---

أقتاب): قال أبو عبيد : (الأقتاب: الأمعاء) ، وقال الأصمعي: (واحدها قتبة) ، وقال غيره:(قتب) ، وقال ابن عيينة: (هي ما استدار فى البطن وهى الحوايا والأمعاء وهى الاقصاب واحدها قصب والاندلاق خروج الشيء من مكانه). شرح النووي على صحيح مسلم : ١١٨/١٨ .

٧٤٧- المعجم الكبير للطبراني : رقم الحديث : (١٦٨١) : ١٦٥/٢ . قال عنه الهيثمي : (رجاله موثوقون) . مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ٤٤٠/١ ، وصححه الألباني . ينظر: اقتضاء العلم العمل : للخطيب البغدادي ، تح. محمد ناصر الدين الألباني : ٤٩ .

٧٤٨- مسند أبي يعلى : رقم الحديث: (٤٠٦٩) : ١١٤/٧ . وقال عنه محققه حسين سليم أسد : " رجاله رجال الصحيح " .

٧٤٩- سنن أبي داود : باب : (في خطبة النكاح) ، برقم : (٢١١٨) : ١/ ٦٤٤ ، سنن الترمذي : باب : (في خطبة النكاح) ، برقم : (١١٠٥) : ٤١٣/٣ ، ثم قال عنه : (حسن) .

٧٥٠- ينظر: خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة : ١٢٠ .

٧٥١- سورة البقرة : ٢٦٩ . ينظر: خطبة الجمعة في الكتاب والسنة : ٣٩ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

.. وحتى يكون الخطيب موفقاً في اختياره للخُطبة ، وفي مناقشته ، وحتى يُعطي الأثر المطلوب في نفوس المصلين ، عليه مراعاة ما يأتي :

١- مناسبة الموضوع لظرف الواقع الذي يعيشه الحاضرون ، وهذه المناسبة لا شكّ أنها متغيّرة لكنها ينبغي أن تكون نابعة من صميم واقع الناس ، متجدّدة بتجدّد مشكلاتهم وحاجاتهم وليس من الحِكمة ما يفعله بعض الخطباء ، من الجمود على مناسبات محدّدة طول العام بأن يضع لكلّ شهر خُطبته أو خُطبه المعدّة مسبقاً ، أو يعتمد على كتاب في خُطب العام لا يكاد يخرج عنه ، وكأنه يُخاطب الناس من خارج عصره بلغةٍ غير لغتهم ، وبهم غير همومهم وهذا يفقد الخُطبة أثرها ، ويفصل الخطيب عن جمهوره ومخاطبيه .[٧٥٢]

٢- أهميّة الموضوع : ممّا يجدر بالخطيب أن يراعي الأهمّ فالمهم من الأمور والموضوعات صحيح أنّ بعض الأمراض الاجتماعيّة مشتركة في العصور كلها لكن يبقى لكلّ بيئةٍ خصائصها ، ولكلّ زمانٍ معطياته ، وكلما جمع الخطيب بين الأصالة والمُعاصرة ، وبين فقه الواقع وسعة الاطلاع ، كان أعظم بصيرة وأوسع تأثيراً في النفوس . إنّ الخطيب الموفق يبرع في انتزاع موضوعات خُطبه من المُناسبات الاجتماعيّة في مجتمعه ، أو من الأحداث والوقائع التي تمرّ بأمّته والخطيب البارع يستطيع أن يُوجد عَلاقة بين موضوعه-مهما كان- وبين واقعه ويستطيع أن يستخرجَ من هذا الواقع من الصّور والأمثال ، والقصص ، ما يُحقق غرضه من تبصير الناس ، وتعليمهم وتثقيفهم .[٧٥٣]

٣- شموليَّة الموضوع : إنّ الإسلام دينٌ شاملٌ يُنظم الحياة كلها ، وهذا الشمول سِمة أساسيّة وخطيب الجُمعة حين يختار موضوعاته للناس يجب أن يُراعي هذه السِمة فلا يكون موغلاً في بيان جانب من الجوانب يُركز عليه ويغفل ما سواه .

إنّ الناس يحتاجون إلى بيان أمور الاعتقاد ، ويحتاجون إلى تعليم الأحكام الشرعيّة في العبادات والمُعاملات والأحوال الشخصيّة ، كما يحتاجون للوعظ والرقائق ، بل وإلى بيان أحوال الأمم السّابقة وما جرى بينهم وبين أنبيائهم واستخلاص عبر تلك الأحداث : ژ

ژ[٧٥٤] . واللّه عزّ وجل ساق قصصهم في القران الكريم ليكون في ذلك العبرة والذكرى للمؤمنين ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يذكر الناس بأيَّام اللّه فقال : ژ ۇ ۆ ۆۈ ژ .[٧٥٥]

.. كلّ ذلك مع الاحترام والالتزام بالوقت المُناسب للخُطبة ، فإنّ أهميّة الموضوع لا تسوغ له الإطالة المُمِلّة التي تؤدّي بالمُخَاطبين إلى السّآمة ، وإلى مخالفته في أسلوب علاجه للمشكلة .

**% دعوة القرآن الدّعاة إلى الوسطيّة في الدّعوة :**

إنَّ الأمَّة الإسلاميّة لكونها أمّة وسطاً ، فقد وُسط لها مسؤوليّة ربانيّة مكلفة بأن تحمل أكمل منهج وأقومه في العقيدة والأخلاق والتشريع إلى بقيّة المجتمعات الإنسانيّة ، مكلفة بدعوة الأمم الأخرى إلى الصّراط المستقيم ، منهج الله الذي يضمن للإنسان والمجتمع الحقّ والخير ويحقق لهما السّعادة وذلك بالأساليب والطرق الحكيمة الرّشيدة التي أرشدها الله سبحانه وتعالى في قوله : ژ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ژ .

---

[٧٥٢]- ينظر: خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمّة : ٥٨- ٥٩ .

[٧٥٣]- ينظر: المرجع نفسه : ٦٠- ٦١ .

[٧٥٤]- سورة يوسف : ١١١ .

[٧٥٥]- سورة إبراهيم : ٥ . ينظر: موضوعات خُطبة الجُمعة : ٥١ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكذلك بالقدوة بأن يصبح المجتمع الإسلامي مجتمعاً سليماً يحقق لأهله وللبشر جميعاً الحقّ والخير والسّعادة والاستقرار ، ولاسيّما في الأوقات والظروف التي يزداد فيها الانحراف والبعد عن المنهج الربانيّ ويكثر فيها العنف والتطرّف وتشويه صورة الإسلام الحقيقيّة والنيل منه .[٧٥٦]

فوسطيَّة الإسلام تقتضى إيجاد شخصيّة إسلاميّة متزنة تقتدي بالسَّلف الصَّالح ومن اقتفى أثرهم في شمول فهمهم واعتدال منهجهم وسلامة سلوكهم من الإفراط والتفريط ، والتحذير من الشطط في أيّ جانب من جوانب الدّين ، والتأكيد على النظرة المعتدلة المنصفة والموقف المتزن من المؤسّسات والأشخاص في الجرح والتعديل .[٧٥٧]

وكان منهج السَّلف في الأمور كلها سواء كانت الأمور عَقدية أو منهجيّة أو سلوكيّة منهجاً وسطيّاً ويتمثل ذلك في منهج التعامل مع المسئولين ودعوتهم إلى الله وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بقصد إتباع السنة ، والبعد عن الشطط وإيثار المصالح العامّة على المصالح الفرديّة .[٧٥٨]

لذا يقول الإمام ابن القيَّم رحمه الله في تقرير الأصول الاعتقاديَّة : " السَّمع والطاعة لأئمَّة المسلمين وكلّ من ولي أمر المسلمين عن رضى أو عن غلبةٍ واشتدّت وطأته من برّ أو فاجر ، فلا يخرج عليه جار أو عدل ، ونغزو معه العدوّ ونحجّ معه البيت ، ودفع الصَّدقات إليهم مجزية إذا طلبوها ، ونصلي خلفهم الجُمُعة والعيدين ، قاله غير واحد من العلماء " . [٧٥٩]

وهذه الوسطيّة تميّز المسلم عن غيره بمنهج حياتهِ ، ويقف صامداً ثابتاً أمام تحدّيات العصر وتيّارات مجريات الأحداث ، ولا يكون حائراً متردّداً على مفترق الطرق ، ولا تذوب هويتهُ في أمواج الأفكار المتعارضة ، ولا يميل نحو الشرق ولا نحو الغرب ، ولا يكون متساهلاً مفرطاً حتى يكونَ علمانيّاً ولا متطرّفاً مكفراً أو مفسّقاً فيأتي إلى استخدام أساليب القسوة والعنف ، وبهذه الوسطيّة أصبح الإسلام أسمى من النظم المدنيّة كلها ؛ لأنه يشمل الحياة كلها ويهتمّ اهتماماً متساوياً بالدّنيا والآخرة وبالنفس والجسد معاً ، وبالفرد والمجتمع على المستوى الواحد .. إنه لا يحمّلنا على طلب المحال ولكنه يهدينا إلى أن نستفيد أحسن الاستفادة ممّا فينا من استعداد وإلى أن نصلَ إلى مستوى أسمى من الحقيقة إذ لا نفاق ولا عداء بين الرّأي وبين العمل .[٧٦٠]

إنَّ الإسلام ليس ديناً كسائر الأديان ، ولكنه شامل الجوانب : الاعتقاد ، والمجتمع ، والدّولة ومختلف نظم الاقتصاد والسياسة والأخلاق ، وإنّ ميزة الإسلام أنه نظرة كليّةٍ شاملةٍ ، وأنه لم يجزئ الحياة بل نظر إليها نظرة كليّة كما نظر إلى الإنسان على أنه وحدة نفسيّة وجسميّة لا تنفصل .[٧٦١]

والدَّعوة إلى الإسلام وإرشاد الآخرين هو المحك الحيوي الحسّاس في نجاح الدّاعية وبناء الأجيال وتصحيح مسيرة المجتمع ، وذلك على نحو يتسم بالتعقل والوعي والحِكمة وفهم نفوس الآخرين وإدراك مدى صلاحيّة الأساليب المستعملة وتحقيق أهداف الوحي الإلهي والتفاعل مع الآخرين وتهيئة النفوس للقبول ، وملاحظة أهميّة الشفافيّة والحساسيّة في تعامل الدّعاة مع الناس جميعاً مسلمين أو غير مسلمين ، وتوافر الأسوة الحسنة للدّاعية واقتران القول مع الفعل والتطبيق والاتصاف بصفة الحُلم والأناة ، والصّبر واللطف، وترك اليأس ، والتسلح بالعلم والمعرفة الكافيين وملاحظة الأصالة

---

[٧٥٦]- ينظر: وسطيّة الإسلام : ٤ .
[٧٥٧]- ينظر: الرائد دروس في التربية والدعوة : ٩ .
[٧٥٨]- ينظر: الإسلام على مفترق الطرق : ١١٠ .
[٧٥٩]- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية : ٨٦ .
[٧٦٠]- ينظر: وسطية الإسلام : ١٦ .
[٧٦١]- ينظر: المد الإسلامي في مطالع القرن الخامس عشر : ٢٩ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمعاصرة أو الحداثة ، وفهم طبائع الشعوب ، ومعرفة رصيد الأديان الأخرى والعادات والتقاليد الشائعة [٧٦٢].

ولله در القائل : ضاع هذا الدِّين - أي الإسلام- بين الغالي فيه والجافي عنه ، هذه المقولة تفصح عن خطورة الابتعاد عن الوسطيّة التي هي أبرز سمات الأمّة الإسلاميّة ، الإسلام وسط فلا إفراط ولا تفريط ، وسط فلا طغيان ولا نقصان ، وسط فلا تشدّد ولا ترخص ، وسط بين رعاية حقوق الفرد على حساب الجماعة ، أو العناية بمصالح الجماعة على حساب الفرد ، فالوسطيّة تعني العدل ، فلا يظلم جانب على حساب جانب آخر ، والوسطيّة تعني التوازن فلا يختلّ أمر على حساب آخر[٧٦٣] ويريد الله تعالى للمسلمين أن يحملوا للعالم رسالة الحبّ والخير والعدل ؛ لتحقيق وسطيّة هذه الأمّة : ژ ڤ ڤ ڤ ڤ ژ وكذلك يُريد منهم أن يزيلوا الظلم والطغيان ، فلم يحمل المسلمون السّيف في وجه الجاهليّة إلا لأنها طغت وتجبّرت ووقفت في وجه الدّعوة الإسلاميّة ، ولم يشن المسلمون حربهم ضدّ الفرس والرّومان والغدر اليهودي إلا بتجنيهم على القيم الإنسانيّة العالية التي يعتزّ بها بنو البشر.[٧٦٤] وحينئذٍ يتحقق للدَّعوة إلى الله منهج الوسطيّة المطلوب في الإسلام وهو ما وضع أساسه القرآن الكريم في قوله تعالى – المتقدّم- : ژ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ژ .

والدَّعوة إلى الله تتطلب من الدّاعية أن يكون ذات أهليّةٍ معيّنةٍ أو كفاءة محدّدة كأيّ اختصاص علميٍّ آخر ، وأن يكون دقيق النظر والخبرة ، وعليه أن يتوصّل لما يراعي مصالح الناس في كلّ زمان ومكان بحيث يحقق ما يعرف بمدلول الفقه الحضاري ، الجامع بين الالتزام بضوابط الشريعة الإلهيّة ومقتضيات الواقع والمصلحة الزمنيّة والمكانيّة وحتى لا يبادر الناس إلى تطبيق ما هو غريب عن الإسلام ، وحتى تظلّ الهيمنة في الاستيعاب والنظر والإدراك والسّلوك لمعطيات الإسلام الأصيلة؛ لأنّ الإسلام هو دين الحق كما قال تعالى : ژ ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ژ.[٧٦٥]

ومَعالم الفقه الحضاري وإصلاح الدّعوة تتمثل في منهج الوسطيّة في مراعاة قواعد الإيمان والإسلام وعالميّة الشريعة ، وخلود التشريع وخاتميّته ، ولا بدّ من إدراك هذا التلازم بين العقيدة والشريعة والعبادة ، والأخلاق والسّلوك ، والمعاملة الرَّشيدة والصَّحيحة .

فليسَ من الفقه الحضاري غض النظر عن معطيات الحياة المعاصرة ومستجداتها في نظام التعامل والعَلاقات والأنظمة الدوليّة ، والأعراف السّائدة ، ولكن لا بدّ من البحث عن البديل المقبول ، وتنزيل الوقائع الجديدة على الأصول والنصوص الشرعيّة ، لا تعطيلها أو تجاوزها ، فلا يتورّط أحدٌ مثلاً بإباحة الرّبا أو الفوائد المصرفيّة ، وإنما يشجّع على تنمية روح التعاون والاستثمار المشترك ، ولا داعي لبحث ما يتعلق بالرّق والاسترقاق ؛ لأنّ الإسلام وإن سكت عن تحريمه فقد كان أوّل من أيقظ الضمير العالمي لإدراك مفاسده وشذوذه وأضراره على الكرامة الإنسانية .[٧٦٦]

ومن إصلاح الدَّعوة أن يُظهر الدَّاعية للناس كافة سماحة الإسلام في قواعده وتطبيقاته وبأنه سمح سهل مرن معتدل متوسّط بين الإفراط والتفريط ، وليس متشدّداً ضيّقاً حرجاً، فلا إعنات ولا مشقة ولا إحراج في تعاليم الإسلام وأحكامه كلها ، سواء منها أحكام العقائد أو العبادات والمعاملات ونظام الأسرة وجميع التكاليف الشرعيّة قال الله تعالى : ژ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ، ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ

---

[٧٦٢]- ينظر: وسطية الإسلام وسماحته : ٣٤ .
[٧٦٣]- ينظر: مقوّمات الدّاعية الناجح : ٢٢٦.
[٧٦٤]- ينظر: الإسلاميّة والقوى المضادة : ٨٧- ٨٨ .
[٧٦٥]- سورة الصف : ٩ . ينظر: وسطية الإسلام وسماحته : ٣٧ .
[٧٦٦]- ينظر: المرجع نفسه .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ﭮ ﮋ[767] ، ﮋ ﮯ ﯓ ﯔ ﮬ ﮊ[768] ، وكذلك مبادئ الاقتصاد في الكسب والادخار والتوزيع والإنفاق إذ تقوم على التوسّط بين الإسراف والتبذير ، وبين الشحّ والبُخل والتقصير وأن نبيَّن سِمة الأخلاق والسّلوكيات فيه أيضاً ، إذ تتميّز بالسّماحة والتخفيف واليُسر وترك التنطع والتشدّد ، والغِلظة والاستكبار فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قالَ رسولُ اللهِ r : « إنَّ هذا الدّين يُسْر ، ولن يشادّ الدّين أحدٌ إلا غلبه ، فسدّدوا وقاربوا وأبشروا » .[769] أي اقصدوا السَّداد من الأمر وهو الصّواب ، واطلبوا المقاربة وهي القصد في الأمر الذي لا غلوّ فيه ولا تقصير وأبشروا بالنجاة وتحقيق الغايات .[770] وفي حديث آخر تضمّن خطاباً عامّاً للصّحابة الكرام عن أنس t قالَ : قالَ رسولُ اللهِ r : «يسّروا ولا تعسروا ، وبشّروا ولا تنفروا » .[771]

ومن الأمثلة العمليَّة في القرآن الكريم على ملازمة اليُسر والسّماحة: تشريع الرّخص ، أي الأحكام الاستثنائيّة كرُخص القصْر والجَمْع في الصّلاة ، والفِطر في رمضان في حالة السّفر والمَرض، وتناول المحرَّمات حالة الاضطرار .

وفي خطابه للمشركين غاية الحيدة والتجرّد ، والاعتدال والسّماحة والاحتكام إلى المنطق، قال الله تعالى: ﮋ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﮊ ، ﮋ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼﮊ ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﮊ .[772]

وخطاب أهل الكتاب من اليهود والنصارى أرفق وأدق وألطف ، فكلّ الآيات تُناديهم بهذا الوصف : أَهْلِ الْكِتَابِ ، وكانت كتب ورسائل النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى الملوك وأمراء العالم مقترنة بهذه الآية الكريمة : ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮊ .[773]

على الدّاعية في الوقت نفسه أن يقوّمَ المدعوين ويستمرّ في ذلك ، وهو أمر ضروريّ إذ من خلاله يُمكن أن يتعامل مع المدعوين بناءً على ذلك التقويم .

والتقويم يكون الفرد المدعو عضواً صالحاً في المجتمع الإسلامي ، والتقويم يكون على الأقوال والأفعال التي يلمسها الدّاعية ، وتارة يكون على ما غاب عليه وذلك بأن يُنقلَ إلى الدّاعية من أخبار المدعو ما يلزم تقويمه بعد التثبّت من صحة ما نُقل ، وهذا جانب في غاية الأهمّيّة إذ أنّ المدعو قد يتصنّع الاستقامة أمام الدّاعية ، فإذا نُقل إلى الدّاعية أنّ المدعو يصاحب أناساً لا خير فيهم وجب التنبيه على ذلك بالرّفق واللين .

ولا بدّ أن يشمل التقويم جميع الجوانب وإلا كان ناقصًا وعلى حساب جانب دون آخر ، فكما يجب تقويم الأفعال من عبادات وغيرها فيجب تقويم الأقوال والأخلاق والهيئة ... إلخ .[774]

---

[767]- سورة النساء : ٢٨ .

[768]- سورة التغابن : ١٩ . قال الشاطبي : " إنَّ الأدلة على رفع الحرج في هذه الأمة بلغت مبلغ القطع ، أي اليقين ، وقد سمّى الله هذا الدّين الحنيفية السّمحة ، لما فيه من التسهيل والتيسير " . الموافقات : ٢٤٠/١ .

[769]- صحيح البخاري : باب: (الدين يسر) ، رقم الحديث: (٣٩) :٢٣/١ ، سنن النسائي : باب: (الدين يسر) ، برقم: (٥٠٣٤) :١٢١/٨.

[770]- ينظر: فتح الباري : ١٧١/١ .

[771]- صحيح البخاري : باب: (ما كان النبي r يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا) ، برقم: (٦٩) : ٣٨/١ ، صحيح مسلم : باب: (في الأمر بالتيسير وترك التنفير) ، برقم: (١٧٣٢) :١٣٥٨/٣.

[772]- الآيات الثلاث في سورتي : الأنعام : ٧١ ، سبأ : ٢٤ ، ٣٢ .

[773]- سورة آل عمران : ٦٤ . ينظر: وسطية الإسلام وسماحته : ١٣٨، ٤٠ .

[774]- الدعوة الفردية وأهميتها في تربية الأجيال : ٤٦ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لذا فعليه التثبت الشديد ، والتوثق الأكيد من وقوع القصّة أو الحادثة ، ولا يكفي أن يسمعها من بعض المصادر أو من بعض الأشخاص الذين لا يعرف مدى ضبطهم وإتقانهم، وحرصهم على التثبت من الأخبار ، قال تعالى : ژ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ژ[٧٧٥] ، فإنّ مخالفة بعض هذه الأخبار والحوادث للواقع ، أو مجانبة بعض تفصيلاتها للحقيقة من شأنه أن يزلزل ثقة الناس بأخباره ونقوله ، ممّا ينعكس على خُطبه ، ودروسه ومواعظه .[٧٧٦]

لذا فإنّ التثبت من النقل والأخبار ، منهج إسلاميّ أصيل ، يجب أن يُراعيه المُسلم في عَلاقاته المختلفة ولاسيّما الخطباء ، والدّعاة ، والوعّاظ ؛ لأنّ دائرة النشر لديهم أوسع من غيرهم والجمهور المتلقي منهم أكبر من غيرهم .

## الفصل الرَّابع

[٧٧٥]- سورة الحجرات : ٦ .

[٧٧٦]- ينظر: خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة : ٢ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

## دور القرآن في إصلاح المجتمع خُلقيّاً[٧٧٧]

إنَّ الأخلاق في المنهج القرآني ليست ذات غاية نفعيّة ، وإنما هي محترمة مصونة لذاتها ولأنها جزء من العقيدة والدّين ، وهي محلّ عقاب وجزاء في الدّنيا والآخرة ، قال تعالى : ژ ى ى ې ې ژ[٧٧٨] افعلوا ما أمركم به من الصّفات الجميلة والأخلاق الجليلة واتركوا ما كان عليه أهل الجاهليّة من الأخلاق والصّفات الرّذيلة فإنّ الفلاح كلّ الفلاح في فعل ما أمر الله به ورسوله وترك ما نهيا عنه .[٧٧٩]

فيشعر كلُّ مسلمٍ آنذاك بالتزامه الجانب الخُلقي أنه يرضي الله به ، ويحسّ في أعماق نفسه بضرورة الأخلاق الحسنة من صدق وأمانةٍ ووفاءٍ بالعهد والوعد وإتقان العمل ، والإخلاص والحلم والجُود والرّفق والرّحمة والشفقة والصّبر والعفة ، والحياة والإخاء والاتحاد والكرامة وعزة النفس، والشجاعة والإقدام والانتفاع التام بالوقت ، وغير ذلك ليسعد الناس ويهنأ المجتمع بهم .[٧٨٠]

فلا عقيدة ولا دين تتأصّل به القيم مثل الإسلام ؛ لأنه يحثّ على حُسن الخلق ويدعو إلى مكارم الأخلاق ويهتمّ بجميع القيم الإنسانيّة التي تفيد النفس البشريّة ويترابط بها المجتمع : من صحةٍ وآداب وتآلف ومحبة ، وتربية وحسن سلوك وتطهير للفكر من كلّ دخيل ، يقلق النفس ، أو يورث عداوة، ولا تتأصّل القيم والمثاليات التي تتوق إليها النفوس ، ويلتئم بها الشمل إلا بولاية قويّة تهتمّ بالتطبيق والعمل.

وإنَّ أيَّ مجتمع من المجتمعات الإنسانيّة لا يستطيع أفراده أن يعيشوا متفاهمين سعداء ما لم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة . ولو فرضنا وجود مجتمع من المجتمعات على أساس تبادل المنافع الماديّة فقط ، من غير أن يكون وراء ذلك غرض أسمى ، فإنه لا بدّ لسلامة هذا المجتمع من خلقي الثقة والأمانة على أقلّ تقدير .[٧٨١]

فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعيّة لا يستغني عنها مجتمعٌ من المجتمعات ، ومتى فقدت الأخلاق التي هي الوسيط الذي لا بدّ منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان تفكك أفراد المجتمع ، وتصارعوا وتناهبوا مصالحهم ، ثمّ أدّى بهم ذلك إلى الانهيار ثمّ الدّمار ..

لذا فيُعدُ علم الأخلاق من أشرف العلوم وأعلاها قدراً ، وقيمة الإنسان تقاس بأعماله وأخلاقه.

وللأخلاق في القرآن الكريم منزلة عظيمة .. وقد كانت عنايته بها منذ بداية نزوله على نبيِّنا مُحمَّد **r** قال له : ژ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ژ .[٧٨٢]

.. ولطول هذا الموضوع وتشعبه ، وكثرة الآيات الواردة فيه ، نظراً لتعدد أجزائه ومنطلقاته فسأقتصر على اختيار نماذج متفرّقة تبيّن عناية القرآن الكريم به في ضوء المنهج الذي سلكته في هذا البحث ومن الله استمد العون والتوفيق .

كانت الأخلاق ضرورة في نظر المذاهب والفلسفات الأخرى ، وفي نظر القرآن الكريم كانت وما تزال أكثر ضرورة وأهميّة ، ولهذا فقد جعلها مناط الثواب والعقاب في الدّنيا والآخرة فهو يُعاقب الناس بالهلاك في الدّنيا لفساد أخلاقهم ، قال تعالى : ژ ۈ ۇ ۆ ۆ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ژ

---

[٧٧٧]- عُرّفت الأخلاق بأنها : " هيئة مركبة من علوم صادقة ، وإرادات زاكية ، وأعمال ظاهرة وباطنة ، موافقة للعدل والحكمة والمصلحة ، وأقوال مطابقة للحق ، تصدر تلك الأقوال والأعمال عن تلك العلوم والإرادات فتكتسب النفس بها أخلاقاً هي أزكى الأخلاق وأشرفها وأفضها " . التبيان في أقسام القرآن : ١٣٢ .

[٧٧٨]- سورة النور : ٣١ .

[٧٧٩]- ينظر: تفسير القرآن العظيم : ٣/ ٣٧٨ .

[٧٨٠]- ينظر: الأخلاق في الإسلام : ١٢ .

[٧٨١]- ينظر: المرجع نفسه .

[٧٨٢]- سورة الأعراف : ١٩٩ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ژ[٧٨٣] ، وقال ژ ي ژ[٧٨٤] لا يهلكهم الله سبحانه بمجرَّد الشرك وحده حتى ينضمَّ إليه الفسادُ في الأرض كما أهلك قوم شعيب بنقص المكيال والميزان وبخس الناس أشياءهم وأهلك قوم لوط بسبب ارتكابهم للفاحشة الشنعاء[٧٨٥] وإنّ القرآن يخضع الأعمال العلميّة للمبادئ الأخلاقيّة ، سواء كان ذلك في مجال البحث أو في مجال النشر لتوصيله للناس .

لذا فقد أهتمّ القرآن بالأخلاق ؛ لأنها أمر لا بدّ منه لدوام الحياة الاجتماعيّة وتقدّمها من الناحيتين الماديّة والمعنويّة ، فالإنسان دائماً بحاجةٍ بها ماسة إلى نظام خلقي يُحقق حاجته الاجتماعيّة، ويحول دون ميوله ونزعاته الشرّيرة ويوجّهه إلى استخدام قِواه في مجالات يعود نفعها عليه وعلى غيره.[٧٨٦]

إنَّ القرآن العظيم يُدرك تمام الإدراك ماذا يحدث لو أُهملت المبادئ الأخلاقيّة في المجتمع وساد فيه الخيانة والغش ، والكذب والسّرقة ، وسفك الدّماء، والتعدي على الحُرُمات والحقوق بكلّ أنواعها وتلاشت المعاني الإنسانيّة في عَلاقات الناس ، فلا محبّة ولا مودّة ، ولا نزاهة ولا تعاون ، ولا تراحم ولا إخلاص .

إنَّه من دون شكٍّ سيكون المجتمع جحيماً لا يُطاق ، ولا يُمكن للحياة أن تدومَ فيه؛ لأنّ الإنسان بطبعه مُحتاج إلى الغير ، وبطبعه ينزع إلى التسلط والتجبّر والأنانيَّة والانتقام ، قال الله تعالى : ژ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ ڑ ڑ ک ک ک ژ[٧٨٧] ، ژ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ژ لذا جاء الإسلام بأسس ومعايير يتحتم علينا السّير وفقاً لها ، وهي ليست أسساً ومعايير وضعيّة ، وإنما وحيٌ يُوحى على هيئة أوامر ونواه ومباحات ومحظورات فمن أطاع الله أثابه ومن عصاه عاقبه ، قال تعالى : ژ ى ى ې ې ژ[٧٨٨] .[٧٨٩]

وبما أنني لا أستطيع ذكر أنوع الخُلق الحسن ههنا بالتفصيل على هذه العُجالة بيدَ أنني أجد قلمي مجبراً على التنويه بأهمِّ صفةٍ خُلقيّةٍ مدعاة إلى إصلاح وتعمير المجتمع ، ألا وهي الصّدق وإن كانت مشهورة إذ بها تزدهر الحضارات وتترعرع الإنسانيّة جمعاء .

فهي من الصّفات الخُلقيّة الحميدة في الإنسان ، بل إنها من أفضل الصِّفات الإنسانيَّة على الإطلاق؛ ذلك أنَّ من يتحلى بالصّدق في القول والعمل ، فهو لبنة صالحة في بناء المجتمع الإنساني ولأنّ الصّدق من أهمّ الدّعائم التي تستقيم بها حياة الفرد ، وتصلح بها العَلاقات الاجتماعيّة وتقوى بها الرّوابط بين الناس في المجتمع ، ولذا حثّ القرآن الكريم عليها ووعد الصّادقين جنات النعيم ، وقد ورد مدح الصَّادقين في القرآن أكثر من خمسين مرّة منها قوله تعالى : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ژ [٧٩٠] ، وقوله : ژ ۈ ۇ ۆ ۆ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ژ[٧٩١] .

---

[٧٨٣]- سورة يونس : ١٣ .
[٧٨٤]- سورة هود : ١١٧ .
[٧٨٥]- ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرّواية والدراية من علم التفسير : ٦٠٦/٢ .
[٧٨٦]- ينظر: الأخلاق في الإسلام : ١٣ .
[٧٨٧]- سورة البقرة : ٢٠٥ .
[٧٨٨]- سورة المائدة : ١١٩ .
[٧٨٩]- ينظر: التحرير والتنوير : ٤٥١٤/١ .
[٧٩٠]- سورة الأحزاب : ٢٤ .
[٧٩١]- سورة آل عمران : ١٥- ١٧ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالصِّدق إذاً صفة مطلوبة ، وفضيلة يجب على كلِّ مسلم أن يتحلى بها ، وإذا ما اتصف بها كان جزاءه الجنّة ، قال r : « إنَّ الصِّدقَ يهدي إلى البرِّ ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنَّة ، وإنَّ الرَّجلَ ليصدق حتى يكونَ صدِّيقاً ... » .[٧٩٢]

وحثُ الإسلام المسلمين على الالتزام بالصّدق في القول ، ووعد من التزم به جزاءً في الدّنيا والآخرة كذلك أمرهم بالصّدق في العمل ، فقال رسول الله r : « إنَّ الله عزّ وجلَ يُحبّ إذا عملَ أحدكُم عملاً أنْ يُتقنه » .[٧٩٣] أي أن يكون صادقاً فيما يقوم به من عمل في جميع المجالات سواء كانت دينيّة أم دنيويّة .

وحثّهم أيضاً على التخلق بفضيلة الحُلم وأن لا يتسرَّعوا في الحكم على أفراد المجتمع ؛ لأنَّ من تعجَّلَ الشيء قبل أوانه ، عوقب بحرمانه[٧٩٤] ، والذي جعل الحُلم فضيلة خُلقية هو اعتداله ومسايرته لمقتضى العقل السَّليم ، والآثار النافعة المفيدة الخيّرة التي تترتب عليه ، وقد ضرب رسول الله r أروع المثل للمسلمين في الحُلم ، فقد روى البخاري[٧٩٥] عن أبي هريرة t قال : (( إنَّ أعرابيَّاً بالَ في المَسْجد ، فثارَ إليهِ الناسُ ليقعوا به فقال لهم رسولُ اللهِ r : « دعوهُ وأهريقوا على بولهِ ذنوباً من ماء أو سَجْلاً من ماءٍ ، فإنما بُعثتم ميسّرين ولم تُبْعثوا معسّرين » ))

.. هذا وقد وصف الله تعالى نبيّه ومصطفاه بأعظم الخلق فقال : ژ گ گ گ ں ڻ[٧٩٦] ، ويا لها من عبارة !! إذ الخلق العظيم هنا : هو الخلق الأكرم في نوع الأخلاق ، وهو البالغ أشدّ الكمال المحمود في طبع الإنسان لاجتماع مكارم الأخلاق في النبيّ r فهو حسن معاملته الناس إلى اختلاف الأحوال المقتضية لحسن المعاملة فالخلق العظيم أرفع من مطلق الخلق الحسن .[٧٩٧] وفسَّره عطية العوفي t بقوله : " أدب القرآن " .[٧٩٨]

ويشمل ذلك كلّ ما وصف به القرآن محامد الأخلاق وما وصف به النبيّ t من نحو قوله تعالى: ژ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ژ[٧٩٩] ، وقوله : ژ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ژ .. وغير ذلك من آيات القرآن .

وما أخذ به من الأدب بطريق الوحي غير القرآن ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رسولَ اللهِ r قال : « بُعثتُ لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاق » .[٨٠٠] فجعل أصل شريعته إكمال ما يحتاجه البشر من مكارم الأخلاق في نفوسهم ولا شكّ أنّ الرّسولَ r أكبر مظهر لما في شرعه قال تعالى : ژ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ گ گ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ژ .[٨٠١] وأمره أن يقول : ژ ۇ ۆ ۆ ۈ ژ [٨٠٢] ، فكما جعل الله رسوله

---

٧٩٢- صحيح البخاري : باب : (قوله تعالى:{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين}) ، رقم الحديث: (٥٧٤٣) : ٥/ ٢٢٦١ ، وفي صحيح مسلم نحوه ، غير أنه بلفظ : ((..حتى يكتب صديقاً)) : باب: (باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله) ، برقم: (٢٦٠٧) : ٤/ ٢٠١٢ ، سنن الدارمي : باب: (في الكذب) ، برقم: (٢٧١٥) :٣٨٨/٢ .

٧٩٣- المعجم الأوسط للطبراني : برقم : (٨٩٧) :٢٧٥/١ ، مسند أبي يعلى : برقم : (٤٣٨٦) :٣٤٩/٧ ، شعب الإيمان : برقم: (٥٣١٤) :٣٣٥/٤.. وكلهم من حديث عائشة رضي الله عنها ، وهو حديث صحيح . ينظر: السلسلة الصحيحة : :١٠٦/٣.

٧٩٤- وهي قاعدة أصوليّة . ينظر: المنثور في القواعد : ٢٠٥/٣ .

٧٩٥- في صحيحه : باب: [ قول النبي r : ((يسروا ولا تعسروا)) ] ، رقم الحديث: (٥٧٧٧) : ٢٢٧٠/٥.

٧٩٦- سورة القلم : ٤ .

٧٩٧- ينظر: الجامع لأحكام القرآن : ١٩٨/١٨ ، التحرير والتنوير : ٤٥١٥/١ .

٧٩٨- الزهد : لابن المبارك : ٢٣٧/١ .

٧٩٩- سورة آل عمران : ١٥٩ .

٨٠٠- المستدرك ، وقال عنه الحاكم : (حديث صحيح على شرط مسلم) : باب: (من كتاب آيات رسول الله r التي هي دلائل النبوة) ، برقم: (٤٢٢١) :٦٧٠/٢ ، سنن البيهقي : باب: (بيان مكارم الأخلاق ومعاليها) ، برقم: (٢٠٥٧١) :١٩١/١٠، مسند الشهاب : برقم : (١١٦٥) :١٩٢/٢.

٨٠١- سورة الجاثية : ١٨ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

r على خلق عظيم جعل شريعته لحمل الناس على التخلق بالخلق العظيم بمنتهى الاستطاعة ، وبهذا يزداد وضوحاً معنى التمكن الذي أفاده حرف الاستعلاء في قوله : ژ گ گ گ ں ژ ، فهو متمكن منه الخلق العظيم في نفسه ومتمكن منه في دعوته الدينيّة .[٨٠٣]

وفي الحديث الصَّحيح عن سعد بن هشام قال : سألتُ عائشة رضي الله عنها فقلتُ : أخبريني عن خُلق رسول الله r ، فقالت : (( كانَ خلقُهُ القرآن )) .[٨٠٤]

وليُعلم أنَّ جماع الخلق العظيم الذي هو أعلى الخلق الحسن ، هو التديّن ومعرفة الحقائق وحلم النفس والعدل والصّبر على المتاعب والاعتراف للمحسن والتواضع والزهد والعفة والعفو والجمود والحياء والشجاعة وحسن الصّمت والتؤدة والوقار والرّحمة وحسن المعاملة والمعاشرة .[٨٠٥]

علماً أنَّ الأخلاق كامنة في النفس ، ومظاهرها تصرّفات صاحبها في كلامه وطلاقة وجهه وثباته وحكمه وحركته وسكونه وطعامه وشرابه وتأديب أهله، وما يترتب على ذلك من حرمته عند الناس وحسن الثناء عليه والسُّمعة .[٨٠٦]

ومعنى هذا أنه r مهما أمره به القرآن العظيم امتثله ومهما نهاه عنه تركه هذا ما جبله الله عليه من الأخلاق الجبلية الأصلية العظيمة التي لم يكن أحد من البشر ولا يكون على أجمل منها ، وشرَع له الدّين العظيم الذي لم يشرعه لأحد قبله ، وهو مع ذلك خاتم النبيّين فلا رسول بعده ولا نبيّ r فكان فيه من الحياء والكرم والشجاعة والحلم والصّفح والرّحمة وسائر الأخلاق الكاملة ما لا يحدّ ولا يُمكن وصفه . عن أبي الدرداء t قال : سألتُ عائشة - رضي الله عنها- عن خُلق رسول الله r فقالت : ((كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه )) .[٨٠٧]

فاجتمع لرسول الله صلى الله عليه وسلم مكارم الأخلاق والشجاعة والكرم ، فعن أنس بن مالك t قال: (( كان النبيُّ r أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس...)) .[٨٠٨] من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبّه ، وقد بلّغ الرّسول الرّسالة ، ونصح الأمّة وجمع الكلمة ، وفتح مع صحابته القلوب بتوحيدهم ، كما فتحوا البلاد بجهادهم ؛ ليخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة ربّ العباد ، وقد أوصلوا إلينا هذا الدّين كاملاً لا يحتاج إلى زيادة أو نقصان ، قال الله تعالى : ژ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ژ وهذه هي أعظم قدوة يجب على المجتمع أن يتحلى بها ، قال تعالى : ژ ى ى ي ي ژ .[٨٠٩]

ولنعلم أنَّ الحبَّ الصَّادق لله ورسوله يتطلب العمل بكتاب الله ، وأحاديث رسوله الصَّحيحة والاحتكام إليهما ، وعدم تقديم حكم أو قول أحد عليهما ، قال الله تعالى : ژ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ژ [٨١٠] ، وقال : ژ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ ژ .[٨١١]

---

٨٠٢- سورة الأنعام : ١٦٣ .
٨٠٣- ينظر: التحرير والتنوير : ١/ ٤٥١٥ .
٨٠٤- مسند الإمام أحمد : رقم الحديث: (٢٥٣٤١) : ١٦٣/٦ . إسناده صحيح على شرط الشيخين ، قاله المحقق الشيخ شعيب الأرناءوط . ينظر: المصدر نفسه .
٨٠٥- ينظر: التحرير والتنوير : ١/ ٤٥١٥ .
٨٠٦- ينظر: التحرير والتنوير : ١/ ٤٥١٥ .
٨٠٧- شعب الإيمان : رقم الحديث: (١٤٢٨) : ١٥٤/٢ ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : رقم الحديث: (١٨٧١٨) : ٣٨٠/٧ .
٨٠٨- صحيح البخاري : باب: (الشجاعة في الحرب والجبن) ، برقم: (٢٦٦٥) : ١٠٣٨/٣ ، مسند أحمد : برقم: (١٢٩٤٥): ١٨٥/٣ .
٨٠٩- سورة الأحزاب : ٢١ .
٨١٠- سورة الحجرات : ١ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكان r أرحم الناس وأشدّهم إكراماً لأصحابه ، يوسّع عليهم إذا ضاق المكان ، يبدأ من لقيه بالسَّلام وإذا صافح رجلاً لا ينزع يده من يده حتى يكونَ الرّجلُ هو الذي ينزع يده ، وكان أكثر الناس تواضعاً وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ، ويأمر بذلك ، ويعطي كلّ جلسائه نصيبه ولا يحسب جليسه أنّ أحداً أكرم عليه منه ، وإذا جلسَ إليه أحدهم لم يقم حتى يقومَ الذي جلس إليه إلا أن يستعجله أمر فيستأذنه وكان r لا يُواجه أحداً بما يكره ، يعود المريض ، ويحبّ المساكين ويجالسهم ويشهد جنائزهم ، ولا يحقر فقيراً لفقره ، ولا يهاب ملكاً لملكه ، يعظم النعمة وإن قلّتْ فما عابَ طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه ، يأكل ويشرب بيمينه بعد أن يسمّي الله في أوّله ، ويحمده في آخره .[٨١٢]

وهكذا كان سلفنا الصَّالح y ، إذ كانوا يتخلقون ويستقون من النبع الأصيل الأوَّل ، وهو نبع القرآن الكريم ، وما كان حديث رسول الله وهديه إلا أثراً من آثار ذلك النبع ، فيتكيّفون به ، ويتخرّجون عليه ولم يتأثروا بأيّ جوّ أو حضارة ، لذا كانت أخلاقهم قد جاءت عن تصميم مرسوم ونهج مقصود .

والخُلق الكريم يصنع رجالاً وأجيالاً صادقة القلوب ، خالصة العقول والشعور خالصة من أيّ مؤثر آخر غير المنهج الإلهي الذي يتضمّنه القرآن الكريم ، ولذلك لمّا استقى الجيل الأول من ذلك النبع كان له في التاريخ ذلك الشأن الفريد ، فلابدّ إذن للمجتمعات الإسلاميّة اليوم أن تنتبه وتتجرّد من كل مؤثرات الجاهليّة التي تعيش فيها وتستمدّ منها ، وليس هذا فحسب بل تسمّيها أخلاقاً وحضارة . لابدّ لنا أن نفيق ونرجع ابتداءً إلى النبع الخالص الذي استمدّ منه صلى الله عليه وسلم وصحابته الأجلاء وهو النبع المضمون الذي لم يختلط ولم تشبه شائبة نرجع إليه في أخلاقنا وعاداتنا وتقاليدنا ، نستمدّ منه تصوّرنا لحقيقة الوجود كله ولحقيقة الوجود الإنساني ولكافة الارتباطات بين هذين الوجودين وبين الوجود الكامل الحق (وجود الله سبحانه) ، ومن ثم نستمدّ تصوّراتنا للحياة وقيمنا وأخلاقنا ومفاهيمنا للحكم والسياسة والاقتصاد وكلّ مقوّمات الحياة .. وإن كان أفراد المجتمع المقلدين للحضارات الدّخيلة سيلقون عنتاً ومشقة ، وستفرض عليهم تضحيات باهظة ، لكن ليسوا مخيَّرين إذا شاءوا أن يسلكوا طريق الجيل الأوّل الذي أقرّ الله به منهجه الإلهي ونصره على منهج الجاهليّة .[٨١٣]

ونرى ليس من الضرورة أن نسهب أو نتفنّن في كشف المخططات العدوانيّة التي يسير عليها أعداء الإسلام وأرباب الغزو الفكري أو نهتمّ بعرض المزيد منها ، إذ ليس بالمسلمين حاجة اليوم إلى أيّ مزيد من هذه الاستكشافات أو الإيضاحات فالمسلمون على اختلاف ثقافاتهم أصبحوا على بصيرة من ذلك ، بل يملكون من الوعي في هذه النواحي ما يتيح لهم الحصانة الكافية لو أنّ الأمر كان موكولاً إلى الوعي وحده ، وإنما هم بحاجةٍ الآن إلى القوّة الهائلة التي تدفع إلى التنفيذ .. وهيهات أن يكون أمر التنفيذ بيد الفكر أو العقل وحده ، إذ القوّة الهائلة التي يحتاجونها إنما هي قوّة الأخلاق .

وما نراه اليوم وما نسمعه في الشارع العربي المسلم يندى له الجبين ، حيث العَلاقات الجنسيَّة بين الشباب والشابات ، حيث التفسخ الخُلقي ، والإباحيّة اللا أخلاقيّة ، وترك الحبل على الغارب هكذا، ممّا يودي بخطر جسيم يُزعزع المجتمعات الإسلاميّة الآمنة ويُنذرها نحو الهاوية .

---

٨١١- سورة آل عمران : ٣١ .

٨١٢- ينظر: البداية والنهاية : ٣٣/٦ ، توجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع : ٦٦ .

٨١٣- ينظر : مختصر العلو للعلي الغفار :٦٠ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فعلينا أنَّ نعلمَ علم اليقين أنَّ إحاطة العَلاقة بين الذكر والأنثى بمجموعةٍ من المبادئ والآداب الأخلاقيّة تضمن تحقيق الأهداف السّامية لهذه العَلاقة وتستبعد الممارسات الفوضويّة للعَلاقات بين الجنسين، فعن طريق إيجاب غض بصر الذكر عن الأنثى ، والأنثى عن الذكر : ژ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ژ [٨١٤] فيقطع القرآن العظيم الطريقَ على وسائل الإثارة في النفس البشريَّة .

وبإيجاب اللباس السَّاتر بمواصفات خُلقيَّةٍ خاصَّة ، إذ يُحارب القرآن أسباب الفتنه : ژ ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ژ [٨١٥] وفي غير حالات الضرورة القصوى يحرم على الرّجل الاختلاء بالمرأة الأجنبيّة حتى وإن كانت ملتزمة باللباس السّاتر ، إلا بوجود أحد محارمها. وللبيوت في الإسلام حرمة عظيمة إذ لا يجوز دخولها دون استئذان أصحابها والسّلام عليهم.[٨١٦] قال تعالى : ژ ئى ئى ئى ی ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خح خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح طم ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم كى كي لج لح لخ لم لى لي مج مح مخ مم نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لا لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ژ [٨١٧] ؛ لئلا يجعلوا القرابة والصَّداقة والمخالطة مبيحة لإسقاط الآداب ، فإنّ واجب المرء أن يُلازم الآداب مع القريب والبعيد ولا يغرنّه قول الناس: إذا استوى الحبّ سقط الأدب .[٨١٨]

وحرَّمَ القرآنُ الاعتداءَ على الأعراض ، كما حرّم الزنا ودواعيه ، وحرَّم القذف وحدّ لكلٍّ منها عقوبة رادعة ، قال تعالى : ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ژ [٨١٩]

هذا وتمتاز الأخلاق الإسلاميّة بأنها واقعيّة عمليّة وليست مثاليّة ، كما أنها تؤكد حريّة الإنسان واختياره ومسئوليّته عن فعله ، وتتميّز أيضاً بأنها إيجابيّة شاملة بعيدة عن الانحراف والغلوّ ، وهي بذلك صالحة لكلّ زمان ومكان ، كما أنّ الإسلام شرَع أحكاماً لحماية المجتمع من التردي الخُلقي الذي يؤدّي إلى الهَلاك وذلك واضحٌ في العقوبات الحديّة والتعزيريّة[٨٢٠] – والذي سنذكره لاحقاً إن شاء الله تعالى - .. وإلحاقاً بموضوع إصلاح المجتمع خُلقياً إليك أخي الكريم هذه المطالب الآتية :

## المطلب الأوّل

## أثر القرآن في الدَّعوة إلى تعاون أفراد المجتمع

ينبغي للمجتمع المسلم أن يقومَ على أساس من اعتصام أفراده بحبل الله وتعاونهم على البرّ والتقوى: ژ ئى ئى ئى ی ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خح خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح طم ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم كى كي لج لح لخ لم لى لي مج مح مخ مم نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لا لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ژ [٨٢١] ، والتكافل فيما بينهم وعدم تفرّقهم : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ژ ولاسيَّما المجتمع الإسلامي إذ هو مجتمع متكافل متراحم متعاون والأمَّة الإسلاميَّة صاغها القرآن الكريم وجعلها أمّة واحدة ، أمّة معتدلة : ژ

---

[٨١٤]- سورة النور : ٣٠ .
[٨١٥]- السّورة نفسها : ٣١ .
[٨١٦]- ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية : ٢٥ .
[٨١٧]- سورة النور : ٢٧ .
[٨١٨]- ينظر: التحرير والتنوير : ٢٩٣٨/١ .
[٨١٩]- سورة النور : ٢ ، ٤ .
[٨٢٠]- ينظر: الأخلاق في الإسلام : ١٤ ، مفاهيم إسلامية : ١٩٩ .
[٨٢١]- سورة المائدة : ٢ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ف ف ڤ ڤ ڗ وجعل المؤمنين إخوة : ڗ ڵ ڷ ڷ ڷ ڷ و وۏ ۏ ې ې ې ې ڗ فالجماعة رحمة والفُرقة عذاب يرعى القويُّ الضعيفَ والغنيُّ الفقيرَ ، والصَّحيحُ المريضَ .

والمحبّة نسيج الإيمان الذي يجمع أبناء هذا المجتمع ، قال صلى الله عليه وسلم فيما يروي عنه النعمان ابن البشير t : « مَثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمى » .[٨٢٢]

والمجتمع الإيماني هو قاعدة الدّولة في سلمها وحربها ، وفي دعم أزماتها الماليّة ورفدها بكلّ ما تحتاج إليه لحماية وضمان المصالح العامّة الدّاخليّة والخارجيّة ، وأبناء المجتمع القرآني بناة المدنيّة والحضارة الرّوحيّة والماديّة معاً ، يعملون بما يُحقق الصّالح العام والأهداف الكبرى ، ويمتنعون عن كلّ ما يُوهن الأمّة ويُضعف المجتمع المعاصر ، وإبقاء مظاهر التخلف والجهل والفقر والمرض .

والمسلم بحاجةٍ دائميّةٍ إلى أخيه المسلم سواء كان في السّرّاء أم في الرّخاء : ڗ ک گ گ گ ڗ[٨٢٣] ، يتناصرون ويتعاضدون[٨٢٤] قال r فيما يرويه عنه أبو موسى الأشعري y : ((«المؤمن للمؤمن كالبُنيان يشدّ بعضه بعضاً » . ثمَّ شبَّكَ بين أصابعه )) .[٨٢٥]

ولهذا وُصفت هذه اللُحمة بتعاونها وتكاتفها وتآزرها وتناصرها بفرضيّةٍ عرَضيّةٍ ، كفُوت يوم من الحِنطة مثلاً ، فلا يحصل إلا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ ، وكلّ واحد من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج إلى صحون وربّما قدور وآلات لا تتمّ إلا بصناعات متعدّدة من حدّاد ونجّار وفاخوري .

والشخص الذي يأكل حبّاً من غير علاج ، فهو أيضاً يحتاج في تحصيله حبّاً إلى أعمال أخرى أكثر من هذه ، إلى الزراعة والحصاد والدّارس الذي يخرج الحبّ من غلاف السّنبل ويحتاج كلّ واحد من هذه إلى آلات متعدّدة وصنائع كثيرة أكثر من الأولى بكثير ، ويستحيل أن توفي بذلك كله أو ببعضه قدرة الواحد ، فلا بدّ من اجتماع القُدُر الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم .[٨٢٦]

وهذا يُدلل قطعاً على أنّ توزيع المهمّات لإنجاز الأعمال من التعاون المطلوب وأنّ هذا التعاون بين الأفراد ينتقل بعمل كلٍّ منهم ؛ ليصبح وظيفة عامّة اجتماعيّة تكفل العيش لعدد كبير من المجتمع فالتعاون بين الأفراد وتقسيم العمل ظاهرتان ملازمتان للإنسان ولا غنىً له عنهما ، وأنّ تعاون المجموعة لا ينتج ما يكفيهم فقط ، وإنما يزيد ويفيض .[٨٢٧]

وكذلك التعاون في الدّعوة والتعليم وإنكار المنكر ، فهذا يقترح فكرة لموضوع وهذا يجمع قصصاً واقعيّة عنه ، وهذا يعمل بحثاً ميدانيّاً أو استبياناً حول الموضوع ، وآخرٌ يجمع الأدلة الشرعيّة وكلام العلماء بشأنه ، وهذا يحشد الشواهد والأبيات الشعريّة المتعلقة به ، وآخرٌ أوتي موهبة في التحدّث يُلقيه في محاضرة تسير بها الرّكبان . أو كاتب مجيد يخطّ بأسلوبه ذلك المحتوى من العمل المشترك في رسالةٍ أو كتاب يؤثّر في نفوس القرّاء .

---

٨٢٢- صحيح مسلم : باب: (تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم) ، برقم: (٢٥٨٦) : ١٩٩٩/٤ ، مسند أحمد : برقم: (١٨٣٩٨): ٢٧٠/٤ .

٨٢٣- سورة التوبة : ٧١ .

٨٢٤- ينظر: تفسير القرآن العظيم : ٤٨٦/٢ .

٨٢٥- صحيح البخاري : باب: (تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً) ، برقم: (٥٦٨٠) : ٢٢٤٢/٥ ، صحيح مسلم : باب: (تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم) ، برقم: (٢٥٨٥) : ١٩٩٩/٤ ، سنن الترمذي : باب: (شفقة المسلم على المسلم) ، برقم: (١٩٢٨) :٣٢٥/٤ مسند أحمد : برقم: (١٩٦٤١) :٤٠٥/٤ .

٨٢٦- ينظر: مقدمة ابن خلدون : ٢٧٢/٢ .

٨٢٧- ينظر : كونوا على الخير أعواناً : ١٢ ، ٢٨ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعالم أو طالب علم لديه - ممَّا فتح الله به عليه- ما يقدّمه في دورة علميّةٍ وآخرٌ يملكُ خبرة إداريّة يسير بها أعمالها ، وثالث عنده مال يبذله لإسكان الطلاب الفقراء وإعاشتهم فترة الدّورة .. وهكذا وعصرنا الذي نعيش فيه يحتاج كثيراً إلى الأعمال المشتركة والبركة مع الجماعة . وفي مجال إنكار المنكر تعاون عظيم أيضاً ، فهذا يجمعُ معلوماتٍ عن المنكر ويستقصي خبره في المجتمع ، وهذا يبحث حكمه شرعاً ، وثالث يُعين على إيصاله إلى من يُنكره ويُغيّره ، وآخرٌ يخطب عنه ويحذّر منه.[٨٢٨]

## المطلب الثاني

## دعوة القرآن إلى إنصاف المجتمع

أقام الإسلام المجتمع على دعائم قويّة ثابتة ، ومنها : العدل بين الناس على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم والعدل صفة خلقية كريمة تعني التزام الحق والإنصاف في كلّ أمر من أمور الحياة والبعد عن الظلم والبغي والعدوان والعدل في الإسلام هو ممّا يكمل أخلاق المسلم لما فيه من اعتدال واستقامةٍ وحبّ للحق ، وهو كذلك صفة خُلقية محمودة تدلّ على شهامة ومروءة من يتحلى بها وعلى كرامته واستقامته ، ورحمته وصفاء قلبه ، قال تعالى : ژ ڃ ڃ ڃ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ[٨٢٩] ، وقال : ژ ۈ ۇ ۆ ۆ ۈ ۇ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ژ

ژ [٨٣٠] ، والقرآن يربأ بالمسلم عن الوقوع في أيّ لون من ألوان الظلم ، فالظالم مطرود من رحمة الله ، وقد أوعد الله سبحانه وتعالى الظالمين بأشدّ العقوبات ، قال تعالى: ژ ې ې ى ى ئا ئا ژ[٨٣١] ، وقال : ژ ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ژ[٨٣٢] .[٨٣٣]

قال تعالى : ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ژ[٨٣٤] وهنا يُشير القرآنُ الكريمُ إلى إصلاحيَّةٍ اجتماعيَّةٍ كاملةٍ إذ يُبيِّن أغراضاً وأحكاماً كثيرة ، أكثرها تشريع معاملات الأقرباء وحقوقهم ، فكانت فاتحتها مناسبة لذلك بالتذكير بنعمة خلق الله، وهم محقوقون بأن يشكروا ربّهم على ذلك وأن يراعوا حقوق النوع الذي خلقوا منه بأن يصلوا أرحامهم القريبة والبعيدة وبالرّفق بضعفاء النوع من اليتامى ، ويراعوا حقوق صنف النساء من نوعهم بإقامة العدل في معاملاتهنّ ، والإشارة إلى النكاح والصّداق ، وشرَعَ قوانين المعاملة مع النساء في حالتي الاستقامة والانحراف من كلا الزوجين ومعاشرتهنّ والمصالحة معهنَّ وبيان ما يحلّ للتزوج منهنّ والمحرمات بالقرابة أو الصّهر وأحكام الجواري بملك اليمين . وكذلك حقوق مصير المال إلى القرابة وتقسيم ذلك وحقوق حفظ اليتامى في أموالهم وحفظها لهم والوصايا عليهم .[٨٣٥]

ثمَّ أحكام المعاملات بين جماعة المسلمين في الأموال والدّماء وأحكام القتل عمداً وخطأ وتأصيل الحكم الشرعي بين المسلمين في الحقوق والدّفاع عن المعتدى عليه ، والأمر بإقامة العدل بدون

---

[٨٢٨]- ينظر : كونوا على الخير أعواناً : ٢٨ .
[٨٢٩]- سورة النحل : ٩٠ .
[٨٣٠]- سورة النساء : ٨٥ .
[٨٣١]- سورة هود : ١٨ .
[٨٣٢]- سورة إبراهيم : ٤٢ .
[٨٣٣]- ينظر: الأخلاق في الإسلام : ٢٠ .
[٨٣٤]- سورة النساء : ١ .
[٨٣٥]- ينظر: التحرير والتنوير : ٨٨١/١ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مصانعة والتحذير من إتباع الهوى والأمر بالبرّ والمواساة ، وأداء الأمانات والتمهيد لتحريم شرب الخمر وطائفة من أحكام الصّلاة والطهارة وصلاة الخوف .. ثمّ أحوال اليهود ؛ لكثرتهم بالمدينة وأحوال المنافقين وفضائحهم وأحكام الجهاد ؛ لدفع شوكة المشركين .

وأحكام معاملة المشركين ومساويهم ووجوب هجرة المؤمنين من مكة وإبطال مآثر الجاهليّة وقد تخللّ ذلك مواعظ وترغيب ونهي عن الحسد وعن تمني ما للغير من المزايا التي حرم منها من حرم بحكم الشرع أو بحكم الفطرة .[٨٣٦]

والترغيب في التوسّط في الخير والإصلاح ، وبث المحبة بين المسلمين : ﮋ ﮊ ﮋ ﮌ ﮋ ﮍ ﮋ ﮎ ﮋ ﮏ ﮋ ﮐ ﮋ ﮑ ﮋ ﮒ ﮋ ﮓ ﮋ ﮔ ﮋ ﮕ ﮋ ﮖ ﮋ ﮗ ﮋ ﮘ ﮋ ﮙ ﮋ ﮚ ﮋ ﮛ ﮋ ﮜ ﮋ ﮝ ﮋ ﮞ ﮋ ﮟ ﮋ ﮠ ﮋ ﮡ ﮋ ﮢ ﮋ ﮣ ﮋ ﮤ ﮋ ﮥ ﮋ ﮦ ﮋ ﮧ ﮋ ﮨ ﮋ ﮩ ﮋ ﮪ ﮋ ﮫ ﮋ ﮬ ﮋ ﮭ ﮋ ﮮ ﮋ ﮯ ﮋ ﮰ ﮋ ﮱ ﮋ ﯓ ﮋ ﯔ ﮋ ﯕ ﮋ ﯖ ﮋ ﯗ ﮋ ﯘ ﮋ ﯙ ﮋ ﯚ ﮋ ﯛ ﮋ ﯜ ﮋ ﯝ ﮋ ﯞ ﮋ ﯟ ﮋ ﯠ ﮋ ﯡ ﮋ ﯢ ﮋ ﯣ ﮋ ﯤ ﮋ ﯥ ﮋ ﯦ ﮋ ﯧ ﮋ ﯨ ﮋ ﯩ ﮊ ، جاء الخطاب بـــ **(**يآ أيها الناس**)** ؛ ليشمل جميع أمَّة الدَّعوة الذين يسمعون القرآن يومئذٍ وفيما يأتي من الزمان . فضمير الخطاب في قوله : ﮋ ﮌ ﮋ ﮍ ﮋ ﮎ ﮊ عائد إلى الناس المخاطبين بالقرآن ، أي لئلا يختصَّ بالمؤمنين إذ غير المؤمنين حينئذٍ هم كفار العرب ، وهم الذين تلقوا دعوة الإسلام قبل جميع البشر ؛ لأنَّ الخطاب جاء بلغتهم وهم المأمورون بالتبليغ لبقيّة الأمم وقد كتب النبيُّ **r** كتبه للرُّوم وفارس ومصر بالعربيَّة ؛ لتترجم لهم بلغاتهم فلمّا كان ما بعد هذا النداء جامعاً لما يؤمر به الناس بين مؤمن وكافر ، نودي جميع الناس فدعاهم الله إلى التذكر بأنّ أصلهم واحد إذ قال : ﮋ ﮌ ﮋ ﮍ ﮋ ﮎ ﮋ ﮏ ﮊ دعوة تظهر فيها المناسبة بين وحدة النوع ووحدة الاعتقاد والمقصود من التقوى هنا : اتقاء غضبه ومراعاة حقوقه وذلك حق توحيده والاعتراف له بصفات الكمال وتنزيه عن الشركاء في الوجود والأفعال والصّفات ، وفي هذه الصّلة براعة استهلال مناسبة لما اشتملت عليه السّورة من الأغراض الأصليّة فكانت بمنزلة الديباجة، وعبّر بـــ ﮋ ﮐ ﮊ دون الاسم العالم ؛ لأنَّ في معنى الرَّبِّ ما يبعث العباد على الحرص في الإيمان بوحدانيّته إذ الرّبّ هو المالك الذي يرب مملوكه أي يدبر شؤونه وليتأتى بذكر لفظ : (الرَّبِّ) ، طريق الإضافة الدّالة على أنهم محقوقون بتقواه حق التقوى والدّالة على أنّ بين الربّ والمخاطبين صلة تعدّ إضاعة حماقة وضلالاً .[٨٣٧]

وأمَّا التقوى في قوله : ﮋ ﮌ ﮋ ﮍ ﮋ ﮎ ﮋ ﮏ ﮊ فالمقصد الأهمّ منها : تقوى المؤمن بالحذر من التساهل في حقوق الأرحام واليتامى من النساء والرّجال ، ثمّ جاء باسم الموصول : ﮋ ﮌ ﮊ الإيمان إلى وجه بناء الخبر ؛ لأنَّ الذي خلق الإنسان حقيق بأن يتقى ووصل : ﮋ ﮌ ﮊ بصلة : ﮋ ﮍ ﮋ ﮎ ﮊ إدماج للتنبيه على عجيب هذا الخلق وحقه بالاعتبار . وفي الآية تلويح للمشركين بأحقيّة إتباعهم دعوة الإسلام ؛ لأنّ الناس أبناء أب واحدٍ، وهذا الدّين يدعو الناس كلهم إلى متابعته ولم يخصّ أمّة من الأمم أو نسباً من الأنساب فهو جدير بأن يكون دين جميع البشر بخلاف بقيّة الشرائع فهي مصرّحة باختصاصها بأمم معينة . وفي الآية أيضاً تعريض للمشركين بأن أولى الناس بأن يتبعوه هو مُحمَّد **r** لأنَّه من ذوي رحمهم .[٨٣٨]

ومن مجالات أخلاق العدل في الإسلام ، العدل مع الأهل ، وهو أن يُحسن المسلم معاملات زوجته وأولاده ، ويُساوي بينهم ، في المعاملة والعطيّة ، ولا يفضّل بعضهم على بعض .

إذن في توطيد العدل ومحاربة الظلم والحيلولة دون وقوعه إقرار للأمن وتحقيق للمساواة بين أفراد المجتمع ، والأمر الذي يُمكن لكلّ فرد الوصول إلى حقه دون مشقةٍ وعناءٍ ، وإذا فقد العدل أكل

---

[٨٣٦]- ينظر: المصدر نفسه .

[٨٣٧]- التحرير والتنوير : ٨٨١/١ .

[٨٣٨]- التحرير والتنوير : ٨٨١/١ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الناس بعضُهُم حقَ بعضٍ وسادت الفتن ، وكثرت الجرائم والمنكرات وأصبح كلّ فرد من أفراد المجتمع عُرضة لاعتداء الأشرار ، وضعاف النفوس فتفقد الحياة بهجتها وجمالها .[٨٣٩]

## المطلب الثالث

## دعوة القرآن إلى إصلاح التآخي والمحبة بين الأفراد

الأخوة في الدِّين الإسلامي أعلى رباطٍ اجتماعي ؛ ذلك أنّ الأخوّة في الدّين ناتجة عن الإيمان العميق به ، بحيث يخضع لأوامر ربّه دون سواه ، ومن ثمّ تكون هناك عاطفة قويّة موحّدة تجمع المسلمين جميعاً ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في قوله تعالى : ژ ۈ ۇ ۆ ۆ ۈ ۇ ژ .

قال الزجاج : " إذا كانوا متفقين في دينهم رجعوا باتفاقهم إلى أصل النسب لأنهم لآدم وحوّاء ، فإذا اختلفت أديانهم افترقوا في النسب " .[٨٤٠] كما أثر عن الرَّسول r قوله : « المسلمُ أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلماً سترهُ اللهُ يومَ القيامةِ » .[٨٤١]

إنَّ التحاب في الله تعالى والأخوة في دينه من أفضل القُرُبات وألطف ما يستفاد من الطاعات في مجاري العادات ، ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمتحابّين في الله تعالى ، وفيها حقوق بمراعاتها تصفو الأخوة عن شوائب الكدورات ونزغات الشيطان فبالقيام بحقوقها يتقرّب إلى الله زلفى وبالمحافظة عليها تنال الدّرجات العلى ، وأنّ الألفة ثمرة حسن الخُلق والتفرّق ثمرة سوء الخُلق فحسن الخُلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر ومهما كان المثمر محموداً كانت الثمرة محمودة وحسن الخلق لا تخفى في الدّين فضيلته وهو الذي مدح الله سبحانه به نبيَّه عليه الصَّلاة والسَّلام : ژ گ گ گ ں ں ژ . وقال r حين سُئل : (( عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ فقال : « تقوى الله وحسن الخلق » . ))[٨٤٢] .[٨٤٣]

والحبُّ الذي يجمع بين الأخوّة في الدّين ليس حباً ينصبّ على الذات ، وإنما هو منصبٌّ على الإيمان الذي يربط بين المؤمنين ، بحيث يحبّ المسلم لأخيه ما يحبّ لنفسه ، فالإيمان هو الرّباط الدّائم بين إخوّة الدّين ، وهو الذي يضبط سلوك المؤمنين وعاداتهم ، لذا يقول الله تعالى : ژ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ .[٨٤٤]

كذلك يوضح الله نعمته إذ جعل المؤمنين إخواناً يجمعهم الإيمان ، وعظم فضل الأخوة التي ارتبطت بفضل الإيمان ارتباطاً وثيقاً ، إذ يقول تعالى : ژ ڃ ڃ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ژ .

---

٨٣٩- ينظر: أخلاق الإسلام : ٢٣ .
٨٤٠- زاد المسير : ٧/ ٤٦٤ ، فتح القدير : ٥/ ٩٠ .
٨٤١- صحيح البخاري : باب: (لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه) ، برقم: (٢٣١٠) : ٨٦٢/٢ ، صحيح مسلم : باب: (تحريم الظلم) ، برقم: (٢٥٨٠) : ١٩٩٦/٤ ، سنن أبي داود : باب: (المؤاخاة) ، برقم: (٤٨٩٣) : ٦٩٠/٢ ، سنن الترمذي : باب: (ما جاء في الستر على المسلم ) ، برقم: (١٤٢٦) : ٣٤/٤ ، مسند أحمد : برقم: (٥٦٤٦) :٩١/٢ .
٨٤٢- سنن الترمذي ، من حديث أبي هريرة t : باب: (حسن الخلق) ، رقم الحديث: (٢٠٠٤) :٣٦٣/٤ ، وقال عنه الترمذي :" حديث صحيح غريب " .
٨٤٣- ينظر: إحياء علوم الدين : ١٥٧/٢ .
٨٤٤- سورة المجادلة : ٢٢ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال حمدان القصار : " أقبلوا على إخوانكم بالإيمان وردّوهم بالكفر ، فإنَّ الله تعالى أوقع ما بين هذين في مشيئته فقال : ژ[٨٤٥] " .[٨٤٦] فعلى المؤمن إذا ظفر بأخ أو صديق أن لا يضيّعه ، ويعلم أنّ الأخوّة والصّداقة عزيزة .[٨٤٧]

.. هكذا يحرصُ القرآنُ الكريمُ على المؤاخاة بين المسلمين ، حتى في أكثر الأمور خصوصيّة مثل الميراث ، إذ كان الميراث في بداية الإسلام بالأخوّة في الدّين لا في النسب ، ولم يكن المسلمون الأوائل يبخلون بمالهم على إخوانهم المسلمين الفقراء الذين عانوا وطأة الاضطهاد بسبب دينهم .

ولذلك فإنَّ النبيَّ r حين رأى مجتمع المدينة ممزقاً حينما هاجر إليه بسبب الخلافات بين الأوس والخزرج من ناحيةٍ ، وبسبب فقر معظم المهاجرين وعوزهم من ناحيةٍ أخرى ، طبّق مبدأ إخوّة الإسلام بحيث يشعر كلّ مسلم أنه مكفول كفالة تامّة في المجتمع الإسلامي ، فآخى رسول r بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك وكانوا تسعين رجلاً نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الأنصار آخى بينهم على المواساة يتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام إلى حين وقعة بدر فلما أنزل الله عزّ وجل : ژ ى ى ي ي

ژ[٨٤٨] ، ردَّ التوارث إلى الرَّحم دون عقد الأخوّة .[٨٤٩]

ويقوم مبدأ المؤاخاة الذي طبَّقه الرَّسول r على أساس أنَّ المسلمين جميعاً إخوة ، يُعطي الغنيّ منهم فقيرهم بالمعروف ويعين القادر منهم غير القادر، إذ أمرهم الرّسول r بأن يتآخوا في الله اثنين اثنين أو أخوين أخوين ، فقد اتخذ أبا بكر وعليّاً أخوين لنفسه ، وكان حمزة بن عبد المطلب أسد الله ، وزيد ابن حارثة مولى النبيّ أخوين وأبو بكر وخارجة بن زيد الخزرجيّ أخوين ، وكذلك سلمان الفارسي مع أبي الدرداء[٨٥٠] .. وهكذا تآخى كلّ واحد من المهاجرين مع رجل من الأنصار .

وقد حمى القرآن الكريم أفراد المجتمع من الغيبة والتجسس بعضهم على بعض ؛ خشية التنافر وتشتيت المجتمع ، وجعل من أتى ذلك بمثابة آكل لحم أخيه ميتاً ، فقال تعالى : ژ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ژ[٨٥١] وهذا من أحسن القياس التمثيلي ، فانه شبه تمزيق عِرض الأخ بتمزيق لحمه ولما كان المغتاب يُمزّق عِرض أخيه في غيبته كان بمنزلة من يقطع لحمه في حال غيبة روحه عنه بالموت لما كان المغتاب عاجزاً عن دفعه بنفسه بكونه غائباً عن ذمّه ، وكان بمنزلة الميّت الذي يقطع لحمه ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه. ولمّا كان مقتضى الأخوة التراحم والتواصل والتناصر فعلق عليها المغتاب ضد مقتضاها من الذمِّ والعيب والطعن ، كان ذلك نظير تقطيعه لحم أخيه والأخوّة تقتضي حفظه وصيانته والذب عنه .[٨٥٢] ولمّا كان المغتاب متفكها بغيبته وذمه متحليا بذلك شبه بأكل لحم أخيه بعد تقطيعه . ولمّا كان المغتاب محباً لذلك معجباً به شُبّه بمن يُحب أكل لحم أخيه ميتاً ، ومحبته لذلك قدر زائد على مجرّد أكله كما أنّ أكله قدر زائد على تمزيقه .. فتأمّل هذا التشبيه والتمثيل وحسن موقعه ومطابقة المعقول فيه للمحسوس وتأمّل أخباره عنهم بكراهة أكل لحم الأخ ميتاً ووصفهم بذلك في آخر الآية والإنكار عليهم في

---

٨٤٥- سورة النساء : ٤٨ .
٨٤٦- آداب الصّحبة : ٦٣ .
٨٤٧- ينظر : المصدر نفسه .
٨٤٨- سورة الأنفال : ٧٥ .
٨٤٩- ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد : ٥٦/٣ .
٨٥٠- ينظر: المصدر نفسه : ٣/ ٥٦ ، ٣٣١ ، الإصابة في تمييز الصحابة : ٥٣١/٣ .
٨٥١- سورة الحجرات : ١٢ .
٨٥٢- ينظر: الأمثال في القرآن الكريم : ٣٣ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أوّلها ، أن يجب مثل أعمال الكفار أحدهم ذلك ، فكما أنّ هذا مكروه في طباعهم فكيف يحبون ما هو مثله ونظيره؟! فاحتج عليهم بما كرهوه على ما أحبوه وشبه لهم ما يحبونه بما هو أكره شيء إليهم وهم أشدّ شيءٍ نفرة عنه ، فلهذا يوجب العقل والفطرة والحِكمة أن يكونوا أشدّ شيءٍ نفرة عمّا هو نظيره ومشبهه .[٨٥٣]

كانت المؤاخاة بهذا المفهوم الاقتصادي الاجتماعي درساً في التنظيم الاجتماعي ولم يكن معناها أبداً أن يركن المهاجرون إلى الدّعة ، ويتوقفوا عن السعي وراء الرزق بل كان الهدف ترسيخ قيمة التكافل الاجتماعي بين من يشتركون في أخوة الدين الإسلامي ، بحيث يعين المسلم أخاه المسلم في وقت الحاجة الملحة دون تواكل على الغير بدون لبه أو ضرورة ، ولذلك اشتغل بعض المهاجرين بالتجارة على حين عمل البعض الآخر ، في حقول الأنصار ومزارعهم .[٨٥٤]

فالأخوّة في الإسلام قد منَّ بها الله على المؤمنين ، وأنّ رسول الله **r** طبّقها عمليّاً في المؤاخاة التي قام بها بين المهاجرين والأنصار تثبيتاً لدعائم المجتمع المسلم ، وترسيخاً للأسس التي قامت عليها أمّة المسلمين .

## المطلب الرّابع

## أثر القرآن في إعلام مصادر الإلزام الخُلقي

استكمل القرآن الكريم طرق الإلزام وأنواعها ، وسلط الوازعات على عقل المؤمن ثمّ على قلبه وضميره ، ونفسه وغرائزه ، وطباعه وحسده ، فانتزع الدّواء من مكمن الدّاء ، وشمل بهذا الإلزام الكبائر والصّغائر ، والأخلاق والآداب ، وجعل الفرد رقيباً على نفسه وعلى المجتمع ، وجعلَ المجتمعَ رقيباً على الفرد وتكاد هذه الإلزامات تنحصر في الآتي[٨٥٥] :

١- الوحي الدِّيني : إنّ الدّين يدلّ الإنسان على الخير ، والأخلاق الفاضلة ، قال تعالى : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڎ ڎ ڈ ژ[٨٥٦] قال محمد بن إسحاق : " يعلمهم الخير فيفعلوه ، والشر فيتقوه ويخبرهم برضاه عنهم إذا أطاعوه واستكثروا من طاعته وتجنبوا ما سخط من معصيته " .[٨٥٧]

٢- العقل : فهو الذي يرشد الإنسان إلى الأخلاق الحميدة السّليمة واجتناب الرّذائل ، وقد ذكر القرآن الكريم البراهين العقليّة ، والحِكمة في كثير من العبادات والمعاملات ، من ذلك قوله تعالى : ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ژ[٨٥٨] وقوله تعالى : ژ ڈ ڎ ڎ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ژ[٨٥٩] .. بهذا ينكشف لضمير المسلم هدف الشيطان ، وغاية كيده وثمرة رجسه، إنها إيقاع العداوة والبغضاء في الصّف المسلم - في الخمر والميسر - كما أنها هي صدّ الذين آمنوا عن ذكر الله ، وعن الصّلاة .. ويا لها إذن من مكيدة ! .[٨٦٠]

---

[٨٥٣]- ينظر: الأمثال في القرآن الكريم : ٣٤ .
[٨٥٤]- ينظر: مفاهيم إسلامية : ٢٩٣ .
[٨٥٥]- ينظر: الأخلاق في الإسلام : ١٥- ١٦ .
[٨٥٦]- سورة الجمعة : ٢ .
[٨٥٧]- تفسير القرآن العظيم : ٤٤٥/١ .
[٨٥٨]- سورة المائدة : ٩٠- ٩١ .
[٨٥٩]- سورة البقرة : ٤٤ .
[٨٦٠]- ينظر: في ظلال القرآن : ٤٣٠/٢ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣- الإلزام بوازع الترهيب والترغيب : سلكَ القرآنُ الكريمُ في الإلزام بهذا الوازع طرقاً كثيرة منها[٨٦١] :

- الترهيب بانتقام الله في الدّنيا من العاصي ، والجاحد نعمة الله ، قال تعالى : ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﮊ .[٨٦٢]

- والترغيب بما عنده سبحانه وتعالى ، إذ قال : ﮋ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮊ[٨٦٣] ، وقال تعالى : ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﮊ .[٨٦٤]

٤- الإلزام بوازع السُّلطان : إنّ بعض الناس لا ينفع معهم وازع العقل ، ولا وازع الترغيب والترهيب ، فكان لا بُدّ من وازعٍ أعظم في نفوسهم هو وازع السّلطان، وهو العقوبات التي فرضتها الشريعة الإسلاميّة ، وفوض أمرها إلى الحاكم ، قال الله تعالى : ﮋ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﮊ ، وقال : ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﮊ فاجتماع الوازعات كلها في الإسلام ، استكمال لطرق الإلزام لكلّ من سوّل له شيطان الهرب من أمر الطاعة والالتزام .

وختاماً لهذا المطلب ، فسأذكر الآثار المترتبة على من ثبت وتمسّك بالخُلق الحسن ؛ وذلك تباعاً لما تقدّم ..

**آثار ثبات الأخلاق :**

ويترتب على خاصيّة الثبات في الأخلاق الإسلاميّة ، الآثار والمزايا الآتية :

١- تخليص المجتمعات من ظاهرة القلق والإضرابات التي تسودها ، وتمكين الأواصر الإنسانيّة بالودّ والرّحمة بينهما ، خلافاً للمجتمعات التي تتبدّل فيها القيم الاجتماعيّة بحسب التغيّرات الاقتصاديّة ، إذ نجدها تعيش في قلق واضطراب .

٢- التفريق بين الأخلاق والتقاليد ، فالأخلاق ثابتة ؛ لأنها جزء من الدّين الموصى به وهي بذلك كيان متكامل ربّانيّ المصدر ، إنسانيّ الهدف . أمّا التقاليد فمن طبيعتها أن تتغيّر كلما تغيّرت مبرّرات وجودها ، ولكن ليس بالإمكان تغير الأخلاق ؛ لأنها تقوم على أسس ثابتةٍ كالحقّ والعدل والخير .

٣- إنَّ عامل الثبات في الأخلاق يبعث الطمأنينة في حياة الفرد ، وفي حياة المجتمع والثبات على الأخلاق مطلوب ؛ لأنَّ الأمور بخواتيمها وبدون الاستقامة والثبات على الحقّ تفوت الثمرة ولا يصل المسلم إلى الغاية .[٨٦٥]

٤- إنَّ الثبات على احترام الحقوق العامّة التي كفلها الإسلام وشرَع حمايتها ؛ ينتج عن ذلك الحفاظ على الأمن وتحقيق الاستقرار في المجتمع المسلم في الدّين والنفس والنسل، والعِرض ، والعقل والمال .

٥- إنَّ التمسّك بالمُثل العُليا التي جاء بها القرآن ، وتطبيقها على أرض الواقع من خلال أبناء المجتمع ؛ يُدلل على قيام حِضارة إنسانيّةٍ رشيدةٍ بنّاءة تهتدي بكتاب ربها وتلتزم بدعوة ورسالة نبيّها مُحمَّدٍ **r** ؛ لتحقيق العزة والكرامة في الدّنيا ، والسّعادة في الآخرة .[٨٦٦]

إذن فالأخلاق لا تقوم على نظريات مذهبيّةٍ ، ولا مصالح فرديّةٍ ، ولا عوامل بيئيّةٍ تتبدل وتتلوّن تبعاً لها ، وإنما هي فيض من ينبوع الإيمان يشع نورها داخل النفس وخارجها فليس الأخلاق فضائل منفصلة ، وإنما

---

٨٦١- ينظر: الأخلاق في الإسلام : ١٧ .
٨٦٢- سورة إبراهيم : ٧ . وينظر: تفسير اللباب : ٤٩٠/٩ .
٨٦٣- سورة السجدة : ١٧ . وينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٦٥٥ .
٨٦٤- سورة الأعراف : ٩٦ .
٨٦٥- ينظر: الأخلاق في الإسلام : ١٨ .
٨٦٦- ينظر: المرجع نفسه .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هي حلقات متصلة في سلسلةٍ واحدة ، عقيدته أخلاق وشريعته أخلاق ، لا يخرق المسلم إحداها إلا أحدث خرقاً في إيمانه .[٨٦٧]

وإنَّ الأخلاق في الإسلام ليست لوناً من الترف يُمكن الاستغناء عنه عند اختلاف البيئة وليست ثوباً يرتديه الإنسان لموقف ثمّ ينزعه متى يشاء ، بل إنها ثوابت شأنها شأن الأفلاك والمدارات التي تتحرّك فيها الكواكب لا تتغيّر بتغيّر الزمان ؛ لأنها الفطرة : ژ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ژ .[٨٦٨]

[٨٦٧]- ينظر: الأخلاق في الإسلام : ٤ .
[٨٦٨]- سورة الروم : ٣٠ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

## الفصل الخامس

## دور القرآن في إصلاح النظام الاجتماعي

إنَّ من خصائص النظام الاجتماعي في الإسلام تحميل الفرد مسؤوليّة إصلاح المجتمع، بمعنى أنّ كلّ فرد فيه مطالب بالعمل على إصلاح المجتمع وإزالة الفساد منه على قدر طاقته ووسعه، والتعاون مع غيره لتحقيق هذا المطلوب قال تعالى : ژ ژ ومن أعظم التعاون : التعاون على إصلاح المجتمع ، وإذا كان الفرد مطالباً بإصلاح المجتمع، فمن البديهي أنه مطالب بعدم إفساده ، قال تعالى : ژ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ژ . ومن القواعد الفقهيَّة: (ما حُرّمَ أخذُهُ حُرّمَ إعطاؤُهُ)[٨٦٩]؛ لأنَّ إعطاء الحرام للغير من الفساد والإفساد والمسلم إذا عجز عن الإصلاح فعلى الأقلّ عليه أن يمتنع من الإفساد وتكثير الفساد ، وعلى هذا لا يجوز إعطاء الرّشوة كما لا يجوز أخذها ولا يجوز إعطاء الرّبا كما لا يجوز أخذه – كما هو معلوم- .[٨٧٠]

ومن الأدلة القرآنيَّة على مسؤوليَّة الفرد عن إصلاح المجتمع ، قوله تعالى : ژ ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ژ والمنكر : " ما ليس فيه رضى الله تعالى من قول أو فعل ، والمعروف : ضده " .[٨٧١] ويدخل في ذلك بداهة ما يصلح المجتمع ويُطهّره من الفساد كما قصّ الله تعالى علينا قصة العبد الصَّالح لقمان لابنه : ژ ې ې ې ژ .[٨٧٢]

ويؤكد القرآن الكريم مسؤوليّة الفرد عن إصلاح المجتمع بما يقصّه من أخبار الأمم السّابقة التي فرط أفرادها بواجب الإصلاح فلحقهم الذمّ والهلاك ، حتى يعتبر كلّ مسلم بما حلّ بهم فلا يُفرّط تفريطهم؛ لئلا يُصيبه ما أصابهم ، قال تعالى : ژ ۈ ۈ ې ې ې ې ژ[٨٧٣] أي فهلا كان من الأمم التي قبلكم أولوا بقيَّة : أي أصحاب طاعة ودين وعقل ينهون قومهم عن الفساد في الأرض .[٨٧٤]

وقال تعالى : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ژ[٨٧٥] فهذه الآية الكريمة دلت على أن الذين نجوا من العذاب ، إنما نجوا بسبب نهيهم عن السّوء والفساد ، فدلَّ ذلك على وجوبه .[٨٧٦]

وتعليل مطالبة الفرد ومسؤوليّته عن إصلاح المجتمع ما يأتي[٨٧٧] ..

أوّلاً: الفرد يتأثر بالمجتمع : الإنسان كائن اجتماعي يتأثر بالمجتمع الذي يعيش فيه ، فتمرض روحه أو تهزل ، أو تصح وتقوى تبعاً لصلاح المجتمع أو فساده . وقد أشار النبي **r** إلى هذه الحقيقة بقوله

---

[٨٦٩]- بمعنى : ( أنّ الشيء المحرّم الذي لا يجوز لأحد أن يأخذه ويستفيد منه ، يحرم عليه أيضاً أن يقدّمه لغيره ويعطيه إياه سواء أكان على سبيل المنحة ابتداءً أم على سبيل المقابلة وذلك لأن إعطاءه الغير عندئذ يكون من قبيل الدعوة إلى المحرم ، أو الإعانة والتشجيع عليه فيكون المعطي شريك الفاعل ، ومن المقرّر شرعاً أنه كما لا يجوز فعل الحرام لا يجوز الإعانة والتشجيع عليه) . شرح القواعد الفقهية ، للزرقا : ١٢٣/١ .

[٨٧٠]- ينظر: أصول الدعوة : ١٤٥ .

[٨٧١]- التوقيف على مهمات التعاريف : ٦٨٠ .

[٨٧٢]- سورة لقمان : ١٧ .

[٨٧٣]- سورة هود : ١١٦ .

[٨٧٤]- ينظر: إرشاد العقل السّليم إلى مزايا القرآن الكريم ، والمشهور بـ(تفسير أبي السعود) : ٢٤٦/٤ .

[٨٧٥]- سورة الأعراف : ١٦٥ .

[٨٧٦]- ينظر: تفسير اللباب : ١٩١/٩ ، تفسير القرآن العظيم : ٤٩٤/٣ .

[٨٧٧]- ينظر: أصول الدّعوة : ١٤٨- ١٤٩ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أويمجسانه... » .[٨٧٨] فالأبوان بالنسبة للصّغير مجتمعه الصّغير الذي يؤثر فيه ، فيدفعه إلى الفساد أو الصّلاح ، فإذا كان الأبوان ضالّين دفعاه إلى الضلال وأخرجاه عن مقتضى الفطرة السّليمة التي خلقه الله عليها ، وإذا كانا صالحين أبقياه على الفطرة التي خلقه الله عليها ، ونمَّيا فيه جانب الخير . وهكذا شأن المجتمع الكبير في تأثيره في الفرد صلاحاً وفساداً .

ثانياً: ضرورة قيام المجتمع الصّالح : وقيام المجتمع الصّالح ضروري للفرد ؛ لأنّ المطلوب من المسلم تحقيق الغرض الذي خُلق من أجله وهو عبادة الله وحده قال تعالى : ژ ڃ ڃ ڃ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ والعبادة اسم جامع لما يحبه الله تعالى من الأقوال والأفعال والأحوال الظاهرة والباطنة وهذا المعنى الواسع للعبادة يقتضي أن يجعل المسلم أقواله وأفعاله وتصرفاته وعلاقاته مع الناس على وفق ما جاءت به الشريعة الإسلامية ، والمسلم لا يستطيع أن يصوغ حياته هذه الصياغة الإسلاميَّة إلا إذا كان المجتمع الذي يعيش فيه منظماً على نحو يسهل عليه هذه الصياغة أي أن يكون مجتمعاً إسلاميّاً صحيحاً . فإن لم يكن كذلك بأن كان مجتمعاً جاهليّاً صرفاً ، أو مجتمعاً مشوباً بمعاني الجاهليَّة ، فإنَّ المسلم لا يستطيع فيه أن يحيا الحياة الإسلاميّة المطلوبة أو يتعذر عليه ذلك . ولهذا يأمر الإسلام بالتحوّل من المجتمع الجاهلي إلى المجتمع الإسلامي ، ما دام عاجزاً عن إزالة جاهليته، قال تعالى : ژ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ .[٨٧٩]

وقد جاء في تفسير هذه الآية الكريمة أنها نزلت : " في كلّ من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكناً من إقامة الدّين فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع " .[٨٨٠]

ولهذا يجب على كلّ مسلم تعهد المجتمع الذي يعيش فيه وإزالة المنكر حال ظهوره أو وقوعه وأن لا يستهين به ؛ لأنَّ المُنكرات كالجراثيم التي تؤثر في الجسد قطعاً ، وإذا لم تمرض بعض الأعضاء فإنها تضعف مقاومته فيسهل عليها فيما بعد التغلب عليه ، ولهذا كانت أولى مهمات الدّولة الإسلاميّة إقامة هذا المجتمع الإسلامي الفاضل وإزالة المنكرات منه ، قال تعالى : ژ ڑ ڑ ژ ژ ڈ ڈ ڎ ڎ ڌ ڌ ڍ ڍ ڇ ڇ ڇ ڇ چ چ چ چ ڃ ڃ ڃ ڃ ڄ ڄ ڄ ڄ ڦ ڦ ڦ ڦ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ ژ[٨٨١] . وهذا عامٌّ في الرَّاعي والرَّعيَّة قال عمر بن عبد العزيز t : ( إلا أنها ليست على الوالي وحده، ولكنها على الوالي والمولى عليه ، ألا أنبئكم بما لكم على الوالي من ذلكم ، وبما للوالي عليكم منه ؟ إنَّ لكم على الوالي من ذلكم أن يؤاخذكم بحقوق الله عليكم ، وأن يأخذ لبعضكم من بعض ، وأن يهديكم للتي هي أقوم ما استطاع، وإنّ عليكم من ذلك الطاعة غير المبزوزة ولا المستكرهة ولا المخالف سرّها علانيَّتها ) .[٨٨٢]

وإذا كان الفرد مسئولاً عن إصلاح المجتمع وإزالة فساده ، فما هو الميزان لصلاحه وفساده ؟

إنَّ المجتمع الصَّالح هو المجتمع الإسلامي أي القائم على أساس العقيدة الإسلاميّة التي ينبثق عنها النظام الاجتماعي الإسلامي ، الذي ينظم شؤونه المختلفة .

والمجتمع الفاسد هو الذي يقوم على غير أساس العقيدة الإسلامية ولا يحكمه النظام الاجتماعي وتشيع فيه المنكرات ، وهو الذي يسمّيه الإسلام بالمجتمع الجاهلي . وبكلمة أخرى المجتمع الصّالح هو القائم على معاني الإسلام وأفكاره ومناهجه والتي تطبق فيه أحكامه والمجتمع الفاسد بخلافه .[٨٨٣]

.. وفي الحقيقة إنَّ الإصلاح الاجتماعي للأمّة المسلمة يحتاج إلى دراسات مستفيضةٍ وشاملةٍ، ورغم ما أقوم به من انتقاء واختيار لجوانب في هذا الإصلاح ، فهي لا تعدُ كونها نماذج فحسب في كلّ فقرة من فقراته .. ومن تلك النماذج ، والتي سأحصرها في المباحث الآتية :

---

٨٧٨- صحيح البخاري: باب: (إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام) ، رقم الحديث: (١٢٩٣) :٤٥٦/١ ، صحيح مسلم : باب: (معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين) ، برقم: (٢٦٥٨) :٢٠٤٧/٤ .. وكلاهما من حديث أبي هريرة y .

٨٧٩- سورة النساء : ٩٧ .

٨٨٠- تفسير القرآن العظيم : ٣٨٩/٢ .

٨٨١- سورة الحج : ٤١ .

٨٨٢- أورده الحافظ ابن كثير في تفسيره للقرآن العظيم : ٤٣٧/٥ .

٨٨٣- أصول الدعوة : ١٥٢ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

## المبحث الأوّل

## دور القرآن في إصلاح نظام الأسرة واستقراره

يحرصُ القرآنُ الكريمُ على بناء الأسرة القويّة المتماسكة الجادّة المتعاونة لكونها الخليّة الأولى لبناء المجتمع ، وهي أصغر وحدة في النظام الاجتماعي ، ويختلف حجمها باختلاف النظام الاقتصادي، فهي البناء الاجتماعي السّائد على امتداد التاريخ ..[٨٨٤] ومن ثمّ فالأجداد والآباء والأولاد والأحفاد وكلهم يعملون كأنهم في معسكر تدريب فعَّال لتحقيق الكفاية الإنتاجيّة الذاتيّة ، ورفد المجتمع ببناة الجيل الصّاعد ، وبقاء النوع الإنساني وانطلاق هذه المؤسسة الصّغيرة نحو تحقيق آفاق الحياة المنضبطة والسّخيّة والقويّة في آن واحدٍ .

ونظام الأسرة المسلمة القائم على التعاون والتراحم والتسلح بقيم الأخلاق الفاضلة بدءاً من الزواج حتى انتهاء الرّابطة الزوجيّة بالطلاق الاضطراري أو الموت : نظام صحيح معتدل ، يضمّ بين أجنحته إذا التزمت آداب الإسلام وروعيت ضوابط أحكامه وشرائعه كلَّ ما يحقق الخير والتقدّم والسّعادة؛ لقيامه على قواعد العدل والمساواة والحريّة المنظمة ، والضرورة أو الحاجة أو الحالات الاستثنائية التي لولاها لأصبحت الحياة الزوجية جحيماً لا يطاق .[٨٨٥]

ويُشير لكلِّ هذا بإيجاز ، قول الله تعالى : ژ ڈ ژ ژ ڑ ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ژ ، وقوله : ژ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ژ[٨٨٦] ، وما المعروف إلا التوسط في المعاملة بحسب العُرف والعادة الصّحيحة ، وضمن موازين الشرع .

وهذا يجعل الزواج من سنن الفطرة ، ونظام الاجتماع والتمدن، وأنه مظهر إيجابيّ فعّال للتعاون والعناية المشتركة والنفع المتبادل ، ومصدر للسّعادة والهناء والاستقرار ، مع مراعاة الواقع المرير أحياناً للتخلص من زيجة تصبح خطراً أو باعثة على الفساد والشرّ والضرر والأذى ، وذلك مع الحرص الشديد بقدر الإمكان على دوام هذه الرّابطة والبعد عن هدمها ، لذا سمّاها الإسلام بالميثاق الغليظ أي الشديد المؤكد الصّلة أو العَلاقة ووجوب الوفاء بالحقوق والواجبات فيها،في قوله تعالى: ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ژ .[٨٨٧]

والإسلامُ يسعى إلى استمرار المسيرة الإنسانيّة على الأرض حتى يأذن الله بفناء العالم ويرث الأرض ومن عليها ، ومن أجل تحقيق هذا المقصد شرع الإسلام الزواج ورغب فيه واعتبره الطريق الفطري النظيف الذي يلتقي فيه الرّجل بالمرأة لا بدوافع غريزيةٍ محضة ولكن بالإضافة إلى تلك الدّوافع يلتقيان من أجل تحقيق هدف سام نبيل هو حفظ النوع الإنساني وابتغاء الذريَّة الصَّالحة التي تعمّر المجتمع وتبني الحياة الإنسانيّة ، وتتسلم أعباء الخلافة في الأرض لتسلمها إلى من يخلف بعدها حتى يستمرّ العطاء الإنساني وتزدهر الحضارة الإنسانيّة في ظلّ المبادئ النبيلة والقيم الفاضلة .[٨٨٨]

ومن الأمور المعتادة الإقرار بوجود النزعات والميول البشريّة ، إذ لا يستطيع الإنسان أن يُنكر وجود الواقع النفسي والميول والعواطف والغرائز التي خلقها الله في البشر ، وهذا يحتاج إلى الإشباع بالطرق السّويّة ، دون الوقوع في الجوع والنهم أو التحرّق والمعاناة فمن تمتع باللذات المشروعة أو

---

٨٨٤- مفاهيم إسلامية : ٢٢ .
٨٨٥- ينظر: وسطية الإسلام وسماحته : ١٩ .
٨٨٦- الآيتان في سورتي : الروم : ٢١ ، النساء : ١٩ .
٨٨٧- سورة النساء : ٢١ .
٨٨٨- ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية : ٢٤ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المباحة كان هادئ النفس مرتاح الضمير ، ومن كابد الصّراعات النفسيّة ولم يستجب لنداء الذات كان قلقاً ومعذّباً ، ومن أسرف في اللذات والمشاعر وقع فريسة المرض والاضطراب والقلق. [٨٨٩]

لذا أباحَ الإسلامُ الزينة والتمتعَ بالطيِّبات ، وحرَّم الفواحش ، ورغّب في الزواج ، فقال الله تعالى : ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ پ پ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ گ گ

ژ [٨٩٠] ففي هذه الآيات إباحة الزينة وتناول الطيّبات وتحريم الفواحش. وفي المقابل قال سبحانه : ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ژ[٨٩١]، فأردفت أوامر العفاف بالإرشاد إلى ما يعين عليه ويعفّ نفوس المؤمنين والمؤمنات ، ويغضّ من أبصارهم فأمر الأولياء بأن يزوّجوا أياماهم ولا يتركوهن متأيّمات؛ لأنَّ ذلك أعفّ لهنَّ وللرِّجال الذين يتزوّجونهنَّ وأمر السّادة بتزويج عبيدهم وإمائهم؛ وهذا وسيلة لإبطال البغاء .[٨٩٢] فهو ترغيب شديد في الزواج والتزويج لكلّ من لا زوج له؛ لما فيه من الخير والعفة وبقاء النوع الإنساني بإنجاب الذريّة .

وقد نهى الإسلام عن الترهُّب فلا رهبانيّة في الإسلام ، وندَّد برهبانية بعض النصارى ، فقال تعالى: ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ژ [٨٩٣] فالإسلام نظام أسرة ، والبيت في اعتباره مثابة وسكن في ظله تلتقي النفوس على المودّة والرّحمة والتعاطف والسّتر والتجمّل والحصانة والطهر ، وفي كنفه تنبت الطفولة ، وتدرج الحداثة، ومنه تمتدّ وشائج الرّحمة وأواصر التكافل .

ويصوّر القرآن الكريم العَلاقة البيتيّة تصويراً شفافاً ، يشعّ منه التعاطف ، وترف فيه الظلال ويشيع فيه الندى ، ويفوح منه العبير : ژ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ژ ، ژ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ژ[٨٩٤] فهي صلة النفس بالنفس وصلة السّكن والقرار. وإنّ الإنسان ليحسّ في الألفاظ ذاتها حنوّاً ورفقاً ويستروح من خلالها نداوة وظلاً، وإنها لتعبير كامل عن حقيقة الصّلة التي يفترضها القرآن لذلك الرّباط الإنسانيّ الرَّفيق الوثيق .[٨٩٥]

ذلك في الوقت الذي يلحظ فيه أغراض ذلك الرّباط كلها ، بما فيها امتداد الحياة بالنسل فيمنح هذه الأغراض كلها طابع النظافة والبراءة ، ويعترف بطهارتها وجديّتها ، وينسق بين اتجاهاتها ومقتضياتها ذلك حين يقول تعالى : ژ ۉ ۉ ې ژ[٨٩٦] ، فيلحظ كذلك معنى الإخصاب والإكثار ويحيط القرآن هذه الخليّة ، أو هذا المحضن ، أو هذه المثابة بكلّ رعايته وبكلّ ضماناته ، وحسب طبيعة الإسلام الكليّة ، فإنه لا يكتفي بالإشعاعات الرّوحيّة بل يتبعها التنظيمات القانونيّة والضمانات التشريعيَّة .

والذي ينظر في تشريعات الأسرة في القرآن الكريم في كلّ موضع من أوضاعها ولكلّ حالة من حالاتها ، وينظر في التوجيهات المصاحبة لهذه التشريعات ، وفي الاحتشاد الظاهر حولها بالمؤثرات والمعقبات ؛ وفي ربط هذا الشأن بالله مباشرة في كلّ موضع . . يدرك إدراكاً كاملاً ضخامة شأن

---

[٨٨٩]- ينظر: وسطية الإسلام وسماحته : ١٠، ٢٠ .
[٨٩٠]- سورة الأعراف : ٣١- ٣٣ .
[٨٩١]- سورة النور : ٣٢ .
[٨٩٢]- ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩٠١/١ .
[٨٩٣]- سورة الحديد : ٢٧ .
[٨٩٤]- سورة البقرة : ١٨٧ .
[٨٩٥]- ينظر: في ظلال القرآن : ٣٥٩٥ .
[٨٩٦]- سورة البقرة : ٢٢٣ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأسرة في النظام الإسلامي ، وقيمة هذا الأمر عند الله ، وهو يجمع بين تقواه سبحانه وتقوى الرّحم في أول سورة النساء : ژ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ژ ، كما يجمع بين عبادته سبحانه والإحسان للوالدين في سورة الإسراء[٨٩٧] وفي غيرها : ژ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ژ ، وبين الشكر لله والشكر للوالدين في سورة لقمان[٨٩٨] :ژ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ژ وإنّ هذه العناية القصوى بأمر الأسرة لتتناسق مع مجرى القدر الإلهي بإقامة الحياة البشريّة ابتداءً على أساس الأسرة حين جرى قدر الله أن تكون أوّل خليّة في الوجود البشري، هي أسرة آدم وزوجه ، وأن يتكاثر الناس بعد ذلك من هذه الخليّة الأولى .[٨٩٩]

وكان الله سبحانه قادراً على أن يخلق الملايين من الأفراد الإنسانيين دفعة واحدة ، ولكن قدره جرى بهذا ؛ لحكمةٍ كامنةٍ في وظيفة الأسرة الضخمة في حياة هذا المخلوق ، إذ تلبّي حياة الأسرة فطرته واستعداداته ، وتنمّي شخصيّته وفضائله ، وحيث يتلقى فيها أعمق المؤثرات في حياته ، ثمّ جرت هذه العناية في النظام الإسلاميّ منهج الله الأخير في الأرض مع القدر الإلهي في خلقه الإنسان ابتداءً كما هو الشأن في تناسق كلّ ما يصدر عن الله بلا تفاوت ولا اختلاف .[٩٠٠]

ودَلالة الاحتفال بشأن العَلاقات الزوجية والعائليّة في القرآن كله ، هي اتجاه النظام الإسلاميّ لرفع هذه العَلاقات الإنسانيّة إلى مستوى القداسة المتصلة بالله ؛ واتخاذها وسيلة للتطهر الرّوحي والنظافة الشعوريّة ، لا كما كان ينظر إليها في العقائد الوثنيّة ، وعند أتباع الديانات المحرّفة، البعيدة بهذا التحريف عن فطرة الله التي فطر الناس عليها .

والقرآنُ لا يُحاربُ دوافع الفطرة ولا يستقذرها ، إنما ينظمها ويطهّرها ، ويرفعها عن المستوى الحيواني ، ويرقيها حتى تصبح هي المحور الذي يدور عليه الكثير من الآداب النفسيّة والاجتماعية. ويقيم العَلاقات الجنسيّة على أساس من المشاعر الإنسانيّة الرّاقية التي تجعل من التقاء جسدين التقاء نفسين وقلبين وروحين . وبتعبير شامل التقاء إنسانين ، تربط بينهما حياة مشتركة ، وآمال مشتركة وآلام مشتركة ، ومستقبل مشترك يلتقي في الذريّة المرتقبة ، ويتقابل في الجيل الجديد الذي ينشأ في العش المشترك ، الذي يقوم عليه الوالدان حارسين لا يفترقان .[٩٠١]

ويعد القرآن الكريم الزواج وسيلة للتطهير والارتفاع فيدعو الأمّة المسلمة لتزويج رجالها ونسائها إذا قام المال عقبة دون تحقيق هذه الوسيلة الضروريّة ؛ لتطهير الحياة ورفعها، قال تعالى : ژ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ژ [٩٠٢]، ويسمِّي الزواج إحصاناً أي وقاية وصيانة ، ويستقرّ في أخلاد المؤمنين أن البقاء بدون إحصان ولو فترة قصيرة لا ينال رضى الله فيدخل الزواج في عرف المؤمن في الطاعات التي يتقرّب بها إلى ربّه ، وترتفع هذه الصّلة إلى مكان القداسة في ضميره بما أنها إحدى الطاعات لربّه .[٩٠٣]

إنَّ الأصل في الرّابطة الزوجيّة هو الاستقرار والاستمرار ، والقرآن يحيط هذه الرّابطة بكلّ الضمانات التي تكفل استقرارها واستمرارها ، وفي سبيل هذه الغاية يرفعها إلى مرتبة الطاعات،

---

[٨٩٧]- آية : ٢٣ .
[٨٩٨]- آية : ١٤ .
[٨٩٩]- ينظر : في ظلال القرآن : ٣٥٩٥ .
[٩٠٠]- ينظر: المصدر نفسه : ٣٥٩٦ .
[٩٠١]- ينظر : في ظلال القرآن : ٣٥٩٥ .
[٩٠٢]- سورة النور : ٣٢- ٣٣ .
[٩٠٣]- ينظر: في ظلال القرآن : ٣٥٩٦ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويعين على قيامها بمال الدّولة للفقراء والفقيرات ، ويفرض الآداب التي تمنع التبرّج والفتنة ؛ كي تستقر العواطف ولا تتلفت القلوب على هتاف الفتنة المتبرّجة في الأسواق ! ويفرض حدّ الزنا وحدّ القذف؛ ويجعل للبيوت حرمتها بالاستئذان عليها والاستئذان بين أهلها في داخلها ، وينظم الارتباطات الزوجية بشريعةٍ محدّدة ، ويقيم نظام البيت على أساس قوامة أحد الشريكين وهو الأقدر على القوامة ، منعاً للفوضى والاضطراب والنزاع ..إلى آخر الضمانات والتنظيمات الواقعيّة من كلّ اهتزاز فوق التوجيهات العاطفيّة وفوق ربط هذه العَلاقة كلها بتقوى الله ورقابته .

وعدّ القرآن النفقة من جملة تنظيم الأسرة الماليّة ، إذ هي : كفاية من يمونه خبزاً وأداماً وكسوة ومسكناً وتوابعها .[٩٠٤] فكان للقرآن أثر في الأسباب الدّاعية للنَّفقة ، ومن أهمّها :

١- العَلاقة الزوجيّة ، فقد أوجب القرآن والسنة على الزوج في جميع الأحوال الإنفاق على زوجته غنياً كان أو فقيراً ، ولم يوجب الإسلام على الزوجة أن تنفق على نفسها وإن كانت موسرة، أو أن تنفق على زوجها بالأولى من هذا المال وإن كان معسراً ، ولم يوجب عليها أن تتكسب هذه النفقة بالعمل أو نحوه ، فالنفقة حق لها على زوجها بمقتضى عقد النكاح ، ومن أدلة وجوبها قول الله تعالى: ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ژ[٩٠٥] وقول رسول الله r في خطبة الوداع : « فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهنّ بأمان الله ، واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله ... ولهنّ عليكم رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف».[٩٠٦] ونفقة الزوجة تشمل الإطعام والكسوة والسّكنى ، ووسائل النظافة ، وتشمل أجر الخادم إن كانت الزوجة ممن تخدم في بيت أهلها ، وكان الزوج موسراً ، لقوله تعالى : ژ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ ژ[٩٠٧] ، فيجب لها النفقة في الوجوه السَّابقة مقدار كفايتها بالمعروف وإن كانت غير مسلمة ، وهذا الحق الذي قرّره الإسلام لها يتحقق به صيانتها وحمايتها من التبذل والامتهان ؛ بسبب اكتساب أسباب الحياة ، إذ كفل الإسلام لها هذه الأسباب في منزل الزوجية بدون تدخل منها لتتفرغ لأداء رسالتها المنوط بها في الحياة .[٩٠٨]

٢- عَلاقة القرابة ، فقد أوجب الشارع بها على المرء الإنفاف على والديه ، كما أوجب بها على الوالدين الإنفاق على أولادهما ذكوراً أو إناثاً ، إذا كان للمنفق مال يمكنه الإنفاق منه فاضلاً عن نفقته ولم يكن للمنفق عليه مال ولا كسب يكتفي به عن نفقة قريبه عليه. ومن الأدلة علي وجوب نفقة الأصول على فروعهم حديث عائشة أنَّ رسول الله r قال: « إنَّ أطيب ما أكلتم من كسبكم ، وإنَّ أولادكم من كسبكم » .[٩٠٩] وكذلك وجوب نفقة الفروع على أصولهم ، والقريب على قريبه بالشروط المتقدّمة ولما روي في الحديث الصّحيح ، عن طارق المحاربي قال: قدمنا المدينة فإذا رسول الله r قائم على المنبر يخطب الناس وهو يقول : « يد المعطي العليا وابدأ بمن تعول أمّك وأباك وأختك وأخاك ثمّ أدناك أدناك » .[٩١٠]

---

٩٠٤- ينظر : مفاهيم إسلامية : ٣٠٢ .

٩٠٥- سورة البقرة : ٢٣٣ .

٩٠٦- صحيح مسلم : باب: (حجة النبي صلى الله عليه وسلم) ، برقم: (١٢١٨) :٨٨٦/٢ ، صحيح ابن حبان : برقم: (١٤٥٧) : ٣١٠/٤

٩٠٧- سورة الطلاق : ٧ .

٩٠٨- ينظر: اللباب في شرح الكتاب : عبد الغني الغنيمي الدمشقي الميداني : ٢٢/٣ ، الحاوي الكبير : للماوردي : ٤١٤/١١ ، المغني (في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني) : ٢٣٠/٩.

٩٠٩- أخرجه الترمذي في سننه : باب: (ما جاء أن الوالد يأخذ من مال ولده) ، رقم الحديث: (١٣٥٨) : ٣/ ٦٣٨. وقال عنه : (حديثٌ حسنٌ صحيحٌ) .

٩١٠- سنن النسائي : باب : (أيتهما اليد العليا) ، برقم : (٢٥٣٢) : ٥/ ٦١ ، مسند الإمام أحمد : برقم : (٧١٠٥) : ٢/ ٢٢٦ ، صحيح ابن حبان : برقم : (٣٣٤١) : ٨/ ١٣٠ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إذ بيَّنَ في الحديث أنَّ من المعالين الأخوة والأقرب من الأقارب ، فيجب لهم على أقاربهم المأكل والمشرب والملبس والسّكنى ونحوها ، بقدر الكفاية ، مراعاة في ذلك العرف وحال المنفق والمنفق عليه ، وظروف الزمان والمكان . وإيجاب نفقة الأقارب الذين لا مال لهم إذا عجزوا عن الكسب على قريبهم الموسر ، يحقق صلة الرّحم ، ويقيم العلائق بين أفراد الأسرة على أساس من الترابط والتكافل فينصلح حال الأسرة ، وينصلح بصلاحها حال المجتمع بأسره .[٩١١]

إذن فالزواج ضرورة اجتماعيَّة لصالح المجتمع ؛ لأنه ينظم العَلاقات بين الذكور والإناث ، كما أنه يؤدّي إلى عِمران المجتمع بالناس الذين لولاهم لما تكوّن المجتمع .

لذا عنى القرآن الكريم بالحديث عن العَلاقة بين الرّجل والمرأة ، وتنظيمها ، وإضفاء صفة القدسية عليها ، فذكر أوّلاً أنّ العَلاقة بين الذكر والأنثى هي قاعدة الحياة البشريّة ، وبيّن أنّ عنصري الأمّة الذكر والأنثى من أصل واحد ، فلا فارق بينهما في أصل الخلق ، وأنّ ما تكاثر من بني البشر على وجه الأرض إنما هو منبثق منهما ، وعَلاقتهما المقدّسة سبب مباشر لإعمار الكون ، فقال تعالى : ژ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ژ ، ژ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ژ [٩١٢] بيَّنَ القرآن أنَّ اللبنة الأولى في بناء المجتمع هي الأسرة ، وأنَّ المودَّة والرَّحمة هما أساس الحياة الزوجيَّة ؛ كي يسكن كلٌّ إلى الآخر ويطمئنّ إليه ، قال تعالى : ژ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ژ .[٩١٣]

وبعد هذا يستمرّ القرآن في متابعة الحياة للأسرة ، إذ أنّ الواقعيّة للبشر تثبت أنّ هناك حالات تتهدّم وتتحطم على الرّغم من جميع الضمانات والتوجيهات ، وهي حالات لا بدّ أن تواجه مواجهة عمليّة اعترافاً بمنطق الواقع الذي لا يجدي إنكاره حين تتعذر الحياة الزوجية ، ويصبح الإمساك بالزوجية عبثاً لا يقوم على أساس ! والقرآن لا يسرع إلى رباط الزوجية المقدّسة فيفصمه لأوّل وهلةٍ، ولأوّل بادرةٍ من خلاف، بل إنه يشدّ على هذا الرّباط بقوّة فلا يدعه يفلت إلا بعد المحاولة واليأس.[٩١٤]

إنه يهتف بالرِّجال : ژ ۉ ۉ ې ې ې ې ژ فيميل بهم إلى التريّث والمصابرة حتى في حالة الكراهيّة ، ويفتح لهم تلك النافذة المجهولة : ژ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ژ[٩١٥] ، فما يدريهم أنّ في هؤلاء النسوة المكروهات خيراً ، وأنّ الله يدخر لهم هذا الخير ، فلا يجوز أن يفلتوه ، إن لم يكن ينبغي لهم أن يستمسكوا به ويعزوه وليس أبلغ من هذا في استحياء الانعطاف الوجداني واستثارته وترويض الكره وإطفاء شرته . فإذا تجاوز الأمر مسألة الحبّ والكره إلى النشوز والنفور فليس الطلاق أوّل خاطر يهدي إلى الإسلام ، بل لا بدّ من محاولةٍ يقوم بها الآخرون، وتوفيق يحاوله الخيّرون : ژ ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ئى ی ی ژ ، ژ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ژ[٩١٦] فإذا لم توجد هذه الوساطة فالأمر إذن جدّ ، وهناك ما لا تستقيم معه هذه الحياة ولا يستقرّ لها قرار .[٩١٧]

وإمساك الزوجيّة على هذا الوضع إنما هو محاولة فاشلة يزيدها الضغط فشلاً ، ومن الحكمة التسليم بالواقع ، وإنهاء هذه الحياة على كره من الإسلام ، فإذا أراد أن يطلق فليس في كلّ لحظةٍ يجوز

---

٩١١- ينظر : مفاهيم إسلامية : ٣٠٢ .
٩١٢- سورة الزمر : ٦ .
٩١٣- ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن : ٥١٥/٧ ، في ظلا القرآن : ٣٥٩٥ .
٩١٤- ينظر: في ظلال القرآن : ٣٥٩٧ .
٩١٥- سورة النساء : ١٩ .
٩١٦- سورة النساء : ٣٥ ، ١٢٨ .
٩١٧- ينظر: في ظلال القرآن : ٣٥٩٧ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الطلاق ، إنما السّنة أن يكون في طهر لم يقع فيه وطء ، قال تعالى : ژ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ژ .[٩١٨]

فهذه هي أوّل مرحلة ، لرأب الصّدع في بناء الأسرة ، ومحاولة دفع المعول عن ذلك البناء وهذا هو أوّل حكم يوجّه الخطاب به إلى النبيّ **r** : ژ ٱ ب ژ ، ثمّ يظهر الحكم خاصّ بالمسلمين لا بشخصه **r** : ژ ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ژ ... ، فيوحي هذا النسق من التعبير بما وراءه ، وهو إثارة الاهتمام ، وتصوير الجديّة . فهو أمر ذو بال ، ينادي الله نبيه بشخصه ليلقي إليه فيه بأمره ، كما يبلغه لمن وراءه . وهي إيحاءات نفسيّة واضحة الدّلالة على ما يراد بها من احتفال واحتشاد .

ولهذا لمّا طلق عبد الله بن عمر رضي الله عنه زوجته وهي حائض ، ذكر ذلك عمر رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتغيظ فيه رسول **r** ثمَّ قال : « ليراجعها ثمّ يمسكها حتى تطهر ثمّ تحيض فتطهر ، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمسّها فتلك العدّة كما أمره الله » .[٩١٩]

قال الإمام مالك رحمه الله : " من طلق امرأته وهي نفساء أو حائض أجبر على رجعتها إلا أن تكون غير مدخول بها فلا بأس بطلاقها وإن كانت حائضاً أو نفساً " .[٩٢٠] على الرَّغم من الخلاف الواقع بين الفقهاء في تفسير القرء ، ولسنا في صدد هذا الموضوع ، وليُنظر في مظانّه .[٩٢١]

وجعل القرآن أيضاً عدّة للآيسة وهي ثلاثة أشهر ، وللحامل بوضع حملها ، قال تعالى : ژ ۈ ۇ ۆ ۆ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ژ .[٩٢٢]

ويقول تعالى : ژ ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ژ ؛ كي لا يكون في عدم إحصائها إطالة للأمد على المطلقة ومضارّة لها بمنعها من الزواج بعد العدّة ، أو نقص في مدّتها لا يتحقق به الغرض الأوّل وهو التأكد من براءة رحم المطلقة من الحمل المستكن حفظاً للأنساب ، ثمّ هو الضبط الدّقيق الذي يوحي بأهميّة الأمر .

ژ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ژ وهذا أوّل تنبيه بعد وهلة النداء الأوّل وأوّل تحذير من الله وتقديم تقواه ، قبل الأمر بعدم إخراجهن من بيوتهن وهي بيوت أزواجهن ولكنه يسمّيها بيوتهنّ ؛ لتوكيد حقهنّ في الإقامة بها فترة العدّة لا يُخرَجن منها ولا يَخرجن ، إلا في حالة وقوع فاحشة ظاهرة منهنّ ، وقد ورد أنّ هذه الفاحشة قد تكون الزنا فتخرج للحد: وقد تكون إيذاء أهل الزوج ، وقد تكون هي النشوز على الزوج ولو أنه مطلق وعمل ما يؤذيه؛ ذلك أنّ الحكمة من إبقاء المطلقة في بيت الزوج هي إتاحة الفرصة للرّجعة ، واستثارة عواطف المودّة وذكريات الحياة المشتركة ، إذ تكون الزوجة بعيدة بحكم الطلاق قريبة من العين؛ فيفعل هذا في المشاعر فعله بين الاثنين ، فأمّا حين ترتكس في حمأة الزنا وهي في بيته ، أو تؤذي أهله ، أو تنشز عليه ، فلا محلّ لاستحياء المشاعر الطيّبة ، واستجاشة المودّة الدّفينة ، ولا حاجة إلى استبقائها في فترة العدّة ، فإن قربها منه حينذاك يقطع الوشائج ولا يستحييها . ژ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ژ .. وهذا هو التحذير الثاني من القرآن ، فالحارس لهذا الحكم هو الله ، فأيّ مؤمن إذن يتعرض لحدّ يحرسه الله ؟! إنه الهلاك والبوار : ژ ڦ ڄ

---

[٩١٨]- سورة الطلاق : ١ .

[٩١٩]- صحيح البخاري : باب: (تفسير سورة الطلاق) ، برقم: (٤٦٢٥) : ١٨٦٤/٤ ، سنن أبي داود : باب: (في طلاق السنة) ، برقم: (٢١٨٢) :٦٢٢/١ .

[٩٢٠]- المدونة الكبرى : ٤٢٢/٢ .

[٩٢١]- ينظر: الهداية شرح بداية المبتدي : ٦٢٢/٢ ، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج : ٤١٩/٣ ، المغني : ٣٤/١ .

[٩٢٢]- سورة الطلاق : ٤ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ﮋ ﭺ ﭻ ﭼﭽﮊ ظلم نفسه لتعريضها هكذا لبأس الله القائم على حدوده يحرسها ويرعاها ، وظلم نفسه بظلم زوجه ، وهي وهو من نفس واحدة ، فما يظلمها يظلمه كذلك بهذا الاعتبار .[٩٢٣]
ثمَّ .. ﮋ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅﮊ وهي لمسة موحية مؤثرة فمن ذا الذي يعلم غيب الله وقدره المخبوء وراء أمره بالعدّة ، وأمره ببقاء المطلقات في بيوتهنّ ، إنه يلوّح هناك أمل ويوجد هناك رجاء وقد يكون الخير كله ، وقد تتغيّر الأحوال وتتبدّل إلى هناءة ورضى فقدر الله دائم الحركة، دائم التغيير ودائم الأحداث ، والتسليم لأمر الله أولى والرّعاية له أوفق ، وتقواه ومراقبته فيها الخير يلوح هناك والنفس البشريّة قد تستغرقها اللحظة الحاضرة ، وما فيها من أوضاع وملابسات ، وقد تغلق عليها منافذ المستقبل، فتعيش في سجن اللحظة الحاضرة ، وتشعر أنها سرمد، وأنها باقية ، وأنّ ما فيها من أوضاع وأحوال سيرافقها ويطاردها ، وهذا سجن نفسيّ مغلق مفسد للأعصاب في كثير من الأحيان وليست هذه هي الحقيقة ، فقدر الله دائماً يعمل ، ودائماً يغير ، ودائماً يبدل ، ودائماً ينشئ ما لا يجول في حسبان البشر من الأحوال والأوضاع ، فرج بعد ضيق ، وعسر بعد يسر ، وبسط بعد قبض والله كلّ يوم هو في شأن ، يبديه للخلق بعد أن كان عنهم في حجاب .[٩٢٤] ويُريدُ القرآنُ العظيمُ أن تستقرَّ هذه الحقيقة في نفوس البشر ؛ ليظل تطلعهم إلى ما يحدثه الله من الأمر متجدّداً ودائماً ، ولتظلّ أبواب الأمل في تغيير الأوضاع مفتوحة دائمة ، ولتظلّ نفوسهم متحرّكة بالأمل نديّة بالرّجاء ، لا تغلق المنافذ ولا تعيش في سجن الحاضر واللحظة التالية قد تحمل ما ليس في الحسبان : ﮋ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮊ .
ﮋ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﮊ[٩٢٥]
وهذه هي مرحلة أخرى وهذا هو حكمها ، وبلوغ الأجل آخر فترة العدّة ، وللزوج ما دامت المطلقة لم تخرج من العدّة على آجالها المختلفة التي سبق بيانها أن يراجعها فتعود إلى عصمته بمجرّد مراجعتها وهذا هو إمساكها أو أن يدع العدّة تمضي فتبين منه ولا تحلّ إلا بعقد جديد كالزوجة الجديدة ، وسواء راجع أم فارق فهو مأمور بالمعروف فيهما، منهي عن المضارّة بالرّجعة ، كأن يراجعها قبيل انتهاء العدّة ثمّ يعود فيطلقها الثانية ثمّ الثالثة ؛ ليطيل مدّة بقائها بلا زواج ، أو أن يراجعها ليبقيها كالمعلقة .[٩٢٦]
ونهاه القرآن أيضاً عن المضارّة في الفراق بالسبّ والشتم والغلظة في القول والغضب، فهذه الصّلة تقوم بالمعروف وتنتهي بالمعروف استبقاء لمودة القلوب فقد تعود إلى العشرة ، فلا تنطوي على ذكرى رديئة لكلمةٍ نابيةٍ ، أو غمزة شائكة ، أو شائبةٍ تعكر صفاءها عندما تعود ، ثمّ هو الأدب القرآني المحض الذي يأخذ به الألسنة والقلوب .[٩٢٧]
ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮊ [٩٢٨] ، ذكر الحال الأوّل وهو إذا كان النفور والنشوز من الزوجة ثمّ ذكر الحال الثاني وهو إذا كان النفور من الزوجين فقال تعالى: ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮊ .

٩٢٣- ينظر: في ظلال القرآن : ٣٦٠٠ .
٩٢٤- ينظر: المصدر نفسه .
٩٢٥- سورة الطلاق : ٢ .
٩٢٦- ينظر: في ظلال القرآن : ٣٦٠٠ .
٩٢٧- المصدر نفسه .
٩٢٨- سورة النساء : ٣٥ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الفقهاء : " إذا وقع الشقاق بين الزوجين أسكنهما الحاكم إلى جنب ثقة ينظر في أمرهما ويمنع الظالم منهما من الظلم ، فإن تفاقم أمرهما وطالت خصومتهما ، بعث الحاكم ثقة من أهل المرأة وثقة من قوم الرّجل ؛ ليجتمعا فينظرا في أمرهما ويفعلا ما فيه المصلحة ممّا يريانه من التفريق أو التوفيق وتشوف الشارع إلى التوفيق ، ولهذا قال تعالى : ژ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ژ " .[٩٢٩]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (( أمر الله عزّ وجل أن يبعثوا رجلاً صالحاً من أهل الرّجل ورجلاً مثله من أهل المرأة ، فينظران أيّهما المسيء ، فإن كان الرّجل هو المسيء حجبوا عنه امرأته وقصروه على النفقة ، وإن كانت المرأة هي المسيئة قصروها على زوجها ومنعوها النفقة فإن اجتمع رأيهما على أن يفرقا أو يجمعا ، فأمرهما جائز فإن رأيا أن يجمعا فرضي أحد الزوجين وكره الآخر ثمّ مات أحدهما ، فإنّ الذي رضي يرث الذي لم يرض ولا يرث الكاره الرّاضي )) .[٩٣٠]

قال الحسن البصري : ( الحكمان يحكمان في الجمع لا في التفرقة ) .[٩٣١] وكذا قال قتادة وزيد ابن أسلم وبه قال بعض الفقهاء[٩٣٢] ؛ ومأخذهم قوله تعالى: ژ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ژ ولم يذكر التفريق ).[٩٣٣]

وفي حالتي الفراق أو الرّجعة تطلب الشهادة على هذه وذاك ، شهادة اثنين من العدول؛ قطعاً للرّيبة فقد يعلم الناس بالطلاق ولا يعلمون بالرّجعة ، فتثور شكوك وتقال أقاويل ، والإسلام يريد النصاعة والطهارة في هذه العَلاقات وفي ضمائر الناس وألسنتهم على السّواء، والرّجعة تتمّ وكذلك الفرقة بدون الشهادة عند بعض الفقهاء ولا تتمّ عند بعضهم إلا بها ولكن الإجماع أن لا بدّ من الشهادة بعد أو مع الفرقة أو الرّجعة على القولين .. وعقب بيان الحكم تجيء اللمسات والتوجيهات تترى : ژ ڑ ڑ ک ک ژ .. فالقضيَّة قضيَّة الله والشهادة فيها لله ، هو يأمر بها ، وهو يراقب استقامتها ، وهو يجزي عليها ، والتعامل فيها معه لا مع الزوج ولا الزوجة ولا الناس : ژ ک ک گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ژ والمخاطبون بهذه الأحكام هم المؤمنون المعتقدون باليوم الآخر ، فهو يقول لهم: إنه يعظهم بما هو من شأنهم ، فإذا صدقوا الإيمان به وباليوم الآخر فهم إذن سيتعظون ويعتبرون، وهذا هو محكّ إيمانهم ، وهذا هو مقياس دعواهم في الإيمان .[٩٣٤]

إذن أعطى القرآن فترة للعدّة ، ثلاثة قروء للتي تحيض وتلد ، وثلاثة أشهر للآيسة والصّغيرة وفترة الحمل للحوامل ، وفي خلالها مجال للمعاودة إن نبضت في القلوب نابضة من مودّة ومن رغبة في استئناف ما انقطع من حبل الزوجيّة . وهذا ما يؤجّل فصم العقدة فترة بعد موقف الغضب والانفعال وخلال هذه الفترة قد تتغيّر النفوس ، وتقرّ القلوب ويصلح الله بين المتخاصمين فلا يقع الطلاق .

.. وهكذا نجد القرآن الكريم يدافع عن وئام الأسرة مدافعة عمليّة واقعيّة ، إذ ينظم أوضاعها ويعالج آثارها ، وعلى هذا كانت الأحكام الدّقيقة المفصّلة في إصلاح الأسرة ، والتي تدلّ على واقعيّة هذا الدّين في علاجه للحياة ، مع دفعها دائماً إلى الأمام .

---

٩٢٩- ينظر: الحاوي الكبير : ٦٠١/٩ ، مجموع الفتاوى : ٢٥/٣٢ ، زاد المعاد في هدي خير العباد : ١٧٢/٥ .

٩٣٠- أورده الطبري في تفسيره : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٧٣/٤ ، والسيوطي في : الدر المنثور : ٥٢٤/٢ .

٩٣١- أورده الحافظ ابن كثير في : تفسير القرآن العظيم : ٦٥٥/١ .

٩٣٢- ومنهم الإمام أحمد بن حنبل . ينظر : المغني : ٨/ ١٦٧ .

٩٣٣- ينظر: تفسير القرآن العظيم : ١/ ٦٥٥ .

٩٣٤- ينظر: في ظلال القرآن : ٣٦٠١ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

## المبحث الثاني

## أثر القرآن في إصلاح التربية والتنظيم والتعليم

إنَّ التربية في القرآن نظام فذ فريد قائم على الحكمة والإنصاف ، وترقية المشاعر والوجدانات وتنمية المدارك والمعارف ، والقيم الرُّوحيَّة والأخلاقيات والإنسانيَّة ، دون أن تطغى الماديّات على الرّوحانيّات ، ولا يقتصر على الرّوحانيّات والوجدانيّات .

وهذا يتفق مع الطبيعة الإنسانيّة المتزنة ، ويحقق الخير للإنسان دون تقييد لحريّته ، إلا بالقدر الضروري الذي تمليه المصلحة ، ودون إهمال لوسائل التأديب اللازمة بحذر ، ومع العناية بتزكية النفس والخلُق ، وتنمية الجسد والمعارف والنزعة الاجتماعيّة ، مع جعل كلّ ذلك نابعاً من أصول الإيمان أو الاعتقاد الصّائب ، وهو ما يُشير إليه قوله تعالى : ژ ڤ ڤ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ژ [٩٣٥] أي خابت نفس أضلها الله وأغواها ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما .[٩٣٦] وحينئذٍ ينشأ الأولاد أو الجيل نشأة متوازنة معتدلة وسويّة ، تحقق أغراض الحياة المختلفة ومصلحة الأمّة .

ولا شك أنَّ أعظم أهداف التربية قديماً وحديثاً ، هو إيجاد الفرد الصّالح أو المواطن الصّالح في المجتمع ، أو الإنسان الصّالح النافع لنفسه وأمّته ، على الاختلاف الهائل جدّاً حول مفهوم الصّلاح والفساد تبعاً للاختلاف في العقائد والقيم ، وفلسفة الحياة ، والهدف من الوجود. والتربية عمليّة فطريّة وليست اكتشافاً عصريّاً : بمعنى أنها قد صاحبت الإنسان منذ وجد على هذه الأرض ، وليست هي نتاج وثمرة للعلم الحديث ، فالإنسان منذ وجد على سطح هذه الأرض ، وهو يسعى للتغلب على ما يعترضه من مشكلات ، ويستفيد بما يمرّ عليه من تجارب ، ويربّي صغاره من أجل الحياة ، وينقل تراث آبائه وأجداده ، إلى أبنائه وأحفاده ويحتفظ بما يراه قيمة عليا.. فهذا نوح عليه السلام يشكوه إلى ربه الفساد التربوي الذي ينشأ عليه الأجيال في قومه :( ژ ى ى ي ي ژ[٩٣٧] ، فدعا عليهم ؛ حرصاً على سلامة المجتمع الإنساني من شوائب المفاسد وتطهيره من العناصر الخبيثة .[٩٣٨] ولا شكّ أنّ نوحاً عليه السّلام لا يعني أنّ أولاد قومه يولدون كافرين فجّاراً ، وإنما ينشئون - من آبائهم- على الكفر والفجور ، كما قال r : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه... » . ثمَّ يقرأ أبو هريرة t : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ژ .[٩٣٩]

فالخطط الإصلاحيّة للتربية والتنظيم لم تكن في وسط المجتمع الإسلامي نتاجاً لدراسات سابقةٍ بالنفس الإنسانيّة ومتطلباتها ، ولم تكن عن عبقريّةٍ نبعت في وسط المجتمع العربي فجأة ، ولم تكن لوجود قمّة هذه العبقريّة ممثلة في عبقريّة محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم التي كانت تناسب الحياة العربيّة ولم تكن تناسب الحياة في وسط الفرس والرّوم -كما يزعم بعض الزاعمين- إنّ الأمر ليس كذلك وإنما ينبغي أن يدرك الجميع أنّ هذه الخطط التربويّة والتنظيميّة وما شاكل ذلك ، انبثقت من المنهج الذي يعتنقه المسلمون فهو الذي أوجد العبقريات ، وهو الذي ربّى المسلمينَ وفي مقدمتهم رسول الله r الذي قال عنه الله تعالى : ژ گ گ گ گ ں ژ ، والذي كان يستمدّ التوجيه وتسديد الخطوات من ربّ العزة جلّ وعلا الذي كان يكلأه بعينه ورعايته ، وينزل القرآن تنزيلاً وفق الحوادث والنوازل ژ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ژ .[٩٤٠]

نعم قد ساهم العلم الحديث في تطوّر الوسيلة والأسلوب ، فبعد إن كان العلم بالمؤدّب الخاص ووصايا الوالدين ، والخطبة ، والدرس المحدود .. أصبح بالمناهج الموحدة ، والجامعات التي تضمّ عشرات

---

[٩٣٥]- سورة الشمس : ٩- ١٠ .

[٩٣٦]- ينظر: تفسير اللباب : ٣٦٢/١٦ .

[٩٣٧]- سورة نوح : ٢٦- ٢٧ .

[٩٣٨]- ينظر: التحرير والتنوير : ٤٥٨١/١ .

[٩٣٩]- سورة الروم : ٣٠ . والحديث سبق تخريجه .

[٩٤٠]- سورة الإسراء : ١٠٦ . ينظر : دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة : د . عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع ، ط٥ دار الفكر المعاصر - صنعاء ٢٠٠٥م - ٢٠٠٦م : ١٥٦ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الآلاف ، والوسائل الهائلة من صحافة وتلفزيون ، وتقنيات متقدّمة .. الخ ولكن الأهداف من التربية بقيت كما هي: في العز والسيادة والرفاهية ، والتغلب على مشكلات الحياة ، والتنمية ، والمواطنة الصالحة ، وتحقيق الذات .. الخ . على اختلاف البشر في نظرتهم للحياة والكون ، وبالتالي اختلافهم في الخير والشرّ والصّلاح والفساد ، والهدى والضلال والاستقامة والانحراف .

ومن أهمِّ الوسائل التربوية والمؤثرة جداً الاتصال بكتاب الله تعالى تلاوة وتأمّلاً وفهماً، وفتح منافذ القلب إلى هذا الرّوح العظيم : القرآن ؛ لتتاسب أنواره إلى كيان المسلم فتزيل أدواءه وظلمته ، وتبعث فيه الحياة الحقيقية - فإنَّ القرآن- كما وصفه الله تعالى نور وهدى وشفاء وروح ، ولا يبقى مع النور ظلمة ، ولا مع الهدى شك ولا مع الشفاء داء ، ولا مع الرّوح موت ، قال تعالى : ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ژ ، ژ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ژ ، ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ژ .[941]

وكذلك ينبغي الاتصال الدّائم بالسّيرة النبويّة الكريمة وسيرة أصحابه الكرام حتى يصبحَ المسلمُ كأنه يعيش هناك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه متخطياً حدود الزمن منسلخاً بروحه للحاق بهم والتأسّي بسيرتهم .[942]

والتربية والتعليم هما الطريقان إلى الإيمان والمعتقد ، وكذلك الرّقي المادي بل إنّ التعليم والتربية هما السّبيل للبقاء فلا بقاء لأمّة في زحمة الحياة وطوفان البشر ومزاحمة الأمم بعضها بعضاً إلا بعلم وتربيةٍ يحفظ عليها كيانها ، بل بقاءها ووجودها .[943]

ومن الواضح أنّ القرآن الكريم يأمرُنا بطلب العلم ويحثنا على التفكر والتدبر والتعقل وما يماثلها من الكلمات التي تحث على إعمال العقل في شؤون الحياة ، لذا أننا نعلم أبناءنا أنّ أوّل آيةٍ نزلت في القرآن هي قوله تعالى : ژ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ژ ، ونتحدث عن سورة القلم ، وقد نحكي لهؤلاء الأبناء سيرة بعض أسلافهم والجهود العلميّة التي قاموا بها في مسيرتهم الحضاريّة الطويلة نقول لهم هذا كله - هكذا أظنّ- ولكن ماذا سنقول لهم عن حاضرنا ؟ أين الأثر العلمي للقرآن في حياتنا الآن ؟ ألسنا نعتمد على غيرنا في معظم احتياجاتنا أهكذا يريد القرآن الكريم منا ؟ أين مدارسنا وجامعاتنا من تحقيق النهضة العلميّة التي نحتاجها ؟ هل المشكلة في القرآن أو في المجتمع أو في أولئك الذين يدرّسون القرآن لشبابنا ؟ والواضح كذلك أنّ هناك نوعاً من التفكك بدأ يظهر بين أبناء المجتمع نلمسه في طريقة تعامل الأبناء مع آبائهم أو الأزواج مع زوجاتهم أو الجيران مع جيرانهم إلى آخر تلك القائمة من سوء التعامل بين أبناء المجتمع الواحد ، فأين تعليم القرآن الكريم من هذا كله ؟ هل يتحدّث مدرّسو القرآن عن هذه القضايا مع شبابنا ؟

والمجتمع المسلم لا يمكن له التوفيق والارتقاء ما لم يكن هنالك احترام وتقديس لكتابهم ودستورهم القرآن ، فضلاً عن عقيدتهم وتسليمهم لأحكامه مطلقاً .

فهذه الأمَّة اليابانيَّة مثلاً لو لم يكن النظام فيها قائماً على تقديس التراث واحترام الأمّة بل وتقديسها واعتقاد أنّ أرض اليابان هي أرض الشمس المقدّسة ، وأنّ كلّ عامل يجب أن يعمل للأمّة تقديساً وحقاً ثمّ لنفسه وأن يستفيد من ثمرات كدّه وجهده ، في إطار نظام اقتصادي حرّ يقوم على المنافسة والكسب بغير حدود لو لم تكن هذه السياسة العليا والعقيدة التي يحترمها الجميع موجودة لما كان لليابان هذا الدّور الاقتصادي القائم حالياً .[944]

والتعليم عكسه الجهل ، وقد صنف الرَّاغب الجهل على ثلاثة أضرب ..

الأول: خلوّ النفس من العلم .

الثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه .

---

٩٤١- الآيات في سورة : البقرة : ١- ٢ ، الإسراء : ٨٢ ، الشورى : ٥٢ .

٩٤٢- ينظر: أصول الدعوة : ٤٢١ .

٩٤٣- ينظر: توجيهات تربوية مستقبلية لبناء الإنسان الصّالح في الوطن العربي : ١- ٣ .

٩٤٤- ينظر: توجيهات تربوية مستقبلية لبناء الإنسان الصّالح في الوطن العربي : ٢ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً ، كمن يترك الصّلاة متعمّداً ، وعلى ذلك قوله تعالى : ژ ہ ھ ھے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ژ [٩٤٥] فجعل فعل الهزو جهلاً ، وقال عزَّ وجل : ژ ٹ ٹ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ژ .[٩٤٦]

وقد وردت مشتقات كلمة الجهل في القرآن الكريم بمعنى :

١- عدم الخبرة أو المعرفة ، كقوله تعالى : ژ ہ ہ ہ ہ ھ ژ .[٩٤٧]

٢- الطيش والسَّفه ، كقوله تعالى : ژ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ژ .[٩٤٨]

٣- عدم إدراك الحق ، كقوله تعالى : ژ ٹ ٹ ڈ ڈ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ژ .[٩٤٩]

وكذلك من عمل بخلاف الحق فهو جاهل وعلم أنه مخالف للحق ، قال تعالى : ژ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ژ .[٩٥٠] ؛ لأنّ العلم الحقيقي الرّاسخ في القلب يمتنع أن يصدر عنه ما يخالفه من قول أو فعل ، فإن صدر ما يخالفه كان جهلا، وعلى ذلك كان الناس قبل البعثة النبوية فى جاهلية وكل ما يخالف ما جاء به المرسلون من أفعال اليهود والنصارى، وتلك كانت الجاهلية العامّة. أمّا بعد البعثة فقد مضى زمانها بمجيء الإسلام وإن بقيت أحوالها وعاداتها بين الإطلاق والتقييد .[٩٥١]

ولقوله تعالى : ژ ڈ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ژ[٩٥٢] ، وذلك لما كان عليه العرب من فاحش الجهالات فى العقيدة والعبادة والتشريع والمُعاملات والأخلاق التي انتقلت إليهم وشاعت بينهم وتأصّلت في نفوسهم حتى صارت ديناً حلّ محل الحنيفيّة السّمحة .[٩٥٣]

ولمَّا جاء القرآن الكريم طهر المجتمع من كلّ رذيلةٍ وجهالةٍ ، ودعى إلى التعليم وشجع عليه ليكون نوراً يُهتدى به ومشعلاً وضاءً ، يستضيء به المتعلم الصادق المخلص في طلبه والذي لا يرتضي لنفسه أن يعمل عمل الجاهليّة من السّفه والغضب والأنفة والحميّة والمفاخرة .

قال تعالى : ژ ې ې ى

ى ې ژ .[٩٥٤]

هنا ينبِّه الله تعالى عباده المؤمنين سواء كانوا مجاهدين - على رأي بعض المفسِّرين- [٩٥٥] أم قاعدين ويحثهم على تعلم العلم الشرعيّ ، وأن يعلموا معانيه ، ويفقهوا أسراره وليعلموا غيرهم ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ، ففي هذا فضيلة للعلم ، ولاسيّما الفقه في الدّين، وأنه أهمّ الأمور، وأنّ من تعلم علماً ، فعليه نشره وبثه في العباد ، ونصيحتهم فيه فإنّ انتشار العلم عن العالم ، من بركته وأجره، الذي ينمّي له . وأمَّا اقتصار العالم على نفسه ، وعدم دعوته إلى سبيل اللّه بالحكمة والموعظة الحسنة وترك تعليم الجهال ما لا يعلمون ، فأيّ منفعةٍ حصلت للمسلمين منه ؟ وأيّ نتيجةٍ نتجت من علمه ؟ وغايته أن يموت ، فيموت علمه وثمرته ، وهذا غاية الحرمان ، لمن آتاه اللّه علماً ومنحه فهماً .

وفي هذه الآية أيضاً دليل وإرشاد وتنبيه لطيف ، لفائدة مهمّة ، وهي: أنّ المسلمين ينبغي لهم أن يعدوا لكلّ مصلحةٍ من مصالحهم العامّة من يقوم بها ، ويوفر وقته عليها ، ويجتهد فيها ، ولا يلتفت إلى غيرها ؛ لتقوم مصالحهم ، وتتمّ منافعهم ، ولتكون وجهة جميعهم ونهاية ما يقصدون قصداً واحداً

---

[٩٤٥]- سورة البقرة : ٦٧ .

[٩٤٦]- سورة الحجرات : ٦ . مفردات القرآن : ٢٧٤/١ .

[٩٤٧]- سورة البقرة : ٢٧٣ . ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ٣/ ٤٧ ، زاد المسير في علم التفسير : ٣٢٨/١ .

[٩٤٨]- سورة الفرقان : ٦٣ . ينظر: تفسير القرآن العظيم : ٣/ ٤٣٣ ، التحرير والتنوير : ١/ ٢١٨٣ .

[٩٤٩]- سورة الأنعام : ١١١ . ينظر: الجامع لأحكام القرآن : ٧/ ٦٤ ، فتح القدير : ٢٢٢/٢ .

[٩٥٠]- سورة النساء : ١٧ .

[٩٥١]- ينظر: مفاهيم إسلامية : ١١١ .

[٩٥٢]- سورة آل عمران : ١٥٤ .

[٩٥٣]- ينظر: بلوغ الأرب شرح معرفة أحوال العرب : ١/ ١٥ .

[٩٥٤]- سورة التوبة : ١٢٢ .

[٩٥٥]- ينظر: في ظلال القرآن : ١٧٣٤ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهو قيام مصلحة دينهم ودنياهم، ولو تفرّقت الطرق وتعدّدت المشارب ، فالأعمال متباينة ، والقصد واحد ، وهذه من الحكمة العامّة النافعة في الأمور كلها .(٩٥٦)

وممَّا تقدّم يتبيّن لنا أنّ الأسرة نواة المجتمع الإسلامي ، فلا بدّ حينئذٍ أن يربّى أفرادها على أساس العقيدة الإسلاميّة ، وغرسها في نفوسهم ، وما تقتضيه من الوَلاء والطاعة لله ولرسوله واحترام النظام وتنفيذه ، وتدريبهم وتعليمهم في كيفية إكساب المهارات، وتهيئتهم ليكونوا أعضاء نافعين في بناء مجتمعهم ، محبّين لوطنهم معتزين بتأريخهم .

كما حثهم القرآن على الإحسان إلى الآباء والبرّ بهم ، إذ جعل عقوق الوالدين في مرتبة تلي مرتبة الشرك بالله ، فقال تعالى: ژ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ژ .(٩٥٧)

وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبيه t قال : قال رسول الله r : « أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ قُلْنَا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَقَالَ : أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ ، فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى قُلْتُ لا يَسْكُتُ » .(٩٥٨)

وهذا ما يدعو إلى انبثاق وانتشار ظاهرة الاستقرار والأمن في المجتمع الصّغير وهي الأسرة ومن ثمّ المجتمع الإسلامي الكبير ، حيث الثقافة العلميّة تجنى ثمارها عند طلبتها المخلصين المتمسّكين بعقيدتهم الصّادقة ، والتي تمثل الرّؤية الإسلاميّة للكون والحياة . ممّا يؤكد للعالم بأسره ، أنّ كتاب الله الخالد المجيد كان وما يزال عاملاً مهمّاً ليس في فهم مظاهر الاستقرار والتوازن والتنمية والتكامل فحسب، بل في استيعاب مظاهر التغيّر والصّراع ، ومن هنا تتضح معالم الدّين الإسلاميّ علماً وبناءً وإطاراً مرجعياً ليس فقط في مسألة تأسيس المجتمع وتماسكه ، بل أيضاً في إضفاء الشرعيّة على الكثير من الأمور التعليميّة والتربويّة والتنظيميّة والاجتماعيّة والتنمويّة المختلفة في الواقع المعاش .(٩٥٩)

هذا وللتعليم اليوم معالم بارزة في إصلاح المجتمع المسلم ، ومن أهمّها ..

١- إنَّ التربية والتعليم أداء واجب في تعريف الناشئة بربها ودينها ، وإقامة سلوكها على شرع الله وتلبية لحاجات المجتمع ، وتحقيقًا لأهداف الأمّة ، ولاسيّما عندما تشتمل التربية حقول التعليم بمراحله المختلفة ، والخطط والمناهج ، والوسائل التربويّة والنظم الإداريّة والأجهزة القائمة على التعليم وسائر ما يتصل به ، والتي لابدّ أن تنبثق من الإسلام ، الذي تدين به هذه الأمَّة : عقيدةً وعبادة وخلقًا وشريعة وحكماً ، ونظامًا متكاملاً للحياة .

٢- غاية التعليم : فهم الإسلام فهمًا صحيحًا متكاملاً، وغرس العقيدة الإسلاميّة، ونشرها وتزويد الطالب بالقيم والتعاليم الإسلاميّة وبالمثل العليا ، وإكسابه المعارف والمهارات المختلفة وتنمية الاتجاهات السّلوكيّة البناءة ، وتطوير المجتمع اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً ، وتهيئة الفرد؛ ليكون عضوًا نافعًا في بناء مجتمعه .(٩٦٠)

فالقرآن الكريم إذاً هو المنهج الذي يوجِّه العلوم والمعارف بمختلف أنواعها وموادها ، وهو السَّبيل الأقوم للحياة الفاضلة ، الذي يحقق السّعادة لبني الإنسان وينقذ البشريَّة ممَّا تردّت فيه من فساد وشقاء ولاسيَّما أنَّ المجتمع اليوم يعلم أنّ طلب العلم المحتاج إليه كلّ فرد يعيش فيه هو فرض ، وذلك بحكم الإسلام ، وأمّا نشره وتيسيره في المراحل الدّراسيّة المختلفة ، فهو واجب على كلّ دولةٍ إسلاميّة بقدر وسعها وإمكاناتها .

---

٩٥٦- ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٣٥٥ .

٩٥٧- سورة الإسراء : ٢٣- ٢٤ .

٩٥٨- صحيح البخاري : باب: (عقوق الوالدين من الكبائر) ، رقم الحديث: (٥٦٣١) : ٢٢٢٩/٥، صحيح مسلم : باب: (بيان الكبائر وأكبرها) ، برقم: (٨٧) :٩١/١ ، سنن الترمذي : باب: (ما جاء في عقوق الوالدين) ، برقم: (١٩٠١) :٣١٢/٤ .

٩٥٩- ينظر: المجتمع الإسلامي (أهدافه ودعائمه ، أوضاعه وخصائصه في ضوء الكتاب والسنة) : ٤٥ ، أثر تطبيق الشريعة الإسلامية في حل المشكلات الاجتماعية : ٣٠ .

٩٦٠- ينظر: المجتمع الإسلامي (أهدافه ودعائمه ، أوضاعه وخصائصه في ضوء الكتاب والسنة) : ٤٥ ، أثر تطبيق الشريعة الإسلامية في حل المشكلات الاجتماعية : ٣٠ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والاهتمام بالتربية الصّالحة تبعد المجتمع عن الانحراف ، والاهتمام بمسائل الحلال والحرام وتعلمها يقي المجتمع من الخطايا ، وتوفير الأرضيّة الصّالحة للنشء ، وتطوّر المجتمع يمنع الرّذائل والموبقات وتوفير العيش الكريم للناس يُبعدهم عن التفكير في الحرام والمعاصي. والإصلاح التربوي والتنظيمي ضروريان لأيّ أمّةٍ ، والأمّة الإسلاميّة أولى الأمم بها ، فهما مقصودان لذاتهما ، ولبقاء الأمّة واستمرارها .[٩٦١] ولأنَّ الإصلاح التربوي يُعالج الجوانب النفسيّة والاجتماعيّة للفرد ، ويعمل على توحّد التوجّه العام للأمّة ، وتنمية عقل الأمّة في مساق واحد ، ويُعالج أيضاً الصّراع مع القوى الجاهلة المجاورة، سواء أكانت هذه القوى بشريّة أم قِيَميّة .. فالصّراع الدّاخلي يحسم من خلال هذه الإصلاح الذي يهتمّ بمعالجة القِيَم والأعراف والاهتمامات داخل المجتمع .[٩٦٢]

والإصلاح التنظيمي يكفل الحفاظ على قِوى الأمّة من أن تتبعثر فيقوم بتحديد أطر العَلاقات المختلفة -الإنسان والمصالح- بحيث تنظم هذه العَلاقة دون تصادم ، ولا تترك للعبث أو المضي كيفما اتفق تخطيط أو ضبط . وحتى أثناء الصّدام مع الغير لا بدَّ أن يكونَ صداماً وفق نظام متكامل له آدابه وإجراءاته .[٩٦٣]

وليس معنى هذا أنّ الإصلاح التربوي التنظيمي يختصّان بجانب دون آخر ، بل يشمل جميع جوانب الأمّة ، ويعمل من خلال منظومة متكاملةٍ تستخدم فيها الإمكانات ، ومن ثمَّ تدخل كلّ التصرّفات وكلّ الأحداث والتوجيهات ضمن هذه المنظومة التربويّة التنظيمية ؛ وذلك لتحقيق وتجذير وتعميق أسس الأفكار والمبادئ والقيم التي ينبغي أن تغرس في الأمّة ، ومن ثمّ يُعدّ الأفراد إعداداً نموذجيّاً جيداً وتهيأ الأمّة كذلك لأداء مهمّتها الملقاة على عاتقها التي رسمها الله تعالى في كتابه : ژ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ .[٩٦٤] .. وبهذا يتوحّد كيان الأمّة تصوّراً وسلوكاً ، وتؤدّي الأمّة رسالتها فكراً وقيادة .

## المبحث الثالث

## دعوة القرآن إلى المحافظة على النفس والصّحة

إنَّ من ضروريات الحياة الإنسانيّة عصمة النفس وصون حق الحياة ، وقد شرَعَ القرآن الكريم عدّة وسائل للمحافظة على النفس :

* فمن جهة الوجود : شرَع الزواج من أجل التناسل والتكاثر وإيجاد النفوس ؛ لتعمّر العالم وتشكل بذرة الحياة الإنسانيّة في الجيل الخالف ، وقد نوّه القرآن بالعَلاقة المقدّسة بين الزوجين واعتبرها آية من آيات الله : ژ ڈ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ - كما تقدّم- ، ژڈ ژڑ الدَّالة على رحمته وعنايته بعباده وحكمته العظيمة وعلمه المحيط ، ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک کژ : تناسبكم وتناسبونهنَّ وتشاكلكم وتشاكلونهنَّ : ژ ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ بما رتب على الزواج من الأسباب الجالبة للمودّة والرَّحمة فحصل بالزوجة الاستمتاع واللذة والمنفعة بوجود الأولاد وتربيتهم ، والسّكون إليها ، فلا تجد بين أحد في الغالب مثل ما بين الزوجين من المودّة والرّحمة .[٩٦٥] ژ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ژ .

* وأمَّا من جهة الاستمرار والدّوام : فقد شرَع عدَّة وسائل لحفظ النفس ، منها :

١- أوجب على الإنسان أن يمدّ نفسه بوسائل الإبقاء على حياته من تناول للطعام والشراب وتوفير اللباس والمسكن ، فيحرّم على المسلم أن يمتنع عن هذه الضروريات إلى الحدّ الذي يهدّد بقاء حياته واعتبر الحصول على هذه الضروريات هو الحدّ الأدنى الذي يلزم المجتمع ممثلاً في الدّولة بتوفيره للأفراد العاجزين عن توفيره لأنفسهم ، بل أوجب على الإنسان - إذا وجد نفسه مهدَّدة- أن يدفع عن نفسه الهلاك بأكل مال غيره بقدر الضرورة .[٩٦٦]

---

[٩٦١]- ينظر: دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة : ١٥٥ .

[٩٦٢]- المرجع نفسه .

[٩٦٣]- ينظر: المرجع نفسه .

[٩٦٤]- ينظر: دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة : ١٥٦ .

[٩٦٥]- ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ١/ ٦٣٩ .

[٩٦٦]- ينظر: مقاصد الشريعة : ١٤ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢- أوجب على الدَّولة إقامة الأجهزة الكفيلة بتوفير الأمن العام للأفراد ، من قضاء وشرطة وغيرها ممّا يحقق الأمن للمجتمع .[٩٦٧]

٣- أوجب المحافظة على كرامة الآدمي بمنع القذف والسّب ، ومنع الحدّ من نشاط الإنسان من غير مبرّر ، وبهذا حمى حُريَّات الفكر والعمل والرَّأي والإقامة والتنقل وكفلها ، قال الله تعالى : ژ ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ژ .[٩٦٨]

٤- تشريع الرُّخص بسبب الأعذار الموجبة للمشقة التي تلحق النفس فينشأ منها ضرر عليها ، ومن ذلك : رخصة الفطر في رمضان بسبب المرض والسّفر ، قال تعالى : ژ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ژ[٩٦٩] ، وقصر الصَّلاة عند الخوف وفي السَّفر لقوله : ژ ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي ژ .[٩٧٠]

٥- حرَّم الإسلام قتل النفس ، سواء قتل الإنسان نفسه أم قتله غيره قال تعالى : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ژ[٩٧١] ، وشنع على هذه الجريمة فاعتبر قتل نفس واحدة : بمثابة قتل الناس جميعاً ، قال تعالى : ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ، ژ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڼ ڼ ڽ ڽ ھ ھ ژ .[٩٧٢]

٦- أوجب القصاص في القتل العمد ، والدِّيَة والكفارة في القتل الخطأ ، قال تعالى : ژ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ژ ، وقال : ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ ڳ ڳ ژ .[٩٧٣]

٧- إعلان الجهاد ضدَّ المُعتدين ؛ حفظاً للنفوس وحماية للمستضعفين ، قال تعالى : ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ[٩٧٤] .

٨- أوجب على المسلم إنقاذ من يتعرَّض للقتل ظلماً ، أو يتعرَّض لخطر إن استطاع أن ينقذه .[٩٧٥]

٩- شرَع للإنسان أن يدفع عن نفسه إذا هاجمه من يريد الاعتداء عليه دون تحمّل أيّة مسؤوليّة إذا مات المهاجم ، وثبت أنه كان يريد الاعتداء عليه ، فهو صائل لا ضمان في مقاتلته .[٩٧٦]

وأمَّا عن الصِّحة فقد يتطوّر تعريفها مع ارتقاء المستويات الاقتصاديّة والاجتماعيّة حتى أصبح كلّ ما من شأنه سلامة البدن (الجسم) والنفس والتوافق الاجتماعي ، قال تعالى : ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ژ .[٩٧٧]

والمراد من الحسنة ههنا منفعة الدّنيا على اختلاف أحوالها ، فمنها صحة البدن وحصول الخصب والفوز بالغنيمة والاستيلاء على الأعداء وحصول المحبة والألفة بين الأحباب والمراد بالسيئة أضدادها وهي المرض والفقر والهزيمة والانهزام من العدو وحصول التفرق بين الأقارب ، والقتل والنهب والغارة ، فبيّن تعالى أنهم يحزنون ويغتمّون بحصول نوع من أنواع الحسنة للمسلمين ويفرحون بحصول نوع من أنواع السّيئة لهم .[٩٧٨]

---

[٩٦٧]- ينظر: المرجع نفسه : ١٥ .

٩٦٨- سورة الأحزاب : ٥٨ . المرجع نفسه ، وينظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٦٧١ .

[٩٦٩]- سورة البقرة : ١٨٤ .

[٩٧٠]- سورة النساء : ١٠١. ينظر: فتح الباري : ١/ ٣٣٩ ، ٨/ ١٧٩ .

[٩٧١]- سورة النساء : ٢٩ .

[٩٧٢]- سورة المائدة : ٣٢ ، الأنعام : ١٥١ ، النساء : ٩٣ . ينظر: أحكام القرآن (للجصاص) : ١٤١/٣ .

[٩٧٣]- سورة البقرة : ١٧٨ ، النساء : ٩٢ . ينظر: المصدر نفسه : ٤/ ٥٠ .

[٩٧٤]- سورة النساء : ٧٥ . ينظر: أحكام القرآن (لابن العربي) : ٢/ ٤١٧ .

[٩٧٥]- ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية : ١٧ .

[٩٧٦]- ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم : ٤/ ٢٢٣ ، ١١/ ١٥٩ ، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي : ٣١١/٩ .

[٩٧٧]- سورة آل عمران : ١٢٠ .

[٩٧٨]- ينظر: التفسير الكبير : ٤/ ٣٦٤ ، اللباب : ٤/ ٣٠٠ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وصحة البدن جُعلت شرط من شروط الحج في القرآن الكريم ، إذ لولاها لما يستطيع المسلم تأدية الفرض ، وإن أدّاها من غير عافيةٍ ، كانت تأديته على غير وجه الكمال في الغالب، قال تعالى : ژ ھ ے ۓ ۓ ﮲ ﮳ ﮴ ژ .[٩٧٩] والاسْتطاعَة ما يَكسِبُ سلوكهَا ، وهي صحَّة البدن ووجود القوت لمن يقدر على المَشي ومنْ لم يقدرْ على المَشي فالرُّكوب زيادة على صِحَّةِ البدن ووجود القُوت .[٩٨٠] وهذا هو الصَّواب من تحديد معنى الاستطاعة ، وليس كما ذهب إليه بعض المفسّرين والفقهاء من تخصيصها بالزاد والرّاحلة ، إذ فسّرها عكرمة t بقوله : ( الاستطاعة هي : صحة البدن ، وإمكان المشي إذا لم يجد ما يركبه ) .[٩٨١] ؛ لأنَّ الصَّحيح البدن ، القادر على المشي إذا لم يجد ما يركبه يصدق عليه أنه مستطيع لذلك الفعل ، فتخصيص الاستطاعة بالزاد والرّاحلة ترك واضح لظاهر الآية .[٩٨٢]

وقد حرصت التعاليم الإسلاميَّة على التنبيه على أهميّة الصّحة ، ففي الحديث الصَّحيح عن أبي هريرة t قال : قال رسول الله r : « المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبّ إلى اللهِ من المؤمن الضعيف ، وفى كلٍّ خير... » .[٩٨٣]

ولهذا أصبح من المتعارف عليه الآن أنّ الصّحة الجيدة مطلوبة للمجتمع كما هي مندوبة للفرد، فهي تمكن الناس من الاستمتاع بحياتهم وإنجاز ما يفيدهم ويفيد المجتمع بالتالي، ولهذا السّبب تدخل المستويات الصّحيّة في المعايير التي يقاس بها التقدّم وفى معايير التنمية البشريّة .

والله تعالى قد هيّأ لعباده جميع المتطلبات اللازمة والضروريّة ، لقوامة الأبدان وصحة الأجسام في هذه الحياة ؛ ليتقوّى على أداء فرائضه وطلب معاشه له ولمن يعول ، وسهل هذه المتطلبات على جميع خلقه ، حتى صار عليهم من الواجب بمكان شكر هذه النعم ، وإلا سيُسألون عنها لقوله تعالى : ژ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ژ[٩٨٤] ، ليسألنكم الله عزّ وجل عن النعيم الذي كنتم فيه في الدّنيا ماذا عملتم فيه ؟ ومن أين وصلتم إليه ؟ وفيم أصبتموه ؟ والنعيم هو : الأمن والصِّحة ، قاله ابن مسعود ومجاهد وسفيان والشعبي y .[٩٨٥]

وقال آخرون : " بل معنى ذلك : ثمَّ لتسئلنَّ يومئذٍ عمّا أنعم الله به عليهم ممّا وهب لهم من السّمع والبصر وصحة البدن ، وهو قول ابن عباس والحسن البصري رضي الله عنهم . وقال غيرهم بمعنى: العافية " .[٩٨٦] وهو مُقارب لما تقدّم .

وأنكر النبيّ r على تارك شكر نعمة الصّحة فقال : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصِّحة والفراغ » .[٩٨٧]

وأوضح ابن بطال هذا الحديث بقوله : " إنَّ المرء لا يكون فارغاً حتى يكون مكفياً صحيح البدن ، فمن حصل له ذلك فليحرص على أن لا يغبن بأن يترك شكر الله على ما أنعم به عليه ، ومن شكره امتثال أوامره واجتناب نواهيه ، فمن فرّط في ذلك فهو المغبون ، وأشار بقوله : « كثير من الناس » إلا أنَّ الذي يوفق لذلك قليل " .[٩٨٨] ويُمكن الاستدلال على المقلين بقوله تعالى : ژ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ژ .[٩٨٩]

---

[٩٧٩]- سورة آل عمران : ٩٧ .

[٩٨٠]- ينظر: أحكام القرآن (للجصاص) : ٣/ ٤٤٩ ، أحكام القرآن (لابن العربي) : ٢/ ١٠٤ .

[٩٨١]- التفسير الكبير : ٤/ ٣١٦ ، اللباب : ٤/ ٢٣٩ .

[٩٨٢]- ينظر: اللباب : ٢٣٩ .

[٩٨٣]- صحيح مسلم : باب : (في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله) ، برقم: (٢٦٦٤) : ٢٠٥٢/٤ ، سنن ابن ماجه : باب : (التوكل واليقين) ، برقم: (٤١٦٨) : ١٣٩٥/٢ .

[٩٨٤]- سورة التكاثر : ٨ .

[٩٨٥]- جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٢/ ٦٨٠ ، تفسير القرآن العظيم : ٤/ ٧٠٤ .

[٩٨٦]- ينظر: المصدران أنفسهما .

[٩٨٧]- صحيح البخاري : باب : (ما جاء في الصحة والفراغ وأن لا عيش إلا عيش الآخرة) ، برقم : (٦٠٤٩) : ٥/ ٢٣٥٧ ، الجامع الصحيح سنن الترمذي : باب : (الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس) ، برقم : (٢٣٠٤) : ٤/ ٥٥٠ ، سنن ابن ماجه : باب : (الحكمة) ، برقم : (٤١٧٠) : ٢/ ١٣٩٦.

[٩٨٨]- ذكره الحافظ ابن حجر في : فتح الباري بشرح صحيح البخاري : ١١/ ٢٣٠ .

[٩٨٩]- سورة سبأ : ١٣ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذا وقد بلور الطبُّ اليوم فكره في أنه لابدّ لكافة أجزاء الجسم من العمل بعضها مع بعض بصورة صحيحةٍ من أجل المحافظة على صحة البدن . ومن مقوّمات الحياة الصّحيّة الرئيسيَّة : الغذاء الصَّحيح الرّياضة ، الرّاحة ، النوم ، النظافة ، الرِّعاية الصِّحية ، ورعاية الإنسان ، وكلها ميسّرة بأمر الله تعالى .[٩٩٠]

وتلعب الصّحة النفسيَّة دوراً مهمّاً في سلوكيّات الناس ومشاعرهم ، وأولئك الذين يتمتعون بأقدار معقولةٍ من الثبات الانفعالي يستطيعون تحقيق قدر أكبر من السّعادة ؛ لأنهم يتقبلون أنفسهم علماً بأوجه الضعف وأوجه القوّة على حدٍ سواء ، ويظلون أيضاً على صلة بالواقع كما يتمكنون من التعامل الرّشيد مع الضغوط ودواعي الإحباط ، كما يستطيعون التصرّف دون الاعتماد على المؤثرات الخارجية وردود الأفعال .[٩٩١]

وفى المجتمعات المعاصرة تتولى وزارات متخصّصة بالصّحة المسئوليّة عن توفير عدد كبير من الخدمات الصّحيّة . وتتولى مؤسسات عديدة الإسهام في تقديم الرّعاية الصّحيّة ، وقد نشأت منظمة الصحة العالمية كإحدى منظمات الأمم المتحدة ولا تزال تعمل من أجل رفع المستوى الصّحي في كافة أنحاء العالم ، وقد كان شعارها في العقدين الماضيين : الصّحة للجميع بحلول عام ٢٠٠٠م والقرآن الكريم قد دعى إلى هذا من قبل ١٤٠٠ سنة - كما تقدّم- ، والمتتبع للدّراسات القرآنيّة ، والمقارنة بالطبّ الحديث يجد الإعجاز الكامل في ذلك وهذه الوريقات لا تسعفنا الآن بأن نتجوّل هذا العالم الفسيح.

## المبحث الرّابع

## دور القرآن في إصلاح حقوق المرأة

يكتسب موضوع حقوق المرأة في القرآن الكريم حيوية متزايدة ، بما يثيره من جدل حول الحقوق وممارستها ، وما يتصل بذلك من أسانيد وتأويلات ، فضلاً عن مساحات تتداخل في الموضوع من عادات وتقاليد متوارثة في وقت تتسارع فيه خطى التغيّرات وطبيعة التحديات .

ونبادر إلى القول إلى أنَّ الفهم الشامل والواعي لحقوق المرأة في إطار أهداف الشريعة الكليَّة يمثل التزاماً دينيّاً وأخلاقيّاً وإنسانيّاً أمام المسلمين وقد حسمت الشريعة الغرّاء قبل غيرها المساواة في الإنسانيّة دون تمييز بين البشر جميعاً أو بين رجل وامرأة ، قال تعالى : ژ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ .

وكفلَ القرآنُ الكريمُ للمرأة حقوقها والمشاركة في الحياة ، كعنصر فعّال في المجتمع الإنساني، وقضى الإسلام على ما ساد المجتمعات الإنسانيّة قبله من تفرقة بين الرّجل والمرأة أمام القانون أو في الحقوق العامّة أو في القيمة ، قال الله تعالى : ژ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ، وقال تعالى : ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ژ ، وقال : ژ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ژ .[٩٩٢]

وسمح القرآنُ للمرأة بدور فعّال في المجتمع والحياة العامّة ، ودعاها للعلم والمعرفة ، وهى تتمتع كالرّجل بحقوقها المدنيّة ومن بينها العمل والاتجار وتولي الوظائف ، كما ذكر حقوقها السياسيّة في قوله تعالى : ژ ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ژ .[٩٩٣]

---

[٩٩٠]- ينظر: مفاهيم إسلامية : ١٩٥ .

[٩٩١]- ينظر: المرجع نفسه .

[٩٩٢]- سور الإسراء : ٧٠ ، آل عمران : ١٩٥ ، النساء : ٣٢ .

[٩٩٣]- سورة التوبة : ٧١ . ينظر: العدوان على المرأة في المؤتمرات الدّوليّة : ٣٦- ٣٧ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وجاءت أحوالها الشخصيّة - من أسرة وزواج وطلاق ورعاية طفل ومسئولياتها- راسخة الصِّلة بالمنظور الإسلاميّ للأسرة والمجتمع وتوزيع الأدوار بين الرّجل والمرأة ، لما فيه صلاح المجتمع والأمّة في إطار المساواة في القيمة والكرامة دون نظرة دونيّة ، تتأسّى على سوء الفهم أو البُعد عن المُمارسة السّليمة . وقد سبق الإسلام غيره في كلّ ذلك من عدّة قرون ، إذ تأسست النظرة الإسلاميَّة على مبدأ مساواة المرأة بالرّجل ، ومُراعاة الاختلاف بينهما في القدرات الطبيعيّة كما خلقها الله والتكامل بينهما لخدمة المجتمع ، وهى نظرة عميقة أبعد ما تكون عن دعاوى التهميش. وللمرأة من الحقّ مثل ما عليها من الواجبات ولها شخصيّتها المدنيّة - وفق الحدود الشرعيّة- وذمّتها الماليّة المستقلة ، وحق الاحتفاظ باسمها ونسبها ، وأنّ على الرّجل عبء الإنفاق على الأسرة ومسئوليّته ورعايتها ..[٩٩٤]

إذ كانت المرأة تواجه حالات واقعة في الجماعة المُسلمة متخلفة من رواسب الجاهليّة ، وما كانت تلاقيه المرأة من العنت والخسف ، ممّا اقتضى هذا التشديد ، وهذا الحشد من المؤثرات النفسيَّة ، ومن التفصيلات الدّقيقة ، التي لا تدع مجالاً للتلاعب والالتواء مع ما كان مستقرّاً في النفوس من تصوّرات متخلفة عن عَلاقات الجنسين ، ومن تفكك وفوضى في الحياة العائليَّة .[٩٩٥]

ولم يكن الحال هكذا في شبه الجزيرة وحدها ، إنما كان شائعاً في العالم كله آنذاك فكان وضع المرأة هو وضع الرّقيق أو ما هو أسوأ من الرّقيق في جنبات الأرض جميعاً ، فوق ما كان ينظر إلى العَلاقات الجنسيّة نظرة استقذار ، وإلى المرأة كأنها شيطان يغري بهذه القذارة .

ومن هذه الوهدة العالميَّة ارتفع الإسلام بالمرأة وبالعَلاقات الزوجية إلى ذلك المستوى الرفيع الطاهر الكريم الذي سبقت الإشارة إليه . وأنشأ للمرأة ما أنشأ من القيمة والاعتبار والحقوق والضمانات وليدة لا تُوأد ولا تُهان ، ومخطوبة لا تنكح إلا بإذنها ثيبّاً أو بكراً وزوجة لها حقوق الرّعاية فوق ضمانات الشريعة ، ومطلقة لها حقوقها الكاملة .. شرع القرآن هذا كله ، لا لأنَّ النساء في شبه الجزيرة أو في أيّ مكان في العالم حينذاك شعرن بأنّ مكانهنّ غير مرض ، ولا لأنّ شعور الرّجال كذلك قد تأذى بوضع النساء ، ولا لأنه كان هناك اتحاد نسائي عربي أو عالمي ، ولا لأنَّ المرأة دخلت دار الندوة أو مجلس الشورى ، ولا لأنّ هاتفاً واحداً في الأرض هتف بتغيير الأحوال .[٩٩٦]

إنَّما كانت هي شريعة السّماء للأرض ، وعدالة السّماء للأرض ، وإرادة السَّماء بالأرض ، أن ترتفع الحياة البشريّة من تلك الوهدة ، وأن تتطهّر العَلاقات الزوجيّة من تلك الوصمة وأن يكون للزوجين من نفس واحدة حقوق الإنسان وكرامة الإنسان .. هذا دين رفيع ، لا يعرض عنه إلا مطموس ولا يعيبه إلا منكوس ، ولا يحاربه إلا موكوس ، فإنه لا يدع شريعة الله إلى شريعة الناس إلا من أخلد إلى الأرض واتبع هواه .[٩٩٧]

فكرَّمَ القرآنُ المرأةَ بأن جعلها مربية للأجيال ، وربط صلاح المجتمع بصلاحها ، وفرض عليها الحجاب ليحفظها من الأشرار ، ويحفظ المجتمع من سفورها ، والحجاب يُبقي المودّة والرّحمة بين الزوجين ، فالرّجل عندما يرى امرأة أجمل من زوجته تسوء العَلاقة بينهما وربما يؤدّي ذلك إلى

---

[٩٩٤]- ينظر: مفاهيم إسلامية : ١٢٨ .
[٩٩٥]- ينظر: في ظلال القرآن : ٣٥٩٨ .
[٩٩٦]- ينظر: في ظلال القرآن : ٣٥٩٨.
[٩٩٧]- المصدر نفسه .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفِراق ، وقد ورد ذكر الحجاب في القرآن الكريم ، قال الله تعالى : ﮋ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﮊ .[٩٩٨]

وقد اعترفن بهذا الحقّ والتكريم للمرأة المسلمة ، نساءٌ غربيَّاتٌ كثيراتٌ ومن بينهنَّ :

- الزعيمة العالميَّة (أني بيزانت) إذ قالت : " كثيراً ما يرد على فكري أنّ المرأة في الإسلام أكثر حريّة من غيره ، فالإسلام يحمي حقوق المرأة أكثر من الأديان الأخرى التي تحظر تعدد الزوجات ، وتعاليم الإسلام بالنسبة للمرأة أكثر عدالة ، وأضمن لحريّتها ، فبينما لم تنل المرأة حق الملكيّة في إنكلترا إلا منذ عشرين سنة فقط، فإننا نجد أنّ الإسلام قد أثبت لها هذا الحق منذ اللحظة الأولى ، وإنّ من الافتراء أن يقال: إنّ الإسلام يعتبر النساء مجرّدات من الرّوح".[٩٩٩]
- وقالت أيضاً : " متى وزنا الأمور بقسطاس العدل المستقيم ظهر لنا أنّ تعدّد الزوجات الإسلامي الذي يحفظ ويحمي ويغذي ويكسو النساء ، أرجح وزناً من البغاء الغربي الذي يسمح بأن يتخذ الرّجل امرأة لمحض إشباع شهواته ، ثمّ يقذف بها إلى الشارع متى قضى منها أوطاره " .[١٠٠٠]
- وتقول المستشرقة(فرانسواز ساجان) : " أيّتها المرأة الشرقيّة إنّ الذين ينادون باسمك ويدعون إلى مساواتك بالرّجل إنهم يضحكون عليك ، فقد ضحكوا علينا من قبلك " .[١٠٠١]

## المبحث الخامس

### أثر القرآن في إصلاح المُساواة بين الرَّجل والمرأة

من أصدق وأدقّ وأشمل المصطلحات في التعبير عن صنيع القرآن الكريم وإنجازه الذي أحدثه ويحدثه بالنسبة للإنسان مصطلح الإحياء ، فكتاب الله تعالى إحياء كامل وشامل وعميق ودائم لكلّ من استجاب لدعوته ، والتزم بمنهجه ، وسلك سبيله في خاصّة نفسه وعامّة أمره ، قال تعالى : ﮋ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﮊ .[١٠٠٢]

وقد تضمَّن هذا الإحياء الإسلامي إخراج الذين اهتدوا بالإسلام من الظلمات إلى النور، وكذلك تحرير الإنسان المسلم ممّا كان يثقل ظهره ويُقيّد خطوه ويشلّ طاقاته من القيود والأصفاد ، فالتحرير

[٩٩٨]- سورة الأحزاب : ٥٩ .
[٩٩٩]- توجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع : ١٤٥ .
[١٠٠٠]- المرجع نفسه : ١٤٦ .
[١٠٠١]- توجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع : ١٤٥ .
[١٠٠٢]- سورة الأنفال : ٢٤ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإسلامي ، مهمّة من مهام الإحياء بالنسبة للإنسان : ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﮊ .[1003]

وقد توجَّه هذا التحرير إلى الإنسان المسلم من حيث كونُهُ إنساناً ، رجلاً كان أو امرأة هذا الإنسان فكانت نظرة الإسلام إلى الرّجل والمرأة باعتبارهما: الإنسان المسلم ، الذي يتوجّه إليه الإسلام بالإحياء والتحرير ، يتساويان في ذلك مساواة الأعضاء في البدن الواحد ، وفي هذه النظرة بداية خيط فلسفة الإسلام ومنهجه في عَلاقة الرّجل بالمرأة ، وموقف المرأة من الرّجل ، وما عرف واشتهر بــ (تحرير المرأة) .[1004]

إنَّ المُساواة بين المرأة والرّجل في الإنسانيّة ، هي حقيقة موضوعيّة تدركها كلّ العقول والحواس وإنَّ المُساواة بينهما في التكاليف من عقل وقدرات منحها الله تعالى لكلّ منهما وركبها فيه، هي ممّا أجمع عليها ويجمع الناظرون في فكر الإسلام . لكنَّ هذه المساواة التي قرّرها الإسلام بين الرّجل والمرأة والتي جعلت منهما عضوين في بدن واحد هو بدن الإنسان المسلم ، قد اعترفت بالواقع الطبيعي المتمثل في تمييز المرأة بالأنوثة ، والرّجل بالذكورة ، وبما لهذا التمييز من حكمةٍ استهدفت تكاملهما كما يتكامل الشقان المكونان للشيء الواحد فتجتمع لهما: المساواة ، والتكامل في ذات الوقت ، مميّزة تساويهما عن تساوي الأنداد ، فكما تتساوى أعضاء البدن الواحد في عضويّته ، مع تميّز كلٍّ منهما عن الآخر ، كذلك الحال في عَلاقة المرأة بالرّجل : المساواة ، مع التميّز ، دونما تناقض بينهما .[1005]

وإذا كان تميز الرّجل درجة - هي القوامة في بعض الميادين- هو الثمرة لتميز طبيعة الرّجولة عن طبيعة الأنوثة ، استهدافاً للتكامل المحقق لاستمرار النوع وتحقيق السّعادة لأبنائه ، إذا كان ذلك هو لبّ الإضافة التي أنجزها الإسلام في عَلاقة المرأة بالرّجل ، ووضع كلّ منهما بالنسبة للآخر ، فإنّ المساواة بينهما في الإنسانيّة حقوقاً وواجبات ، وفي التكاليف الإسلامية – هي فكر الإسلام ، الذي جاء ليطوّر وضع المرأة ويحرّرها من القيود الاجتماعيّة والاقتصاديّة والعرفيّة التي حملت من أثقالها -لأسباب تاريخيّةٍ- أكثر وأثقل ممّا حمل الرّجال ، بل لا نغالي إذا قلنا إنّ المرأة المسلمة - في عصر البعثة- قد مثلت بجهادها في سبيل حريّتها وتحريرها الواقع الذي مثل علامات الاستفهام التي جاء الوحي الإلهي بتحريرها ؛ كي يجيب عليها ويستجيب للمشروع العادل منها .[1006]

ففي سنن الترمذي[1007] أنَّ الصَّحابيَّة الجليلة المجاهدة المقاتلة .. بطلة يوم أحد واليمامة والمواقع الكثيرة الأخرى ، زوجة الشهيد وأمّ الشهيد : أم عُمارة نُسيبة بنت كعب الأنصاري(ت١٣هــ) قد جاءت رسول الله **r** تتحدّث باسم جماعةٍ من نساء المدينة ، وتطلب مساواة المرأة بالرّجل ، قائلة : ما أرى كلّ شيء إلا للرّجال ، وما أرى النساء يُذكرن بشيء ؟! فنزلت هذه الآية: ﮋ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﮊ .[1008]

.. فكان تقرير الآية القرآنيَّة المساواة - بالنصِّ لفظاً- والمقصود من أصحاب هذه الأوصاف المذكورة النساء ، وأمّا ذكر الرّجال فللإشارة إلى أنّ الصنفين في هذه الشرائع سواء ليعلموا أنّ

---

١٠٠٣- سورة الأعراف : ١٥٧ .

١٠٠٤- ينظر: معالم المنهج الإسلامي : ١٥١ .

١٠٠٥- معالم المنهج الإسلامي : ١٥١ .

١٠٠٦- المصدر نفسه : ١٥٢ .

١٠٠٧- من حديث عكرمة عن أم عمارة الأنصارية : باب: (ومن سورة الأحزاب) ، رقم الحديث: (٣٢١١) : ٣٥٤/٥ . وقال عنه : (حديث حسن غريب) .

١٠٠٨- سورة الأحزاب : ٣٥ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشريعة لا تختصّ بالرّجال ، لا كما كان معظم شريعة التوراة خاصّاً بالرّجال إلا الأحكام التي لا تتصوّر في غير النساء ، فشريعة الإسلام بعكس ذلك الأصل في شرائعها أن تعمّ الرّجال والنساء إلا ما نصّ على تخصيصه بأحد الصنفين .. ولعلّ بهذه الآية وأمثالها تقرّر أصل التسوية فأغنى عن التنبيه عليه في معظم أقوال القرآن والسنة ولعلّ هذا هو وجه تعدّد الصّفات المذكورة ؛ لئلا يتوهّم التسوية في خصوص صفةٍ واحدة ، وسلك مسلك الإطناب في تعداد الأوصاف ؛ لأنّ المقام لزيادة البيان لاختلاف أفهام الناس في ذلك على أنّ في هذا التعداد إيماء إلى أصول التشريع .[١٠٠٩]

والإسلام قد جعل المساواة بين الرّجل والمرأة في الأجر والمثوبة . وإذا كان تمايز قدرات المرأة عن الرّجل قد ارتكزت إلى تمايز طبيعة الأنوثة عن طبيعة الذكورة ، فإنّ الرّسالة الخاتمة قد تركت آفاق الميادين التي تستطيع المرأة إجادة أعمالها لتطوّر ما لديها من طاقات وقدرات ، تركت هذه الآفاق مفتوحة ، منبّهة فقط على ضرورة الاتساق بين الطبيعة وما تؤهل له من أعمال استهدافاً للحفاظ على فلسفة التكامل بين المرأة والرّجل ، واتقاء خطر النّديّة المنافي لحكمة الله تعالى من خلق الإنسان ذكراً وأنثى .[١٠١٠]

ومن هنا كان حديث الآية القرآنيّة عن المساواة بينهما في الحقوق والواجبات ، وعن الدّرجة – درجة القوامة– التي تأهل لها الرّجل ، بحكم رجولته في ميادين بعينها ، قال تعالى : ژ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ژ ، فالعرف - وهو متغيّر ومتطوّر- هو معيار ميادين المساواة في الأعمال والوظائف الحياتيّة ، لكن تظلّ الدّرجة قائمة في ميادين بعينها؛ لارتباطها بالثابت وهو الرّجولة والأنوثة التي تمايز بين الرّجل والمرأة ، والتي ينعكس تمايزها في ميادين بذاتها . وإذا كانت درجة القوامة هي القيادة التي تؤهل الرجولة لها في ميادين بعينها : ژ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ژ [١٠١١] فإنّ الإسلام لم يحرم المرأة من هذه القِوامة – القيادة- إذ تؤهلها لها أنوثتها . فالرَّاعي هو القائد – القوَّام- الدَّائم القيام على قيادة ميدانه ، والرَّسول r يُحدّثنا عن نصيب المرأة في ميدان القِوامة والرّعاية والقيادة فيقول : « كلكم راع ومسؤول عن رعيّته فالأمير الذي على الناس راع ، وهو مسؤول عنهم والرَّجل راع على أهل بيته ، وهو مسئول عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم والعبد راع على مال سيّده ، وهو مسؤول عنه ، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيّته » .[١٠١٢]

وإذا كان الإسلام قد تميّز بهذا الوضوح في تقرير المُساواة بين الرّجل والمرأة في الإنسانيّة وفي التكاليف -حقوقاً وواجبات وحساباً وجزاءً- وفي حصر التمايز بما يقتضيه تميز الأنوثة عن الذكورة وفي كلّ منها امتياز لجنسه يحرص على الحفاظ عليه العقلاء ؛ لأنه قاعدة وسرّ تكاملها ، المحقق لسعادتها جميعاً ، فإنّ وضوح هذا الموقف الإسلامي قد ازداد عندما تجسّد فكره هذا في التجربة الإسلاميّة الأولى ، فلم يعد مجرّد فكر نظري ، وإنما غدا واقعاً يحياه الرّجال والنساء .

---

[١٠٠٩]- ينظر: تفسير التحرير والتنوير : ٣٣٥٤/١ .

[١٠١٠]- ينظر: معالم المنهج الإسلامي : ١٥٤ .

[١٠١١]- سورة النساء : ٣٤ .

[١٠١٢]- صحيح البخاري : باب : (كراهية التطاول على الرقيق وقوله عبدي وأمتي) ، برقم : (٢٤١٦) : ٢/ ٩٠١، صحيح مسلم : باب : (فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم) ، برقم : (١٨٢٩) : ٣/ ١٤٥٩ سنن ابي داود : باب : (ما يلزم الإمام من حق الرعية) ، برقم : (٢٩٢٨) : ٢/ ١٤٥، سنن الترمذي : باب : (ما جاء في الإمام) برقم : (١٧٠٥) : ٤/ ٢٠٨ ، مسند أحمد : برقم : (٥١٦٧) : ٢/ ٥٤ . وكلهم من حديث عبد الله بن عمر y .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فبيعة العقبة التي هي عقد تأسيس الدّولة الإسلاميّة الأولى ، قد شاركت فيها امرأتان هما : أم عمارة نسيبة الأنصاريّة ، وأم منيع أسماء بنت عمرو بن عدي[١٠١٣] ، فكان للمرأة المسلمة نصيب في الولاية السِّياسيَّة منذ ذلك التأريخ .

وفي بيعة الرّضوان تحت الشجرة ، والتي كانت على الحرب والقتال ، شاركت النساء ، بل شملهنّ مع الرّجال ، قوله تعالى ژ ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ژ .[١٠١٤]

وحديث النساء الغازيات في غزوات الإسلام الأولى ، والمقاتلات والمداويات والمساعدات في المعارك شائع في مصادر السنة والسّيرة والتأريخ .[١٠١٥]

والتطبيق الإسلامي لوصايا القرآن الكريم بالأمومة ، ووصايا الرّسول r بالنساء ، ولتحديد القرآن أنّ التنوّع في الأنوثة والذكورة ، هو آية من آيات الله سبحانه وتعالى ، به تتحقق السّعادة المتمثلة في السّكن والمودّة والرّحمة بين الزوج وزوجه : ژ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ژ وتجسّدت هذه المعاني القرآنيّة في كثير من نماذج الواقع المعيش منذ ذلك التأريخ .

إنَّ دور خديجة بنت خويلد في حياة النبيّ صلى الله عليه وسلم ودعوته ، ودور عائشة بنت أبي بكر الصِّديق في الدّين والدّنيا ، ودور أسماء بنت أبي بكر في رحلة الهجرة -هجرة النبيّ وأبي بكر- ودور الصَّحابيَّات اللواتي ملأت تراجمهنّ مجلدات .. إنّ هذا ليترجم عن واقع جسّد فكر الإسلام في هذا الميدان .[١٠١٦]

وإذا كنا لا ننكر - بل نبرز- أنّ تأريخنا الاجتماعي قد سادت في كثير من حقبه معالم (واقع) تنكر للكثير من (المثل) التي جاء بها الإسلام في العَلاقة الجامعة والمميزة بين الرّجل والمرأة ، حتى أصاب المرأة المسلمة من المظالم أكثر ممّا أصاب الرّجال ، وحملت من القيود أثقل ممّا حمل الرّجل الأمر الذي جعل ويجعل حريّتها وتحريرها واحدة من مهام الإسلاميّين ، إذا كنا لا ننكر ذلك - بل نبرزه وننبّه إليه وندعوا له- فإننا ننكر ونستنكر أن يتبنى المسلمون المناهج غير الإسلاميّة في فلسفة تحرير المرأة .[١٠١٧]

فالإسلام الذي قام على مساواة الرّجل والمرأة في الإنسانيّة وتكاملها في وظائف الحياة يرفض مساواة الأنداد ، التي سادت الدّعوة إليها في إطار الحِضارة الغربيّة ، وفي فكر وواقع التغريب ببلادنا الإسلاميَّة ، فلا الرّجل السوي يسعده تساويه بالمرأة كأنثى ، ولا المرأة السوية يسعدها مساواتها بالرّجل في الرّجولة ، ومن هنا تميزت وتتميّز في الإسلام فلسفة التحرير الإسلامي للمرأة بالانطلاق من الوسطيّة الجامعة والمميزة في ذات الوقت بينهما ، كشقين متكاملين ومتساويين، فمع التساوي في الإنسانيّة تتمايز الطبيعة ، من حيث الأنوثة والذكورة ، تمايز وظيفة ودرجة ، لا تمايز سيطرة واستبداد وخضوع !! .

وإذا كانت فلسفة (التحرير) التي اعتمدت تماثل النّديّة ، قد جعلت صورة المرأة المتحرّرة في المجتمعات التي طبقت تلك الفلسفة ، هي صورة : المسترجلة الإسبرطيّة ، أو الغانية الرّومانسيّة ، أو إعلان السّلعة وسلعة الإعلان الرَّأسماليَّة ، فإنّ الإسلام في هذا المقام يقول لنا : نعم لتحرير المرأة، لكن ليس هذا هو نموذج التحرير!! .[١٠١٨]

---

[١٠١٣]- ينظر: الدرر في اختصار المغازي والسّير : لابن عبد البرّ : ٧٩ .

[١٠١٤]- سورة الفتح : ١٨ .

[١٠١٥]- ينظر في تفاصيل ذلك إلى كتاب : الإسلام والمستقبل : ١٩٣- ٢١٨ .

[١٠١٦]- ينظر: الغزو الفكري .. وهم أم حقيقة : ١٧٩.

[١٠١٧]- ينظر: المرجع نفسه .

[١٠١٨]- ينظر: معالم المنهج الإسلامي : ١٥٧ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

## المبحث السّادس

## دعوة القرآن إلى تطوّر المجتمع حضاريّاً

إنَّ من آثار القرآن العظيم في المجتمع المسلم تقرير مفهوم الإنسان وأصله ومبدئه وحقيقته وحقوقه وواجباته ، وكيف يبني حضارته على وجه هذه الأرض وما ضوابطها . ولا شكّ أنّ للقرآن العظيم منهجه المتميّز في ذلك ، وله وسائله وأساليبه وطرقه في تقرير تلك الحقائق والأمور .

وبنظرة إلى حالة العرب ، بل وإلى المجتمعات الإنسانيّة قبل نزول القرآن الكريم تتضح مدى ما كانت تعانيه من إهدار لكرامة الإنسان ، ووأد له ، ومصادرة لحقوقه ، بل وجعله من ضمن المتاع الذي يورث. ولا يبعد عن ذلك ما تعانيه البشريّة اليوم في كثير من مجتمعاتها - التي لم تهتد بكتاب الله تعالى- من انحراف في فهم الوجود الإنساني ، ومن تضييع لكرامته ونتيجة لذلك حاولت تلك الأمم أن تقرّر شيئاً من حقوق الإنسان فاجتمعت وأصدرت الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي صدر في عام ١٩٤٨م .[١٠١٩]

والتساؤل : هل كان لذلك القانون أثر في حفظ الكرامة الإنسانيَّة في العالم المعاصر اليوم ؟ وهل كفل للإنسانيّة المعذبة الحياة اللائقة بها ؟ بل هل كفل لها أدنى متطلبات الإنسان ؟

والجواب عن ذلك : أنَّ الحالة السيِّئَة التي تعيشها الإنسانيّة اليوم وفي ظلّ تلك القوانين والأعراف تنبئ عن حالها ، وإنّ الواقع المشاهد المحسوس يغني عن كثير من الكلام .[١٠٢٠]

أمَّا كتاب الله تعالى فله الأثر العظيم البالغ في تقرير حقوق الإنسان ، وهو ما طبقه المسلمون واقعًا في تاريخهم وحاضرهم لا ادعاءً ، يقول الله تعالى مبينًا أولًا حقيقة الوجود الإنساني : ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ژ[١٠٢١] وفي مجال بيان التكريم الإلهي لهذا الإنسان يقول تعالى : ژ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ژ . فاختصَّه تعالى دون سائر مخلوقاته ؛ ليكون محل اعتبار ومسرحاً للأبصار ، وهو دليل على وجود الصّانع وقدرته وحكمته وحياته وإرادته ، وغير ذلك من صفاته الذاتيّة والفعليّة وانفراده بخلقه وأحكامه وقدّم تعالى الخلقة البشريّة على خلق السّموات والأرض ، وإن كانت للعالم الأصغر ؛ لما فيها من بدائع الصّنعة ما لا يعبّر عنه وصف لسان ولا يحيط بكنهه فكر جنان ، وظهور حسن الصّنعة في الأشياء اللطيفة الجرم أعظم منه في الأجرام العظام ولأنَّ اعتبار الإنسان بنفسه في تقلب أحواله أقرب إلى ذهنه، قال تعالى: ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ژ[١٠٢٢] أو لأنَّ العرب عادتها تقديم الأهم عندها والمعتنى به ، والله تعالى قد اهتمّ بإصلاح حال البُنية البشريّة أكثر اهتماماً من غيرها من المخلوقات؛ لأنها أشرف مخلوقاته وأكرمها عليه : ژ ک ک ک ک گ گ ژ ولأنَّه تعالى خلق هذه الأشياء منافع لبني آدم وأعدّها نعماً يمتنّ بها عليهم ، وذكر المنعم عليه يتقدّم على ذكر النعمة .[١٠٢٣]

---

[١٠١٩]- ينظر: العلاقة الإنسانية في القرآن الكريم : ١٤ .

[١٠٢٠]- ينظر: الدعوة إلى التمسك بالقرآن الكريم وأثره في حياة المسلمين : ٨٩ .

[١٠٢١]- سورة الحجر : ٢٨- ٢٩ .

[١٠٢٢]- سورة الذاريات : ٢١ .

[١٠٢٣]- ينظر: البحر المحيط : ١١٨/١ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي مجال مسؤوليَّة الإنسان عن نفسه وعمله ، يقول تعالى : ژ ژ ، ويقول : ژ ژ .[١٠٢٤]

فكلّ فرد يحمل همَّ نفسه وتبعتها ، ويضع نفسه حيث شاء أن يضعها ، يتقدّم بها أو يتأخر ويُكرمها أو يُهينها ، فهي رهينة بما تكسب ، مقيّدة بما تفعل .. وقد بيَّنَ الله للنفوس طريقة لتسلك إليه على بصيرة وهو إعلان في مواجهة المشاهد الكونيّة الموحية .[١٠٢٥]

وفي مجال المساواة الحقيقيَّة بين البشر ، يقول الله تعالى : ژ ژ ژ ژ ژ ژ ژ ژ ژ ژ ژ ژ ژ ژ ژ ژ .. وقد تقدّم الكلام في تفصيل هذا المجال ، ولا داعي لتكراره هنا .

إذن فالأمم سواء ، والناس سواء كلهم من آدم ، وآدم من تراب، فعن جابر بن عبد الله **t** قال : خطبنا رسول الله **r** في وسط أيّام التشريق خطبة الوداع فقال : « يا أيها الناس إنّ ربكم واحد ، وإنّ أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربيٍّ على عجميٍّ ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ ، ولا لأحمر على أسود ، ولا أسود على أحمر ، إلا بالتقوى : ژ ژ ژ ژ ژ ... » .[١٠٢٦]

ولم يبخل الصّحابة الأجلاء بما عندهم من دين وعلم وتهذيب على أحد ، ولم يراعوا في الحكم والإمارة والفضل نسباً ولوناً ووطناً ، بل كانوا سحابة انتظمت البلاد وعمّت العباد وغوادي مزنة أثنى عليها السّهل والوعر ، وانتفعت بها البلاد والعباد على قدر قبولها وصلاحها . في ظل هؤلاء وتحت حكمهم استطاعت الأمم والشعوب حتى المضطهدة منها في القديم أن تنال نصيبها من الدّين والعلم والتهذيب والحكومة ، وأن تساهم العرب في بناء العالم الجديد ، بل إنّ كثيراً من أفرادها فاقوا العرب في بعض الفضائل ، وكان منهم أئمّة هم تيجان مفارق العرب وسادة المسلمين من الأئمّة والفقهاء والمحدّثين .[١٠٢٧]

إلى غير ذلك من الحقوق الإنسانيّة التي أقرّها القرآن الكريم للإنسان والتي عجزت النظم الوضعيّة عن مجاراتها أو الإتيان بمثلها . كما قرَّرَ القرآنُ الكريمُ أنَّ الحضارة الإنسانيَّة ينبغي أن تؤسَّسَ على تقوى وهدى من الله تعالى ، وأن تكون وفق منهج الله تعالى ومراده لا للمباهاة أو المراءاة أو البطر والأشر.[١٠٢٨]

قال تعالى حكاية عن هود **u** مع قومه وتذكيره لهم : ژ ژ ژ ژ ژ .[١٠٢٩] أنكرَ عليهم الترف في البُنيان لمجرّد التباهي بالمقدرة ، والإعلان عن الثراء والتكاثر والاستطالة في البناء ، ويُنكر غرورهم بما يقدرون عليه من أمر هذه الدّنيا ، وما يسخرونه فيها من القوى وغفلتهم عن تقوى الله ورقابته : ژ ژ ژ ژ ژ والرِّيع : المرتفع من الأرض ، والظاهر أنهم كانوا يبنون فوق المرتفعات بنياناً يبدو للناظر من بعد كأنه علامة وأنَّ القصد من ذلك كان هو التفاخر والتطاول بالمقدرة والمهارة ، ومن ثمّ سمّاه عبثاً ولو كان لهداية المارّة ، ومعرفة الاتجاه ما قال لهم: ژ ژ فهو توجيه إلى أن ينفق الجهد وتنفق البراعة ، وينفق المال فيما هو ضروري ونافع ، لا في الترف والزينة ومجرد إظهار البراعة والمهارة، لذا : ژ

---

[١٠٢٤]- سورة المدثر : ٣٨ ، النجم : ٣٨- ٣٩ .

[١٠٢٥]- ينظر: في ظلال القرآن : ٣٧٦١ .

[١٠٢٦]- أخرجه البيهقي في شعب الإيمان : فصل: (ومما يجب حفظ اللسان منه الفخر بالآباء وخصوصا بالجاهلية والتعظيم) برقم: (٥١٣٧) : ٢٨٩/٤ .

[١٠٢٧]- ينظر: في ظلال القرآن : ٣٩٧٠ .

[١٠٢٨]- الدعوة إلى التمسك بالقرآن الكريم وأثره في حياة المسلمين : ٩٠ .

[١٠٢٩]- سورة الشعراء : ١٢٨- ١٣١ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ژ إنَّ عاداً كانت قد بلغت من الحضارة الصّناعيّة مبلغاً يذكر ؛ حتى لتتخذ المصانع لنحت الجبال وبناء القصور وتشييد العلامات على المرتفعات وحتى ليجول في خاطر القوم أنّ هذه المصانع وما ينشئونه بوساطتها من البيان كافية لحمايتهم من الموت، ووقايتهم من مؤثرات الجو ومن غارات الأعداء .. ويمضي هود في استنكار ما عليه قومه : ژ ژ فهم عتاة غلاظ ، يتجبّرون حين يبطشون ولا يتحرَّجون من القسوة في البطش ، شأنهم شأن المتجبّرين المعتزين بالقوَّة الماديَّة التي يملكون . وهنا يردّهم إلى تقوى الله وطاعة رسوله ؛ لينهاهم من هذه الغلظة الباطشة المتجبّرة : ژ ژ ويُذكرهم نعمة الله عليهم بما يستمتعون به ويتطاولون ويتجبّرون ، وكان الأجدر بهم أن يتذكروا فيشكروا ، ويخشوا أن يسلبهم ما أعطاهم ، وأن يعاقبهم على ما أسرفوا في العبث والبطش والبطر الذميم .[١٠٣٠]

ثمّ .. ژ ى ى ژ [١٠٣١] إنها ذات الدّعوة بألفاظها يدعوها كلّ رسول ، ويوحّد القرآن عن قصد حكاية العبارة التي يلقيها كلّ رسول على قومه للدلالة على وحدة الرّسالة جوهراً ومنهجاً في أصلها الواحد الذي تقوم عليه ، وهو الإيمان بالله وتقواه، وطاعة الرّسول الآتي من عند الله .[١٠٣٢]

وقبل أن نودِّعَ هذا الموضوع يجب علينا أن نعي جيّداً أنّ الحِضارة الماديّة المُعاصرة تحمل بين طيّاتها جراثيم دمارها ونهايتها ، وإننا إن لم نحتط أشدّ الحيطة لهذه الجراثيم فإنّ طوفان الدّمار سيأخذنا معه .

فالحُريَّة بغير حدود وقيود ، والنفعيّة الماديّة التي قامت عليها فلسفة الحِضارة الماديّة الغربيّة شجعت ألوان الفساد كله ، ودمّرت نفسيّة الإنسان الغربي وحياته ، وجعلته يعيش عيشة الحيوان بل أحط فالشذوذ الجنسي قد بلغ معدّلات وبائية ، وما هو أحط من ذلك وهو اغتصاب الأطفال من ذويهم وتعاطي المخدّرات الذي بلغ إلى الأطفال في سنّ التاسعة وملايين المدمنين والذين دمّرتهم الخمر وارتباط الإنسان بعجلة الإنتاج ودوّامة الرّبا والدّين وعبوديّة الإنسان للمادّة والآلة وامتلاكها له . وليس بالعكس ، والرّكض اللاهث خلف سراب السّعادة والمنفعة واللذة دون إحساس بهدف الحياة وغاية الخلق ، ونهاية المطاف ؛ كلّ ذلك خلف الانهيار النفسي والعاطفي ، وخلق هروباً جماعياً إلى الأديان الخرافيّة ، والإيمان بالخزعبلات والترّهات ، وكلّ هذا وغيره سيسرع بانهيار هذه الحضارة الزائفة.[١٠٣٣]

ولهذا الكلام حادثة شهيرة قد حدثت في نيويورك عام ١٩٧٠م ، يوم أطفئت الكهرباء عن المدينة ليلة واحدة فقط ، فكان حصيلة ذلك أن خرج من في المدينة للسّلب والنهب ، حتى إنه نهبت مخازن تجاريّة إلى آخر شيء فيها ، والعجب أنه تبيّن أنّ جميع الأعمار رجالاً ونساءً قد اشتركوا في ذلك وأنَّ خمساً وعشرين ألف شرطي كانوا مكلفين بحراسة المدينة لم يداوم منهم أحد ، بل اشتركوا في النهب .[١٠٣٤]

إنَّ هذه الحادثة تفيدنا أنَّ إنسان هذه الحضارة إنسان متوحش مهزوم من داخله وأنّ الذي يقيمه هو قوّة القانون لا قوّة الأخلاق . ومثل هذا المجتمع الذي يفترس فيه الأب صغاره عندما يكون في أمان من

---

[١٠٣٠]- ينظر: في ظلال القرآن : ٢٦١٠ .
[١٠٣١]- سورة الشعراء : ١٣٢ .
[١٠٣٢]- ينظر: تفسير اللباب : ١٢/ ٢٦٠ ، في ظلال القرآن : ٢٦١٠ .
[١٠٣٣]- ينظر: توجيهات تربوية مستقبلية لبناء الإنسان الصالح في الوطن العربي : ٤ .
[١٠٣٤]- المرجع نفسه .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القانون واستناد إلى حاجة الابن الصَّغير والبنت الصَّغيرة إلى المأوى والطعام والشراب ، مثل هذا المجتمع لا شكّ أنه سينهار ويدمّر نفسه عند انقطاع أوّل خط من الخيوط التي تربط بين عناصره .[١٠٣٥]

فمن الواجب بمكان أن لا نربط حِضارتنا العظيمة بمثل هذه الحِضارة العمياء ، وعلينا أن نأخذ منها انتقائيّاً حكيماً ، وأن نستقلّ بأنفسنا في سفينتنا الخاصّة إذ القرآن الكريم قد رسم لنا منهجاً واضحاً في حياتنا ، وبيّن لنا كلّ ما يهمّنا ، وما ينبغي أن نسير عليه ونبني عليه عَلاقاتنا وحضارتنا ، فهو منهج متميّز يثمر بحق عن كلّ خير وفضل للإنسانيّة جمعاء .

## المبحث السّابع

## أثر القرآن الكريم في إصلاح حقيقة التغيير

ونعني بالتغيير هنا ما كان اجتماعيّاً والذي يُمكننا أن نعرّفه بأنه : إحداث شيء في المجتمع لم يكن موجوداً من قبل .[١٠٣٦] والتغيير يقال على وجهين ..

أحدهما: لتغيير صورة الشيء دون ذاته يقال : غيّر داره إذا بناها غير الذي كان .

وثانيهما: لتبديله بغيره نحو غيّرت غلامي ودابتي ، أبدلتها بغيرهما نحو : ژ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ژ .[١٠٣٧]

قال الطبري : " ژ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ژ من عافيةٍ ونعمةٍ ، فيزيل ذلك عنهم ويهلكهم ژ ڭ ڭ ڭ ۇ ژ من ذلك بظلم بعضهم بعضاً واعتداء بعضهم على بعض فتحلّ بهم حينئذ عقوبته وتغييره " .[١٠٣٨]

ويُلاحظ في التعبير بلفظة (التغيير) : عمل الغير ، أمَّا إن أردنا أن ننبّه إلى حالة الشيء المتغيّر فالأليق أن نعبّر بالتغيّر ، فهو: انتقال الشيء من حالة إلى حالة أخرى .[١٠٣٩]

وكثيراً ما يترادف مفهوم (التغيير الاجتماعي) مع مصطلحات : النهضة ، واليقظة ، والتطوّر ، والنمو والإصلاح ، والتقدّم ، وهى مفردات شاعت لدى روّاد الفكر والإصلاح العرب والمسلمين في العصر الحديث ، فاستخدام هذه الكلمات يتضمّن معنى واحداً وهو الصّيغة الإراديّة للتغيير . والتغيير الاجتماعي له عناصر لا يتمّ إلا بها ، وهى : الأشخاص ، والأشياء والأفكار . فالتغيير يقوم على متابعةٍ تحليليةٍ لحركة هذه العناصر في إطار الحياة الاجتماعيّة للإنسان ، ولا يخفى ارتباط هذه العناصر ببعضها ارتباطاً وثيقاً وإن شكلت الأفكار في عملية التغيير الاجتماعي العنصر ذا الأهميَّة البالغة ، فأيّ عمل فرديّ أو جماعيّ لا يمكنه التحرّك دون توجيهٍ منها ، وهى تؤثر في المجتمع إمَّا كعوامل نهوض ، وإمّا كعوامل تعوق التحرّك والنموّ الاجتماعي .[١٠٤٠]

ورؤية القرآن في (التغيير) لا تقف عند تغيير ما بظواهر الأحياء والأشياء ؛ لأنَّ هذا النوع لا يعدو أن يكون تبدلاً من حال إلى حال ، ومن مظهر إلى مظهر يأتي اللاحق فينسخ السّابق .

---

[١٠٣٥]- ينظر: توجيهات تربوية مستقبلية لبناء الإنسان الصالح : ٤ .

[١٠٣٦]- ينظر: التعريفات : ٨٧ .

[١٠٣٧]- سورة الرّعد : ١١ . ينظر: مفردات القرآن : ١٠٧٨ ، التوقيف على مهمّات التعاريف : ١٩١

[١٠٣٨]- جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٣٥٠/٧ .

[١٠٣٩]- ينظر: التعريفات : ٨٧ .

[١٠٤٠]- ينظر: التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي : ١١٠ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمَّا التغيير الحقّ فهو بعض سنن الله في الآفاق وفى الأنفس ، والتي قوامها تغيير ما بالنفس أي التغيير الدّاخلي لنفس الإنسان ، وهو ما يتمّ عادة بتغيير الفكر الذي يتمّ معه تغيير السّلوك ، وتقاس به أحوال الأقوام والأمم بين الضعف والقوّة وبين السّقوط والنهوض .[(١٠٤١)]

وهذا ما قرَّره القرآنُ في قوله : ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﮊ [(١٠٤٢)] وكذلك في الآية المذكورة آنفاً . فإنه من جانب يُقرّر عدله سبحانه في معاملة عباده ؛ فلا يسلبهم نعمة وهبهم إيّاها إلا بعد أن يغيّروا نواياهم ، ويبدّلوا سلوكهم ، ويقلبوا أوضاعهم ، ويستحقوا أن يغيّر ما بهم ممّا أعطاهم إيّاه؛ للابتلاء والاختبار من النعمة التي لم يقدروها ولم يشكروها . ومن جانب آخر يكرم هذا المخلوق الإنسانيّ أكبر تكريم ، حين يجعل قدر الله به ينفذ ويجري عن طريق حركة هذا الإنسان وعمله ، ويجعل التغيير القدري في حياة الناس مبنيّاً على التغيير الواقعي في قلوبهم ونواياهم وسلوكهم وعملهم وأوضاعهم التي يختارونها لأنفسهم . ومن جانب ثالث يلقي تبعة عظيمة -تقابل التكريم العظيم- على هذا الكائن فهو يملك أن يستبقي نعمة الله عليه ويملك أن يزاد عليها ، إذا هو عرف فشكر ؛ كما يملك أن يزيل هذه النعمة عنه إذا هو أنكر وبطر ، وانحرفت نواياه فانحرفت خطاه .[(١٠٤٣)]

وهذه الحقيقة الكبيرة تمثل جانباً من جوانب التصوّر الإسلامي لحقيقة الإنسان ، وعَلاقة قدر الله به في هذا الوجود ، وعَلاقته هو بهذا الكون وما يجري فيه .

ومن هذا الجانب يتبيّن تقدير هذا الكائن في ميزان الله ، وتكريمه بهذا التقدير ، كما تتبيّن فاعليّة الإنسان في مصير نفسه وفي مصير الأحداث من حوله ، فيبدوا عنصراً إيجابيّاً في صياغة هذا المصير - بإذن الله وقدره الذي يجري من خلال حركته وعمله ونيّته وسلوكه- وتنتفي عنه تلك السّلبيّة الذليلة التي تفرضها عليه المذاهب الماديّة ، التي تصوّره عنصراً سلبيّاً إزاء الحتميات الجبّارة : حتميّة الاقتصاد ، وحتميّة التأريخ ، وحتميّة التطوّر ... إلى آخر الحتميّات التي ليس للكائن الإنساني إزاءها حول ولا قوَّة ، ولا يملك إلا الخضوع المطلق لما تفرضه عليه وهو ضائع خانع مذلول! كذلك تصوّر هذه الحقيقة القرآنيّة ذلك التلازم بين العمل والجزاء في حياة هذا الكائن ونشاطه ، وتصوّر عدل الله المطلق ، في جعل هذا التلازم سنة من سننه يجري بها قدره ، ولا يظلم فيها عبد من عبيده: ﮋﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﮊ[(١٠٤٤)] ، ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﮊ .[(١٠٤٥)]

ففي ضوء هذه السُّنَّة القرآنيَّة التي قِوامها الالتزام بمنهج الله أو البُعد عنه : تسير مصائر الأفراد والأمم بين الازدهار والانكسار .

## المبحث الثامن

## صلاح الفرد بصلاح المجتمع

إنَّ الإنسان يولد مزوّداً باستعدادات كثيرة ، لكن هذه الاستعدادات ستظلّ عبارة عن إمكانات غير مرئيّةٍ والمجتمع الذي يعيش فيه هو الذي سيُخرج تلك الإمكانات إلى حيّز الوجود والتحقيق وسيمنح

١٠٤١- ينظر: مفاهيم إسلامية : ١٥ .
١٠٤٢- سورة الأنفال: ٥٣- ٥٤ .
١٠٤٣- ينظر: في ظلال القرآن : ١٥٣٦- ١٥٣٧ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٣٢٤ .
١٠٤٤- سورة آل عمران : ١٨٢ .
١٠٤٥- سورة الأنفال : ٥٣ - ٥٤ . ينظر: في ظلال القرآن : ١٥٣٦ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المجتمع لأعضائه الجدد أكثر خصائصه ، وسيجعلهم يعانون - بمقدار ما- من كلّ أشكال المعاناة التي يلاقيها ودرجة الفاعلية والرّقي التي يتمتع بها المجتمع هي التي ستحدد ما سيتفتح من تلك الملكات ، وما سيظلّ حبيساً ...

ولعنا نستجلي في هذه المسألة الهامَّة الأفكار الآتية[١٠٤٦] :

أ- نستطيع القول: إنَّ ما نتمتع به من خصائص وإمكانات يتوقف في أدائه على الوسط الذي تعمل فيه فهذا الوسط هو الذي سيعلي من أهميّتها وقيمتها ، أو سيحكم عليها بالضآلة وعدم الكفاية تماماً كما يحدث لمن معه نقود ، ويريد التسوّق ، فإنّ أسعار السّوق هي التي ستحكم على قيمة ما معه، فربّ مبلغ ضئيل تشتري به في بلد فقير أشياء كثيرة ، فإذا ذهبت به إلى بلد آخر لم يكفك لتناول وجبة طعام!! .

والوسط الصَّالح لفاعلية المرء وحركته هو ذلك الوسط المثالي الذي لا يعد العيش فيه سهلاً ولا عسيراً إلى درجة إمكانات الإنسان وإعاقة حركته ، حين يكون الوسط سهلاً فإنّ الإنسان يتهل، ويفقد حوافز الارتقاء ، وقد يكون من أسباب تخلف السّواد الأعظم من دول أفريقية أنّ مقوّمات البقاء ظلت - إلى زمن قريب- متوفرة فيها بأدنى جهد مُمكن ، ممّا شكل داعياً إلى الكسل والتراخي.

ويذكر في مقابل هذا المناخ والوسط الذي يعيش فيه (الأسكيمو) فإنَّ الصَّعوبة البالغة التي يواجهها من يعيش في المناطق الجليدية قد استهلكت كلّ طاقاتهم في سبيل المُحافظة على البقاء، وحالت دون تمكنهم من تطوير أي نظام ثقافي أو اجتماعي أو سياسي، فالضروريات تحول دون الوصول إلى الكماليات ما لم يتمّ إشباعها وتلبيتها .

ب- إذا كان المناخ العام على هذه الدرجة من الأهميّة وجب علينا أن نوقن أنّ مجرد دعوة الناس للاستقامة والعمل والتمسك بأهداف الفضيلة سيكون محدود الفائدة ما لم تتجه الجهود لتهيئة الظروف المحيطة بالفرد المسلم . وقد طرحت أفكار إصلاحيّة كثيرة خلال القرنين الماضيين وألقيت مواعظ أيضاً كثيرة ، لكنّ الأفكار الإصلاحيّة كانت تفتقر دائماً إلى السياسات والآليات والبرامج التي تحيلها إلى واقع معاش ، ومن ثمّ فإننا ما زلنا نشعر أننا ما فتئنا نردد ما قيل قبل قرنين عن الدّاء والدواء والمشكلات والحلول .

والوسط المثالي أو الذهبي - كما يقول توينبي- لا يشهد تحسناً في أكثر بلدان العالم الإسلامي ، بل يشهد في بعضها نوعاً من التراجع ، فتكاليف التعليم والتدريب والمعيشة والصّحة في ازدياد مستمر وبنسب عالية لا تتواءم مع ارتفاع الأجور ، كما أنّ فرص العمل تتراجع ، وأجور المساكن وأثمانها في ارتفاع مستمر ، ممّا أوجد حالة من الإحباط الشديد في نفوس الأجيال الجديدة . والتعاطف والتبادل والشفافية الاجتماعية والسياسية ، لا تشهد التحسن المأمول ، وهذا عمق الشعور بالاغتراب والتأزم .

وفي هذه الأجواء ينتشر الجهل والفساد والعنف والشعور باليأس وتصبح الأرض التي تبذر فيها بذور الخير غير صالحةٍ للإنبات ، ومن ثمّ فإنه لا مناص من الرّؤية الشاملة ، والعمل على الأصعدة كافة من أجل تحسين المناخ العام إذا ما أريد للجهود الدّعوية أن تؤتي ثمارها .[١٠٤٧]

ج- حين تبذل جهود مباركة في تحسين الوسط المعيشي والاجتماعي ، وتصيب تلك الجهود شيئاً من النجاح ، فإنّ الجماعات الدعوية ستستفيد من ذلك في الرّقي بأعضائها وأحوالها المختلفة ، وقد أثبتت

---

[١٠٤٦]- مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي : ٣٠٦ ، مشكلة الثقافة : مالك بن نبي : ٦٣ .

[١٠٤٧]- مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي : ٣٠٧ ، مشكلة الثقافة : ٦٣ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التجربة أنّ أيّة جماعة لا تستطيع أن تتجاوز كثيراً السّقف الحِضاري الذي يحدده المجتمع الذي تعيش فيه ، ومن ثمّ فإننا نرى كثيراً من الأمراض الاجتماعية موجودة لدى بعض الجماعات الإسلاميّة وهذا أمر طبيعي ومفهوم . إنّ الذين يستطيعون تجاوز وضعية مجتمعاتهم إلى الحد الأقصى أندر من النادر وهم بمثابة الشذوذ الذي يؤكد القاعدة ، إذا استطاع أولئك النوابغ توليد بعض الأفكار الفذة فإنّ مجتمعهم يظلّ عاجزاً عن الاستفادة منها ؛ لأنّ المجتمع يحتاج إلى نوع من الأهلية والاستعداد ، وقد لا حظ الأستاذ مالك بن نبي - رحمه الله- أنّ أفكار ابن خلدون لم تؤد إلى أيّ تقدم اجتماعي في عصره ؛ لأنَّ صلتها بالوسط الاجتماعي معدومة .

فتحسين المناخ العام ، هو تحسين مباشر لأحوال الجماعات الدّعوية ، وتدهوره لا بد أن ينعكس عليها بصورة من الصّور .

د- إنَّ هناك ميادين كثيرة مازالت بكراً ، ولم تبذل فيها جهود إصلاحيّة ذات قيمة ، مثل مجالات البحث العلمي والاجتماعي والتدريب الفني والدِّراسات التي تتعلق بالبيئة والتلوث والمرافق العامَّة والموارد الأوليّة والاقتصادية في الاستهلاك والبطالة وضمن حقوق المواطن والدّفاع عن الضعيف والمسكين .

هذه القضايا وأخرى ، تشكل ركائز هامّة في تشكيل المناخ الحِضاري ، ونحن ما زلنا نشاهد نوعاً من العزوف عن خوض غمارها ، فهل نحن لا نعرف ماذا نريد ؟! .[١٠٤٨]

وأكبر دليل على صدق هذا القول إنّ المجتمعات الإسلامية من أفقر مجتمعات الأرض بالهيئات والمنظمات والمؤسسات التي تعني بهذه القضايا ، مع أنّ بعضها لا يحتاج إلى أيّة إمكانات ، إنما يحتاج إلى معرفة الأهميّة ثمّ المبادرة .

## المبحث التاسع
## توسيع الشريحة الوسطى مُهمَّة إصلاحيَّة كبرى

الترابط الاجتماعي ، هو الذي يميّز المجتمع عن حشد الأجساد ، وحشد الأجساد عبارة عن ركم غير ذي معنى ولا هدف يؤطر عدداً كبيراً من الأفراد أما المجتمع فهو عبارة عن مجموعة العقائد والعلاقات والتوجهات والأفكار والأعراف والمصالح والأهداف التي تربط بين أقوام يعيشون في ظلِّ دولة واحدة . إنَّ الفارق بين الحَجَر وقبضة الرَّمل هو في العَلاقة الصّلبة الموجودة بين ذرّات الحجر والفارق بين مجتمع متحلل ، ومجتمع متماسك ليس في المكونات ، وإنما في نوعية الرّوابط والعَلاقات السّائدة في كلٍّ منها .

هذه العَلاقات لا يُمكن أن توجد بطريقةٍ عفويّةٍ ؛ لأنَّ التفاوت في المصالح ، والتنافس على الأشياء النادرة فضلاً عن الخصوصيات الفكريّة والنفسيّة ، كلّ ذلك يجعل من العدوان والطغيان شيئاً كامناً خلف الباب بمجرد حصول قصور أو انحباس اجتماعي ، لذا فإنّ الترابط الاجتماعي ليس هو الأصل ولا هو الأمر الذي يحدث نتيجة التقاء الناس ، وإنما التفكك هو ذاك الذي يحدث تلقائيّاً دون أيّ جُهد ولذا فإنّ تعاليم الإسلام في مجال العَلاقات بين الأهل والأصدقاء والجوار والشركاء ، والحُكام والمَحكومين والمُتعاملين

[١٠٤٨]- مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي : ٣٠٨ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مع بعضهم عامّة .. إنّ تلك التعاليم تسعى إلى شيءٍ واحد ، هو الشد من أزر الأواصر الاجتماعية وإيجاد المناخ الصّالح الودود الذي يُمارس فيه الفرد أنشطته المختلفة .[١٠٤٩]

وإذا كان الأمر على ما ذكرنا فإنه بالإمكان القول : إنّ التناغم الاجتماعي لا يتمّ إلا من خلال عَلاقات التكافؤ والتشابه ، على الصّعيد المعنوي ، وعلى الصعيد المادي ، والله جلّ وعلا جعل ظروف الناس وإمكاناتهم واستعداداتهم والمُشكلات التي تعترضهم مختلفة ، ومن ثمّ فإنه لا بُد من اختلاف نتائج كسبهم وتحصيلهم ونشاطهم .. وقد صوّرت ذلك الآية الكريمة : ژ ڀ ڀ ژ .[١٠٥٠]

لكن يُقال إلى جانب هذا : إذا كان كلّ واحد منا سيواجه مصيره الاجتماعي دون مساعدة من أحد مهما كان سيّئاً ومفجعاً ، وإذا كان الأقوياء في المجتمع سوف يتمتعون بالخيرات التي جلبتها القوّة فما معنى العيش في مجتمع واحد ، وما معنى الدّفاع عنه ، وما معنى العمل المشترك ... ؟ .[١٠٥١]

لذا فإنَّ مجتمعات الأرض كلها قد أقامت نظماً تفصل حقوق المواطن وواجباته ، وتشرف الدّولة عادة باعتبارها مركز التوازن الاجتماعي على تنفيذ تلك النظم ، وأنّ الرّقابة الاجتماعية تقوم بدور مهم في ذلك والفارق بين مجتمع وآخر ، ليس في وجود التشريعات، ولكن في تجسيدها على أرض الواقع .

وتقوم الدَّولة والأنظمة المختلفة فيها على إحداث أكبر قدر مُمكن من التوازن الاجتماعي من خلال مساعدة الفقر الضعيف ، وضمان الحد الأدنى من العيش الكريم لهما ، إلى جانب ضمان حقوق التعليم والصّحة ، وبناء المرافق الأساسيّة التي يرتفق بها مجموع السّكان . وقد أعطى الإسلام للحاكم المُسلم الحق في تدبير الأموال والنفقات التي يحتاجها ذلك التوازن بوسائل مختلفةٍ .

ومهما بذلت الجهود لإحداث التوازن المنشود فإنه سيظلّ هناك فئة من الناس لا تجد بعض الضروريات ، كما أنه ستظلّ هناك فئة تحصل على الكماليات كلها والمرفهات التي تتشوف إليها. أمَّا الفئة الثالثة ، وهي ما اصطلح عليها بالطبقة أو الشريحة الوسطى فهي تلك الجماعات من الناس التي تقف على الحد الأوسط ، فهي تجد الضروريات كلها ، وبعض الكماليات والتحسينيات .

والقول الحق : إنَّ حجم هذه الشريحة في أيّ مجتمع من المجتمعات يقرّر صحة ذلك المجتمع من مره ورقيه من انحطاطه ، فعلى مقدار اتساعها يكون رقي المجتمع ، وعلى قدر تضاؤله يكون تخلفه؛ والسّبب في ذلك أنّ الطبقة الوسطى ظلت على مدار التاريخ مركز الإبداع في الأمّة ، وأنّ الدراسات أثبتت أنَّ ابناء الطبقة الوسطى هم في الغالب أحسن أبناء المجتمع أخلاقاً وسلوكاً وأكثرهم دأباً وجدية فاتساع مساحتها دليل على كثرة المُبدعين وكثرة ذوي السّلوك القويم ، هذا من جهةٍ ، ومن جهةٍ ثانيةٍ فإنّ المجتمع الذي تسوده الشريحة الوسطى مجتمعٌ ناجحٌ منضبطٌ مسيطرٌ على النزعات المدمّرة لأعضائه فالشريحة الوسطى لا تتسع إلا في ظلّ سيادة النظام والقانون ، وفي ظلّ الظروف الصحيّة المواتية للإبداع والإنتاج .[١٠٥٢]

لا معنى للرَّخاء الاجتماعي إذا لم ينعم به أكثر الناس ، ولا معنى لوجود الثقافة الجيدة في مجتمع إذا لم يتثقف بها أكثر الناس ..

---

[١٠٤٩]- مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي : ٣٠٨ – ٣٠٩ .

[١٠٥٠]- سورة الزخرف : ٣٢ .

[١٠٥١]- مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي : ٣٠٩ .

[١٠٥٢]- مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي : ٣١٠ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد حدث في تاريخنا وتاريخ غيرنا – كما في الواقع- أن همشت بعض الشرائح الاجتماعية فتوجهت جهودها إلى هدم الدولة وهدم المجتمع ، وصارت عامل قلق واضطراب . إذا كان الأمر على هذه الصّورة فإنّ من واجب الدول والمُفكرين والمُصلحين ، وكلّ من يهتم بالشأن العام أن يسلكوا السّبل كلها ، وأن يسنوا التشريعات كلها ، ويبذلوا الجهود التي من شأنها توسيع الشريحة الوسطى وتدعيمها لأنها تشكل متن المجتمع وصلبه ، ولا بد للصّلب أن يكون أقوى شيء فيما حوله .

إنَّ كثيراً مَن خذل الناس في الدّفاع عن مجتمعاتهم - يعود شعورهم إلى أنّ مجتمعاتهم لم تقدم لهم شيئاً- وقد قال أحدهم : لماذا أدافع عن مجتمع لم يطعمني من جوع ، ولم يؤمني من خوف ؟!!

وإنَّ اقتصاد السُّوق (الاقتصاد الحرّ) يحتاج إلى تدابير اجتماعية وقانونية كثيرة حتى لا يمزق أوصال المجتمع ، إذ أنه - بطبيعته- يزيد القويّ قوّة والضعيف ضعفاً ، ويزيد في التباعد بين الناس .

ونحن نعتقد أنّ الجهود الإصلاحيّة ما لم تفلح في تقوية الترابط الإنساني ، وإحداث التناغم الاجتماعي فإنّ الأحوال ستزداد سوءاً ، على الرَّغم ممَّا يتوهم من وجود تقدم وتحسن في حياة المسلمين .

والحياة الاجتماعيَّة قائمة على قاعدة معقدة من التوازنات ، وكلّ واحد منا يرغب في أن يندمج في مجتمعه ، لكنه يخشى في الوقت نفسه من ذوبان شخصيَّته فيه ، وهذا هو أوَّل المؤشرات على أنَّ التصافي الاجتماعي لا يُمكن مجتمعاتنا بما يوفر لها الصّحة ، وبما يوفر للمواطن الحد الأدنى من العيش الكريم .

كانت مواجهة أحداث العنف - في كثير من الأحيان- بعنف مماثل ، وحين يخرج أفراد على القانون فإنَّ ذلك يُفسَّرُ بأنهم مرضى أو منحرفون ، وأنهم يحتاجون إلى علاج وتأديب . لكن ما الحيلة حين تخرج الدولة التي ترعى القانون ، وتحميه من التجاوز على دستورها وقانونها وتعليماتها .

إنَّ ذلك يجعل الدَّولة تفقد مصداقيَّتها ، ويضعف شعور الناس بأنها ترعى المجتمع بأكمله وإنما تصبح طرفاً وخصماً مباشراً .[١٠٥٣]

## الفصل السّادس

## دور القرآن في إصلاح النظام الاقتصادي

إنَّ الله تعالى خلق الإنسان وتكفل برزقه ، قال تعالى : ژ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ژ ، وقال : ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ژ .[١٠٥٤] ومن طبيعة البشر أنهم إذا وُسِّع عليهم في الرّزق بالغوا في النفقة بما يصل بهم إلى حد الإسراف وقد بيَّن الله عزّ وجل أنَّ هذه هي طبيعة الإنسان ، فقال : ژ ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ژ ، وقال : ژ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ژ .[١٠٥٥]

---

[١٠٥٣]- ينظر: مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي : ٣١٠ – ٣١١ .

[١٠٥٤]- الآيتان في سورتي : الذاريات : ٢٢ ، هود : ٦ .

[١٠٥٥]- الآيات في سورتي : الشورى : ٢٧ ، العلق : ٦- ٧ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولمَّا كانت شريعة الإسلام قد أتت بكلّ ما يصلح العبد ، ويضمن له السّعادة في الدّارين فقد أمرتْ هذه الشريعةُ السّمحاء أبناءَها بالقصد في الأمور كلها ، ومنها أمر النفقة ؛ نظـرًا لأنّ هـذه الشـريعة لا تصادم الفطرة السّويّة ، فقد لبت حاجات الناس التي لابد لهم منهـا ، وأباحـت الانتفـاع بالطيّبـات والتوسعة على النفس والأهل ، بل والناس كذلك لكن من غير إسرافٍ ولا تبذير ، قال الله تعالى : ژ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ژ [١٠٥٦] ، وقال r : « كلوا وتصدقوا والبسوا في غير إسرافٍ ولا مَخِيلَة » .[١٠٥٧]

إنَّ دعوتنا إلى الاقتصاد في المعيشة والنفقة ليست دعوة إلى تحريم ما أحلّ الله من الطيّبـات : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ژ لكنَّها دعوة إلى التوسط والاعتدال الذي هو سِمة هذه الأمَّـة : ژ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ژ .[١٠٥٨]

ورسولنا r يُعلمنا أنَّ من المنجيات: " القصد في الفقر والغنى " ، ولهذا نهانا عن إضاعة المال الذي جعله الله لنا ؛ لنعف به أنفسنا ونحفظ به وجوهنا ونستغني به عن مد يد الحاجة إلى الناس : ژ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ژ .[١٠٥٩]

إنَّ الأفراد والدول الذين لا يجدون المال ويعيشون حياة الفقر والحاجة لا يحترمهم الآخرون وإنّ مـن أعظم الوسائل لحفظ هذه النعمة – نعمة المال– الاقتصاد في النفقة والاعتدال في المعيشة . قال بعض العلماء : " ما وقع تبذير في كثير إلا هدمه ، ولا دخل تدبير في قليل إلا ثمَّره " (يعني نمَّاه) .

إنَّ الاستغناء عن الناس يحفظ على العبد دينه وعزته كما قال جبريل u للنبـي r : « واعلـم أنَّ شرف المؤمن قيامه بالليل ، وعزه استغناؤه عن الناس » .[١٠٦٠]

ولو لم يكن ديننا يدعونا إلى الاقتصاد في النفقة والمعيشة ، لكان حال المسلمين المشرّدين المحرومين في كثير من بقاع الأرض دافعاً إلى ترك الإسراف ، والأخذ بمبدأ الاقتصاد ليعـين المسـلم إخوانـه المسلمين المحتاجين الذين لا يجدون ما يسد جوعتهم أو يستر عورتهم .

وحين ينظر المسلم إلى كثير ممّا يلبسه وإلى أكثر ما يستخدمه من آلات ومصنوعات دقيقة .. ثمّ يجد أنها صُنعت بأيد غير إسلاميّة يترسخ في حسّه وأعماق كيانه أننا أمّة دون الأمم الأخرى ، وأنّ هناك -ولا بد- أموراً ثقافية وحضاريّة معينة أدت بنا إلى عدم القدرة على تصنيع ما لدينا من مواد خـام وإلى العيش تحت وطأة شروط قاسيةٍ يضعها عدو لا يرحم .

لا يستطيع المرء أن يشعر بالتأنق والرّفاه والكرامة إذا لم يجد نفسه مكافئاً للآخـرين فيمـا ينتجونـه ويقدّمونه للبشريّة ، ولا ريب أنّ مدى التقدم الصناعي – خاصة - هو المعيار الدّقيق لقـدرة شـعب من الشعوب على استثمار موارده ، وتدريب أبنائه ، بل إنه معيار للتقدم العلمي والمعرفـي وسـنظل نستغلّ أسوأ استغلال ما لم نتمكن من إحداث نقلة صناعية نوعيّة نوفر من خلالهـا فـرص العمـل لملايين الأفواه الجائعة ، ونفرض من خلالها احترامنا على الصّعيد الدّولي ، ونداوي قبل ذلـك بهـا جرحاً غائراً في كبرياء مسلم اليوم ، إنّ طناً من الحديد الخام قد يُباع بألف دولار ، فإذا حوّلناه إلـى

---

[١٠٥٦]- سورة الأعراف : ٣١ .

[١٠٥٧]- سنن النسائي : باب: (الاختيال في الصدقة) ، رقم الحديث:(٢٥٥٩) :٧٩/٥ ، مسند أحمد : بزيادة: ((كلوا واشربوا وتصدقوا..)) ، برقم: (٦٦٩٥) :١٨١/٢ .. وكلاهما من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . وهو حديث حسن . ينظر: مشكاة المصابيح : ٤٩٤/٢ .

[١٠٥٨]- الآيتان في سورتي : الأعراف : ٣٢ ، البقرة : ١٤٣ .

[١٠٥٩]- سورة النساء : ٥ .

[١٠٦٠]- المعجم الأوسط : للطبراني : رقم الحديث: (٤٢٧٨) :٦٠٣/٤ ، شعب الإيمان ، للبيهقي : برقم: (١٠٥٤١) :٣٤٩/٧ .. وكلاهما من حديث سهل بن سعد الساعدي y . وهو حديث حسن . ينظر: السلسلة الصحيحة :٤٨٣/٢ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ساعات يدوية أمكن بيعه بمليون دولار وإنَّ (برميلاً) من النفط إذا أمكن استخدامه في صناعة ثيـــاب فاخرة كان عائده مائة ضعف .. وهكذا . فعمليات الإصلاح لا يجوز أن تقتصر على معالجة بعـــض القيم والمثل ، وإنما يجب أن تشمل جوانب الحياة كافة .[١٠٦١]

وفي ضوء المنهج الذي أشرتُ إليه مراراً في تقسيمي للفصول ، وسأذكر هنا بعض ما ورد في كتاب الله تعالى من آيات تبيّن خطوط الانحراف في هذا المجال ، وطريق الإصلاح الذي يجب أن يســلكه أفراد المجتمع الإسلامي ، وسيكون ذلك في المطالب الآتية ..

## المطلب الأوّل

## أثر القرآن في إحكام النظام الاقتصادي

إنَّ مَعالم النظام الاقتصادي الإسلامي القائم على أساس التوازن والاعتدال والوسطيَّة بين النظامين الرَّأسمالي والاشتراكي بارزة وواضحة ومشهورة .

فهو العدل الوسط بين النظامين المذكورين ، فنظامنا يقوم على أساس الحريّة الاقتصاديّة لقوله r : «... دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض » .[١٠٦٢] فلكلِّ فرد حق الكسب الحرّ ، ما لم يصادم الشرع كتجارة الخمور والمخدّرات والخنازير وصناعة الأوثان ، أو يلحق ضرراً بالأمّة والمجتمع كالمراقص والملاهي ؛ لأنّ " دفع المضارّ مقدّم على جلب المصالح "[١٠٦٣] ، و" درء المفاسد مقدّم على جلب المصالح "[١٠٦٤] و" يتحمّل الضرر الخاص لدفع الضرر العام " .[١٠٦٥]

ويقرّ القرآن الكريم بنظام الملكيّة الشخصي أو الفردي ، لقوله تعالى : ژ گ گ گ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ژ[١٠٦٦] ما لم يكن التملك من مصدر محظور شرعاً كالرِّبا والميسر والاحتكار والسَّرقة والمصادرة والغش والإكراه والتدليس والغبن مع التغرير ونحو ذلك ، وما لم تصبح الملكيّة سبيلاً للسّلطان المطلق والظلم .[١٠٦٧]

ويُقرُّ الإسلامُ بحقوق المجتمع أو الجماعة أو الدّولة بجوار حقوق الأفراد ، حفاظاً على المصلحة العامّة وتضامن المجتمع ، فللجماعة حق في أموال الأفراد عن طريق فرض الزكاة قال تعالى : ژ گ گ گ گ ں ڻ ڻ ژ[١٠٦٨] ، وتحقيق التكافل الاجتماعي من خلال التوزيع العادل وفقاً لما حدّده الله تعالى في مصارف الزكاة : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٺ ٺ ٺ ٺ ڀ ڀ ڀ ڀ ٻ ٻ ٻ ٻ ژ[١٠٦٩] ، وذلك تحقيقاً لمبدأ التكافل الاجتماعي بين المسلمين حيث يلتزم الأغنياء بسدّ حاجة الفقراء في المجتمع المسلم.

---

١٠٦١- ينظر: مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي : ٢٨٩ – ٢٩٠ .

١٠٦٢- صحيح مسلم : باب: (تحريم بيع الحاضر للبادي) ، رقم الحديث: (١٥٢٢) : ١١٥٧/٣ ، سنن الترمذي ، وقال عنه :(حديث حسن صحيح) : باب: (ما جاء لا يبيع حاضر لباد) ، برقم: (١٢٢٣) : ٥٢٦/٣ ، سنن النسائي : باب: (بيع الحاضر للبادي) ، برقم: (٤٤٩٥) : ٢٥٦/٧ ، سنن ابن ماجه : باب: (النهي أن لا يبع حاضر لباد) ، برقم: (٢١٧٦) : ٧٣٤/٢ .

١٠٦٣- ينظر: الفوائد في اختصار المقاصد : ٣٤/١ .

١٠٦٤- ينظر: الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول (للبيضاوي) : ٣/ ٦٥ .

١٠٦٥- ينظر: شرح القواعد الفقهية : ١١٥ .

١٠٦٦- الآيتان في سورتي : البقرة : ١٨٨ ، النساء : ٦ .

١٠٦٧- ينظر: وسطية الإسلام وسماحته : ٢٩- ٣٠ .

١٠٦٨- سورة التوبة : ١٠٣ .

١٠٦٩- سورة التوبة : ٦٠ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتوفير حقوق وحاجيات الدِّفاع عن الأوطان ، وفرض الضرائب العادلة المحققة للمصلحة العامّة وكفاية الفقراء ، وإيجاب الوفاء بالنذور ، والكفارات ، وإخراج صدقات الفطر في رمضان قبيل صلاة عيد الفطر ، وتوزيع الأضاحي في عيد الأضحى ، والإنفاق على الأقارب .

ولا يسمح الإسلام بأن تطغى مصلحة الفرد على مصلحة المجتمع ، ولا أن تطحن مصلحة الدّولة مصلحة الفرد . ويجوز في الإسلام التملك الجبري أو نزع الملكيّة[١٠٧٠] للصّالح العام كتوسعة مسجد أو طريق أو بناء مصنع ، أو ثكنة عسكريّة . وحق العمل وتوفير فرصه وتحقيق التكافؤ بين الفرص وإنهاء البَطالة حق مقرّر لكلّ إنسان .[١٠٧١]

ولا يصح جعل الملكيَّة الخاصّة سبباً لإضرار الآخرين ، كما لا يجوز شرعاً التعسّف في استعمال الحق ، لقوله r : « لا ضرر ولا ضرار » .[١٠٧٢]

ويُمكن تقييد الملكيَّة وتحديد سقف أعلى لها أو حظرها للمصلحة العامَّة ؛ لأنَّ طاعة وليِّ الأمر واجبة وله سلطة تقييد المباح[١٠٧٣] عند جماعة من الفقهاء ، لقوله تعالى : ژ ى ى يي ژ[١٠٧٤]، وأولو الأمر في المعرفة هم العلماء ، وفي السِّياسة هم الأمراء والولاة والحكام .[١٠٧٥]

وأساس النظام الاقتصادي الإسلامي : مراعاة الحق والعدل والمساواة وإشاعة عاطفة التراحم والمودّة والإحسان والتكافل ، دون تظالم ولا اغتصاب ولا اعتداء على الحقوق المشروعة ويهدف هذا النظام لتحقيق الرّخاء للجميع ، ومحاربة الفقر والجهل والمرض والتخلف .[١٠٧٦]

## المطلب الثاني

## دور القرآن في إصلاح كسب المال وإنفاقه

سلكَ الناسُ - ولا يزالون- مسالك شتى في هذا المال ، كسباً ، وجمعاً ، وإنفاقاً ، والكثرة منهم ، بل الغالبيّة العظمى ضلوا الطريق ، وحادوا عن سواء السَّبيل . وجاء القرآن الكريم مبينًا خطورة هذا الانحراف ، في عدّة آيات ؛ ليهديهم إلى الصّراط المستقيم ومن تلك الآيات التي تبيّن خطورة هذا الانحراف –الانهماك- في جمع المال والمبالغة فيه ، والإفراط في حبه – والتي سأذكرها تباعاً متضمّناً ذلك أقوال المفسرين ليزداد الأمر وضوحاً في ذمّ هذا المسلك- منها :

---

[١٠٧٠]- تعني المِلكيَّة في اصطلاح الفقهاء : ( الاختصاص ، والعَلاقة الشرعيّة بين الإنسان والشيء ، التي ترتب له حق التصرّف فيه وتحجز الغير عن هذا التصرّف ، وهو قدرة يثبتها الشرع ابتداءً على التصرّف إلا لمانع ) . مفاهيم إسلامية : ٢٩١ .

[١٠٧١]- ينظر: وسطية الإسلام وسماحته : ٣١ .

[١٠٧٢]- موطأ مالك ، من حديث عمرو بن يحيى المازني عن ابيه (مرسلاً) : باب: (القضاء في المرفق) ، برقم: (١٤٢٩) : ٧٤٥/٢، مسند أحمد ، من حديث ابن عباس : برقم: (٢٨٦٧) : ٣١٣/١ ، وعلق الشيخ الأرنؤوط عليه بأنه :(حسن) ، سنن الدار قطني، من حديث ابي سعيد الخدري : برقم : (٢٨٨) : ٧٧/٣ ، المعجم الكبير ، من حديث ابن عباس : برقم : (١١٥٧٦) :٢٢٨/١١ . وهو حديث صحيح ، ذكره الألباني في : إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل :٤٠٨/٣ .

- وقوله : ((لا ضرر ولا ضرار)) : قيل إنهما لفظتان بمعنى واحد تكلم بهما جميعاً على وجه التأكيد . وقال ابن حبيب :(الضرر عند أهل العربية الاسم والضرار الفعل قال ومعنى لا ضرر لايدخل على أحد ضرر لم يدخله على نفسه ومعنى لا ضرار لا يضار أحد بأحد) ، وقال الخشني :(الضرر الذي لك فيه منفعة وعلى جارك فيه مضرة ، والضرار الذي ليس لك فيه منفعة وعلى جارك فيه المضرّة وهذا وجه حسن المعنى في الحديث ) . التمهيد : ٢٠/ ١٥٨ .

[١٠٧٣]- وهي من ألفاظ علماء الأصول . ينظر: أصول السّرخسي : ١/ ٢٨ .

[١٠٧٤]- سورة النساء : ٥٩ .

[١٠٧٥]- ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ٢٧١ ، وسطية الإسلام وسماحته : ٣١ .

[١٠٧٦]- ينظر: وسطية الإسلام وسماحته : ٣٢ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* قوله تعالى : ژ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ژ .[١٠٧٧] قالوها هرباً من الجهاد وتقية ومصانعة بألسنتهم دون قلوبهم ، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:" يقول تعالى مخبراً رسوله r بما يعتذر به المخلفون من الأعراب الذين اختاروا المُقام في أهليهم وشغلهم وتركوا المسير مع رسول الله r ، فاعتذروا بشغلهم بذلك وسألوا أن يستغفر لهم الرَّسول r ، وذلك قول منهم لا على سبيل الاعتقاد ، بل على وجه التقية والمصانعة ، ولهذا قال تعالى : ژ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ژ أي : لا يقدر أحد أن يرد ما أراده فيكم تعالى وتقدس وهو العليم بسرائركم وضمائركم ، وإن صانعتمونا وتابعتمونا ؛ ولهذا قال:ژ ک ک ک ک گ گ گ گ ژ".[١٠٧٨]

* وقوله تعالى : ژ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮲ ﮳ ﮴ ﮵ ژ .[١٠٧٩] ومعنى: ژ ۓ ۓ ﮲ ﮳ ﮴ ﮵ ژ " إنَّ الإنسان لحبِّ المال لشديد " .[١٠٨٠] وفي تحديد هذا المعنى مذهبان :

أحدهما: أنَّ المعنى: وإنه لشديد المحبة للمال .

والثاني: وإنه لحريص بخيل ؛ من محبة المال .. وكلاهما صحيح .[١٠٨١]

* وقوله سبحانه : ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ژ .[١٠٨٢]

عن قتادة عن مطرف عن أبيه قال : أتيتُ النبيَّ r ، وهو يقرأ : ژ ژ ڑ ڑ ژ ، قال : « يقول ابن آدم مالي مالي (قال) وهل لك يا ابن آدم من مالكَ إلا مَا أكلتَ فأفنيتَ ، أو لبستَ فأبليتَ ، أو تصدقت فأمضيتَ ؟ » .[١٠٨٣]

وفسَّرَ الطبري قوله تعالى: ژ ژ ڑ ڑ ژ بمعنى: " ألهاكم أيّها الناس المباهاة بكثرة المال والعدد عن طاعة ربكم ، وعمَّا ينجيكم من سخطه عليكم " .[١٠٨٤]

* وقوله جلَّ وعلا : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ژ .[١٠٨٥] وهذا تهديد ووعيد آخر فيمن انهمك في جمعه للمال وحسب أنه سيخلده في الدّنيا ، ففي معنى قوله : ژٹ ٹ ٹ ٹ ڦ ڦ ژ " أي : جمعه بعضه على بعض، وأحصى عدده ، كقوله : ژ چ چ چ ژ[١٠٨٦] ، قاله السّدي ، وابن جرير . وقال محمَّد بن كعب في قوله: ژٹ ٹ ٹ ٹ ڦ ڦ ژ : ألهاه ماله بالنهار ، هذا إلى هذا ، فإذا كان الليل ، نام كأنه جيفة " .[١٠٨٧]

---

[١٠٧٧]- سورة الفتح : ١١ .

[١٠٧٨]- تفسير القرآن العظيم : ٣٣٧/٧ .

[١٠٧٩]- سورة العاديات : ٦- ٨ .

[١٠٨٠]- جامع البيان في تأويل القرآن : ٥٦٧/٢٤ .

[١٠٨١]- تفسير القرآن العظيم : ٤٦٧/٨ .

[١٠٨٢]- سورة التكاثر : ١- ٤ .

[١٠٨٣]- صحيح مسلم :كتاب: (الزهد والرقائق) ، رقم الحديث: (٢٩٥٨) :٢٢٧٣/٤ ، سنن الترمذي : باب: (ومن سورة التكاثر) ، برقم: (٣٣٥٤) :٤٤٧/٥ ، سنن النسائي : باب: (الكراهية في تأخير الوصية) ، برقم: (٣٦١٣) :٢٣٨/٦ ، مسند أحمد : برقم: (١٦٣٤٩) :٢٤/٤ .

[١٠٨٤]- جامع البيان في تأويل القرآن : ٥٧٩/٢٤ .

[١٠٨٥]- سورة الهمزة : ١- ٥ .

[١٠٨٦]- سورة المعارج : ١٨ .

[١٠٨٧]- تفسير القرآن العظيم : ٤٨١/٨ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقوله : ژ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ژ أي: يظنُّ أنَّ جمعه المال يخلده في هذه الدَّار ؟ ژ ڃ ڃ ژ أي: ليس الأمر كما زعم ولا كما حسب .[١٠٨٨]

وكذلك قال المفسِّر البغوي : " ژ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ژ في الدُّنيا ، يظنُّ أنه لا يموت مع يساره ژ ڃ ڃ ژ رَدّاً عليه أن لا يخلده ماله " .[١٠٨٩]

.. والآيات بهذا الخصوص كثيرة جداً ، لا يسعنا المجال لسردها كلها . بيدَ أننا نقول إنَّ الآيات التي ذكرت وآراء المفسرين حولها يُعطي دلالة واضحة المعالم على خطأ هؤلاء الناس المفرطين الذين اتخذوا من المال عزاً وجاهاً وبقاءً ، حتى انقلب عليهم وبالاً .. وليس هذا موضوعنا ، ولكن ما يهمّنا الآن كيفية إصلاح ذلك الحب المفرط ؟

إنَّ القرآن الكريم ليس ضد جمع المال – كما يتوهم بعض الناس- ، بل إنه أمر مشروع جاءت الآيات الكثيرة تبيّن مشروعيّته وأهميّته ، ومن ذلك قوله تعالى مبيناً أنَّ المال من الله – كما تقدم- : ژ چ چ چ چ ڇ ڇ ژ ، وقال ممتناً على بني إسرائيل : ژ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ژ[١٠٩٠] ويقول نوح u لقومه داعياً إيَّاهم إلى الإيمان ومبيِّناً عاقبة ذلك في الدُّنيا قبل الآخرة : ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ژ .[١٠٩١] وقال سبحانه آمراً بالمحافظة على المال الذي هو من الله : ژ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ژ ، وقال : ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ژ ، وقال : **(**وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَأُوهَا**)** ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ژ .[١٠٩٢]

إذن فكما أنَّ القرآن الكريم يُحذر من الإغراق في حبّ المال ، وقضاء الحياة في جمعه وتحصيله دون أداء حق الله فيه ، ويبيِّن عاقبة من كانت هذه حاله ، فإنه لا يرضى بالإعراض عن المال بالكليِّة ، قال تعالى : ژ ى ى ې ې ې ې ژ[١٠٩٣] ، بل إنه يُقرُّ جمع المال وتحصيله ، ويشرع السُّبل الصَّحيحة لذلك في كسب المال ، قال تعالى : ژ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ژ ، وقال : ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ژ .[١٠٩٤] ومن هنا جاءت الآيات تبيِّن الخطوط العريضة والمنطلقات الشرعيَّة في كسب المال وتحصيله ، وجاءت القاعدة التي تفرَّعت عنها القواعد كلها : ژ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ژ . إذن فكسب المال مشروع ، ولكن ليس كلّ طريق يؤدي إلى ذلك جائز ومحمود ..

وسأذكر بعض ما ورد من آيات تنهي عن بعض أوجه الكسب المحرَّمة ، ليتضح من خلال ذلك أنَّ هنالك منهجاً إصلاحيّاً متوسطاً لا إفراط فيه ولا تفريط : فقد نهى الله عن الربِّا ، وبيِّن أنه من الكسب المُحرَّم ، بل غلظ الله في عقوبة هذا الكسب الذي أفرط فيه كثير من الناس - ولاسيَّما في عصرنا الحاضر- حتى قلّ أن يسلم أحدٌ من الربّا أو من غباره ، قال تعالى : ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ژ ، وقال: ژ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ژ ، وقال ژ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ژ ، وقال : ژ ژ .[١٠٩٥]

---

[١٠٨٨]- المصدر نفسه .
[١٠٨٩]- معالم التنزيل : ٥٣٠/٨ .
[١٠٩٠]- سورة النور : ٣٣ ، الإسراء : ٦ .
[١٠٩١]- سورة نوح : ١١- ١٢ .
[١٠٩٢]- الآيات الثلاث في سورة : النساء : ٥ ، الكهف : ٤٦ ، الأحزاب : ٢٧ .
[١٠٩٣]- سورة القصص : ٧٧ .
[١٠٩٤]- سورة آل عمران : ١٤ ، الكهف : ٤٦ .
[١٠٩٥]- الآيات – بالترتيب- في سورتي : البقرة : ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، آل عمران : ١٣٠ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكذلك من طرق الكسب المحرَّمة : الميسر : وهو القمار ، كذا قال ابن عباس ، وابن عمر، وقتادة وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، ومكحول ، والسّدي ،.. وغيرهم **y** .[١٠٩٦]

وقد جاءت بعض الآيات تبيِّن إصلاحه وحكمه وأنَّ الله قد حرَّمه ، قال تعالى : ژ ۋ ۉ ۉ ې ې ې ژ ، وقال : ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ژ .[١٠٩٧]

وكذلك من أوجه الكسب المُحرَّم أكل مال اليتيم ، قال جلَّ وعلا : ژ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ ژ .[١٠٩٨] وبالجملة فكلُّ مال أُخذ بالباطل فهو مُحرَّم ، ولذلك جاءت الآيات تنهى عن أكل المال بالباطل فقال سبحانه : ژ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ژ ، وقال : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ژ .

وقد بيَّنَ القاضي أبو يعلي معنى الباطل هنا ، وحدَّده في وجهين[١٠٩٩] :

الأوّل: أن يأخذه بغير طيب نفس من مالكه كالسّرقة والغصب والخيانة .

والثاني: أن يأخذه بطيب نفسه كالقمار والغناء وثمن الخمر .

وبعد إن انتهينا من ذكر بعض الآيات الدَّالة على مشروعيَّة كسب المال ، وكيفيَّة ذلك إصلاحاً .. وجب علينا الآن أن نتعرَّضَ إلى الآيات التي تُقرِّر المنهجَ الإصلاحي في إنفاق المال . والناس في هذا الجانب على صنفين: صنف قابض يديه ، مقتر ، وهو البخيل . وصنف: مسرف مبذر ، باسط يده كلّ البسط ، والذي يضع المال في غير محله ، وكلاهما منهيٌّ عنهما ... وإليك الآيات القرآنيَّة في ذلك، مع أقوال المفسِّرين - بإيجاز - فعن الصنف الأوَّل :

* قال تعالى: ژ ى ى ې ې ژ .[١١٠٠] بيَّنَ المفسِّرون معنى كلمة (البخل) هنا في هذا الموضع بمنع الزكاة[١١٠١] ؛ لقوله **r** : « مَنْ آتاهُ اللهُ مالاً فلم يؤدِّ زكاته مثل له ماله شجاعاً أقرع له زبيبتان يُطوّقهُ يومَ القيامةِ يَأخذُ بلهزمتيه - يعني بشدقيه- يقول: أنا مَالُكَ أنا كَنْزُكَ » .. ثمَّ تلا هذه الآية : ژ ى ى ې ې ژ .[١١٠٢]

* وقال جلَّ وعلا: ژ ى ى ې ې ژ .[١١٠٣]

ذكر الطبري معنى ذلك بقوله : " إنَّ الله لا يحبّ المختال الفخور ، الذي يبخل ويأمر الناسَ بالبخل " .[١١٠٤]

* وقال سبحانه: ژ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ژ .[١١٠٥] قال الحافظ ابن كثير : " يقول تعالى لرسوله **r** قل لهم يا مُحمَّد : لو أنكم - أيها الناس- تملكون التصرّف في خزائن الله ، لأمسكتم خشية الإنفاق . قال ابن عباس ، وقتادة : أي الفقر ، أي : خشية أن تذهبوها مع أنها لا تفرغ ولا تنفد أبداً ؛ لأنَّ هذا من طباعكم وسجاياكم ، ولهذا قال : ژ ہ ہ ھ ھ ژ ، قال ابن عباس ، وقتادة : أي بخيلاً منوعاً .[١١٠٦] وقال الله تعالى : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ژ [١١٠٧]، أي: لو أنَّ لهم نصيباً في مُلك الله لما

---

[١٠٩٦]- ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن : ٣٢٤/٤- ٣٢٥ ، زاد المسير : ٢٤٠/١ ، تفسير القرآن العظيم : ١٧٨/٣ .

[١٠٩٧]- سورة البقرة : ٢١٩ ، المائدة : ٩٠- ٩١ .

[١٠٩٨]- سورة النساء : ١٠ .

[١٠٩٩]- نقله ابن الجوزي رحمه الله في تفسيره : زاد المسير : ١٩٤/١ .

[١١٠٠]- سورة آل عمران : ١٨٠ .

[١١٠١]- ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن : ٤٣٢/٧ ، معالم التنزيل : ١٤٢/٢ ، تفسير القرآن العظيم : ١٧٤/٢ .

[١١٠٢]- صحيح البخاري : باب: (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله..) ، رقم الحديث: (٤٢٨٩) : ١٦٦٣/٤ ، مسند أحمد : برقم : (٨٦٤٦) :٣٥٥/٢ ... وكلاهما من حديث أبي هريرة **t** .

[١١٠٣]- سورة الحديد : ٢٣- ٢٤ .

[١١٠٤]- جامع البيان في تأويل القرآن : ٣٥٠/٨ .

[١١٠٥]- سورة الإسراء : ١٠٠ .

[١١٠٦]- تفسير القرآن العظيم : ١٢٤/٥ .

[١١٠٧]- سورة النساء : ٥٣ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أعطوا أحداً شيئاً ، ولا مقدار نقير ، والله تعالى يصف الإنسان من حيث هو ، إلا من وفقه الله وهداه ؛ فإنَّ البُخل والجزع والهلع صفة له ، كما قال تعالى : ژ ڃ ڃ چ چ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ ژ " .[١١٠٨]

.. وغيرها من الآيات ، فهذا بالنسبة للصنف الأوّل ، وهم القابضون أيديهم ، البخلاء بأموالهم عن أنفسهم وأهليهم وذويهم وفصيلتهم التي تؤيهم ، إذ أوضح القرآن الكريم خطر هذا الاتجاه وانحرافه .

وأمّا الصنف الثاني المقابل وهو الباسط يديه ، من غير عقلانيّةٍ ، فقد قال تعالى :

* ژ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئي ئي ی ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم كى كي لج لح لخ لم لى لي مج مح مخ مم نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خح خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ نج نح نخ نم نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خح خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ ژ .[١١٠٩]

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله : ژ ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئي ئي ی ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم كى كي لج لح لخ لم لى لي مج مح مخ مم نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خح خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ نج نح نخ نم نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خح خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ ژ : (( المبذّر : المنفق في غير حقه)).[١١١٠] وكذا قال ابن مسعود t [١١١١] . وعن قتادة t قال : ( التبذير: النفقة في معصية الله وفي غير الحقّ وفي الفساد ) .[١١١٢] وقال مجاهد t : ( لو أنفق إنسان ماله كله في الحق، لم يكن مبذراً ، ولو أنفق مداً في غير حقه كان تبذيراً ) .[١١١٣]

وفي الحديث عن أنس بن مالك t قال : أتى رجلٌ من بني تميم رسولَ اللهِ r ، فقال : يا رسول الله إني ذو مال كثير ، وذو أهل وولد وحاضرة ، فأخبرني كيف أنفق؟ وكيف أصنع؟ فقالَ رسولُ اللهِ r : « تخرج الزكاة من مالك ، فإنها طهرة تطهرك ، وتصل أقرباءك وتعرف حق السّائل والجار والمسكين » . فقال يا رسول اللهِ : أقلل لي . قال : « فـــ ژ ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئي ئي ی ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم كى كي لج لح لخ لم لى لي مج مح مخ مم نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خح خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ ژ » . فقال : حسبي يا رسول الله إذا أديتُ الزكاة إلى رسولك فقد برئتُ منها إلى الله ورسوله؟ فقال رسول r : « نعم إذا أديّتها إلى رسولي ، فقد برئتَ منها ، فلك أجرها وإثمها على من بدلها » .[١١١٤]

وعن علة تشبيه المبذر بالشيطان ، في قوله تعالى : ژ ى ى ي ي ژ فقد بيَّنها ابن الجوزي بقوله : " لأنهم يوافقونهم فيما يدعونهم إليه ، ويشاكلونهم في معصية الله ژ ي ي ژ أي : جاحداً لنعمه وهذا يتضمَّن أنَّ المسرف كفور للنعم " .[١١١٥]

وعن تخصيص هذا الوصف بالذكر قال أبو السّعود : " وتخصيص هذا الوصف بالذكر من بين سائر أوصافه القبيحة ؛ للإيذان بأنّ التبذير الذي هو عبارة عن صرف نعم الله تعالى إلى غير مصرفها من باب الكفران المُقابل للشكر ، الذي هو عبارة عن صرفها إلى ما خلقت هي له ، والتعرض لوصف الرّبوبيّة للإشعار بكمال عتوّه ، فإنّ كفران نعمة الرّب مع كون الرّبوبيّة من قوى الدّواعي إلى شكرها غاية الكفران ونهاية الضلال والطغيان " .[١١١٦]

.. وبهذا يكون الأمر جليّاً ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ژ[١١١٧]. إذ دلت الآيات السَّابقات بمفهومهنَّ على أنَّ طريق الإصلاح والاعتدال – التوسط- ، هو المنهج الحق والقويم في إنفاق المال وقد صرَّحت الآيات اللاحقات بذلك :

* قال تعالى ، واصفاً المؤمنين : ژ ى ى ي ي ژ .[١١١٨]

---

[١١٠٨]- الآيات الأربع الأخيرة في سورة المعارج : ١٩- ٢٢ . تفسير القرآن العظيم : ١٢٤/٥ .
[١١٠٩]- الآيتان في سورتي : الأنعام : ١٤١ ، الإسراء : ٢٦- ٢٧ .
[١١١٠]- أورده الطبري في تفسيره جامع البيان في تفسير القرآن : ٤٢٩/١٧ .
[١١١١]- المصدر نفسه : ٤٢٨/١٧ .
[١١١٢]- المصدر نفسه : ٤٢٩/١٧ .
[١١١٣]- أورده الحافظ ابن كثير في تفسيره للقرآن العظيم : ٦٩/٥ .
[١١١٤]- أخرجه أحمد في مسنده : رقم الحديث: (١٢٤١٧) :١٣٦/٣ . وعلق عليه المحقق شعيب الأرنؤوط قائلاً : " رجاله ثقات ، رجال الشيخين " .
[١١١٥]- زاد المسير :٢٨/٥ .
[١١١٦]- إرشاد العقل السّليم إلى مزايا القرآن الكريم ، والمعروف بـ(تفسير أبي السعود) : ١٦٨/٥ .
[١١١٧] - سورة ق : ٣٧ .
[١١١٨]- سورة الفرقان : ٦٧ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال النحاس : " وأحسن ما قيل في قوله عزَّ وجل : ژ ى ى ې ې ژ ، مَنْ أنفقَ في غير طاعة الله عزَّ وجلَّ فهو الإسراف ، ومن أمسكَ عن طاعة الله عزَّ وجلَّ فهوالإقتار، ومن أنفقَ في طاعة الله عزَّ وجلَّ فهو القِوام ، ژ ې ې ژ أي: عدلا".[١١١٩]

وذهب ابن كثير إلى أنَّ المعنى : " ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة ، ولا بُخلاء على أهْليهم فيُقصِّرون في حقهم فلا يكفونهم ، بل عَدْلا خيارًا ، وخير الأمور أوسطها لا هذا ولا هذا، ژې ې ژ ، كما قال : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ژ ".[١١٢٠] وهذا هو جماع القول في إصلاح المال كسباً وإنفاقاً . وجعل سيد قطب القصد في المال والاعتدال فيه والتوازن ، نموذجاً للحياة ، وعكسه مفسدة للنفس والمال والمجتمع .

حتى قال رحمه الله : " وهذه سِمة الإسلام التي يحققها في حياة الأفراد والجماعات ، ويتجه إليها في التربية والتشريع ، يُقيم بناءه كله على التوازن والاعتدال . والمسلم مع اعتراف الإسلام بالملكيّة الفردية المقيّدة ليس حُرّاً في إنفاق أمواله الخاصّة كما يشاء كما هو الحال في النظام الرَّأسمالي[١١٢١]، وعند الأمم التي لا يحكم التشريع الإلهي حياتها ، إنما هو مقيّد بالتوسط في الأمرين الإسراف والتقتير فالإسراف مفسدة للنفس والمال والمجتمع ، والتقتير مثله حبس للمال عن انتفاع صاحبه به وانتفاع الجماعة من حوله فالمال أداة اجتماعيّة لتحقيق خدمات اجتماعيّة . والإسراف والتقتير يُحدثان اختلالاً في المحيط الاجتماعي والمجال الاقتصادي ، وحبس الأموال يُحدث أزمات ومثله إطلاقها بغير حساب ذلك فوق فساد القلوب والأخلاق " .[١١٢٢]

وممَّا سبقَ يتضحُ انحرافَ كلّ من المنهج الرَّأسمالي والمنهج الاشتراكي ، فالنظام الرّأسمالي يقوم على حريّة الفرد في عمل ما يروق له من الأعمال التجارية. فهي تعني حريّة الاستثمار وحرية الفرد في التملك ، الحريّة المطلقة ، فهو حرّ في البحث عن الرّبح بشتى الوسائل والطرق .[١١٢٣]

والملكيَّة الفرديَّة مقدَّسة ، لا تمسّ ، ولا يحدّها ضابط أو قيّد ، حتى لو أدّت هذه الملكيَّة لاحتكار المالك للسّلعة . إنَّ هذه الحُريَّة ، بل هذه الفوضويَّة المطلقة - كان لها نتائج عكسيَّة على المجتمع ، إذ أوقدت نار الاحتكار والأنانيَّة الفرديَّة .. وبالتالي تحوَّلت الحياة الاقتصاديَّة إلى شريعة غاب يأكل فيها القويُّ الضعيفَ ، وأدّى هذا إلى تكدس رءوس الأموال في يد طبقةٍ معيّنةٍ من أصحاب رؤوس الأموال ويُقابلهم طبقة العمَّال الذين لا حول لهم ولا قوّة . ويقابل المنهج الرّأسمالي المنهج الاشتراكي ، إذ قام على فكرة وفلسفة انتقال السّيطرة على المال من أيدي أصحاب رؤوس الأموال إلى أيدي الطبقة العاملة إذ قامت على أسس من أبرزها[١١٢٤] :

١- إلغاء الملكيَّة الفرديَّة ، وتأميم الممتلكات التجاريَّة والصّناعيَّة ، بدعوى مصلحة الجميع والأفراد يؤدّون أعمالاً للدولة نظير أجور متساويةٍ .

٢- توزيع السِّلع والمنتوجات الاستهلاكيّة كلٌّ وفق حاجته ، فالاقتصاد الاشتراكي يعتمد على دعوى- تغليب مصلحة المجتمع ، ويجعل الدّولة مالكة لكلّ شيء، وموجهة للاقتصاد ، فلا يكاد يوجه للأفراد حقوق تذكر ، من التملك والتنقل أو اختيار العمل فأفقر الغني ولم يُغن الفقير .

..وبهذا ففي هذين النظامين يتمثل الإفراط والتفريط في أبشع صورة . أمَّا منهج القرآن الكريم - كما سبق- يختلف عنهما اختلافاً كليًّا . إذ يدعو – من خلال الاعتدال الاقتصادي- إلى إصلاح المجتمع

---

[١١١٩]- معاني القرآن : ٤٨/٥- ٤٩ .

[١١٢٠]- الآية الأخيرة في سورة الإسراء : ٢٩ . تفسير القرآن العظيم : ١٢٣/٦- ١٢٤ .

١١٢١- وتعني كلمة الرأسمالية : بـ(النظام الاقتصادي الذي يقوم على الملكيّة الخاصّة لموارد الثروة) . المعجم الوسيط : إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات ، وغيرهما :٦٦٣/١ .

[١١٢٢]- في ظلال القرآن : ٢٥٧٨- ٢٥٧٩ .

[١١٢٣]- الوسطية في ضوء القرآن : للشيخ ناصر بن سليمان العمر ، بحث منشور على موقع : الإسلام (http://www.al-islam.com) : ٣٢١ .

[١١٢٤]- المرجع نفسه : ٣٢٢ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والتكافل والتضامن الإجتماعي والعدالة الاجتماعيّة ، واختيار طريق يتفق وواقعيّة الدّول الإسلاميّة ، لا رأسماليَّة ولا اشتراكية ، بل طريقة إسلاميّة تؤكد ملكية الفرد ومصالح المجتمع ، وسطيّة وتوازنيّة بين الإنتاج والاستهلاك ، وتنمية الموارد وحماية البيئة ، والتطوّر المستمر . وتنادي بحكم البلاد وإدارة شؤون المجتمع على أساس الشورى ، وتحارب الاستبداد والفساد والاستغلال والظلم .[١١٢٥]

فهو آخذ بمصلحة الفرد ومصلحة المجتمع في وقتٍ واحدٍ ، وهو يحترمُ الملكيّة الفرديّة ويقرّها، لأنها توافق الفطرة الإنسانيّة ، ولكنه لا يُقرّها مطلقة من غير قيود ، فيترك الحبل على الغارب هكذا ، بل جعل لها ضوابط وقيود تحول دون الاعتداء على مصلحة المجتمع وكذلك يحترم مصلحة المجتمع دون التعدي على مصلحة الفرد .. وبهذا يتحقق إصلاح المال في أبهى صوره .

## المطلب الثالث

## دور القرآن في إصلاح المال وحفظه

إنَّ قضية المال من القضايا الكبرى التي عنى بها القرآن الكريم كسبًا ، وحفظًا ، وإنفاقا وإنَّ من شأن الإسلام دائماً مع النزعات الفطريّة للإنسان إذ يبيح إشباعها ويلبّي مطالبها ضمن الحدود المعقولة مع التهذيب والترشيد حتى تستقيم وتحقق الخير للإنسان ولا تعود عليه بالشرِّ ، شأنه هذا مع نزعة حبّ التملك الأصليّة في الإنسان ، وقد أباح الملكيّة الفرديّة وشرَعَ في ذات الوقت من النظم والتدابير ما يتدارك الآثار الضارّة التي قد تنجم عن طغيان هذه النزعة من فقدان للتوازن الاجتماعي، وتداول للمال بين فئةٍ قليلةٍ من المجتمع ، ومن النظم التي وضعها لأجل ذلك نظم الزكاة والإرث والضمان الاجتماعي ، ومن ثمَّ عد الإسلام المال ضرورة من ضروريات الحياة الإنسانيَّة ، وشرَعَ من التشريعات والتوجيهات ما يشجِّع على اكتسابه وتحصيله ، ويكفل صيانته وحفظه وتنميته ، وذلك على النحو الآتي :

أولاً: وسائل الحفاظ على المال إيجاداً وتحصيلاً ، ومن أهمِّها[١١٢٦] :

١- الحث على السَّعي لكسب الرِّزق وتحصيل المعاش ، فقد حثّ الإسلام على كسب الأموال باعتبارها قِوام الحياة الإنسانيّة واعتبر السّعي لكسب المال- إذا توفرت النيّة الصّالحة وكان من الطرق المباحة - ضرباً من ضروب العبادة وطريقاً للتقرّب إلى الله تعالى القائل : ژ ڈ ڈ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ژ .[١١٢٧] والسَّعي في السَّبب - الكسب- لا يُنافي التوكل .[١١٢٨]

٢- رفع منزلة العمل كما رفعها الإسلام وأعلى من أقدار العمَّال ، قال رسول r : « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من عمل يده وإنَّ نبيَّ الله داود كان يأكل من عمل يده » .[١١٢٩] وقرَّر

---

[١١٢٥]- وسطية الإسلام : ٢٦ .

[١١٢٦]- ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية : ٢٧- ٢٩ .

[١١٢٧]- الآيتان في سورتي : الملك : ١٥ ، الجمعة : ١٠ .

[١١٢٨]- ينظر: تفسير القرآن العظيم : ١٧٩/٨ .

١١٢٩- صحيح البخاري ، من حديث المقدام رضي الله عنه : باب: (كسب الرجل وعمله بيده) ، رقم الحديث: (١٩٦٦) :٧٣٠/٢ .

- (وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده ). بيّن ذلك المناوي بقوله : " في الدروع من الحديد ويبيعه لقوته . وخصّ داود لكون اقتصاره في أكله على عمل يده لم يكن لحاجة ؛ لأنه كان خليفة في الأرض ، بل أراد الأفضل . وفيه أنّ الكسب لا ينافي التوكل وأن ذكر الشيء بدليله أوقع في النفس وجواز الإجارة إذ عمل اليد أعمّ من كونه لغيره أو نفسه " . فيض القدير شرح الجامع الصغير : ٤٢٥/٥ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حق العمل لكلِّ إنسان وجعل من واجب الدّولة توفير العمل لمن لا يجده ، وقرَّرَ كرامة العامل وأوجب الوفاء بحقوقه الماديّة والمعنويّة ، يقول r : « أعطوا الأجيرَ حقه قبل أن يجفّ عرقهُ » .[١١٣٠] ويقول فيما يرويه عن ربه : « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بي ثمَّ غدرَ، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يُعطهِ أجره » .[١١٣١]

٣- إباحة المُعاملات العادلة التي لا ظلم فيها ولا اعتداء على حقوق الآخرين ، ومن أجل ذلك أقرّ الإسلام أنواعاً من العقود كانت موجودة بعد أن نقاها ممّا كانت تحمله من الظلم ، وذلك كالبيع والإجارة والرّهن والشركة وغيرها ، وفتح المجال أمام ما تكشف عنه التجارب الاجتماعيّة من عقود شريطة أن لا تنطوي على الظلم أو الإجحاف بطرف من الأطراف أو تكون من أكل أموال الناس بالباطل – من غير الوجه الذي أباحه الله تعالى- .[١١٣٢]

ثانياً : وسائل المحافظة على المال بقاءً واستمراراً ، ومن أهمِّها[١١٣٣] :

١- ضبط التصرُّف في المال بحدود المصلحة العامَّة ، ومن ثمَّ حرَّمَ اكتساب المال بالوسائل غير المشروعة والتي تضرُّ بالآخرين ، ومنها الرّبا لما له من آثار تخلّ بالتوازن الاجتماعي ، قال تعالى : ژ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ژ ، وقال : ژ گ گ گ ں ں ژ .[١١٣٤]

٢- كما حرَّمَ الاعتداء على مال الغير بالسِّرقة أو السَّطو أو التحايل ، وشرَعَ العقوبة على ذلك قال تعالى : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ژ وأوجب الضمان على من أتلف مال غيره ، قال r : «... كلُّ المسلم على المسلم حرام دمُهُ ومالهُ وعرضهُ » .[١١٣٥]

٣- منع إنفاق المال في الوجوه غير المشروعة ، والحث على إنفاقه في سبل الخير وذلك مبنيٌّ على قاعدة من أهمِّ قواعد النظام الاقتصادي الإسلامي وهي أنَّ المال مال الله وأنَّ الفرد مستخلف فيه ووكيل ، قال تعالى : ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ژ ، ژ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ژ[١١٣٦] ومن ثمَّ كان على صاحب المال أن يتصرَّفَ في ماله في حدود ما رسمه له الشرع ، فلا يجوز أن يفتن بالمال فيطغى بسببه ؛ لأنّ ذلك عامل فساد ودمار ، قال تعالى : ژ ى ى ژ [١١٣٧] ، ولا يجوز له أن يبذرَ في غير طائل ، قال تعالى : ژ ى ى ې ې ې ې ژ .[١١٣٨]

---

١١٣٠- سنن ابن ماجه ، من حديث عبد الله بن عمر : باب : (أجر الأجراء) ، برقم : (٢٤٤٣) : ٢/ ٨١٧ . قال عنه الشيخ الألباني في مختصر إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل :(صحيح) :١/ ٢٩٥ .

١١٣١- صحيح البخاري ، من حديث ابي هريرة رضي الله عنه : البابان : (إثم من باع حراً) ، و(إثم من منع أجر الأجير) ، برقم : (٢١١٤) ، (٢١٥٠) : ٢/ ٧٧٦ ، ٧٩٢ .

١١٣٢- ينظر: أحكام القرآن (للجصاص) : ١٢٨/٣ .

١١٣٣- ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية : ٣٠- ٣٢ .

١١٣٤- ينظر: أحكام القرآن (للشافعي) : ١٣٥/١ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ١١٦ .

١١٣٥- صحيح مسلم : باب: (تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله) ، برقم: (٢٥٦٤) : ١٩٨٦/٤ ، سنن ابن ماجه : باب: (حرمة دم المؤمن وماله) ، برقم: (٣٩٣٣) : ١٢٦٨/٢ ، مسند أحمد : رقم الحديث: (٧٧١٣) : ٢٧٧/٢ .. وكلهم من حديث أبي هريرة y .

١١٣٦- سورة الحديد : ٧ ، النور : ٣٣ .

١١٣٧- سورة الإسراء : ١٦ .

١١٣٨- سورة الإسراء : ٢٦- ٢٧ . ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن :٤٢٨/١٧ ، معالم التنزيل (للبغوي) : ٨٩/٥ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٤- سنّ التشريعات الكفيلة بحفظ أموال القصّر والذين لا يُحسنون التصرّف في أموالهم من يتامى وصغار حتى يبلغوا سنّ الرّشد ومن هنا شرعَ تنصيب الوصي عليه ، قال تعالى : ژ ې ې ې ې ى ى ژ[١١٣٩] ، وقال: ژې ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ژ.[١١٤٠]

٥- تنظيم التعامل المالي على أساسٍ من الرّضا والعدل ، ومن ثمّ قرّر الإسلام أنّ العقود لا تمضي على المتعاقدين إلا إذا كانت عن تراض وعدل ولذلك حرّم القمار ، قال تعالى : ژٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ .[١١٤١]

٦- الدَّعوة إلى تنمية المال واستثماره حتى يؤدّي وظيفته الاجتماعيّة وبناءً على ذلك .

.. بهذه التشريعات كلها حفظ الإسلام المال وصانه عن الفساد حتى يؤدِّي دوره كقيمةٍ لا غنى عنها في حفظ نظام الحياة الإنسانيّة ، وتحقيق أهدافها الحضاريّة والإنسانيّة ، شأنه في ذلك شأن كلِّ المصالح السّابقة التي تمثل أساس الوجود الإنساني وقِوام الحياة الإنسانيَّة ومركز الحِضارة البشريَّة ، والتي بدون مراعاتها وحفظ نظامها يخرب العالم وتستحيل الحياة الإنسانيّة ، ويقف عطاؤها واستثمارها في هذا الوجود .

## المطلب الرَّابع

## أثر القرآن في تكامل نظام المسؤوليَّة المدنيَّة والجنائيَّة

المسؤولية عنوان التكريم الإنساني ؛ لأنّ إهمال الإنسان وتعطيل قِواه أمارة على الإهمال والتخلي والنبذ ، والتقصير في القيام بالمسؤوليّة دليلٌ على عدم المُبالاة ، وتحدّي نظام المجتمع ، والتجرّد من الإنسانيّة .

وممَّا تعانيه اليوم البشريّة في الجانب الاقتصادي ، هو الإعراض عن منهج الله تعالى في هذا الخصوص ، وتطبيق الأنظمة البشريّة من الاشتراكية والرّأسماليّة وعجز تلك الأنظمة عن إسعاد أفراد المجتمع ، وتحكم كبار الأغنياء في أقوات الناس ، وفتح المجال في ظلّ النظام الرّأسمالي للأفراد أن ينموا ثرواتهم بكافة الوسائل من ربا وحيل وما شاكل ذلك بدون ضوابط ، فبرزت الأنانيّة وحبّ الذات على حساب المجتمع وساد الجشع والطمع وانقسم ذلك المجتمع على طبقتين متباعدتين ، الغني الفاحش والفقر المدقع ، وانتشر الرّبا ، وتكدّست الأموال بيد مجموعةٍ قليلةٍ من الأثرياء ؛ بسبب التعامل الرّبوي ، واحتكرت السّلع وطغت الحروب المدمّرة ؛ وسبب ذلك يعود إلى طغيان المادّة والجري وراء المصالح ، والبحث عن الثروات والأسواق لبيع المنتجات وتأمين طرق المواصلات .[١١٤٢]

وعماد المسؤوليات الدنيويّة هو النظام المدني بتنظيم العقود والتصرّفات والأنشطة الاقتصاديّة من إنتاج واستثمار وادخار وتوزيع ، وتوجيه كلّ الأنشطة الصّناعيّة والتجاريّة والخدمات نحو ما يحقق المصلحة العامّة أو العُليا للأمّة .

---

[١١٣٩]- سورة النساء : ٦ .

[١١٤٠]- السّورة نفسها : ٥ .

[١١٤١]- ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن : ٥٥٢/٣ .

[١١٤٢]- ينظر: الموسوعة الميسّرة : ٢/ ٩٢٣ ، أساليب الدّعوة : ٥٥٢ ، مذاهب فكريّة معاصرة : ٤٧١ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأساس المُعاملات في الإسلام : هو الحُريَّة الاقتصاديَّة المنظمة ، والعدالة والمساواة وأداء الحقوق وتنفيذ الالتزامات ، لقول الله تعالى : ژ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ژ[١١٤٣] والابتعاد عن إلحاق الجور والظلم والمساس بحقوق الآخرين أو أكل أموال الناس بالباطل ، لقوله سبحانه : ژ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ژ والأصل في العقود كالبيع والإيجار وكذا الشروط هو الإباحة ، إلا ما صادم مقتضى العقد أو النصِّ الشرعي ، أو القواعد العامَّة كالرِّبا والغرَر والقِمار والغشّ .[١١٤٤]

وجعل المعاملات قائمة أو مبنيّة على أساس التعادل في التبادل دون تقصير أو إهمال أو إكراه ، أو تدليس أو غش أو غبن ونحو ذلك من مفسدات العقود ، دليل واضح على الإصلاح والتوفيق بين الواقع وآفاق المستقبل ، وحماية المجتمع من التنازع والاختلاف ؛ لأنَّ الاختلاف أو التنازع في المعاملة يؤدّي إلى الوهن والضعف في الأمّة وزرع الأحقاد والارتباك ، وهزّ الثقة بين المتعاملين ، لذا قال تعالى : ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ژ .[١١٤٥]

فالمُعاملات أو العقود في منهج القرآن الكريم بين أبناء المجتمع كلها مدنيّة ، لا شكليَّات ولا تعقيدات فيها ، ولها ضوابطها وقواعدها الشرعيّة القائمة على حفظ الحقوق وإقامة الحق والعدل والمُساواة ومنع المنازعات ومُقاومة كل أشكال الكسب غير المشروع الناجم عن الغش والغبن والاستغلال ، والطيش البين ، والهوى الجامح ، والخداع ، والقِمار ، والرّبا ، والبيوع ، وجميع حالات أكل أموال الناس بالباطل ، « كلّ المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » .[١١٤٦] وهذا دليل الإصلاح والاعتدال؛ لتحقيق مصلحة المجتمع والدّولة والأفراد .

وعلى هذا فالمِلك باعتبار صاحبه يكون على ثلاثة أنواع[١١٤٧] :

- مِلكيَّة الدّولة أو مِلكيَّة بيته المال : وتضمُّ كلَّ مال استحقه المسلمون ولم يتعيّن مالكه ، كبيت مال الزكاة بأنواعها ، وبيت مال المصالح ، ويضمُّ : الخراج والفيء وخمس الغنائم والجزية والعشور والرّكاز ، وبيت مال الضوائع ، ويضمُّ : وارث من لا وارث له ، واللقطة وديَات القتلى الذين لا أولياء لهم ، ويتصرّف فيه ناظر بيت المال تصرّف الملاك الخاصّين في أملاكهم بما يُحقق مصلحة الجماعة المسلمة .

- المِلكيَّة العامَّة أو الجماعيَّة : وهى مِلكيَّة مشتركة بين مجموع أفراد الأمَّة دون أن يختصَّ بها أحد منهم ، إمَّا لتجاوز المنفعة من هذه الأشياء على ما يبذل في سبيلها من جهد ونفقةٍ وإمَّا لكون نفعها ضروريًّا لمجموع الأمَّة ولا غنى لأفرادها عنها .

وتشمل المِلكيَّة المشتركة : المرافق العامَّة من أنهار وشوارع وطرقات ومراعي وغابات وغيرها فقد ورد عن رسول الله r : « المسلمون شركاء في ثلاث في الماء والكلأ والنار » .[١١٤٨]

المِلكيَّة الخاصَّة : ويكون مستحقها وصاحبها فرداً أو جماعة على سبيل الاشتراك، وتشمل أموال الحلال كلها ، من نقود وعروض تجارة وأصول ثابتة ووسائل الإنتاج ، والتي لا تقع ضمن المِلكيَّة العامَّة المشتركة للمسلمين أو مِلكيَّة بيت مال المسلمين .

---

[١١٤٣]- سورة المائدة : ١ .

[١١٤٤]- ينظر: وسطية الإسلام وسماحته : ٢١ .

[١١٤٥]- سورة الأنفال : ٤٦ . ينظر: المرجع نفسه .

[١١٤٦]- سبق تخريجه .

[١١٤٧]- ينظر: مفاهيم إسلامية : ٢٩١ .

[١١٤٨]- سنن أبي داود : باب: (في منع الماء) ، رقم الحديث: (٣٤٧٧) : ٣٠٠/٢ ، سنن ابن ماجه : باب: (المسلمون في ثلاث) برقم: (٢٤٧٢) :٨٢٦/٢ ، مسند أحمد : برقم: (٢٣١٣٢) :٣٦٤/٥ .. وهو حديث صحيح . ينظر: مشكاة المصابيح : ١٧٩/٢ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد حفظت الشريعة الإسلاميَّة حق المِلكيَّة الخاصّة والمشتركة ومِلكيَّة الدَّولة بتحريم التملك عن طريق وسائل الغشّ والخداع كالتلاعب بالأسعار والغرَر ، وعن طريق الظلم والاستغلال كالغصب والسّرقة والاختلاس والرّشوة والرّبا والاحتكار ، وعن طريق تحديد المصالح التي تبيح تدخل الحاكم لتقييد المِلكيّة الخاصّة أو مصادرتها .

وحفظت الشريعة أيضاً دور المِلكيّة في المجتمع عن طريق تحريم التملك لكلّ ما فيه ضرَر عائد على الأفراد أو الجماعات في أعراضهم وأموالهم وعقولهم ، كالاتجار بالأعراض والخمر والميسر وكافة المحرّمات .

كذلك حفظت الشريعة السّمحاء التوازن الدّقيق بين مصلحة الفرْد وحق الجماعة بما حدّدته من مبادئ تحفظ حق كلّ من المِلكيّة الخاصّة والمِلكيّة العامّة ومِلكيّة الدّولة ، وكيفية استعمال كلّ منها ، وانتقال المِلكيّة الخاصّة من شخص لآخر في حياته وبعد موته .[١١٤٩]

[١١٤٩]- ينظر: مفاهيم إسلامية :٢٩١ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

# الفصل السّابع

## دور القرآن في إصلاح النِّظام السِّياسي

(دعوة القرآن إلى بناء الدَّولة وإصلاحها)

يُعدّ وجود الدّولة لأيٍّ تجمُّعٍ إنساني أمر ضروري وفطري لا غنى عنه ، وقد توجد الدّولة بصورة مقننة ومنظمة وفق أصول وضوابط شرعيّةٍ ، وقد تكون عكس ذلك بسيطة غير منظمة ، وعودة هذا كله على حسب وعي إمارة وإدارة الدّولة ، ومدى تطوّر حياتهم الفكريّة والمعيشيّة .

وإذا كانت الدّولة ضرورة بشريّة فالشرع يُقرّ وجود الضرورة للبشريّة ؛ لأنه لا تناقض بين الفطرة البشريّة ، وبين ما أنزله الله من شرع ودين ، فكلاهما من مشيئة الله تعالى ، وما دامت الدّولة ضرورة بشريّة ، وفريضة شرعيّة ، فإنَّ وجود القيادة من مستلزمات وجود الدّولة ، ولا دولة بدون قيادة .[١١٥٠]

ومن المعلوم أنّ دعوة القرآن الكريم ليست مقصورة على فرائض وشعائر تؤدّى في أوقات معيّنةٍ أو أحوال محدّدة ، ولكنه دستورٌ ينظم الحياة كلها وينظم السّلوك كله ومن أجل هذا ، فإنه لفهم المجتمع المسلم وتطوّرها السياسي والاقتصادي والاجتماعي يجب أن يدرس ذلك مقروناً بطبيعة دين الإسلام وشموله وسعته .

والإسلام لا يؤلف إطار السّلوك العام والخاص للفرد المسلم فقط ، ولكنه يتغلغل في عمق نسيج المجتمع وبناء الدّولة ومن ثمّ فإنه يؤثر في كلّ ناحيةٍ من نواحيها .

وهذه إشارات وتنبيهات لبعض مظاهر تطبيق الإسلام على الفرد والجماعة ، وسيادة سلطان الدّين على النفوس والأنظمة .

لذا يتلخص المنهج الذي يجب أن تقومَ عليه المجتمعات الإسلاميَّة بما يأتي :

١- اتخاذ القرآن الكريم أساساً ودستوراً لشؤون الحياة والحكم في المجتمع المسلم ؛ ذلك لأنَّ اعتقاد شموليَّة الدِّين لكلّ شؤون الحياة لا يتحقق إلا بالحكم بشريعة الله في كلِّ الشؤون .

٢- شريعة الإسلام التي تحفظ الحقوق والدّماء وتنظم العَلاقة بين الحاكم والمحكوم وتضبط التعامل بين أفراد المجتمع وتصون الأمن العام .

٣- حمل الدَّعوة الإسلاميَّة ونشرها ، فالدَّعوة إلى الله من أعظم وظائف الدّولة الإسلاميّة وأهمها .

٤- إيجاد (بيئةٍ عامَّة) صحيحةٍ صالحةٍ سليمةٍ من فشو المنكرات والانحرافات ، تعين الناس على الاستقامة والصّلاح ، وهذه المهمّة منوطة بالأمر بالمعروف والنهيّ عن المنكر .

٥- تحقيق (الوحدة الإيمانيَّة) التي هي أساس الوحدة السياسيّة والاجتماعيّة والجغرافيَّة .

٦- الأخذ بأسباب التقدّم وتحقيق النهضة الشاملة التي تيسّر حياة الناس ومعاشهم وتراعي مصالحهم في ضوء هدى الإسلام ومقاييسه .

٧- الأخذ بمبدأ ( الشورى ) التي أمر الإسلام بها ومدح من أخذ بها وجعلها من صفات أهل الإيمان ؛ وذلك ليقوم الحكم على أساس العدل والمساواة وفق الشريعة الإسلاميَّة .[١١٥١]

---

[١١٥٠]- ينظر : مآثر الأناقة في معالم الخِلافة : ١/ ٢٩ .

[١١٥١]- ينظر: اتخاذ القرآن الكريم أساساً لشؤون الحياة والحكم في المملكة العربية السعودية : ١٦ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٨- فرض التعليم الدِّيني في كلّ مراحل التعليم في البلد المسلم ؛ ليتربّى المجتمع على هذا الدّين الحنيف ، وليتخرّج نخبة مؤمنة مثقفة تؤمن بالوحدة والجماعة وروح المحبّة والأخوّة مع جميع الناس من غير تمايز بينهم ، وبالفكر المعتدل دون تطرّف أو استبداد .

**+ أثر القرآن في تشييد نظام الحكم الصّالح :**

إنَّ من أهمّ خصائص نظام الحكم في الإسلام إقامة العدل والمساواة في الحقوق والواجبات والشورى في القضايا العامّة ، ومنع الظلم والتعدّي والاستبداد ، والاحتكام إلى شرع الله فيما تقرّر في القرآن الكريم والسّنة النبويّة الصّحيحة .

وممَّا لا شكّ فيه أنَّ ملازمة هذه الخصائص وتفعيلها ومراعاتها في مجال التطبيق يحمي الأمّة من كلّ آفات الانحراف والضياع والضعف والتفكك والتفرقة ، ويجعل الأمّة والدّولة قويّة رصينة، تحمي الحمى ، وتدفع الاعتداء ، وتمحو مظاهر التخلف ، وتحقق تقدّم الحياة والمدنيّة ، وتبني الحضارة الجامعة للمادّة والرّوح أو وسائل الرّقيّ المادّيّ والترفع أو السّموّ الرّوحي ، على أساس من التفوّق العلمي والصّناعي والتقني .[١١٥٢]

وواضح أنَّ هذا كله هو منهج الأمن والاستقرار والبُعد عن كلِّ أسباب الاضطراب والمشكلات الخاصَّة والعامَّة . وفي مجال العدل بين الناس ، قال تعالى : ژ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ژ[١١٥٣] ، وقوله سبحانه : ژ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ژ .[١١٥٤]

أجمعَ العلماءُ على أنّ مَنْ كانَ حاكماً وجب عليه أن يحكم بالعدل لقوله تعالى – المتقد- :

ژ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ژ ، والتقدير : إنَّ الله يأمركم إذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، قال تعالى ژ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ژ ، وقال : ژ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ڑ ژ ، وقال : ژ ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئي ئي ژ .[١١٥٥]

فأطلق لفظ العدل الذي هو التسوية على تسوية نافعةٍ يحصل بها الصَّلاح والأمن ، وذلك فكّ الشيء من يد المعتدي ؛ لأنّه تظهر فيه التسوية بين المتنازعين ، فهو كناية غالبة ، ومَظهر ذلك هو الحكم لصاحب الحقّ بأخذ حقّه ممّن اعتدى عليه ، ولذلك قال تعالى : ژ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ژ ثمّ توسّعوا في هذا الإطلاق حتّى صارَ يُطلقُ على إبلاغ الحقّ إلى ربّه ولو لم يحصل اعتداء ولا نزاع .

والعدل : مساواة بين الناس أو بين أفراد أمّة في تعيين الأشياء لمستحقّها ، وفي تمكين كلّ ذي حقّ من حقّه ، بدون تأخير ، فهو مساواة في استحقاق الأشياء وفي وسائل تمكينها بأيدي أربابها ، فالأوّل هو العدل في تعيين الحقوق ، والثاني هو العدل في التنفيذ ، وليس العدل في توزيع الأشياء بين الناس سواء بدون استحقاق .[١١٥٦]

فالعدل وسط بين طرفين ، هما : الإفراط في تخويل ذي الحقّ حقّه ، أي بإعطائه أكثر من حقّه والتفريط في ذلك ، أي بالإجحاف له من حقّه ، وكلا الطرفين يسمّى جوراً ، وكذلك الإفراط والتفريط في تنفيذ الإعطاء بتقديمه على وقته ، كإعطاء المال بيد السّفيه ، أو تأخيره كإبقاء المال بيد الوصيّ بعد الرّشد[١١٥٧] ، ولذلك قال تعالى : ژ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ژ

---

[١١٥٢]- ينظر: المرجع نفسه : ٢٨ .
[١١٥٣]- سورة النساء : ٥٨ .
[١١٥٤]- سورة المائدة : ٨ .
[١١٥٥]- سورة النحل : ٩٠ ، الأنعام : ١٥٢ ، ص: ٢٦ . ينظر: تفسير مفاتيح الغيب : ٥/ ٢٤٥ .
[١١٥٦]- ينظر: التوقيف على مهمّات التعاريف : ٥٠٦ ، ٧٢٥ ، التحرير والتنوير : ٣/ ٤٤٩.
[١١٥٧]- ينظر: المصدران أنفسهما ، الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة : ٧٣



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ژ[١١٥٨]؛ فالعدل يدخل في جميع المعاملات ، وهو حسن في الفطرة لأنّه كما يصدُّ المعتدي عن اعتدائه ، كذلك يصدّ غيره عن الاعتداء عليه ، كما قال تعالى : ژ ۉ ۉ ې ې ژ [١١٥٩] ، وإذا كان العدل بهذه الاعتبارات تجول في تحديده أفهام مخطئة تعيَّنَ أن تسَنَّ الشرائع لضبطه على حسب مدارك المشرِّعين ومصطلحات المشَرَّع لهم ، على أنّها معظمها لم يسلم من تحريف لحقيقة العدل في بعض الأحوال، فإنَّ بعض القوانين أسّست بدافعة الغضب والأنانيّة ، فتضمّنت أخطاء فاحشة مثل القوانين التي يمليها الثوار بدافع الغضب على من كانوا متَولين الأمور قبلهم ، وبعض القوانين المتفرّعة عن تخيّلات وأوهام كقوانين أهل الجاهليّة والأمم العريقة في الوثنيّة [١١٦٠].

لذا ينظر الإسلام إلى العدل نظرة شاملة كان لها أكبر الأثر في توجيه التشريع العام الذي ينتظم كافة العَلاقات والمعاملات الإنسانيّة سواء أكانت بين المسلمين بعضهم مع بعض أم كانت بين المسلمين وغيرهم من سائر الملل والنحل .[١١٦١]

ونجد القوانين التي سنّها الحكماء أمكن في تحقيق منافع العدل مثل قوانين أثينة وإسبَرطة وأعلى القوانين هي الشرائع الإلهيّة لمناسبتها لحال من شرّعت لأجلهم ، وأعظمها شريعةُ الإسلام لابتنائها على أساس المصالح الخالصة أو الرّاجحة ، وإعراضها عن أهواء الأمم والعوائد الضالّة ، فإنّها لا تعبأ بالأنانيّة والهوى ، ولا بعوائد الفساد ؛ ولأنّها لا تبنى على مصالح قبيلةٍ خاصّةٍ ، أو بلد خاصّ ، بل تبتنى على مصالح النوع البشري وتقويمه وهديه إلى سواء السّبيل ، ومن أجل هذا لم يزل الصّالحون من القادة يدوّنون بيان الحقوق حفظاً للعدل بقدر الإمكان وخاصّة الشرائع الإلهيّة ، قال تعالى : ژ ٱ ب ب ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ژ[١١٦٢] أي العدل فمنها المنصوص عليه على لسان رسول البشريَّة مُحمَّد صلى الله عليه وسلم ، ومنها ما استنبطه علماء تلك الشريعة فهو مدرج فيها وملحق بها .

وإنّما قيّد الأمر بالعدل بحالة التصدّي للحكم بين الناس ، وأطلق الأمر بردِّ الأمانات إلى أهلها عن التقييد ؛ لأنّ كلّ أحد لا يخلو من أن تقع بيده أمانة لغيره ولاسيّما على اعتبار تعميم المراد بالأمانات الشامل لما يجب على المرء إبلاغه لمستحقّه كما تقدّم ، بخلاف العدل فإنّما يؤمر به ولاة الحكم بين الناس ، وليس كلّ أحد أهلاً لتولّي ذلك فتلك نكتة قوله : ژ ۉ ۉ ې ې ژ .[١١٦٣]

قال الفخر الرَّازي : " قوله : ژ ۉ ۉ ژ هو كالتصريح بأنّه ليس لجميع الناس أن يشرّعوا في الحكم بل ذلك لبعضهم ، فالآية مُجملة في أنّه بأيّ طريق يصير حاكماً ولمّا دلّت الدلائل على أنّه لا بدّ للأمّة من إمام وأنّه يُنصب القضاة والولاة صارت تلك الدّلائل كالبيان لهذه الآية " . [١١٦٤]

عن الحسن البصري رحمه الله قال : ( إنَّ الله أخذ على الحكام ثلاثا : أن لا يتبعوا الهوى وأن يخشوه ولا يخشوا الناس ، ولا يشتروا بآياته ثمناً قليلاً . ثمَّ قرأ : ( ژ ى ى ې ې ژ .. إلى قوله : ژ ژ ، وقرأ : ژ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ژ .. إلى قوله: ژ ں ڻ ڻ ڻ ژ .[١١٦٥]

---

[١١٥٨]- سورة النساء : ٥- ٦ .
[١١٥٩]- سورة البقرة : ٢٧٩ .
[١١٦٠]- ينظر: التحرير والتنوير : ٣/ ٤٤٩ .
[١١٦١]- الموسوعة في سماحة الإسلام : ١/ ٢٦٦ .
[١١٦٢]- سورة الحديد : ٢٥ .
[١١٦٣]- ينظر: التحرير والتنوير : ٤٥٠/٣ .
[١١٦٤]- مفاتيح الغيب : ٢٤٦/٥ .
[١١٦٥]- سورة المائدة : ٤٤ . تفسير القرآن العظيم : ٢٥٠/٣ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وممَّا يدلُّ على وجوب العدل الآيات الواردة في مذمّة الظلم قال تعالى : ژ ژ [١١٦٦] قال عطاء : " فلا يحلّ لأحد أن يعين ظلماً ، ولا يكتب له ولا يصحبه ، وأنه إن فعل شيئاً من ذلك فقد صار معيناً للظالمين " .[١١٦٧] وقال تعالى : ژ ى ى ژ ، وقال: ژھ ھ ھ ھ ھ ھ ھ ھ ھ ھ ے ژ[١١٦٨] ، فإن قيل : الغرض من الظلم منفعة الدُّنيا ... فأجاب الله عن السُّؤال بقوله : ژ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ژ .[١١٦٩]

فالعدل إذن هو الغاية العامّة أو غاية الغايات من نظام الحكم الإسلامي ، .. وستتحدّد بذلك مسئوليّة الحاكم أمام الله .[١١٧٠]

لذا جعل ابن خلدون العدالة سبباً في إصلاح المجتمع وإعماره فقال : " فإذا ما توفر العدل وُجدت الشورى بداهة ، ووُجدت المساواة ، وانتفى الظلم الذي يؤذن بخراب العمران " .[١١٧١]

وقد عدَّ الماوردي العدل ، الشرط الثاني بعد الإسلام فيمن يرغب أو يتولى الخلافة .[١١٧٢]

وكما أنَّ هذا الدِّين يأمر بالعدل فهو ينهى عن الظلم ، وقد سجّل الله تعالى على الظالمين لعنته وسخطه بقوله: ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ژ ، وقوله : ژ ى ى ژ ، وقوله : ژ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ ژ .[١١٧٣]

**^ أثر القرآن في دعوة الدّولة إلى مبدأ المشروعيّة الإسلاميّة[١١٧٤] :**

القرآن الكريم يوجب على الدّولة التي تدين بالإسلام الخضوع لمبدأ المشروعيّة الإسلاميّة والذي يعني الخضوع لحكم الله تعالى والامتثال لشرعه ، بإتباع أوامره والابتعاد عن نواهيه وأن تكون قواعد القانون – دستوريّة ، أو قانونيّة ، أو لائحية – متفقة مع أحكام الشريعة الإسلاميّة ، والمسلم ما مسلماً إلا لأنه مستسلم ومنقاد لشرع الله تعالى ؛ ولأنّ أحكام الشريعة تمثل يقيناً في اعتقاد الأمّة قواعد العدالة المثاليّة ؛ لأنها ليست من وضع الناس وإنما هي من وحي الخالق سبحانه العالم بطبائع النفوس البشريّة ، بل إنّ المسلمين أوجب الله تعالى عليهم العمل بالقرآن الكريم ، إذ قال تعالى : ژ ې ې ژ وقال : ژ ڃ ڃ ڃ ڃ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ژ ، وقال: ژ ۈ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۇ ې ې ې ې ژ ، وقال تعالى: ژ ے ے ۓ ۓ ڭ ژ .[١١٧٥]

وهذا يدلل على أنّ قواعد الشريعة الإسلاميّة قد جاءت من عند الله تعالى ، وكتابه المنزل على نبيّنا محمّد صلى الله عليه وسلم هو مصدر كلّ الأحكام والقواعد الشرعيّة ، ذلك ما يجعل مبدأ الشرعيّة الإسلاميّة يتسم بالكمال المطلق الذي يتصف به الله وحده ويعبر عن العدل المطلق في الوقت ذاته،

---

[١١٦٦]- سورة الصافات : ٢٢ .
[١١٦٧]- تفسير الجامع لأحكام القرآن : ٢٣٣/١٣ .
[١١٦٨]- الآيتان في سورتي : إبراهيم : ٤٢ ، النمل : ٥٢ .
[١١٦٩]- سورة القصص : ٥٨ . ينظر: تفسير مفاتيح الغيب : ٢٤٦/٥ .
[١١٧٠]- ينظر: النظريات السّياسيّة الإسلاميّة : ٣٢٥ ، ٣٣٧ .
[١١٧١]- مقدمة ابن خلدون : ٣١٩/١ .
[١١٧٢]- ينظر: الأحكام السلطانيّة : ٦ .
[١١٧٣]- الآيات في سورة : الأعراف : ٤٤ ، هود : ١٨ ، غافر : ٥٢ .
[١١٧٤]- حقيقة مبدأ المشروعيّة في الشريعة هو : ( خضوع الجميع حكاماً أو محكومين إلى القواعد والأحكام الإلهيّة المتعلقة بالعقيدة والتشريع التي فرضها الله تعالى ، بحيث يتحقق بمقتضاها الإطار العام الذي يلتزم به المسلمون جميعاً ) . مبدأ المشروعية وضوابط خضوع الدولة للقانون في الفقه الإسلامي : ٧٣.
[١١٧٥]- الآيات في سورة : النساء : ١٥٠ ، المائدة : ٤٨ ، ٤٩ ، الأنعام : ٥٧ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد أكد القرآن العظيم هذه الخاصيّة في قوله تعالى : ژ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ژ [١١٧٦] ، وقوله : ژ چ چ چ چ ڇ ڇ ژ .

وعليه فمن الصّعب على المسلمين مخالفة أحكام هذه الشريعة السّمحاء ، إذ يلاحظ أنّ مخالفة القانون الوضعي يستتبع ، توقيع جزاء محدّداً ، إلا أنّ هذا الجزاء لا يوقع في كلّ الأحوال ؛ لأنّ المخالف له يستطيع أن يتحايل على قواعدها أو يستر على مخالفته له ، ويستطيع أن يُبعد نفسه عن طائلة الجزاء المقرّر . أمّا مخالفة الشرعيّة الإسلاميّة فإنّ صاحبها إن استطاع الإفلات من الجزاء الدّنيوي فإنّه لا يستطيع الإفلات من الجزاء الأخروي من الله تعالى الذي يعلم السّرّ وأخفى والذي يثبت المحسن ويعاقب المسيء ، وعقيدة المسلم في هذا الشأن تخلق فيه ضميراً حيّاً به يُراقب الله تعالى ويُراقب خلقه وينأى به عن مخالفة الأحكام الشرعيّة ، وهذا كله لا يتوفر لأيّ مشروعيّةٍ وضعيّةٍ .

ومن الأمثلة الناصعة التي تدلّ على وجود الرّقابة الذاتيّة لدى المسلم بفعل ضميره الحيّ للوقوف عند حدّ الشرعيّة الإسلاميّة : قصّة ماعز والغامديّة[١١٧٧] اللذين أقدما طواعيّة واختياراً على الاعتراف لرسول الله r بما اقترفاه من ذنب ليوقع عليهما الحدّ ، وليس من مبرّر سوى شرعيّة تلتزم بها النفوس البشريّة وتنبض مع دقات القلوب وتشرق مع إشراقة الإيمان .[١١٧٨]

وممّا يزيدنا فرحاً وغبطة أنّ التشريع في الجمهوريّة اليمنيّة وقوانينها مستمدّة من أحكام الشرع استناداً إلى دستور الجمهوريّة لعام ١٩٩٤م ، والتي نصّت المادة الثالثة منه على أنّ : ( الشريعة الإسلاميّة مصدر التشريعات جميعاً ) .[١١٧٩]

ولمزيد من التعرُّف على دور القرآن وإصلاحه لأنظمة الدّولة .. يُمكننا النظر فيما يأتي من المباحث :

## المبحث الأوّل

## دور القرآن في إصلاح مبدأ الشورى

إنّ الحاكميّة الإلهيّة المتمثلة في أصول الشريعة ومقاصدها وحدودها ، ليست من جنس الحاكميّة البشريّة ، المتمثلة فيما هو موضوع لشورى الإنسان ، فحاكميّة الله تعالى هي حاكميّة الفعّال لما يُريد الذي لا يُسأل عمّا يفعل ، والذي شاءت حكمته – كي تتحقق للرّسالة المحمّديّة الخاتمة مؤهلات الخلود الدّنيوي ، فلا تنسخ– أن تقف هذه الحاكميّة الإلهيّة في المتغيّرات الدّنيويّة عند الكليّات والفلسفات والمقاصد والأحكام المتعلقة بالمصالح الثابتة ، فتمثل الإطار الذي يحفظ لشورى الإنسان – إذا هي التزمت حدود هذا الإطار– إسلاميّتها ، إنها حاكميّة السِّيادة العُليا ، التي تمثلت في مبادئ الشريعة الإلهية وحدودها ومقاصدها ، والتي هي الضابط والمعيار لإسلاميّة شورى الإنسان التي هي شورى (الخليفة) المحدود نطاقها والمحدّدة موضوعاتها بحكم مكانة الخليفة في الكون وبذود عهد استخلافه في عمارة الكون الذي يعيش فيه ، عن الله سبحانه وتعالى .

---

[١١٧٦]- سورة الأنعام : ١١٥ ،

[١١٧٧]- تنظر في صحيح البخاري : باب: (هل يقول الإمام للمقر لعلك لمست أو غمزت) ، رقم الحديث: (٦٤٣٨) :٢٥٠٢/٦ ، صحيح مسلم : باب: (من اعترف على نفسه بالزنى) ، برقم: (١٦٩٤) :١٣٢٠/٣ ، سنن أبي داود : باب: (رجم ماعز بن مالك) ، برقم: (٤٤١٩) :٥٥٠/٢ ، سنن الترمذي : باب: (ما جاء في درء الحد عن المعترف إذا رجع) ، برقم: (١٤٢٨) :٣٦/٤ ، مسند أحمد: برقم: (٤١) :٨/١ ، سنن الدارمي: باب: (الحامل إذا اعترفت بالزنا) ، رقم: (٢٣٢٤) :٢٣٤/٢..ألخ

[١١٧٨]- مبدأ المشروعية وضوابط خضوع الدولة للقانون في الفقه الإسلامي : ١٢٥ .

[١١٧٩]- القضاء الإداري في اليمن – الأسس العامّة - : ٢٧ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهنا في تحديد العَلاقة بين ( الشورى البشريَّة ) وبين ( الشورى الإلهية ) تبرز خصائص المنهج القرآني في مكانة الإنسان في هذا الكون – مكانة الخليفة عن الله – وفي نطاق حريّته واختياره ، وفي عَلاقة الثوابت بالمتغيّرات ... إلخ

إنَّ القرآن الكريم يُحدّد أنَّ للحاكميَّة الإلهيَّة السِّيادة العُليا والمرجعيَّة العظمى في حياة هذا الخليفة الإنسان : ژ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ژ ، ژ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ... ژ .[١١٨٠]

ودستور الدّولة الإسلاميَّة الأولى – الصحيفة ، الكتاب – على عهد رسول **r** ينصُّ على أنَّ المرجعيَّة هي لهذه الحاكميَّة الإلهيَّة ، ممثلة في الشريعة ، فيقول : «... وأنه ما كان من أهل هذه الصَّحيفة من حدَث أو اشتجار يُخاف فساده فإنّ مردّه إلى الله وإلى مُحمَّد رسول الله صلى الله عليه وسلم » .[١١٨١]

تلك هي مكانة الحاكميَّة الإلهيَّة ، مكانة المرجعيَّة الأولى والسِّيادة العُليا ومبادئ التشريع إنها الإطار الحاكم لشورى الإنسان ، والصبغة الإلهية التي لابدّ أن تصطبغ بها إبداعات البشر وسلطاتهم كخلفاء عن صاحب هذه الحاكميّة في عمارة الكون وفق المنهج القرآني لبنود عهد الاستخلاف . وفي هذا الإطار – إطار الحاكميّة الإلهيّة ، كما تمثلت في الشريعة الإلهيّة – فرض الله في كتابه العزيز – على الإنسان أن ينهض بحمل الأمانة التي حملها وأن يسوس حياته الفرديّة والأسريّة والاجتماعيَّة ، ويقود المجتمع ويحكم الدّولة ويعمّر الأرض بسلطان الخليفة عن طريق الشورى البشريّة المحكومة بحدود حاكميّة الله ، فرض الله هذه الشورى فريضة إلهيّة ، وليست مجرّد حق من حقوق الإنسان .

إنها أمر من الله تعالى ، حتى لرسوله الكريم : ژ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ژ آل عمران: ١٥٩ ژ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ژ[١١٨٢] وإذا كان العزم هو القرار الذي يؤذن بالتنفيذ ، فإنَّ الشورى هي المقدّمة الطبيعيَّة والضروريَّة لهذا العزم – القرار – والصَّانعة لطبيعته .[١١٨٣]

وهذه الشورى ، كما هي فريضة إلهيَّة في سياسة الدّولة وشئون الاجتماع الإنساني للأمّة هي كذلك في نطاق الأسرة كلبنةٍ في صرح الاجتماع الإنساني ، إنها السّبيل إلى التراضي الذي يُحقق للأسرة السّعادة والوفاق .. ژ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ژ .[١١٨٤]

---

[١١٨٠]- الآيتان في سورة النساء : ٦٤ ، ٥٩ .

[١١٨١]- السيرة النبوية (لابن كثير) : ٣٢٢/٢- ٣٢٣ ، مجموعة الوثائق السّياسيّة للعهد النبوي والخلافة الرّاشدة : ١٥.

[١١٨٢]- سورة آل عمرا : ١٥٩ .

[١١٨٣]- معالم المنهج الإسلامي : ١٤٣- ١٤٤ .

[١١٨٤]- سورة البقرة : ٢٣٣ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهي فريضة في سياسة الدّولة والأمَّة ، وكذلك في نطاق الأسرة ، بل قد بلغت مكانتها في منهج الإسلام أن غدت واحدة من الصّفات التي يُميّز بها الإيمان أهله ژ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ژ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڱ ژ [1185] .. فهي واحدة من صفات المؤمنين!!

بل إنَّنا نلمح في التعبير القرآني بالموطنين اللذين ورد فيهما ذكر ژ ﭬ ﭭ ژ الحديث عنهم بصيغة الجمع ، لا بصيغة الإفراد والانفراد : ژ ى ى ي ي ژ ، ژ ژ ژ ژ ڑ ک ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ ژ .[1186]

الأمر الذي يزكي جعل السّلطة – سلطة أولي الأمر- في الدّولة والمجتمع جماعيّة شوريّة؛ كي لا يغرى ويفضى الانفراد بالسّلطة إلى الطغيان ، مع التأكيد على أن يكون (أولو الأمر) هؤلاء من المسلمين ، حتى تلتزم شوراهم نهج الإسلام وحاكميّة الله تعالى .[1187]

وقد ذهب القرآن الكريم على درب تزكية فريضة الشورى الإنسانيّة ، فضرب الأمثال على رجحان كفتها وكثرة منافعها من قصص التأريخ وأنباء الأولين ، فهذه ملكة سبأ تستشير الملأ من قومها قائلة: ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ و و ۉ ژ [1188] ، بل سلكَ الملأُ من قوم فرعون وهم يبحثون الموقف مع موسى **u** : ژ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ژ[1189] ، فهي فضيلة من فضائل الدّولة والمجتمعات – بصرف النظر عن عقائدها– عبر التأريخ ، وهي في الإسلام فريضة إلهيّة ، وليست مجرّد حق من حقوق الإنسان .[1190]

والشورى مسئوليَّة كبرى تتطلب من هو أهل لها ولتبعاتها ، فلا بدّ وأن يُهيئ المجتمع الإسلامي أبناءه لحمل أمانتها ؛ لأنّ : « المستشار مؤتمن » [1191] ، وقد كانت من أبرز صفات رسول الله **r** ، على الرَّغم من عصمته فيما يبلغ عن ربه ومع رعاية الوحي لاجتهاده بالتقويم فقد كان القدوة – كقائد للدّولة وسائس المجتمع– في الالتزام بثمرات الشورى .. حتى امتدَّ نطاقها وأظلت شجرتها كلّ جزئيات الحياة وسائر ما لم تفصل فيه حاكميّة الله تعالى . وعلى ذات الدّرب سار الخلفاء الرَّاشدون رضي الله عنهم ، فدولة الخلافة تأسّست بالشورى وعليها والبيعة الشوريّة والاختيار كانا سبيل تمييز الخليفة والعقد له .

لذا قد بلغت مكانة الشورى في المنهج القرآني ، مكانة القانون الحاكم لانتظام الحياة الفرديّة والاجتماعيّة – وفق نظام الإسلام- ، وقد حدّثنا القرآن العظيم عن أنّ اقتران الانفراد بالأمر

---

[1185]- سورة الشورى : ٣٦ .

[1186]- سورة النساء : ٨٣ .

[1187]- معالم المنهج الإسلامي : ١٤٦ .

[1188]- سورة النمل : ٣٢ .

[1189]- سورة الأعراف : ١٠٩- ١١٠ .

[1190]- معالم المنهج الإسلامي : ١٤٩ .

[1191]- سنن أبي داود : باب: (في المشورة) ، رقم الحديث: (٥١٢٨) : ٧٥٥/٢ ، سنن الترمذي : باب: (إنّ المستشار مؤتمن) ، برقم: (٢٨٢٢) : ١٢٥/٥ ، سنن ابن ماجه : باب: (المستشار مؤتمن) ، برقم: (٣٧٤٥) : ١٢٣٣/٢ .. وكلهم من حديث أبي هريرة **t** . وهو حديث صحيح . ينظر: السّلسلة الصحيحة : ١٩٣/٤ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والاستبداد بالرّأي والاستغناء عن مشاورة ومشاركة الآخرين ؛ اقتران ذلك بالطغيان ، إنما يبلغ في التلازم مبلغ السنة والقانون : ژ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ ژ (١١٩٢) ، فالانفراد والاستغناء – بالرَّأي أو أو بالقرار أو بالسّلطان أو بالمال – هو المقدّمة والسَّبيل والقرين للطغيان! .(١١٩٣)

ولا يحسبنَّ أحدٌ أنَّ الشورى قد وقفت في تطبيقات المنهج الإسلامي عند حدود الشورى الفرديّة التي لم تعرف التنظيم في المؤسَّسات ، فعلى الرّغم من بساطة حياة مجتمع الصّدر الأول ، وسذاجة تجارب الإنسان يومئذٍ في ميدان التنظيم المتبلور في مؤسسات ، وعلى الرّغم من ضعف الضوء الذي سلطه المؤرخون المسلمون على هذا الجانب في نظام الدّولة الإسلاميّة الأولى ؛ بسبب تراجع الشورى وممارستها وانعدام مؤسساتها في التجربة الإسلاميّة بعد عصر الرّاشدين ، على الرّغم من كلّ ذلك فإننا نستطيع أن نرى في هيئة المهاجرين الأولى مؤسسة دستوريّة ذات سلطات محدّدة في قيادة الدّولة على عهد النبيّ r وفي الترشيح للخليفة ، وعقد البيعة الأولى له ، والتي تتلوها البيعة العامّة من أهل العاصمة والأمصار .(١١٩٤)

كذلك نستطيع أن نرى كيف لم تقف الشورى وجوهرها اشتراك الأمّة في صنع القرار عند حدود أعضاء هذه المؤسّسات ، بل امتدّت إلى كلّ أهل الرّأي ، بل والجمهور ، ففي الأيام الثلاثة التي تمّت فيها الشورى لاختيار الخليفة الرّاشد الثالث "لم يترك أهل الشورى أحداً من المهاجرين والأنصار وغيرهم من ضعفاء الناس ورعاعهم إلا سألوهم واستشاروهم ، فيمن يُريدون الخليفة بعد عمر بن الخطاب " .(١١٩٥)

إذن تلك هي الشورى الإسلاميّ : التجسيد لإرادة الأمّة الحرّة المحكومة بإطار حاكميّة الله تعالى ومظهر سلطة الأمّة وسلطانها فيما لم تقض فيه الحاكميّة الإلهيّة .. هذه الحاكميّة التي تمثلت وتتمثل في مبادئ الشريعة وحدودها ومقاصدها ، والتي هي في شئون الدّنيا بمثابة الأطر والثوابت ، التي تحفظ على شورى الأمّة صبغتها الإسلاميّة ، والتزامها حدود الحلال والحرام ، فهي ليست نقيضاً للشورى ، وإنما هي الكافلة لها أن تظلّ ثمراتها إسلاميّة ، وأنّ هذه الشورى لا يُمكن أن تضيقَ من هذه الحدود الإلهيّة ؛ لأنها الشورى في عرف الإسلام فريضة إلهيّة ، أي أنّ المسلم يعبد الله تعالى عندما ينهض بتبعاتها ، وغير وارد أن تكون هنالك عبادة لله تعالى لا يُراعي المتعبّد بها حدودَ حاكميّة اللهِ .(١١٩٦)

---

١١٩٢- سورة العلق : ٦- ٧ .
١١٩٣- ينظر: معالم المنهج الإسلامي : ١٤٩ .
١١٩٤- ينظر: الإسلام وفلسفة الحكم : ٥٤ .
١١٩٥- الإمامة والسياسة : لابن قتيبة : ١/ ٢٤ .
١١٩٦- ينظر: معالم المنهج الإسلامي : ١٥٠ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

## أثر القرآن في إصلاح طاعة ولاة الأمور

يحثّ القرآن الكريم على وجوب السّمع والطاعة لولاة الأمر ، وإن كان لم يُصرّح بوجوب تنصيبهم؛ ذلك لأنّ وجوب الطاعة تحتم وجود المُطاع ، ومن ثمّ إذا كان الله تعالى قد أوجب طاعة أولي الأمر فقد أوجب تنصيبه ؛ لأنه من العبث الذي يتنزه عنه كلام الله أن يأمر بالطاعة لمعدوم ، وهو القائل: ژ ى ى ييژ .[١١٩٧]

وقد ورد في الأثر أنَّ عبدَ اللهِ بنَ مسعود t قال : سمعتُ رسولَ اللهِ r يقول : « لا بدّ للناس من إمارة برّة أو فاجرة ، فأمَّا البرّة : فتعدل في القسَم ويقسم بينكم فيأكم بالسّويّة ، وأمَّا الفاجرة فيُبتلى فيها المؤمن والإمارة الفاجرة خير من الهرَج ، قيلَ : يا رسولَ اللهِ وما الهرَج ؟ قالَ : القتل والكذب ».[١١٩٨]

ويقول الإمام القرطبي رحمه الله حين تعليقه على الآية القرآنية : ژ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ژ : " هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفةٍ يُسمع له ويُطاع لتجتمع به الكلمة وتنفذ به أحكام الخليفة ، ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمّة ولا بين الأئمَّة إلا ما روي عن الأصمّ حيث كان عن الشريعة أصمّ ، وكذلك كلّ من قال بقوله واتبعه على رأيه ومذهبه ، قال : ( إنها غير واجبةٍ في الدّين بل يسوغ ذلك وأنّ الأمّة متى أقاموا حجّهم وجهادهم وتناصفوا فيما بينهم وبذلوا الحق من أنفسهم وقسّموا الغنائم والفيء والصّدقات على أهلها وأقاموا الحدود على من وجبت عليه أجزأهم ذلك ، ولا يجب عليهم أن ينصّبوا إماماً يتولى ذلك ، ودليلنا قول الله تعالى : ژ ٻ پ پ ڀ ڀ ژ ، وقوله تعالى : ژ ى ژ ، وقال : ژ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ژ[١١٩٩] أي يجعل منهم خلفاء .. إلى غير ذلك من الآي " .[١٢٠٠]

ثمَّ قال رحمه الله : " إذا انعقدت الإمامة باتفاق أهل الحل والعقد ، أو بواحد على ما تقدم وجب على الناس كافة مبايعته على السّمع والطاعة وإقامة كتاب الله وسنة رسوله r ومن تأبى عن البيعة لعذر عُذر ، ومن تأبى لغير عُذر جبر وقهر ؛ لئلا تفترق كلمة المسلمين " .[١٢٠١]

قال ابن الدَّيبع : " نصب الإمام واجب على الأمَّة ؛ لإجماع الصَّحابة ... " .[١٢٠٢]

لذا فإنَّ مذهب أغلبيَّة الأمَّة الإسلاميَّة هو أنَّ إقامة الإمامة أو الخلافة الشرعيَّة الصَّحيحة فرض أساسي من فروض الدِّين ، بل هو الفرض الأعظم الذي يتوقف عليه تنفيذ سائر الفرائض .[١٢٠٣]

وتؤكد طبيعة هذا الدّين أنّ كلّ أحكامه لا تنفذ إلا بوساطة سلطةٍ ، وهذه السّلطة لا بدّ لها من رأس مسئول آمر ، له على الناس حق الطاعة بحكم هذه الأمانة التي تولاها .[١٢٠٤]

وهكذا يتبيّن لنا حُرمة ما يُفعل اليوم من جرائم لا تحقق مصلحة للمجتمع ، تحت حجج واهيةٍ في مخالفة ومحاربة ولاة الأمور ، وقد تزهق أرواح ليست مقصودة ، حتى لأولئك الذين اعتدوا، ويصبح بذلك نوع من اضطراب وخلل في الأمن وإشاعةٍ للفساد ، ويلحق بذلك كذلك ما يتضمّنه مثل هذا

---

[١١٩٧]- ينظر: دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة : ٢٤٣ .

[١١٩٨]- أخرجه الطبراني في المعجم الكبير : رقم الحديث: (١٠٢١٠) :١٣٢/١٠ . قال عنه الهيثمي: (فيه وهب الله بن رزق ولم أعرفه ، وبقيّة رجاله ثقات) . مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ٢٦٧/٥ .

[١١٩٩]- سورة النور : ٥٥ .

[١٢٠٠]- الجامع لأحكام القرآن : ١/ ٣٠٢ .

[١٢٠١]- المصدر نفسه .

[١٢٠٢]- حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار : ٢/ ٧٧١ .

[١٢٠٣]- ينظر: النظريات السّياسيّة الإسلاميّة : ١٧١ .

[١٢٠٤]- ينظر: دراسة في منهاج الإسلام السّياسي : ١٧٠ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفعل من رُجحان تكفير أولئك لقتل هؤلاء ، واستباحة أولئك لقتل هؤلاء ، ونظرهم في جواز أو في وجوب الخروج عن السّمع والطاعة وشق عصا الجماعة ، وكلّ ذلك من الأمور التي دلت النصوص الشرعيّة على حُرمتها والمنع منها لقوله تعالى – المتقدم- : ژ ى ى ىي ژ ..

وفي أولي الأمر هنا أربعة أقوال :

أحدها: إنهم الأمراء ، قاله أبو هريرة وابن عباس في روايةٍ وزيد بن أسلم والسّدي ومقاتل .[١٢٠٥]

والثاني: إنهم العلماء ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس ، وهو قول جابر بن عبد الله والحسن وأبي العالية وعطاء والنخعي والضحاك ورواه خصيف عن مجاهد .

والثالث: إنهم أصحاب النبيّ r ، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد ، وبه قال بكر بن عبد الله المزني .

والرابع: إنهم أبو بكر وعمر ، وهذا قول عِكرمة .[١٢٠٦]

ويُرجِّحُ بعضُ المفسِّرين بأنهم ولاة الأمور بدليل قوله تعالى : ژ ژ ، فإنْ اختلفتم أنتم وأولوا الأمر منكم في شيء من أمور الدِّين فردُّوه إلى الله ورسوله .[١٢٠٧]

وبمعنى : فإن تنازعتم أيّها المؤمنون أنتم وألوا الأمر منكم في أمر من أمور الدّين فردّوه فراجعوا فيه إلى الله - أي إلى كتابه ، والرّسول - أي إلى سنته ، ولا شكّ أنّ هذا إنما يُلائم حمل أولي الأمر على الأمراء دون العلماء ؛ لأنَّ للناس والعامّة منازعة الأمراء في بعض الأمور ، وليس لهم منازعة العلماء إذ المُراد بهم المُجتهدون ، والناس ممّن سواهم لا ينازعونهم في أحكامهم .[١٢٠٨]

وعن وجوب طاعتهم بالخير ، فعن أنس بن مالك t قال : قال رسول r : « اسمعوا وأطيعوا وإن أُمّر عليكم عبدٌ حبشيٌّ كأنّ رأسه زبيبة » .[١٢٠٩]

وعن أبي ذرٍّ t قال : (( إنَّ خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً مجدع الأطراف )) .[١٢١٠]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله r : « مَنْ رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنه ليس أحدٌ يُفارقُ الجماعة شبراً فيموت إلا ماتَ ميتة جاهليّة » .[١٢١١]

وعن ابن عمرَ رضي الله عنهما أنه سمعَ رسولَ اللهِ r يقول: « مَنْ خلعَ يداً مِنْ طاعةٍ لقيَ الله يوم القيامة لا حجّة له ، ومَنْ ماتَ وليس في عُنقهِ بيعة ماتَ مِيتة جاهليّ » .[١٢١٢]

وليس من الإصلاح كذلك الدّعوة إلى الاضطراب وإلى إشاعة الخلل في المجتمع ، وذلك بصور مختلفةٍ كثيرة ، فإنّ ما في الأمّة اليوم وما يوجّه إليها من الفتنة والبلبلة ما يُعدّ مثل هذا زيادة فيه وتكريساً له وإشاعة لأمور تعظم بها الفتنة ويكثر بها الفساد ولا يقع بها الإصلاح ، وعلاج ذلك بالمنهج القرآني والنبويّ من المناصحة والصّبر والتدرّج ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

---

[١٢٠٥]- ينظر: زاد المسير : ١١٦/٢ .

[١٢٠٦]- ينظر: المصدر نفسه : ١١٧/٢ .

[١٢٠٧]- ينظر: تفسير الكشاف : ١/ ٢٦٠ .

[١٢٠٨]- ينظر : تفسير روح المعاني : ٦٦/٥ .

[١٢٠٩]- صحيح البخاري : باب: (السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية) ، برقم: (٦٧٢٣) : ٢٦١٢/٦ ، سنن ابن ماجه : باب: (طاعة الإمام) ، برقم: (٢٨٦٠) : ٢/ ٩٥٥ ، مسند أحمد : برقم: (١٢١٤٧) : ١٤٤/٣ .

١٢١٠- صحيح مسلم : باب: (وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية) ، برقم: (١٨٣٧) : ١٤٦٧/٣ ، سنن ابن ماجه : باب: (طاعة الإمام) ، برقم: (٢٨٦٢) : ٩٥٥/٢ .

١٢١١- صحيح البخاري : باب: (السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية) ، برقم: (٦٧٢٤) :٢٦١٢/٦ ، : باب: (وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة) ، برقم: (١٨٤٩) :١٤٧٧/٣، مسند أحمد : برقم: (٢٤٨٧) :٢٧٥/١ .

[١٢١٢]- صحيح مسلم : باب: (وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة) ، برقم: (١٨٥١) : ١٤٧٨/٣ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولذلك نحن اليوم في أمسّ الحاجة إلى أن ندعو إلى زيادة التعليم الدّيني والإسلامي ، وإلى زيادة أنشطة الدّعوة وتبصير الناس بها ، وإلى زيادة بيان الحق للناس في أمور ومجامع كثيرة ؛ لأنّ غياب مثل هذه الدّعوة وعدم معرفة هذه المسائل وتقليص التعليم الدّيني أو الهجوم عليه - كما يفعل بعض الكتاب جهلاً أو قصداً- إنما يؤدّي إلى اتساع الخرق على الرّاقع ، ويمنع من وقوع أسباب الإصلاح ، ولذلك فإنه لا بدّ لنا أن نؤكدَ على الأمر المهم ، وهو أننا إذا أردنا انطلاقاً إلى الإصلاح فانطلاقنا إيمانيٌّ إسلاميٌّ نبويٌّ ، وأننا ينبغي أن نعرف حقيقة الإصلاح ، وأنه منع للظلم والإثم والاختلاف والنزاع وسفك الدّماء واختلال الأمن ، فكيف يكون الإصلاح بإيقاع مثل هذه الأمور؟!

فإنَّ الذين يدعون إلى الخروج عن الطاعة ، أو الذين يدعون إلى أن يكونَ هناك أعمال يُراد بها إثارة البلبلة والقلاقل إنما يؤدّي فعلهم إلى عكس حقيقة الإصلاح القرآنيّ ، وقد رأينا كذلك أمراً مهماً وهو أن نبحث عن المنطلقات في الشخصيّة المصلحة بأن تكون مخلصة لله متجرّدة عن الهوى ليست منطلقة من ردود الأفعال ولا من التشكي ولا من التحدّي ولا من غير ذلك ، فإنّ أمر الأمّة وسياستها أعظم من أن يكون خاصّاً بهذا الشخص أو ذاك ، أو بهذه الفئة أو تلك ، فالمصلحة الإيمانيّة الإسلاميّة أعظم وأولى أن يراعيها الجميع حكاماً ومحكومين ، علماء ودُعاة ، عامّة ومتعلمين ، تأتلف عليها قلوبهم وتجتمع لتحقيقها جهودهم ، ويتنازلون لأجلها عن بعض آرائهم أو عن بعض مصالحهم، حتى يجمعَ اللهُ عزّ وجلّ القلوب ، وندرك كذلك أخيراً أنّ كلّ أمر يقع به اضطراب أو تقع به فتنة أو يحلّ به شيء ممّا يؤدّي إلى اختلاف الآراء أنه يصبّ في خانة الأعداء ومصالحهم ، ويبرّر ويوفر أسباباً لمزيد من العدوان على الإسلام وأهله ، ولذلك ينبغي لنا أن نبصر هذه الأمور وأن نبصر بها ، وأن لا يكون لنا غير ذلك ؛ لأنَّ هذا هو الذي نفهمه فهماً صحيحاً ممّا جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وممّا تواتر وتسلسل في عدد كبير من أسلافنا رضوان الله عليهم أجمعين ، وممّا نطق به علماؤنا وأئمّتنا ومشايخنا في عصرنا الحاضر، بل وأجمعت عليه كثير من المجامع الفقهيَّة ، فبعد هذا كله كيف نترك ذلك ونميل إلى رأي أو إلى قول لا يتطابق مع هذه المنطلقات ، ولا ينطلق من هذه الاستنباطات، ويكون لنا من وراء ذلك ظنّ بأننا نصلح وأننا نحسن ؟!

لا شكَّ أنَّ إقامة المجتمع على شريعة الإسلام وأسس التقوى هي الخطوة الأولى في بناء الدّولة الإسلاميّة ، وهي خطوة هامّة لسلامتها والمحافظة عليها ، إلا أنّ الأهمّ من ذلك هو استدامته والاستقامة عليه ، وذلك يتجلى في واجب حراسة الدّين والدّفاع عنه .

والمقصود بحفظ الدّين والدّفاع عنه كما بيَّنه الماوردي بقوله : " حفظ الدِّين على أصوله المستقرّة وما أجمع عليه سلف الأمّة ، فإن نجم مبتدع أو زاغ ذو شبهةٍ عنه أوضح له الحجة وبيّن له الصّواب وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود ، ليكون الدّين محروساً من خلل ، والأمّة ممنوعة من زلل " .[١٢١٣]

وقال أيضاً رحمه الله : " ومنها إزالة المفاسد والمنكرات من المجتمع كما يقضي به الإسلام إذ لا يُمكن الادّعاء بحفظ الدّين مع ترك المفاسد والمُنكرات بلا إنكار ولا إزالة مع توفر القدرة على ذلك " .[١٢١٤]

هذه النصوص من القرآن والسُّنَّة كلها تأمر بطاعة الأئمَّة وولاة الأمور في غير معصية الله تعالى ويمكن أن نستخلص منها ما يأتي :

١- إنَّ السَّمع والطاعة واجبة في الأحوال كلها في غير معصيةٍ .

٢- عدم الخروج على وُلاة الأمر إذا لم يقبلوا النصيحة .

٣- إنَّ من نصح لولاة الأمر وأنكر عليهم بالطريقة المشروعة ، فقد برئ من الذنب .

---

[١٢١٣]- الأحكام السلطانية والولايات الدينية : ٥ .

[١٢١٤]- المصدر نفسه : ٧ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٤- النَّهي عن إثارة الفتن وأسباب إثارتها .
٥- عدم الخروج على الولاة ما لم يظهر منهم الكفر البواح - أي الظاهر الذي لا يحتمل التأويل- .
٦- وجوب لزوم جماعة المسلمين الذين يسيرون على هدى الكتاب والسنة قولاً وعملاً واعتقادًا وموالاتهم ، وإتباع سبيلهم ، والحرص على جمع كلمتهم على الحق وعدم مفارقتهم أو الانشقاق عليهم ، كما قال تعالى : ژ ڤ ڤ ڤ ڤ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ژ [١٢١٥].

.. فدلّت هذه النّصوص على وجوب لزوم الجماعة وعدم منازعة الأمر أهله ، والوعيد لمن يخالف ذلك ، إذ أنَّ الجماعة رحمة والفرقة عذاب .[١٢١٦]

الخليفة ومن دونه من ولاة الأمور يباشرون السّلطة والأمر والنهي في إدارة شؤون الدّولة وفق اجتهادهم وما يرونه من وجوه المصلحة للأمّة ، وهذا فيما عدا ما هو منصوص عليه في الشريعة؛ لأنّ ما هو منصوص عليه واجب على الخليفة ومن دونه من ولاة الأمر التقيد به إذ لا اجتهاد في مورد النص ، وإنما الاجتهاد فيما لا نصّ فيه ، ومثل هذا الاجتهاد جائز لولاة الأمور . وقد يخالفهم غيرهم فيما يأمرون به أو ينهون عنه ، وقد يكون المخالف فرداً أو أفراداً أو جماعة تقوم بالدّعوة إلى الإسلام ، وقد يكون الصّواب مع ولي الأمر والخطأ مع مخالفيه وقد يكون العكس ، وفي جميع الأحوال يكون من حق أفراد الأمّة والجماعة المسلمة أن يبدوا آراءهم في تصرفات ولي الأمر مؤيّدين لها أو مخالفين ، وفق قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .[١٢١٧]

ومن هذه القواعد : عدم الإنكار في الأمور الاجتهادية وإن كان من الجائز لأفراد الأمَّة أو للجماعة المسلمة إبداء آرائهم فيما ذهب إليه ولي الأمر في الأمور الاجتهادية كما تقدم ولكن لا يجوز لهم اعتبار رأيهم هو الحق والصّواب ، والواجب التنفيذ وأن رأي ولي الأمر (الخليفة فمن دونه) المخالف لرأيهم باطل وخطأ قطعاً ولا يجوز تنفيذه ؛ لأنّ من القواعد الفقهيّة أنّ الاجتهاد لا ينقض بمثله وأن حكم الحاكم يرفع الخلاف في الأمور الاجتهادية، فإذا أخذ ولي الأمر برأيه واجتهاده المخالف لرأي غيره فهو قد استعمل حقه ، ومن يستعمل حقه فهو مُصيب غير مخطئ ومُحسن غير مسيء فلا يجوز الإنكار عليه وتجميع الناس ضده وإباحة الخروج عليه ، فهذا الصّنيع من مخالفيه يقع في دائرة الخلاف والجماعة المسلمة أن يفقهوا هذا لئلا يقعوا في الخلاف المذموم وتحق عليهم المسؤوليّة الدينيّة وما يترتب عليها من جزاء .[١٢١٨]

إنَّ الأميرَ إنَّما يُختار لتطيعه الجماعة ؛ لأنها تعلم أنّ الأمير يُختار ليُطاع ، ولا معنى لاختياره إذا لم تطعه الجماعة ؛ ولأنّ طاعة الجماعة المُسلمة لأميرها هي طاعة لله ولرسوله ، فقد ورد في الحديث الصّحيح عن أبي هريرة **t** أنَّ رسول **r** قال : « مَنْ أطاعني فقدْ أطاعَ الله ومَنْ عَصَاني فقدْ عَصَى الله ، ومن أطاعَ أميري فقدْ أطاعني وَمَنْ عَصَى أميري فقدْ عَصَانِي » .[١٢١٩]

---

[١٢١٥]- سورة النساء : ١١٥ .
[١٢١٦]- أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة : ٣٦٥ .
[١٢١٧]- السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلاميّة : ١١٢ .
[١٢١٨]- السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلاميّة : ١١٢ .
[١٢١٩]- صحيح البخاري : باب: قول الله تعالى: {أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم} ، رقم الحديث: (٦٧١٨) :٢٦١١/٦ ، صحيح مسلم : باب: (وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية) ، برقم: (١٨٣٥) :١٤٦٦/٣ ، سنن النسائي : باب: (الترغيب في طاعة الإمام) ، برقم: (٤١٩٣) :١٥٤/٧ ، مسند أحمد : برقم: (٧٦٤٣) :٢٧٠/٢ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وجاء في شرح الحافظ ابن حجر العسقلاني : " وفي رواية همام والأعرج وغيرهما عند مسلم[١٢٢٠]« ومن أطاع الأمير » ، ويُمكن رد اللفظين لمعنى واحد فان كل من يأمر بحق وكان عادلاً، فهو أمير الشارع؛ لأنه تولى بأمره وبشريعته ويؤيّده توحيد الجواب في الأمرين ، وهو قوله « فقد أطاعني » أي عمل بما شرعته ، وكأنَّ الحكمة في تخصيص أميره بالذكر أنّه المراد وقت الخطاب ؛ ولأنه سبب ورود الحديث . وأمَّا الحكم فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السَّبب ، ووقع في رواية همام[١٢٢١] أيضاً « ومن يُطع الأمير فقد أطاعني » بصيغة المضارعة وكذا « ومن يعص الأمير فقد عصاني » ، وهو أدخل في إرادة تعميم من خوطب ومن جاء من بعد ذلك " .[١٢٢٢]

وخلاصة هذا الشرح أنَّ من يتولى إمرة شيء بموجب الشرع ويقضي بموجب الشرع فهو يُعد أميراً من قبل الشرع وطاعته واجبة ، فمن أطاعه فقد أطاع رسول الله r الذي أمر بطاعة مثل هذا الأمير ومن أطاع رسول الله صلى r فقد أطاع الله تعالى . ومن يعص الأمير المذكور فإنه يعص الله ورسوله .[١٢٢٣]

والطاعة الواجبة لأمير الجماعة والتي تعصمها من الاختلاف إنما تكون في غير معصية الله تعالى فإذا أمر بمعصية الله فلا تجوز طاعته ، يدلّ على ذلك ما ورد في الصَّحيحين[١٢٢٤] : عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي r قال : « السَّمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » .

وجاء في صحيح مسلم : « عليك السَّمع والطاعة في عُسرك ويُسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك »[١٢٢٥].

قال الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث : " قال العلماء معناه : تجب طاعة ولاة الأمور فيما يشق وتكرهه النفوس وغيره ممَّا ليس بمعصيةٍ ، فإن كانت لمعصيةٍ فلا سمعَ ولا طاعة " .[١٢٢٦]

والمعصية التي لا يُطاع فيها الأمير إذا أمر بها هي التي عليها دليل شرعي واضح صريح لا يتحمل التفسير بأكثر من وجه ولا الاجتهاد في مدلوله كدخول النار التي أمر أمير السرية أتباعه بدخولها؛ لأنَّ الدّخول في النار قتل للنفس ، وقتل النفس لا يجوز قطعاً . أمَّا في الأمور الاجتهادية فطاعته فيها واجبة إذ لا معصية في اختيار الأمير رأياً دون رأيٍ فيما يجوز الاجتهاد فيه .[١٢٢٧]

## المبحث الثالث

## دور القرآن في إصلاح العدالة تجاه أبناء المجتمع

يدعو القرآن إلى إقامة النظم الاجتماعيّة العادلة المتوازنة والشورى والعدالة الاجتماعيَّة ومحاربة الاستبداد ، ويرى أنَّ المفهوم الأساس للوسطيّة الإسلاميّة والتوازن هو تحقيق المساواة والعدالة ، فلا وسطيّة ولا توازن إلا بالعدالة ، يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم : ژ ہ ہ ھ ھ ے

---

[١٢٢٠]- في صحيحه : باب: (وجوب طاعة الأمراء في غير معصية) ، رقم الحديث: (١٨٣٥) :١٤٦٦/٣ .
[١٢٢١]- المصدر نفسه .
[١٢٢٢]- فتح الباري شرح صحيح البخاري : ١١٢/١٣ .
[١٢٢٣]- السنن الإلهية : ١٣ .
[١٢٢٤]- صحيح البخاري : باب: (السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية) ، رقم الحديث: (٦٧٢٥) :٢٦١٢/٦ ، صحيح مسلم : باب: (وجوب طاعة الأمراء في غير معصية) ، برقم:( ١٨٣٩) :١٤٦٩/٣.
[١٢٢٥]- باب : (وجوب طاعة الأمراء في غير معصية) ، رقم الحديث: (١٨٣٦) :١٤٦٧/٣ .
[١٢٢٦]- شرح النووي على صحيح مسلم : ١٢/ ٢٢٤ .
[١٢٢٧]- ينظر: السنن الإلهية : ١٣ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ے ۓ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۇ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ۑ ۑ ئ[١٢٢٨] ، ويقول تعالى : ژ ژ، ويقول تعالى : ژ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ژ ، ويقول: ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ژ .[١٢٢٩]

كتاب يدعو إلى إصلاح المجتمع والتكافل والتضامن الاجتماعي والعدالة الاجتماعيّة واختيار طريق يتفق وواقعيّة الدّول الإسلاميّة ، لا رأسماليَّة ولا اشتراكيَّة بل طريقة إسلاميَّة تؤكد ملكيَّة الفرد ومصالح المجتمع ، وسطيّة وتوازنية بين الإنتاج والاستهلاك ، وتنمية الموارد وحماية البيئة والتطوّر المستمرّ ، وتنادي بحكم البلاد وإدارة شؤون المجتمع على أساس الشورى ، وتحارب الاستبداد والفساد والاستغلال والظلم .

ويدعو إلى الوحدة ونبذ الخلافات وإجراء حوار الحضارات وتقوية التبادل ، وتبيِّن أنَّ النزاعات الداخليّة قد أضعفت بكثير قوّة الأمّة الإسلاميّة وعرقلت تطوّرها وتقدّمها ، وإنّ تقوية الوحدة وتعزيز العَلاقة أصبحت حاجة ماسّة وواجبة للأمم ، وليس في استطاعة الأمّة أن تجابه تحدّيات العصر والعولمة إلاّ بالاتحاد والتعاون ، فالوسطيّة الإسلاميّة تهدف إلى تنمية الوحدة والتعاون بين شعوب العالم الإسلامي انطلاقاً من مبدأ : ژ ۋ ۋ ۇ ۆ ۆ ۈ ژ لإجراء الحوارات فيما بينهم لتقوية التعاون وتعزيز العَلاقة بينها .[١٢٣٠]

وكذلك المسؤوليَّة الجنائيَّة من أجل حفظ الأمن والحفاظ على نظام التديّن ، والأرواح أو الأنفس والعقول ، والأنساب أو الأعراض ، والأموال ، فيُعَاقبُ الزناة واللصوص ورماة العفيفات بالفاحشة والمحاربون والسّكارى ، بالعقوبات الزاجرة أو الرّادعة المناسبة لشدّة الجريمة وخطورتها ، ويُعاقب القتلة أو سفاكو الدّماء والمفسدون والمخرّبون على أساس من العدل والمماثلة أو المساواة ؛ لإطفاء حزازات النفوس ومنع عادة الأخذ بالثأر ، يشير إلى ذلك قول الله تعالى : ژ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ژ فعن قتادة في قوله : ژ ڭ ڭ ژ ، يعني : ( نكالاً وعظة إذا ذكره الظالم المعتدي كفّ عن القتل ) .[١٢٣١]

وقال أيضاً t : ( جعل الله هذا القصاص حياة وعبرة لأولي الألباب ، وفيه عظة لأهل الجهل والسّفه كم من رجل قد همّ بداهيةٍ لولا مخافة القصاص لوقع بها ولكنّ الله حجز عباده بها بعضهم عن بعض وما أمر الله بأمر قط إلا وهو أمر إصلاح في الدّنيا والآخرة وما نهى الله عن أمر إلا وهو أمر فساد والله أعلم بالذي يصلح خلقه ) .[١٢٣٢]

وعن الحسن البصري في قوله : ژ ه ه ھ ھ ے ے ۓ ۓ ژ ، قال : ( كان الرَّجل في الجاهليَّة إذا قتل قتيلاً ينضمُّ إلى قومه فيجيء قومه فيصالحون عنه بالدِّيَة ، فيخرج الفار وقد أمن في نفسه فيقتله ويرمي إليه بالدِّيَة فذلك الاعتداء ) .[١٢٣٣]

ويكون العفو عن جرائم الحدود قبل رفعها إلى القضاء ، وكذا بعد الادّعاء أمام القضاء في القصاص مجّاناً أو إلى الدّيَة هو الأفضل والأقرب إلى رضوان الله ، لقوله تعالى في العفو عن الدِّيَة : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ژ [١٢٣٤] أي يتصدّق أهله على القاتل ، وسمّي العفو عن الدّيَة صدقة حثاً عليها ، وفي حديث الشيخين[١٢٣٥] : « كلّ معروف صدقة » .

وهذا التخيير بين عقوبة القصاص والدِّيَة والعفو ممَّا تميَّزت به شريعتنا للدّلالة على الوسطيّة والاعتدال فقد شرع القصاص وحده في الدّيانة اليهوديّة ، والعفو وحده في الدِّيانة المسيحيَّة ، ثمَّ جاء

---

١٢٢٨- سورة المائدة : ٨ .
١٢٢٩- الأخيرة في سورة الرحمن : ٧- ٩ . ينظر: وسطية الإسلام : ٢٥ .
١٢٣٠- ينظر: وسطية الإسلام : ٢٦ .
١٢٣١- الدر المنثور : ٤٢١/١ .
١٢٣٢- المصدر نفسه .
١٢٣٣- المصدر نفسه .
١٢٣٤- سورة النساء : ٩٢ .
١٢٣٥- صحيح البخاري ، من حديث جابر بن عبد الله : باب :(كل معروف صدقة) ، برقم: (٥٦٧٥) :٢٢٤١/٥، صحيح مسلم ، من حديث حذيفة بن اليمان :باب : (بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف) ، برقم: (١٠٠٥) :٦٩٧/٢.



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النظام الإسلامي جامعاً بين المزايا كلها ؛ لإبقاء صنائع المعروف والمودّة والفضيلة ، وتقليل تطبيق العقوبة وجعله هو الشائع بين الناس .[١٢٣٦]

وشرّعت عقوبة الرّدة ؛ ليكون الإنسان جادّاً في اعتناقه للإسلام ، وحتى لا يقدم على الإسلام إلا بعد قناعة تامَّة ، فالإسلام لا يكره أحداً على اعتناقه ، بل إنَّ الله لا يقبل من الدّين إلا ما كان نابعاً عن قناعةٍ من صاحبه ، فإذا دخله الشخص فمن المفروض أن يكون على قناعةٍ بما اتخذ من قرار ، فإذا ارتدّ بعد ذلك فمعنى ذلك أنه أحدث بلبلة فكريّة وسياسيّة تضطرب بها أوضاع المجتمع ، ويفقد استقراره الفكري والنفسي المنشود ، كما قال تعالى مبيّناً دعوة المشركين إلى هذه السِّياسة : ژ ٻ ٻ ٻ ٻ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ژ[١٢٣٧] ونظراً لذلك شرّعت عقوبة الرِّدة ؛ حماية لجديَّة الاعتقاد ، وحرمة الدِّين .

والسِّجن يُعَدُّ نوعاً من أنواع التعزير الذي جعلته الشريعة الإسلامية بيد الحاكم المسلم وعلى حسب اجتهاده ، ووفق القواعد الإسلاميّة ، والتعازير تُعدّ مؤيّدات وكوابح لحماية نظام الشريعة الأصلي واحترام أصولها العامة ، وغايتها تحقيق الأمن والاستقرار والأمان وزرع الثقة فيما بين الناس .

وتعدّ أهمّ غايات السِّجن وأهدافه في شرعنا الحنيف هي رعاية المصالح العامّة للمجتمع وذلك بحفظ الضروريّات ورحمة المجتمع من الخراب والدّمار والوقوع في براثن الإجرام وعزل المجرمين عن بقيّة المجتمع كما أنَّ من أهدافه إصلاح هذه الفئة من المجتمع التي عبثت بها يد الهوان والإفساد وألجأتها في آخر المطاف إلى غياهب السّجون ، إذ يقوم السّجن بإصلاح هذه الفئة لتعود بعد ذلك إلى المجتمع فئة صالحة مساهمة في بناء بلدها .

وفهماً من هذا لا بدّ أن تولي الحكومات العربيّة والإسلاميّة السّجون اهتماماً كبيرًا وأن تجعله مؤسسة إصلاحيّة مثلى ؛ لما لها من دور في إصلاح المجتمع ، ويُمكن استغلال ذلك من خلال الوعظ والإرشاد ، وإتاحة إقامة الشعائر الدّينيّة من أذان وصلاة وصيام وغير ذلك مع توفير الوسائل الضروريّة واللازمة لأداء تلك الشعائر . ومن ثمّ بث الوعي الدّيني والتوجيه السّديد بين السّجناء وذلك عن طريق إرسال العلماء والدّعاة المصلحين إليهم .

ولا يفوتني أيضاً أنْ أشيرَ إلى بثِّ روح المسابقة الإيمانيَّة في حفظ القرآن الكريم ، وحفظ بعض الأحاديث النبويَّة الصَّحيحة ، مقابل الإفراج عنهم مثلاً أو إعطائهم هدايا تشجعهم على الاستمراريّة في ذلك .

إذن تطبيق الشريعة الإسلاميّة في الحياة ، وتأمين الإصلاح للشعوب ، يتحقق باحتكام الدّولة بأنظمتها العامّة وممارستها القضائيّة للشرع وغرس المنهج الصّحيح الحيّ في نفوس الناس .

وينبغي أن نعلم أنَّ تطبيق الحدود ليس إلا عاملاً واحداً من عوامل كثيرة ، شرعها القرآن لبناء المجتمع الإسلامي وسلامته واستقراره وأمنه ، فهناك التربية الإسلاميّة ، وأصولها والإيمان وتقريره في النفوس ، وأثره في الأمن وثيق ثمّ التربية بالعبادات الإسلاميّة فالصّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وكذا أمور العبادة الأخرى ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصوص الترغيب ونصوص الترهيب وغير ذلك .[١٢٣٨]

ونظام الحكم في الإسلام يقوم على أسس الحق والعدل ، والشورى ، والمساواة ، والحُريَّة في إطار الدِّين الذي يمنع الجموح والشذوذ ومصادمة القيم الكبرى والنظام الأمثل وسعادة الإنسان نفسه، ويُعدُّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أساس التكافل الأدبي والثقافي والاجتماعي ، كما أنّ التضحية والعمل للصالح العام المقدّم على الصَّالح الخاص ، وبناء مستقبل الأمّة والتعاون والتكافل كلّ ذلك من قواعد الحكم القرآني .

هذا وفي المقابل فقد حرّم القرآن الكريم الظلم في آيات كثيرة صريحة بذكر اسمه ، وفي آيات أخرى بصورة غير مباشرة وذلك بالأمر بالعدل ؛ لأنّ الأمر بالعدل نهي عن الظلم فمن ذلك قوله تعالى : **ژ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ژ** ، هكذا أمراً مطلقاً بالعدل بكلّ ما هو عدل ولكلّ إنسان فلا يجوز ظلمه ولو كان كافراً

---

١٢٣٦- ينظر: وسطيّة الإسلام وسماحته : ٢٤ .

١٢٣٧- سورة آل عمران : ٧٢ .

١٢٣٨- ينظر: أثر تطبيق الحدود في المجتمع : ٢٤٧ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أو ظالماً ، قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة : " ولهذا كان العدل أمراً واجباً في كلّ شيءٍ وعلى كلّ أحد ، والظلم محرّماً في كلّ شيء ولكلّ أحد فلا يحلّ ظلم أحد أصلاً سواء كان مسلماً أو كافراً أو كان ظالماً ، قال تعالى : ﮋ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﮊ ، ومعنى شنآن قوم أي بغض قوم وهم الكفار " .[١٢٣٩]

ومن المعلوم أنَّ الظلم معصية ، وأنَّ الظالم إذا لم يتب من ظلمه عوقب عليه في الآخرة ، وأنه إذا تاب توبة نصوحاً مقبولة ، فتوبته تسقط عنه عقوبة ظلمه . ولكن إذا كان ظلمه يتعلق بحقوق الناس كما لو قتل غيره ظلماً أو آذاه في بدنه بغير القتل أو غصبه حقاً له ثمّ تاب فهل تسقط توبته عقوبة ظلمه هذا في الآخرة ؟ تعرَّضَ الإمام ابن تيميَّة لهذه المسألة فقال : " إنَّ التوبة المجرّدة تسقط حق الله من العقاب وأمَّا حق المظلوم فلا يسقط بمجرد التوبة ، فمن تاب من ظلم لم يسقط بتوبته حق المظلوم ، لكن من تمام توبته أن يعوضه بمثل مظلمته ، وإن لم يعوضه في الدّنيا فلا بدّ له من العوض في الآخرة فينبغي للظالم التائب أن يستكثر من الحسنات حتى إذا استوفى المظلومون حقوقهم لم يبق مفلساً ومع هذا فإذا شاء الله تعالى أن يعوض المظلوم من عنده فلا رادّ لفضله كما إذا شاء أن يغفر ما دون الشرك لمن يشاء " .[١٢٤٠]

من سنّة الله في الظلم والظالمين هلاك الأمّة بظلمها ، وفي بيان هذه السنة العامّة آيات كثيرة في كتاب الله العزيز منها : ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﮊ ، وقوله تعالى : ﮋ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮊ ، وقوله تعالى : ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﮊ[١٢٤١] ..

وتبقى الدّولة مع الكفر لكن لا تبقى مع الظلم ، قال تعالى : ﮋ ﭑ ﮊ. إذ إنَّ الدّولة الكافرة قد تكون عادلة بمعنى أنّ حكامها لا يظلمون الناس والناس أنفسهم لا يتظالمون فيما بينهم ، فهذه الدّولة مع كفرها تبقى ، إذ ليس من سنّته تعالى إهلاك الدّولة بكفرها فقط ولكن إذا انضمّ إلى كفرها ظلم حكامها للرّعيّة وتظالم الناس فيما بينهم ، وبهذا قال المفسرون وأهل العلم ، قال الفخر الرّازي في تفسيره:" إنّ المُراد من الظلم في هذه الآية الشرك . والمعنى أنّ الله تعالى لا يهلك أهل القرى بمجرد كونهم مشركين ، إذا كانوا مصلحين في المُعاملات فيما بينهم يُعامل بعضهم بعضاً على الصّلاح والسّداد " .[١٢٤٢]

وفي تفسير القرطبي : " قوله تعالى: ﮋ ﮊ أي بشرك وكفر ﮋ ﮊ ، أي فيما بينهم في تعاطي الحقوق . ومعنى الآية : إنَّ الله تعالى لم يكن ليهلكهم بالكفر وحده حتى ينضاف إليه الفساد كما أهلك قوم شعيب ببخس المكيال والميزان ، وقوم لوط باللواط " .[١٢٤٣]

ومن آثار الظلم الذي يُعجّل في هلاك الدّولة الظالمة خراب البلاد اقتصادياً وعمرانياً لزهد الناس في العمل ، وسعيهم الدّائم إلى الفرار والخروج منها . وكان هذا يؤثر في قوّة الدّولة اقتصاديّاً وعسكريّاً ويُقلل مواردها الماليّة التي كان يُمكن أن تنفقها على إعداد قوّتها في مختلف المجالات ، ممّا يجعل الدولة ضعيفة أمام أعدائها الخارجين وإن بقيت قويّة طاغية على مواطنيها الضعفاء المساكين المظلومين .. وكلّ هذا يؤدي إلى إغراء أعدائها من الدّول القويّة لتهجم عليها وتستولي عليها أو على بعض أقاليمها أو إلحاق الأذى والضرر بها ممّا يُعجّل في هلاكها .[١٢٤٤]

وقد أشار القرطبي رحمه الله إلى أثر الظلم في خراب البلاد ، فقال : " فإنَّ الجَور والظلم يخرّب البلاد بقتل أهلها وانجلائهم منها ، وترفع من الأرض البركة " .[١٢٤٥]

ومن الظلم المُهلك المُحاباة في تطبيق القانون ، إذ إنّ القانون يجب أن يطبقَ على الجميع وبالسويّة وبدون مُحاباة ، فإذا ما طبق بُعثت الطمأنينة في النفوس ، وصار الضعيف المُحق يوقن بأنه في مأمن من ظلم القوي ؛ لأنّ الدّولة معه ممثلة بقانونها الذي تطبقه محاكمها بعدل وبجديّة وعلى الجميع

---

[١٢٣٩]- الفتاوى الكبرى : ٨٩/١ .
[١٢٤٠]- المصدر نفسه : ١١١/١ .
[١٢٤١]- الآيات في سورتي : الأنعام : ٤٥ ، ٤٧ ، يونس : ١٣ .
[١٢٤٢]- مفاتيح الغيب : ٤٨٦/٨ .
[١٢٤٣]- الجامع لأحكام القرآن : ١١٤/٩ .
[١٢٤٤]- السنن الإلهية : ٩٣ .
[١٢٤٥]- الجامع لأحكام القرآن : ٣٤٤/٩ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبدون مُحاباة لأحد ، ومن كانت معه الدّولة وقانونها فهو أقوى من غيره مهما كان هذا الغير ذا نفوذ وجاه وسلطان .
فإذا اختلّ هذا الوضع فلم يطبق القانون على الجميع وأخذت المُحاباة تفعل فعلها وهي التي يأخذ بها الحاكم ، كان ذلك من الظلم الذي تباشره الدّولة أو تعين على وقوعه أو تسكت عنه فلا تمنعه فتتلبس الدّولة بالظلم وتغشاها ظلمته فيقوم فيها سبب الهَلاك فتهلك .[١٢٤٦]

## المبحث الرابع

## أثر القرآن في إصلاح ترسيخ العَلاقات الدّوليّة

الإسلام مستمد من السَّلام ، فالله هو السَّلام ، والجنَّة هي دار السَّلام ، وتحيَّة الإسلام السَّلام وتحيَّة الله والملائكة لأهل الجنة هي السَّلام : ژ ں ں ڻ ڻڈڈ ۀ ۀ ژ والمسلمون مطالبون بتعميم السّلام ومحاربة الإرهاب غير المشروع لقوله تعالى: ژ ۓ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ژ، وقوله سبحانه: ژ ى ى ي ي ژ[١٢٤٧] ، وقوله عزّ وجل: ژۓ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ژ .
والأصل (القاعدة العامَّة) في عَلاقات المسلمين بغيرهم هو السّلم لا الحرب ، والباعث على القتال هو العدوان ، وإقرار الحرب مع النهي عن الاعتداء إنما هو للضرورة ودفع العدوان ومُقاومة الغاصبين والمحتلين وطردهم من ديار المسلمين والمستضعفين والمظلومين، لقوله تعالى: ژ ى ژ .[١٢٤٨]
وحينئذٍ يكون لزاماً التفرقة بين الإرهاب بالمعنى المطلق أو المفهوم الغربي الشامل لحق المُقاومة أو الدّفاع ، وبين الجهاد المشروع أو المُقاومة للمحتلين لطرد الأعداء والغاصبين فالمعنى الأوّل فيه خلط بين المفاهيم وتسويغ تسلط الظلمة والمستكبرين على المستضعفين والمعنى الثاني حق وعدل وشرف وكرامة بل واجب .
فالإرهاب المحظور: هو كلّ اعتداء على الآخرين ، أو عمل عنيف وراءه دافع سياسيّ ، أيّاً كانت وسيلته ، فهو عمل غير مشروع في دوافعه ومناهجه وأساليبه وغاياته ، وهذا يشمل وقائع الإرهاب المحلي في البلاد العربيّة الإسلاميّة الآمنة ؛ لأنه إفساد وتخريب وتدمير فيجب ملاحقة مثل هؤلاء وتخليص الوطن من شرّهم .[١٢٤٩]
أو بتعبير آخر أنّ كلمة الإرهاب : تستخدم للرّعب أو الخوف الذي يسببه فرد أو جماعة أو تنظيم سواء كان ذلك لأغراض سياسيةٍ أو شخصيّةٍ أو غيرها .[١٢٥٠]
أمَّا المُقاومة أو الدِّفاع عن الحقوق والبلاد والأوطان فهي مشروعة ، بل واجبة ، لطرد الظلمة والمعتدين والمتسلطين على الضعفاء واسترداد الحقوق المغتصبة ، مثلما يفعل الغربيِّون في العراق والصَّهاينة في فلسطين المحتلة .[١٢٥١]
وأساس هذه التفرقة قول الله تعالى: ژ چ چ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ ڇ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ۀ ۀ ہ ژ .

---

[١٢٤٦] - السنن الإلهية : ٩٤ .
[١٢٤٧] - سورة الأنفال : ٦١ .
[١٢٤٨] - ينظر: وسطية الإسلام وسماحته : ٢٦ .
[١٢٤٩] - ينظر: المرجع نفسه : ٢٧ .
[١٢٥٠] - ينظر: الإرهاب السياسي : ٨١ .
[١٢٥١] - ينظر: وسطية الإسلام وسماحته : ٢٧ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إنَّ نداء القرآن العظيم في الأسرة الدوليَّة واضح المَعالم لقيامه على مبدأ التعاون والتفاهم والتزام شرعة الحق والعدل ، كما جاء تحديده وبيان منهجه فيه فقال تعالى: ژ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ .

وإن كنا اليوم أمام صفحة جديدة غير مشرقةٍ في العَلاقات الدوليّة ، الحافز فيها هو هذا غير المعرّف المسمّى إرهاباً ، والخصم والقاضي فيها هو الولايات المتحدة وعُصبة من الدول ، يُقابله صمت فعلي من العالم ، والقانون المطبق فيه هو شريعة الغاب . آن للعالم أن يشخص الداء قبل اللجوء إلى دواء قد يكون هو من أسباب الداء . أو لا نرى ذلك تحت أنظارنا في العراق وأفغانستان ، وقبلها وبعدها ، الله يعرف أين ومتى ؟ ومن يعش ير .[١٢٥٢]

ولهذا فإنَّ العَلاقة بين مختلف تجمّعات الأمّة الإسلاميّة وإن تعددت كياناتها السياسية هي السّلام الذي تحققه مبادئ السّماء وكفالة الإسلام لحقوق غير المسلمين .. ويتجلى ذلك فيما يأتي[١٢٥٣] :

أوّلاً: تميّز الشريعة الإسلامية في كفالة حريّة الاعتقاد : جعلت شريعة الإسلام حرية العقيدة لغير المسلمين أمراً مقرّراً ، لأنّ الإسلام لا يكره أحداً على الدخول فيه ؛ ذلك لأنّ الله خلق الناس جميعاً مختلفين في أديانهم وألوانهم وعاداتهم وتقاليدهم ولا يزالون كذلك إلى يوم الدّين ، يُؤكد ذلك أنّ القرآن الكريم أنزل سورة كاملة تحتوي على هذا المفهوم الشامل ، قال تعالى: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ژ .[١٢٥٤]

ثانياً: كفالة حقوق غير المسلمين : جاء الإسلام الحنيف وفي جوهر مقاصده بقاء الإنسان ناهضاً بتبعاته يسعد بحياة آمنةٍ لا يرى فيها ظلماً ولا هضماً . فالعدالة والإنصاف والقسطاس سِمة الحياة في الإسلام والاستقامة ورعاية الحقوق وأداء الواجبات هي الأمل والعمل والسّبيل والهدف ، وإنّ الإنسانيّة في مسيرتها عبر التاريخ في الزمان والمكان لم تعرف دعوة إلى العدل كما عرفتها في ظلّ الإسلام؛ ليستقر المجتمع الدولي ويعيش في أمن وأمان . وتحقيقاً لمفهوم الأمن الشامل كفل الإسلام المعاملة الحسنة والرعاية الكريمة لغير المسلمين الذين يقيمون في دار الإسلام[١٢٥٥] على أن يكون لهم ما للمسلمين من حقوق ورعايةٍ واهتمام وحمايةٍ ، وعليهم ما على المسلمين من واجبات . فأصبح الأجنبي يتمتع بجميع الحقوق والأمان الذي يتمتع به المواطن المسلم ، وأصبح الجميع متساوين وحقوقهم مُصانة، وفي مقدمة ذلك أنفسهم وممتلكاتهم وأعراضهم ودينهم .[١٢٥٦]

ثالثاً: التعايش مع الأديان الأخرى : طالبنا الإسلام وفق أخلاقياته وسموّ نظرياته إلى معايشة الأديان الأخرى والتساكن معها مهما اختلفت ؛ لأنّ هذا الاختلاف بين الناس أمر حتميّ قضى به خالق الناس لحِكمة يعلمها هو جلّ وعلا ، يؤكد ذلك قوله تعالى: ژ ٹ ٹ ڈ ڈ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ژ .[١٢٥٧]

هذا وإنَّ من السِّمات البارزة والمزايا الحميدة للإسلام أنه دين يعترف بالأديان السّماويّة الأخرى، وإنّ نبيّ الإسلام مُحمّداً **r** قد آمن بما أنزل على موسى وعيسى عليهما السّلام ممّا لم يحرّفه اليهود ولا

---

١٢٥٢- ينظر: الإرهاب الدولي والنظام العالمي الرّاهن : ٢٠٣.

١٢٥٣- ينظر: نظرات استشرافية في فقه العلاقات الإنسانيّة بين المسلمين وغير المسلمين : ٩- ٣٧ .

١٢٥٤- سورة الكافرون : ١- ٦ .

١٢٥٥- دار الإسلام : (هي الدار التي تجري عليها أحكام الإسلام ، ويأمن من فيها بأمان المسلمين سواء كانوا مسلمين أم ذمّيّين) . السياسة الشرعية : ٧١ .

- ودار الحرب : (هي الدار التي لا تجري فيها أحكام المسلمين) . الشريعة الإسلامية والأجانب في دار الإسلام : ٤٢ .

١٢٥٦- ينظر: نظام الأمان في الشريعة الإسلامية وأوضاع المستأمنين : ٦٩ مفهوم العدل في الإسلام : ١٣١ .

١٢٥٧- سورة يونس : ٩٩ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النصارى ، قال تعالى: ﮋ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬﮊ .[١٢٥٨] وأكـد القـرآن الكريم أنّ الذي أنزل على موسى وعيسى عليهما السّلام هُدى ونور للناس، قال تعالى: ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ، ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﮊ [١٢٥٩] .. فأيّ تعايش وتساكن واعتراف أفضل ممّا جاءت به الشريعة الإسلامية .[١٢٦٠]

رابعاً: تميز الحكم الإسلامي بصيانة الحقوق والحريّات : تشير المُعاملة الإسلاميّة لغير المسلمين في ظلّ دولة الإسلام الحق والقانون والحماية إلى تميّز الحكم الإسلامي بصيانة الحقوق والأخلاق ودفع الظلم وإنجاز كلّ ما فيه خير للفرد والأمّة في الحاضر والمستقبل وبطبيعة الحال يشمل ذلك غير المسلمين ، فجعل النظام السياسي الإسلامي الحكم أمانة. يجب تحقيق مفهوم العدالة فيها تطبيقاً وتنفيذاً شرعياً ، قال تعالى: ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﮊ .[١٢٦١]

ولا شكّ أنّ وجود السّلطة القضائية المستقلة العادلة النزيهة لهو أكبر الضمانات لمحاكمةٍ تتوافر لها عوامل الحيدة والنزاهة والاستقلال . ومن صور المساواة والعدالة في الحكومة التسوية في مجلس القضاء والاستماع إلى الخصم غير المسلم وعدم الضيق بهم والحنق عليهم ، كما جاء ذلك في توجيهات النظم القضائية الإسلامية .[١٢٦٢]

وممَّا سبق يتضح لنا أنَّ الشريعة الإسلاميَّة أقرّت مبدأ أصول العَلاقات الإنسانيّة من تعايش واحترام للحريّات مع غير المسلمين ، وسبقت بذلك قواعد القانون الدّولي كله ، وذلك منذ أربعة عشر قرناً[١٢٦٣] ولم يضيّق الإسلام على المخالفين أو يُرهبهم أويُروّعهم البتة ، وبذلك تندحر المقولة المزعومة والتي يتشدق بها الأعداء الحاقدون على نظام الإسلام مرددين مقولة : إنَّ الإسلام انتشر بالسِّيف!! بل إنَّ الإسلام انتشر عن طريق الدّعوة بالتي هي أحسن والمجادلة المُقنعة والحِوَار الهادف البناء والتسامح في المعاملة ، ولم يعرف السِّيف إلا دفاعاً عن حُرُماته ومُقدَّساته من أن تُنتهكَ أو تُمْتهن من قبل أعداء الإسلام . وللمظلوم أن يدفعَ عن نفسه ، قال ابن القيِّم رحمه الله : " إنَّ جهاد الدّفع يُشبه باب دفع الصّائل ولهذا أبيح للمظلوم أن يدفع عن نفسه ، كما قال الله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﮊ " .[١٢٦٤]

خامساً: تمتع الأجنبيِّ بالأمان : جاء الإسلام بشريعة عادلة ونظم إنسانية تحترم الإنسان وتكرمه وتمنحه الرّعاية والحماية والأمان . وقد أبان الفقهاء أنّ الأمان للأجنبي يتمثل في تحقيق الدولة الإسلاميّة الأمن والحماية لمن لجأ إليها[١٢٦٥] . وقد ضرب الإسلام أروع الأمثلة في تمتع الأجنبي بالأمان. قال الحافظ ابن كثير في تفسيره لقوله تبارك وتعالى: ﮋ ﯓ ﯔ ﮊ[١٢٦٦] " والغرض أنّ من قدم من دار الحرب إلى دار الإسلام في أداء رسالة ،

١٢٥٨- سورة البقرة : ٢٨٥ .
١٢٥٩- سورة المائدة : ٤٤ ، ٤٦ .
١٢٦٠- ينظر: المجتمع المدني في عهد النبوة (خصائصه وتنظيماته الأولى) : ٧ .
١٢٦١- سورة النساء : ٥٨ . ينظر: الإسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين : ٨٥ ، التقسيم الإسلامي للمعمورة : ٥٩ .
١٢٦٢- ينظر: السّلطة القضائية وشخصية القاضي في النظام الإسلامي : ٦٥٢ ، القضاء في الإسلام وآداب القاضي : ١١٩.
١٢٦٣- ينظر: قواعد العَلاقات الدوليّة في القانون الدولي وفي الشريعة الإسلامية : ٣١٥ .
١٢٦٤- سورة الحج : ٣٩ . وقول ابن القيم في كتابه الفروسيّة : ١٨٧ .
١٢٦٥- ينظر: الإسلام والعَلاقات الدّولية : ٣١٧ .
١٢٦٦- سورة التوبة : ٦ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أو تجارة ، أو طلب صُلح ، أو مهادنة ، أو حمل جزية أو نحو ذلك من الأسباب وطلبَ من الإمـــام أو نائبـــه أماناً أعطي أماناً ما دام متردداً في دار الإسلام وحتى يرجعَ إلى مَأمنه ووطنه " .[١٢٦٧]

إذن فلا شكَّ أنَّ هذا التمتع إنما هو مصدر للرّعاية الحقيقيّة التي منحتهم إيّاها الشريعة الإسلاميّة أكثر من القانون الدولي . وقد رتب الفقهاء على هذه الامتيازات أنه لا يجوز لدار الإسلام تسليم المســتأمن إلى دولته دون الرّجوع إليه ورضاه بذلك ولو على سبيل المبادلة بأسير مسلم .. فأيّ امتيـــاز وتمتـــع للأجنبي في نظام أو قانون مثل الإسلام ، فلم تكن نظرية بل كانت سلوكاً واقعيّاً في حيـــاة المســـلمين وفي صلاتهم وعَلاقاتهم بغيرهم ، وهي جزء لا يتجزأ من العقيدة .[١٢٦٨]

سابعاً: الإخلال بالأمن وعقوبته الشرعيّة والقانونيّة : في مقابل ما منح الوافد الأجنبي والديبلوماســـي من حقوق وحماية ورعاية وأمان وتكريم ، فإنّ إخلاله بالأمن القومي للدّولة الإسلاميّة يترتب عليـــه تبعات عقابية قاسية . فالأمن القومي للدّولة الإسلامية هو عبارة عن "مجموعة مصالحها الحيوية فكلّ دولة تهتم بالحفاظ على تلك المصالح سواء كانت سياسية أو اقتصادية ، أو ثقافيـــة ، أو اجتماعيـــة : معنويّة أو روحيّة أو أمنيّة ، وإنّ مفهوم الأمن القومي هو العمل على مُقاومة كلّ من يُحاول مخالفـــة قواعد الأنظمة المرعية والتشكيك في مبادئ الدّول وقيَمها" .[١٢٦٩]

وقد أدركت الدّولة الإسلامية في سياساتها الخارجية منذ نشأتها الأولى هذا الأمر وأعطته جُلّ الاهتمام فزوّدت سفراءها بالتعليمات ، والسّلوكيّات والآداب التي ينبغي أن يتجمّلوا بها أمام الـــدول والهيئـــات والمؤسســـات والمنظمات العالميّة فمّما أوصتهم به الديّبلوماسيَّة الإسلاميَّة عدم التدخل في شؤون المُرسل إليـــه ، وأمـــور مملكته ، والتحريض على الرّاعي والرّعيّة ، أو أن يتصلوا بشخصيات مشتبه في أمرها لدى سلطات الدّولـــة المُرسل إليها ؛ لأنَّ الديبلوماسي أو الوافد إلى دولة أخرى ينبغي أن يكون كما قال الملك الظـــاهر برقـــوق : "أعمى أخرس ، غزير العقل ، ثقيل الرّأس " .[١٢٧٠]

ثامناً: الوفاء بالعهد : إذا أعطى المسلمون الأمان للحربيّين ، وجبَ عليهم الالتزام بما يقتضيه عقد الأمان من عدم التعرّض لمن ثبت له الأمان الخاص أو العام المؤقت أو المؤبّد ما لم ينته أمانه إن كان مؤقتاً وإنما يجب الوفاء بالعهد مع الحربيّين . فالمسلمون مطالبون بالوفاء بالعهود التي التزموا بها كما قال تعالى: ژ ڑ ک ک ک کژ ، وقال : ژ ۇ ۈ ۈ ۇ ۆ ۆ ۈ ۇ ژ .[١٢٧١]

وحرصاً على هذه المصداقية فإنه يلزم على المسلمين إذا اضطروا لإنهاء عقد الأمان قبل انتهاء وقته لخوف خيانتهم للعهد أن يعلمونهم بنقض عهدهم قبل قتالهم ولا يجوز الاعتداء عليهم حتى يبلغهم خبر النقض عمـــلاً بقوله تعالى: ژ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ژ [١٢٧٢] وقد التزم المسلمون طيلـــة المســـيرة الجهاديَّـــة والأحوال الحربيَّة مع المُخالفين بالعهود والمواثيق والمُعاهدات ولم تشهد العَلاقـــات الدوليّـــة فـــي الشـــريعة الإسلامية أي مبدء لنكث العهد والميثاق والإخلال بالعهود من قبل المسلمين حكاماً وقادة ومجاهدين ومُعاهدين .[١٢٧٣]

إذن فالقرآن الكريم لا يمنع من إقامة العَلاقات الدوليّة حتى مع غير المسلمين على أسس من العدل والمُعاملـــة بالمثل . فالتوازن هو السنة التي دونها يستحيل أن يكون هناك وجود حقيقي على مستوى الفرد فالإنســـان إذا اختلـــت التوازنات في ذاته وفي جسمه يشعر بمرض كذلك الطبيعة والطقس والجو إذا اختلت فيها التوازنات يحدث الخلـــل ، وإذا

---

١٢٦٧- تفسير القرآن العظيم : ١١٤/٤ .

١٢٦٨- ينظر: أصول العَلاقات الدولية في الإسلام : ١٣١ ، العلاقات الدولية في الحروب الإسلامية : ٨٦ ، ٨٧ .

١٢٦٩- نظم الحكم المعاصر : ١٣٣ .

١٢٧٠- النظم الديبلوماسيّة في الإسلام : ٦٦ .

١٢٧١- الآيتان في سورتي : النحل : ٩١ ، الإسراء : ٣٤ .

١٢٧٢- سورة الأنفال : ٥٨ .

١٢٧٣- العلاقات الدولية في الشريعة الإسلامية : ١٠٣ ، أحكام المعاهدات في الشريعة الإسلامية : ١٥٧ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اختلّ التوازن في العَلاقة بين الطبقات في المجتمع، يحدث الصّراع والدّمار وإذا اختلّ التوازن بين العَلاقات الدوليّة تحدث الحروب والصراعات والفتن .[١٢٧٤]

.. وأخيراً فإنَّ هذا الموضوع ذو شجون وفنون ، يُبرهن أنَّ الإسلام بريء من العُنف والتطرّف وأنه دين التيسير ، وأنه دين جاء ليبقى ، قال تعالى : ژ ی ی ی ی ژ ولا غرابة فإنه دينٌ عالميّ ، فالمعبود بحق ربّ العالمين ورسوله رحمة للعالمين قال تعالى : ژ ک ک ک گ گ گ گ ژ وقرآنه رحمة للعالمين ، قال تعالى : ژ پ پ پ پ ڀ ڀ وكعبته هدىً للعالمين، قال تعالى : ژ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ گ گ ں ں ڻ ژ.[١٢٧٥]

## الفصل الثامن

## دور القرآن في إصلاح الإعلام

لا تخلو أيّة أمّةٍ من الأمم – أيّاً كان تمدّنها وحِضارتها– من مفاهيم وقيم وموازين وأعراف تربى عليها أفرادها ، وتقيم موازينهم وقيمهم وتصوّراتهم عليها ، وتسعى بكلّ وسائلها وإمكاناتها إلى غرس تلك المفاهيم ؛ لأنّ بقاءها وتزكيتها والمحافظة عليها كفيل بتماسك الأمّة وتلاحمها .

وتختلف أمّة عن أمّةٍ في التركيز على بعض القيم وتبنيها لها ، وقد توجد اختلافات وتباينان بين أمّةٍ وأخرى إلى حدّ التناقض في تلك الأسس التي تعمل على تربية أفرادها عليها ونلاحظ في الوقت الحاضر هذا الأمر بجلاء ، إذ تسعى أجهزة الإعلام المختلفة ووسائلها المتعدّدة لغرس القيم والمفاهيم التي تريدها هذه الدّولة أو تلك في مواطنها بحيث تنمّط أفكار الناس ، وتشكّل سلوكياتهم وتسيّر حياتهم وفق ما تريد .[١٢٧٦]

فهذا النهج هو الذي يعنى به في البناء التربوي للأمّة ، وقد لاحظناه أمراً بدهيّاً تمارسه جميع الأمم والجماعات .. إلا أنّ قيادات الأمم غير المهتدية بهدي الله تعالى تسعى إلى تنميط حياة الناس، بحيث لا يتعارض مع مصالحها ، بينما قيادة الأمّة السّائرة على هدى الله تعالى تعمل على إيجاد الكرامة الإنسانيّة ، وغرس القيم الإنسانيّة . ويندرج تحت البناء التربوي جوانب تربية الأفراد والأمّة ، وجوانب إدارة وإجراءات تنفيذ ما يطلب منهم ، وإدارة الصّراع مع من حولهم وحدود العَلاقة مع غيرهم ومدى تنمية حياتهم العلميّة .[١٢٧٧]

إنَّ القرآن الكريم كتاب إصلاحيٌّ إعلامي نزل بالحق : لتحقيق غرض مُعيّن ، ألا وهو الدّعوة إلى الله تعالى ، فالإعجاز في القرآن هي الحقيقة الإعلاميّة الخالدة ، إذ يستعين باللغة الفصيحة والعبارة البليغة الواقعيّة القادرة على غزو القلوب و العقول ، وهو كتابٌ إعلاميٌّ نزل من عند الله تعالى لتحقيق هداية البشر كافة إلى الله تعالى وتثبيت عقيدة نقيّةٍ راسخةٍ في النفوس . حتى أضحى الإعلام

---

[١٢٧٤]- ينظر: وسطية الإسلام وسماحته ودعوته للحوار : ٣٦ .

١٢٧٥- الآيات – بالترتيب – في سورة : الفتح : ٢٨ ، الأنبياء : ١٠٧ ، يوسف : ١٠٤ ، آل عمران : ٩٦ .

[١٢٧٦]- دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة : ٧١ .

[١٢٧٧]- المرجع نفسه .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإسلامي يتميّز بمقوّمات خاصّة في: التنوّع في الأداء ، والواقعيّة في الأدوار من حيث البيان المعجز ، والتزام الصّدق ، والمواجهة الصريحة، والشمول لمختلف القضايا، تقديم الحقائق العلميّة في قدرة الإنسان على الاستيعاب ، وإتباع أسلوب الأداء الأمثل في التنوّع والتغيير .

فما أحوج الإعلام الإسلامي – اليوم- وهو يدعو ويعلم و يُصحّح أن يعلم أنَّ القرآن الكريم : هو الوسيلة الأولى في الإعلام و التبليغ ، بل هو وسيلة إعلاميّة شديدة الفاعليّة فهو المصدر الأصيل للعلم والثقافة الإسلاميّة . وكان رسول الله r يمثّل القرآن الذي نزلَ عليه ، وكأنه قرآنٌ يمشي على الأرض وذلك في أحواله كلها ، و في كلّ ما ينطق به من أقوال وأحاديث .[١٢٧٨]

وللإعلام الإسلامي مقوّمات وأسس من أهمّها: الالتزام بالصّدق والأمانة في البيانات كلها من مصادرها الأصيلة . وإنّ التزام الصّدق مسألة بالغة الأهميّة في الإعلام الناجح ، و في الدّعوة إلى الله تعالى ، وقد ذمَّ القرآنُ الكريمُ الذين يقولون بغير علم : ژ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ۓ ژ ، ژ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ژ ، ژ ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ژ [١٢٧٩] وقال r : « كفى بالمرء كذبا أن يُحدّث بكلّ ما سمع » .[١٢٨٠]

وتظلّ المصادر الأساسيَّة في الإسلام مهيمنة على كلّ نظرية ، توصف بأنها إسلاميّة في أيّ ميادين المعرفة . وأنّ الصّدق والأمانة في جمع البيانات من مظانّها ومصادرها الرئيسيّة تعدان ميزتان بارزتان في الإعلام الإسلامي ، وأصل من أصول منهجه .

لذا فإنَّ من الخصائص التي يقوم عليها الإعلام في الإسلام : أوّلها ، وأولاها الصِّدق ؛ ذلكم لأنَّ الصِّدق سِمة من سِمات القرآن الكريم في الرِّسالة والدَّعوة الإسلاميَّة .[١٢٨١] وكذلك الحقائق المُدعمة بالبراهين . وأنبياء الله ورسله المبلّغون عنه ، صفتهم الرَّئيسيَّة : الصِّدق والأمانة . والمؤمنون هم الوارثون عن رسل الله : الدَّعوة و البلاغ والإعلام بالإسلام ، وقد أمروا بالتحقق وتحرِّي الصِّدق، قال تعالى : ژ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ژ [١٢٨٢] ، وحذروا من أن يعتبر القول من غير علم وسند صحيح ، قال تعالى : ژ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ژ .

فالقرآن الكريم كتاب الدَّعوة جاء من الحقّ جلَّ في علاه بالحقِّ .. فهذه الصِّفة تنهى عن الكذب والخداع ، حتى في النوايا : لا بدّ من الصّدق مع الله ، و إخلاص النيّة ؛ لسلامة العمل . والصّدق هو أحد الرّكائز الأساسيّة ضمن المنهج الإعلامي الإسلامي ، والذي يتضمّن : صدق الخبر ، وصدق الكلمة ، وصدق الحكم . وإنّ التزام الصّدق صفة بالغة الأهميّة في الإعلام الناجح – بشكل خاص- وفي الدَّعوة إلى الله – بشكل عام- .

ومن بين المقوّمات الرَّئيسيَّة أيضاً التجرّد من الذاتيّة ، والتحلي بالموضوعيّة في عرض الحقائق، ويُعد هذا المقوم: الصَّفحة المميِّزة لدعوة الإسلام على ما سواها ، إذ تعرض الحقّ بموضوعيّةٍ بعيدة عن الأهواء والرّغبات .[١٢٨٣] والإسلام متميّز في عَرض الحقائق ، بأنّه لا يثبتها ولا يبثها عن طريق الحدس والتخمين ولا يوضحها بأسلوب التدليس و المُغالطة ، وإنما يبني حقائقه على العلم الموصل إلى اليقين وعلى الصِّدق المؤدِّي بإذن الله تعالى إلى الثقة والاطمئنان .

---

[١٢٧٨]- ينظر: الإعلام : ٦٠ .

[١٢٧٩]- الآيات – بالترتيب- في سور : النور : ١٥ ، الإسراء : ٣٦ ، الحجرات : ٦ .

[١٢٨٠]- صحيح مسلم : باب: (النهي عن الحديث بكلّ ما سمع) ، رقم الحديث: (٥) :١٠/١ ، سنن أبي داود : باب: (التشديد في الكذب) ، برقم: (٤٩٩٢) :٧١٦/٢ .. وكلاهما من حديث أبي هريرة t .

[١٢٨١]- ينظر: النظرة الإسلاميّة للإعلام : ١٢٧ .

[١٢٨٢]- سورة التوبة : ١٩٩ ،

[١٢٨٣]- ينظر: الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر بوسائله المعاصرة : ٤٧ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إنَّ القرآن الكريم يمتاز بالتنوّع في الأداء من حيث الحقيقة ، إذ هو تركيب مُعجز ، غاية الإعجاز في بناء آياته في الموضوعات ؛ ذلك لأنّ القضايا التي يتبنّاها ويتناولها ، أساسها الواقعيّة في الحِوار: والمقصود بالواقعيّة وإن كان وحياً ، إلا أنّه واجه الأحداث والوقائع وكلّ من يتلو القرآن الكريم يتبيّن له أنّ الحِوار يتناول الأحداث والمواقف كلها ، وكلّ الناس من جميع الفئات . والقرآن العظيم لا يتردد في أيّ أسلوب من أساليب البيان ، ولا يستحيي أن يضرب أيّ مثل من الأمثلة في سبيل خدمة الدَّعوة إلى الله سبحانه وتعالى .. كيف لا وهو البيان المُعجز ، إذ اعتمد أفضل أساليب القول في الدّعوة . والدّعوة إلى اعتماد أفضل أساليب الأداء في مُمارسة الإعلام ، ومُخاطبة الآخر .. وهذا يتمثل في :

- القول الحسن ، قال تعالى : ﮋ ﭓ ﭔ ﮊ .[١٢٨٤]
- اللين في القول والخطاب ، قال الله تعالى : ﮋ ﭑ ﭒ ﮊ .[١٢٨٥]
- البصيرة في الأداء والتوصيل ، قال سبحانه : ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﮊ.[١٢٨٦]
- الحِكمة في العَرْض ، واختيار الموعظة الحسنة : ﮋ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﮊ .[١٢٨٧]

كما شمل القرآن مختلف القضايا ، والمواقف المتعلقة بشؤون الدّنيا والآخرة ، وذلك عِبر الاهتمام بكلّ صغيرة وكبيرة ؛ حتى لا يترك أيّة ثغرة في بناء الدَّعوة إلى الله ربِّ العالمين .. وهكذا فينبغي استثمار ما تقدّم والإفادة منه . وأمَّا عن الأساليب القرآنية للدَّعوة والإعلام ، فقد تضمَّنت : اليُسر والسّهولة ومخاطبة العقول كلها . الحِوار بأسلوب يُقدّر كرامة الإنسان ، و حريّته وعقله ؛ ذلك لأنّ الإعلام قد بنيَ على أساس حريّة الإنسان المنضبطة ؛ ليميّز الخير من الشر. ومُخاطبة عقل الإنسان ، وقلبه وجوارحه بأسلوب شامل جامع ، إذ أحاط ملكات الإنسان كلها .[١٢٨٨]

والقصَّة القرآنيَّة ، لها أثر بالغ في الإصلاح ، إذ استخدمت كأسلوب من أساليب الإعلام والدّعوة القرآنيّة -التي خاطبت العقل والشعور جميعا- . وفي الأساليب القرآنيّة والإعلام : نجد التكرار قد استخدم بطريقة فعّالة ومؤثرة ، قبل أن يُعرفَ علمُ النّفس ، ودراساته الحديثة .[١٢٨٩]

وهذا يعني أنَّ القرآن الكريم ظاهرة تاريخية منفصلة عن العصر الحاضر ، وأنه لم يتوقف تأثيره في صنع الأفكار و تعيين العادات والتقاليد والتأثير في النفوس في فترة ، ولا يزال محتفظاً بالدّفاع عن أصالته وثباته وقدرته على المعاصرة .

.. وللإحاطة ببعض الجوانب الإصلاحيَّة تجاه الإعلام – من دون إطالة- ، ارتأيتُ أن يكون هذا الفصل متضمّناً المطالب الآتية :

## المطلب الأوّل

## أثر القرآن في إصلاح رجل الإعلام

---

[١٢٨٤]- سورة البقرة : ٨٣ .
[١٢٨٥]- سورة طه : ٤٤ .
[١٢٨٦]- سورة يوسف : ١٠٨ .
[١٢٨٧]- ينظر: الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر بوسائله المعاصرة : ٤٧- ٤٨ .
[١٢٨٨]- ينظر: الإعلام في القرآن الكريم : ٢٠١- ٢٢١ .
[١٢٨٩]- ينظر: المرجع نفسه : ٢٦٤ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يوجّه القرآن رجل الإعلام بتوجيهات هامّةٍ وصفاتٍ خاصّةٍ ، تجعله عنصراً مميّزاً فعّالاً ، ولاسيّما إذا كان موضع ثقة الشخص الذي توجّه إليه الفكرة ، و اتصف بالاحترام والخبرة والصّدق ، وكان متخصّصاً في مجاله ، ومهما تكن عظمة الفكرة أو قدسيّتها ، فإنّ رجل الإعلام له أهميّته الكبرى ، ويكفي أن نستذكر هنا قوله تعالى حينما وصف رّسوله r : ژ ٻ ٻ پ پ ٻ ٹ ٹ ڈ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹڈ ژ .[1290] فتبلغ رسالة القرآن بما يمثله من عظمة وقدسية تطلبت أن يكون رسول الله r متصفاً بصفات خُلقيّةٍ أو كما أجملها القرآن الكريم في قوله تبارك وتعالى : ژ گ گ گں ژ .

.. وبهذا التوجيه الجليل مهد الإعلام لمراحل الدّعوة الإسلامية التي كللت بالنصر وانتشار الإسلام في كلّ أفاق الأرض ، لذلك فإنّ تجلية الجانب الإعلامي ، وإلقاء الضوء على الأساليب والوسائل التي وجه الله تعالى بالقرآن الكريم رسوله وأصحابه إليها ، تقدم لنا أنجح الوسائل وأكثرها فاعليّة وتأثيراً بالنسبة للدّعوة لديننا في هذا الزمن ، وبالنسبة لما ندعوا إليه من مبادئ وقيم أخرى تتصل بالحياة .

إنَّ التوجيهات قد شغلت حيزاً كبيراً في القرآن وأنه تعالى قد قدّم لنا الأركان الأساسيّة التي تقوم عليها الدّعوة مع بيان أساليبها ووسائلها ، وهي تتضمّن المبادئ السّامية لكلّ إعلام ناجح ومؤثر .. ونستطيع القول إنّ أغلب آيات القرآن الكريم إن لم تكن كلها قد احتوت في جزء من أجزائها على إعلام عن حقيقة ما غابت عن عقولنا وعظة بالغة ، أو دليل واضح على وجود الله تعالى وقدرته أو قصة عظيمه الدّلالة على الانتصار الدّائم للخير باعتباره سنّة الله التي لا تبديل لها في حياة البشر .[1291]

فإذا انتقلنا إلى ميدان التخطيط للحياة الفاضلة وحمايتها من عوامل الانحراف والهدم فإنّ هذه الآيات تقدم لنا من خلال بيانها المثالي كلّ المعلومات والوسائل التي تمكننا من المحافظة على طهارة الحياة ونقائها فتعلمنا أنباء الأيام الخالية والأمثال والعبر ، وتحفزنا للدّفاع عنه والجهاد في سبيله ولنحيا الحياة الجديرة بالإنسان يقول تعالى في ذلك : ژ ۓ ۓ ﮭ ﮬ ﮯ ﯓ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ﯦ

ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ى ى ي ي

ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ

ژ .[1292]

بهذه الكلمات الطيِّبة المضيئة الموحية ، استقر الدين القيم في القلوب وبها انطلقت النفوس لتجاهد في سبيله لا تنظر إلا إلى ما يعدها الله به .. وفي آياته البيِّنات . وقد ساندت هذه الكلمات القرآنية القدوة والأسوة التي سنها رسول الله r بسلوكه وأفعاله وأقواله ونحن نعلم أنّ هذا السّلوك ظلّ في القمة بين كلّ سلوك بشري على مدى القرون والأجيال ؛ لأنّه من صنع الله الذي اصطفاه وأدّبه فأحسن تأديبه .

## المطلب الثاني

## دور القرآن في إصلاح الشعور بالأمن إعلاميّاً

كان من أهمِّ إصلاح الأساليب القرآنية للدّعوة والإعلام إشاعة الشعور بالأمن والأمل في نفوس المجتمع العربي ، الذي عانى في جاهليته من شعور متمكن بفقدان الأمن والإحساس العميق بالضياع في حياته الدنيا ومن بعدها الموت ورأينا كيف بث الأسلوب القرآني شعوراً مطمئناً بالأمن والسّلام وأقامت الأساليب

[1290]- سورة آل عمران : ١٥٩ .

[1291]- ينظر: الإعلام في القرآن الكريم : ٢٢١ .

[1292]- سورة الأنعام : ١٥١- ١٥٣ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القرآنية للدعوة والإعلام الوجداني الجماعي في المجتمع العربي ، الذي اندفع به وحقق المعجزات في مجال نشر الإسلام والدعوة له بكل أساليب الدعوة التي بينها القرآن له وحثه على إتباعها .

ويبقى بعد تكوني الوجدان الجماعي ، ما يتحمّل بكلّ فرد وما تضطرب به نفسه من قلق أو خوف على حياته أو ماله وأولاده ، وفي مجال بث أمن الفرد على حياته ، واطمئنانه إلى ما تأتي به الأيّام والمواقف وجّهت الدّعوة القرآنيّة الإنسانيّة إلى الحقيقة الخالدة التي تتصل بهذه الحياة وما بعدها على نحو لا يشعر فيه المؤمن بأيّ خوف من الموت ؛ لأنّ القرآن بث فيه الإيمان بحياة أفضل وأخصب تتصل بالدّوام والخلود.[١٢٩٣] يقول الله تعالى في ذلك : ژ ۇ ۈ ۇ ۆ ۆ ۈ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ژ ، ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ڌ ڎ ڎ ڎ ڎ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ، ويقول: ژ ۋ ۅ ۉ ۈ ۇ ۆ ۆ ۈ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ژ ويقول جلّ شأنه : ژ ى ى ې ې ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح طم ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم مج مح مخ مم نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لا لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ير يز يم ين يى يي ذٰ رٰ ىٰ ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ير يز يم ين يى يي ذٰ رٰ ىٰ ژ .[١٢٩٤] وإذا كان الموت هو قدر كلّ حي ونهايته فلم يكن ذلك قدراً محتوماً لا غاية وراءه ولا هدف منه ولكن شاء القدير الحكيم أن يجعله وسيلة لصلاح الدّنيا وخير الأحياء ، قال الله تعالى : ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ڌ ڎ ڎ ڎ ڎ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ .[١٢٩٥]

" إنه أوجد الخلائق من العدم ؛ ليبلوهم ويختبرهم أيّهم أحسن عملا " .[١٢٩٦]

إنَّ غايات الحياة هنا تتحدد بالدّعوة القرآنيّة في عقل كلّ إنسان وشعوره ، ويصبح إدراك ما بعد الحياة من خير يرتبط بما يقدّم كلّ إنسان من عمل حسن وصالح في حياته الحاضرة ، فترتبط الغايات الطيّبة بالوسائل الطيّبة ، ويصبح الثواب بعد الموت مرتبطاً بالحياة ؛ ليزيد الخير وتطيب الحياة لكلّ حي، وبهذا الشعور يذهب الفزع من الموت من نفوس المؤمنين وتطمئنّ نفوسهم إلى ما ينتظرهم بعد الحياة .[١٢٩٧]

فالموت حق ويقين في نفس كلّ مؤمن ، يرجوه وتشتاقه نفسه في سبيل الله ؛ لأنَّ ما ينتظره من ربه خير من كلّ ما يجمع الأحياء على الدّنيا ، وهو معبر إلى حياة النعيم والخلود .

بهذا اليقين زال أكبر ما كان يؤرق النفس الإنسانيّة من فزع الموت وما يعقبه من الفناء والضياع وبهذا الإدراك تسابق الناس إلى الصّالح من الأعمال والخيرات ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون ويأتي بعد الفزع من الموت تضطرب له النفس البشريّة أشد الاضطراب ، خوف آخر ، مرده شعور الإنسان بعدم اطمئنانه على معايشة ومعاش ذويه ، إذ تتراءى له شبح الجوع والفقر ، وما يجرّانه عليه من بؤس وعنا ومذلة قد تدفعه إلى الشرّ ، أو إلى اليأس والقنوط ، وفي هذا الشأن تقدم الأساليب القرآنيّة العلاج الشافي الذي تطمئنّ له النفوس ويتبع به الأمل ، يقول جلَّ في علاه : ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ژ .[١٢٩٨]

وفي بيان معجز يزيل من نفس الإنسان كلّ شك ويفتح أمامه منافذ لا تحصى للأمل والرّجاء يقول تعالى : ژ ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ژ ، ژ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ژ ، ويقول جلّ شأنه : ژ ى ى ې ې ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح طم ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم مج مح مخ مم نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لا لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ير يز يم ين يى يي ذٰ رٰ ىٰ ژ .[١٢٩٩]

---

[١٢٩٣]- الإعلام في القرآن الكريم : ٢٥٢ .

[١٢٩٤]- الآيات – بالترتيب- في سور : النساء :٧٨ ، الأنعام : ٣٢ ، غافر : ٣٩ ، الأنبياء : ٣٤- ٣٥ .

[١٢٩٥]- سورة الملك : ١- ٢ .

[١٢٩٦]- تفسير القرآن العظيم : ١٧٦/٨ .

[١٢٩٧]- الإعلام في القرآن الكريم : ٢٥٣ .

[١٢٩٨]- سورة هود : ٦ .

[١٢٩٩]- الآيات في سورتي : العنكبوت : ٦٠ ، ٦٢ ، فاطر : ٢- ٣ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي بيان جامع معجز يحفظ للإنسان معنوياته ويُباعد بينه وبين دواعي اليأس والقنوط ممّا تأتيه به الأيّام يقول عزّ شأنه : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڎ ڎ ڈ ژ ژ ڑ .[١٣٠٠]

وهذا عام لجميع المصائب ، في النفس ، والمال ، والولد ، والأحباب ، ونحوهم ، فجميع ما أصاب العباد فبقضاء الله وقدره ، قد سبق بذلك علم الله تعالى ، وجرى به قلمه ، ونفذت به مشيئته واقتضته حكمته والشأن كلّ الشأن ، هل يقوم العبد بالوظيفة التي عليه في هذا المقام ، أو لا يقوم بها ؟ فإن قام بها ، فله الثواب الجزيل ، والأجر الجميل ، في الدّنيا والآخرة ، فإذا آمن أنها من عند الله ، فرضي بذلك ، وسلم لأمره ، هدى الله قلبه ، فاطمأنّ ولم ينزعج عند المصائب ، كما يجري لمن لم يهد الله قلبه ، بل يرزقه الثبات عند ورودها والقيام بموجب الصبر ، فيحصل له بذلك ثواب عاجل ، مع ما يدخر الله له يوم الجزاء من الثواب .. وعلم من هذا أنّ من لم يؤمن بالله عند ورود المصائب ، بأن لم يلحظ قضاء الله وقدره ، بل وقف مع مجرد الأسباب ، أنه يخذل ويكله الله إلى نفسه ، وإذا وكل العبد إلى نفسه ، فالنفس ليس عندها إلا الجزع والهلع الذي هو عقوبة عاجلة على العبد ، قبل عقوبة الآخرة ، على ما فرّط في واجب الصّبر .[١٣٠١]

## المطلب الثالث

## دور الرّسالة الإعلاميّة الإسلاميّة

شكّلَ الإعلامُ – اليوم- أحد أهمِّ دعامات الثورة التكنولوجية الحديثة في الاتصالات ، وانعكس ذلك على كلّ فرد في هذا المجتمع المعاصر ؛ نظراً للتغييرات المستحدثة في آلياته والمستجدات في نمط حياة الفرد مقارنة مع ما كانت عليه في العهود السّابقة ، إذ أحدث الإعلام انقلاباً شبه جذري في مجالات الحياة المعاصرة كلها وسلوكيات أفراد المجتمع وطالت التغيرات الأعراف والقواعد والقيم الاجتماعيّة ، فضلاً عن ما تعرضه وسائله المتعددة في الأجواء العالميّة ، بعدما حوّلت العالم إلى قريةٍ صغيرةٍ .

وفي الحقيقة أنَّ الإعلام هو الذي يوجّه الناس في المجتمع ، وهو الذي يضع الرّأي العام وفق رغبات وأهواء القائمين على الوسائل الإعلاميّة وانطلاقاً ممَّا يُؤمنون به من مبادئ وأفكار وقيم .

فالإعلام أصبح بطل الملحمة واللاعب الأساسي في صياغة الترتيبات العالميّة على ضوء انعكاسات الحادي عشر من سبتمبر.. وبالتالي فإنّ المتحكمين في الإعلام ، هندسة وتمويلاً وصياغة ، هم الأكثر قدرة على صوغ خريطة العالم ورسمها في هذا الزمن وفقاً لمرئيّاتهم وأغراضهم ومصالحهم الخاصَّة .

و من المُلاحظ في هذه الأوقات أنَّ الإعلام الإسلامي ، ولاسيّما الرّسمي وشبه الرّسمي منه ما زال يُمارس لعبة إخفاء الحقائق ، غير آبه بأنّ الزمن غير الزمن ، وأنه من المُمكن اليوم الحصول على المعلومة كاملة أو مشوّهة أو مشكلة من جديد ، من مصادر أخرى ، في ظلّ ثورة الاتصالات التي نعيشها، وهذا ممّا لاشكّ فيه له نتائج سلبيّة ؛ لأنّ هذه السياسة تعمق من أزمة الثقة بين المجتمع والدّولة ، وتزيد من سعة الفجوة بينهما ، بحيث يصبح كلّ طرف سائراً في طريق مناقض للآخر، مع ما لذلك من مخاطر على الاستقرار السياسي والاجتماعي .

كما أنه من المُلاحظ أنّ الإعلام الإسلامي بوجهٍ عام ما يزال يُمارس أسلوب الوصاية الفوقيّة على المجتمع - أي أسلوب أفعل ولا تفعل- ، ما يجوز وما لا يجوز ، الصّح والخطأ . مثل هذا الأسلوب -أي أسلوب الأمر الفوقي- هو عديم الجدوى في النهاية ، بالنظر إلى المُمارسة الإعلاميّة السّليمة . فالفرد وهو المتلقي

---

١٣٠٠- سورة التغابن : ١١ .

١٣٠١- ينظر: تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي) : ٨٦٧ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأخير للرّسالة الإعلاميّة ، لا يستسيغ مثل هذا الأسلوب ، أي أسلوب الأمر والتوجيه المباشر ، وكأنه من القاصرين .

ويتفاقم فشل مثل هذا الأسلوب في ظلّ عالم أصبحت وسائل الإعلام والاتصال المُختلفة تملأ أجواءه وتصل إلى الناس في غرف نومهم ، وفي ظلّ أزمة ثقةٍ مُزمنةٍ بين المُجتمع والدّولة في هذه المنطقة من العالم [١٣٠٢] .

من ذلك كله نخرج بنتيجة مبدئيّةٍ مَفادها أنّ العمليّة الإعلاميّة في العَالم الإسلامي لا تلعب الدّور الفعّال الذي من المُفترض أن تلعبه ، ولاسيّما في مثل الظروف الحاليّة للعالم الذي أصبح بالفعل خريطة إعلاميَّة قبل أنْ يكونَ خريطة جغرافيَّة أو تاريخيَّة ، استراتيجية إعلاميَّة للوحدة الإسلاميَّة .

وآن لنا أن نضع أيدينا على مواطن الخلل ونعيد النظر في خريطتنا الإعلاميّة . ولعلّ من أبرز نتائج تلك الحملة الغاشمة إزالة دولة إسلاميّة وتشريد وقتل آلاف الأبرياء المُسلمين فضلاً عن حِصار العَالم الإسلامي وتهديد أمنه واستقراره ومُحاولة تقسيم بلاده ، وما يحدث مع العراق اليوم أكبر دليل على تلك المؤامرة الخبيثة .

فكلّ هذه المِحن تُحتّم وجود أولويَات جديدة لتلك المرحلة التي تعيشها أمّتنا الإسلاميّة ، إذ صارَ من الضروري أن نتعامل مع تلك المرحلة الجديدة بفقه الأولويّات ، أو ما أطلق عليه الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي فقه مراتب الأعمال : وهو ما يعني وضع كلّ شيء في مرتبته بالعدل من الأحكام والقيم والأعمال ، ثمّ يُقدّم الأوْلى فالأوْلى بناءً على معايير شرعيّةٍ صحيحةٍ يهدي إليها نور الوحي ونور العقل فيوضع كلّ شيء في موضعهِ بالقسطاس المستقيم بلا طغيان ولا خسران ، وهذا واضحٌ من النصوص الشرعيّة ، كما قال الله تعالى : ژ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ژ [١٣٠٣] ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « الإيمان بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ... » .[١٣٠٤]

وهذا يوضح لنا أنَّ هنالك أوْلويات في الأعمال ، ولذلك كان الصّحابة **y** يحرصُون على التعرّف على الأوْلى في الأعمال ليتقرّبوا إلي الله عزّ وجل ، ولهذا كثرت أسئلتهم عن أفضل الأعمال وأحبّ الأعمال إلي الله تعالى . فإذا كانت معرفة الأوْلويات للأمّة المُسلمة ، وهي تغدو إلي ربها سنة نبويّة كريمة ، فهي اليوم أمرٌ واجبٌ تفرضهُ المرحلة الرَّاهنة . ويُمكن لإعلامنا أن يلعب دوراً كبيراً في تغيير المواقف والاتجاهات وذلك عبر :

- توحيد الخطاب الإعلامي وتصحيحه ومن ذلك : البعد عن استخدام المصطلحات التي تتضمّن تشجيع العدو على احتلال واستعمار بلادنا العربيّة والإسلاميّة ، وتمزيق المجتمع المسلم ، من خلال بث مصطلح : أزمة الشرق الأوسط بأزمة المشرق الإسلامي ؛ لأنّ مصطلح الشرق الأوسط لم يكن له جذور في الاستخدام العربي والإسلامي ، بل كان تعبيراً عن تقسيمات للعالم في إطار الحقبة الاستعماريّة .

---

[١٣٠٢]- ينظر:العمل الإسلامي بين الاتفاق والافتراق : ص١.

[١٣٠٣]- سورة التوبة : ١٩- ٢٠ .

[١٣٠٤]- صحيح مسلم : باب: (بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها) ، رقم الحديث: (٣٥) :٦٣/١ . وورد بلفظ: ((الإيمان بضع وسبعون باباً أفضلها قول..)) . سنن أبي داود : باب: (في رد الإرجاء) ، رقم الحديث: (٤٦٧٦) :٦٣٠/٢، سنن النسائي : باب: (ذكر شعب الإيمان) ، برقم: (٥٠٠٥) :١١٠/٨ ، مسند أحمد : برقم: (٩٣٥٠) :٤١٤/٢ ... وكلهم من حديث أبي هريرة **y** .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- البُعد عن المُصطلحات الغربيّة التي تسئ إلى المُقاومة الشرعيّة ، وتصفها بالعنف والإرهاب والدموية ، وتتجاهل أنّ هذا حق مشروع في الدّفاع عن النفس ورفع الظلم واسترداد ما غتصب من الأراضي الإسلاميّة .
- توضيح أنَّ الإرهاب هو ما يقوم به العدو المغتصب ، وليس ما تقوم به الحركات الجهاديّة من مُقاومة مشروعة ومتعيِّنة للاحتلال الغاشم .[١٣٠٥]

وليُعلم أنَّ الإسلام منهج حياة صالح لكلّ زمان ومكان بقدر ما يراعي ظرف الزمان وشروط المكان فإنّ منهجنا هو قبول التنوّع في إطار الوحدة ، والاختلاف تحت ظلال التوحيد ، والـتأليف والتسديد والمقاربة دون قسر أو قصر ، والمشاركة في قضايا العالم وهموم الإنسانية المشتركة ، والمعرفة بالعدو ولغته والرّؤى المغايرة وتضاريسها والتفاعل معها بثقةٍ وعزة ، واستشراف التحديات ، والنظر في مواطن الفتن ومعرفة خصائص العصر المستجدة والتعامل معها بحكمةٍ ورُشدٍ .

وقبل الختام أرى من الواجب بمكان أن أتطرَّق إلى أهداف الإعلام الدَّعوي الصَّحيح في مجتمعاتنا[١٣٠٦] .. والتي من أهمِّها :

١- إيضاح الطريق السّليم أمام الأمّة الإسلاميّة في شتى الأقطار بما يتلائم ومبادئ الإسلام ويواكب التطوّر العصريّ ويُبعد عنها الجمود والتخلف .

٢- التقريب بين المذاهب الإسلاميَّة ، وهي لا تخرج عن معين الإسلام الصّافي بحيث تذوب الفوارق بين الفرق الإسلاميّة ، وينصهر المسلمون جميعاً تحت بوتقة الإسلام الحنيف وتزول من بينهم الاختلافات المذهبيّة .

٣- حماية الشباب المسلم من الانحرافات المدمّرة التي تحاول أجهزة معادية لنا.. تصديرها إلى وطن الإسلام ؛ لإشاعة الضعف في النفوس وتحطيم القيم الدّينيّة والمثل الرُّوحيَّة وصرف أبناء المسلمين إلى الحياة الماديّة والمبادئ الهدّامة وتخليصهم من التعصّب الأعمى وتبصيرهم بحقائق الإسلام وروحه .

٤- الانطلاق بالإسلام إلى كافة الشعوب التي لا تزال غارقة في ظلمات الجهالة ، ويجد فيها المبشرون أرضاً خِصبة لبث سمومهم ونشر آرائهم التي تحارب الإسلام وتطعن في حقيقته وتشوّه صورته أمام تلك الشعوب .

٥- العمل على تكوين الفرد المسلم والأسرة والشعب المسلم الذي يؤمن بتطبيق الشريعة الإسلاميّة منهجاً وسلوكاً في حياته .

٦- مُحاربة العادات التي لا تتفق مع الإسلام ، والتي انتشرت بين المسلمين في حقبةٍ من الزمن لأهداف سياسيّةٍ أو لأغراض شخصيّةٍ وأصبحت جزءاً من حياة بعض الناس وتحوّلت إلى ألوان من الشعوذة والدّجل ، وفي ذلك إساءة للإسلام والمسلمين .

٧- التعاون مع الأجهزة المختلفة في سبيل مُحاربة الأميّة ونشر الثقافة الإسلاميّة والتخلص من آفة الجهل التي تؤدّي إلى ضياع أمّة الإسلام وتأخرها عن غيرها .

٨- توجيه الناس إلى العمل وعدم التواكل واعتبار ذلك عبادة ، يثبت الله تعالى عليها لينطلق الجميع إلى الإنتاج والإبداع والله تعالى يدعو إلى العمل في قوله : ژ ۇ ۋ ۋ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ژ

---

[١٣٠٥]- ينظر: العمل الإسلامي بين الاتفاق والافتراق : ١-٢ .

[١٣٠٦]- الإعلام في القرآن الكريم : ٤٤١- ٤٤٢ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[١٣٠٧] ، والرّسول r يقول : « ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة » .[١٣٠٨]

٩- توجيه الجماهير إلى المعاونة في المشروعات الخيريّة والمشاركة في الجهود الذاتيّة من أجل تحسين حياة المسلمين بإقامة المدارس والمستشفيات والجمعيات الخيريَّة وغير ذلك .

١٠- معاونة الجهات المسئولة في القضاء على الشائعات المضللة والفتن المدمّرة التي يلجأ إليها بعض ذوي النفوس الضعيفة لأهداف سيئة .

وعليه فلا بدَّ من أن يكون الإعلام الإسلامي ملتزماً ومتمسِّكاً بما يأتي :

- التزامه في كلِّ ما يصدر عنه ، في المحافظة على عقيدة هذه الأمّة ونقاوتها وصفائها ، وأن يستبعدَ من وسائله كلّ ما يُناقض شريعة الله التي شرعها للناس .
- العمل على مُناهضة التيارات الهدّامة ، والاتجاهات الإلحاديّة والفلسفات المعادية ومُحاولات صرف المسلمين عن عقيدتهم . وكشف زيفها وإبراز خطرها على الأفراد والمجتمعات والتصدي للتحديات الإعلاميّة .
- وضع قوانين من قبل الدّول العربيّة الإسلاميّة للجمارك والإعلام لمنع الكتب والنشرات المخلة بالعقيدة ، المصادمة للإسلام ، فضلاً عن متابعة من يُمارسون عملية التثقيف في المجتمع وعلى أيّ مستوى كانوا ؛ لئلا يُصادموا عقيدة المسلمين .
- العمل على خدمة المجتمع ، وذلك عن طريق تأصيل قيم الإسلام الثمينة ، وترسيخ تقاليده العربيّة الكريمة ، والحفاظ على عاداته الخيّرة الموروثة ، ومُقاومة كلّ ما من شأنه أن يُفسد نقاءه وصفاءه .
- الإصرار على التأكيد من خلال التجربة الحيّة على إمكان دور الرّسالة الإعلاميّة في توحيد المسلمين حول قضاياهم الكبرى ، ولاسيَّما تجاه الدّول الإسلاميَّة المحتلة والمنكوبة كفلسطين والعراق وأفغانستان والصُّومال .. وغيرهم .[١٣٠٩]

بينما نجد اليوم المسيطرين على الإعلام العالمي يسعون بكلّ ما أوتوا من قوّة لإبقاء الأمّة الإسلاميّة في حالة الضعف والضياع والانقسام التي تعيشها ، ويسعون لإجهاض كلّ محاولةٍ لتوحيد الأمّة عبر مخطط إعلامي مُتكامل يراعي الجودة في خطوات العمليّة الإعلاميّة فيهتمّ بالمرسِل والمُستقبل كما لا يهمل الرّسالة ولا وسيلة إيصالها. فنجده في اهتمامه بالرّسالة يُراعي أن تحقق مقاصده وتوافق مخططاته ، ويتفنّن في مُحاولة إخراجها في قالب مُحايد تارة ، وقالب مُنحاز تارة أخرى ، وفي كلّ الأحوال تبقى الرّسالة الإعلاميّة العالميّة متسمة بالتضليل وإلباس الحق ثوب الباطل ، وإظهار الجاني بمظهر الضحية ، والعكس صحيح . والبعد عن الدّقة والعلميّة عند الحديث عن المسلمين فتجدهم يروِّجون لممارسة حكومة ما على حساب حكومة أخرى . والتطفيف وازدواجية المعايير وسياسة الكيل بمكيالين .و الانحياز التام ضد الفكرة الإسلاميّة الصّحيحة ، والسعي الدؤوب لزرع بذور التفرقة بين المسلمين .

---

[١٣٠٧]- سورة التوبة : ١٠٥ .

[١٣٠٨]- صحيح البخاري : باب: (فضل الزرع والغرس إذا أكل منه) ، رقم الحديث: (٢١٩٥) :٨١٧/٢ ، صحيح مسلم : باب: (فضل الغرس والزرع) ، برقم: (١٥٥٣) :١١٨٩/٣ ، سنن الترمذي : باب : (فضل الغرس) برقم: (١٣٨٢) :٦٦٦/٣ ، مسند أحمد : برقم: (١٢٥١٧) :١٤٧/٣ .. وكلهم من حديث أنس t .

[١٣٠٩]- العمل الإسلامي بين الاتفاق والافتراق : ٣ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إنَّ واقع العجز العربي والوهن الإسلامي والمكر العالمي ، فتح الباب على مصراعيه لعدد من مخططات الأعداء لتجد لها موطئاً في أرض المسلمين ، لتُعمل معولها في مجتمعاتهم هدماً وتشتيتاً وتمزيقا ، وحِرصاً على وحدة المسلمين لزم أن يراعي الإعلاميّون في رسالتهم الإعلاميّة أن يفضحوا هذه المخططات ، ويَسْعَوا إلى تعريتها حتى يحذرها الناس .

والرِّسالة الإعلاميَّة منوط بها أن تذيع المبشرات - من القرآن والحديث واستقصاء التاريخ- بانتصار الإسلام والمسلمين ، وتشيع التوعية بأنّ الأمّة الإسلاميّة قد مرَّت عليها أعوام حالكة من قبل .[١٣١٠]

# الخاتمة

بدا لنا من خلال هذا الموضوع الشيّق أهميّته ، وآثاره العظيمة التي تبرز في الوسط الإسلامي وبأنّ القرآن الكريم دستور كامل وتشريع شامل يتناول شؤون الدّين والدّنيا دون انعزاليّة وفصل يقوم منهجه على نظام فريد ، قويّ في البناء ، يُقرّر الصّور المثلى والمنهج العادل والوسطيّة والاعتدال والتسامح .. وأنّه مصدر التشريع ومحوريّة هذا الدّين التي اتضحت لنا من خلال الوقوف على دوره وأثره في السّلطة والنظم الدينيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة المختلفة كافة، والتي يُمكن الوقوف عليها بجلاء في انعكاس هذا البحث على الواقع اليومي المعاش في الدّول الإسلاميّة .. ومن خلال ما تقدّم فقد أبرزت لنا هذه الدّراسة النتائج الآتية :

١- دعوة القرآن الكريم إلى إيجاد أمّةٍ صالحةٍ قائمةٍ بأمر الله تعالى ، مستخلفة لهداية الناس وقيادة الدّنيا عملاً بقوله سبحانه : ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ژ ولا تكون هذه الأمّة المقصودة خير أمّة إلا إذا تحقق لها الإيمان بالله ، وصدق الانتماء إلى الإسلام والأخذ بتعاليمه في كلّ شؤون الحياة ، وهو أساس صلاح المجتمع ووقايته من كلّ شرٍّ أو فساد .

---

[١٣١٠]- ينظر: المرجع نفسه .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢- دور القرآن في إصلاح الموالاة ، والتي لا بد أن تكون في الله ، وكذلك التآخي والتعاطف والتراحم . والدّعوة إلى وحدة الصّف النابع عن وحدة المعتقد ، ووحدة المشاعر ووحدة المصير والاتفاق في طريقة التفكير ، ومناهج الاجتهاد والاستنباط والتخلص من العصبيَّات الجاهليَّة والطائفيّة والمذهبيّة ، وكلّ ما من شأنه أن يُمزّق الأمّة ويضعف بناءها .

٣- دور القرآن في حيازة الأمّة لكلّ أسباب القوّة والمنعة الماديّة ، ولكلّ ما يُغنيها عن أعدائها ويجعلها عفيفة مرهوبة الجانب .

٤- دعوة القرآن إلى إيجاد الفرد الصّالح الذي هو لبنة هذا المجتمع وثمرة التعلم والتربية ولا يكون هذا الفرد صالحاً إلا إذا اتصف بصدق الإيمان بالله سبحانه وتعالى وبرسالاته وتكريس النفس لعبادته وتوحيده ، وصدق الانتماء إلى أمّة الإسلام الذي يحمل الفرد على الاعتزاز بهذه التسمية والجهر بها ، والعمل والجهاد لتكون أمّته أعز الأمم وأقواها ، وبناء الفرد الكامل - حسب الاستطاعة والقدرة والاستعداد- في دينه وخُلقه وجسمه وعاطفته ومهاراته وإحسانه لعمله كله .

٥- الاهتمام بتربية الأسرة ودعوتها إلى العمل الصّالح والبُعد عن المُنكرات ، أساس في صلاح المجتمع واستقامته ، ومن ثمّ الحفاظ عليها بما يكفل استمرارها وبقاءها وقدسيّتها على النحو الذي أراده الله تعالى ، وتهيئتها لتكون المدرسة الأولى ، والجهة الأفضل للتربية والتعليم ، وتنشئة الجيل الصّالح . والحفاظ على المواطنة الصّالحة في المجتمع ، والبُعد عن العصبيّات الجاهليّة .. والعكس في ذلك أساس في فساد المجتمع الذي يتكوّن من الأسر .

٦- لن يستقيم حال المجتمع ما لم يوضع المعلم والمربي في منزلته الحقيقيّة على رأس السّلم الوظيفي ، وما لم يُطهر الجهاز التربوي والتعليمي من الذين وضعتهم الظروف السيّئة والترتيب السّئ في هذه المهمّة وما لم يكن اختيارنا للمدرس والمربي اختياراً سليماً وفق معايير الأهداف التي نرمي إلى تحقيقها ، ضاع المجتمع السّليم وأصبح أبناؤه فريسة لكلّ أصحاب الأفكار والمبادئ الهدّامة ، ونهباً مشاعاً لكلّ من أراد تجنيد هذه الأمّة في سبيل أهدافه الخبيثة ومآربه الشرّيرة ، بل تجنيد أبناء المجتمع أنفسهم لهدم مجتمعهم المسلم وعقيدتهم وتراثهم .. الذي به قوّتهم ووحدتهم وفلاحهم في الدّنيا والآخرة .

٧- أكدت هذه الجولة وبشكل واضح أنَّ هدف المسلم - الأوَّل- لا بدّ أن يكون رضى الله تعالى وأن تكون أهدافه العُليا المتفرّعة عن هذا الهدف هي مقاصد الإسلام التي في مقدّمتها الضرورات الخمس: حفظ الدّين ، وحفظ النفس ، وحفظ النسل وحفظ العقل ، وحفظ المال فكلّ نشاط المجتمع المسلم يجب أن يخدم تحقيق هذه الأهداف ؛ لأنّ هذه الأهداف إذا اتجه إليها أبناء الأمّة الإسلاميّة كان جديراً بالوقاية من المنكرات والجرائم ، ومنها المُسكرات والمُخدّرات . ويجب على المسئولين عن التعليم أن يصوغوا مناهجه صياغة يتحقق بها حفظ الضرورات الخمس المتقدمة وما يخدمها ؛ لصالح المجتمع عامّة والأفراد خاصّة .

٨- يجب أن تقام قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن كلّ المعاصي والجرائم حتى يتطهر المجتمع من أرجاسها ، ويجب أن يقومَ بهذه القاعدة كلّ من تتوفر فيه شروطها وكلٌّ بحسب قدرته : العلماء بالبيان ، والحُكّام بالقوّة عند الحاجة .. وهكذا كلٌّ حسب موقعه .

٩- إنّ القرآن الكريم قد بيّن لنا خطوط الانحراف في جمع المال وحبه ، واتضح لنا من خلال ذلك أنّ جمع المال مشروع ، ولكنّ الانحراف يكون في الإفراط فيه أو التفريط ، وكذلك فإنّ حبّ المال ليس



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رجسًا أو عارًا ، بل هو أمر جبلي فطري ، لا ينفي ذلك إلا مُكابر أو شاذ والأمر المنهي عنه هو الغلو في حبه وتقديسه والتوسّط في ذلك هو المشروع .

١٠- بيّنت هذه الدّراسة حفظ الشريعة الإسلاميّة -التي دعا إليها القرآن الكريم- حق المِلكيّة الخاصّة والمشتركة ومِلكيّة الدّولة بتحريم التملك عن طريق وسائل الغشّ والخِداع كالتلاعب بالأسعار والغرَر، وعن طريق الظلم والاستغلال كالغصب والسّرقة والاختلاس والرّشوة والرّبا والاحتكار، وعن طريق تحديد المصالح التي تُبيح تدخل الحاكم لتقييد المِلكيّة الخاصّة أو مصادرتها . وحفظتْ أيضاً دور المِلكيّة في المجتمع عن طريق تحريم التملك لكلّ ما فيه ضررَ عائد على الأفراد أو الجماعات في أعراضهم وأموالهم وعقولهم كالاتجار بالأعراض والخمر والميسر وكافة المحرّمات .

١١- أوضحت هذه الجولة ضرورة إيجاد عمل أو وظيفةٍ لأبناء المجتمع ؛ وهو من أولويات الأمن والاستقرار ، وإزاحة البطالة عنه وأيّاً ما كانت الأسباب المؤدية إلى البطالة كأن تكون أثراً لما يوجد في المجتمع من تناقضات في بناء الفرصة ، أو نتيجة للتخصص المتزايد والتنافس الشديد في الإنتاج الرّأسمالي فلا سبيل إلى مكافحتها إلا بإتاحة فرص العمل التي تصونها الضوابط العادلة من شرع الله ، والتي تهتمّ بالحاجات العامّة للإنسان . فالدّين والعمل هما طوق النجاة من شرور البطالة والأزمات الاقتصاديّة . وفى هذا ضمان خير ضمان لإشباع الحاجات من ناحيةٍ ، وتحقيق المواءمة بين المصلحة العامّة والخاصّة من ناحيةٍ ثانيةٍ .

١٢- المطلوب من المُسلم أن تكون أفعاله ابتداءً وفق المناهج الإسلاميّة - وفي مقدّمتها القرآن الكريم- ، وأن يتقبل حكم الشرع في نتائج أفعاله ، وأن يتصرّف على النحو المشروع في عَلاقاته مع الآخرين ، فإذا ما جهل ذلك أو بغضه ، وجبَ عليه أن يعرفه ؛ ليكون سلوكه وفق الحدود الشرعيّة .

١٣- كان منهج القرآن الكريم صريحاً وواضحاً في مُواجهة العنف ، فقد نبذ العنف بجميع أشكاله وألوانه ، وحثّ المسلمين على الابتعاد عن كلّ ما يؤدّي إلى العنف واستخدام القوّة بغير محله- وبيَّن لهم العقوبة التي يستحقها من قام بالعنف .

لذا فإنّ الأحداث التي جرت ولا تزال تجري في الدّيار العربيّة الإسلاميّة ، تعد حرابة ولا يصح إقحام الإسلام فيها ، وتعد الجماعات المتورّطة مخالفة لحكم الشرع ومقاصده ولا يُمكن بأيّ حال من الأحوال عدّ عملهم جهادًا ، فالجهاد كلّ الجهاد أرفع وأسمى من أن يُبيحَ لهم سفك دماء الآمنين وهتك الأعراض ، وإتلاف الأموال وإضاعتها فإنَّ المشاركين في تلك الهجمات يُعدون في الحسِّ الإسلاميِّ معتدين ومُحاربين – كما أوضح ذلك العلماء-، ولا يُقبل منهم أيُّ تأويل لأعمالهم الشنيعة المشوّهة لصورة الإسلام ونصاعته .

وقد نهجت الجمهوريّة اليمنيّة نهجاً إسلاميّاً في جميع مَناحي الحياة ، وحاربت كلّ ما يُخالفها فعلاً وسلوكاً وعملاً . ولمّا كان الإرهاب والعنف بجميع أشكاله وبمختلف صوره والتطرّف بمجاوزته الاعتدال ، فهو ليس من الإسلام ، بل الإسلام براءٌ منه. ووقفت الجمهوريةُ وأشقاؤها من الدّول العربيّة الإسلاميّة موقفاً قاطعاً وحاسماً من ظاهرة الإرهاب . ورأوا أنَّ ما يقوم به ذووه من صور إجراميّةٍ وأفعال ترويعيّةٍ وأخطار على الأمن والسَّلام يفوق أعمال المُحاربين وهو ضربٌ من ضروب الإفساد في الأرض .

١٤- بيّنت هذه الدّراسةُ دور القرآن في إصلاح العَلاقات الدوليّة الإنسانيّة ، حين دعا إليها ؛ لأنها تقوم على التعاون والتفاهم والحِوار وتبادل النفع ورعاية الحُرُمات ، وكفالة الحريّات وتقوم هذه العَلاقات على



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سلامة البشريّة وأمن الوجود الإنساني . والعَلاقات الإسلاميّة وسيلة للمُسالمة والمُهادنة والتعاون الدّولي لخير الشعوب والدّول والحكومات .

١٥- الواقع التاريخي والسياسي يؤكد في جلاء وصدق ووضوح أنّ القرآن العظيم هو الدّاعي والمؤسس الأوّل لقواعد وأسس السّلم بين الأمم ، وقد بيّنها وأوضحها وطبّقها على أرض الواقع رسول البشريّة مُحمّد r في تعاملٍ إنسانيٍّ وحوار هادف بنّاء في الغايات والوسائل والأهداف .

١٦- لا يُمكن للدّاعية أن يكونَ مُصلحاً إلا بعد أن يكتسبَ ثقافة عالميّة تؤهله لفهم ما يجري خارج ديار الإسلام وتساعده على فتح مغاليف اللغة العالميّة التي يفهمها الناس في المُحيط الخارجي . وأنه بحاجةٍ بها ماسّة على فهم دقيق لواقع المجتمع المحلي وهمومه وتطلعاته ورموز استجاباته .. ومن هنا نرى أهميّة الدّعوة والدّعاة اليوم ، ونحن نعلم أنّ رسالة الكليات والمعاهد والمدارس الدّينيّة في جمهوريّة اليمن السّعيد لا تقف عند الجانب التعليمي فحسب ، وإنما تتجاوز هذه المهمّة إلى حفظ التراث الإسلاميّ ودراسته وتجليته ونشره، وإلى أداء رسالة الإسلام إلى الناس جميعاً والعمل على إظهار حقيقته وأثره في تقدّم البشر ويقتضي الأمر – لكي تؤدّى الرّسالة على أكمل وجهٍ – أن تكون هنالك خطة لإعداد الدّعاة وتدريبهم على أسس علميّةٍ سليمةٍ .

١٧- إنَّ الإعلاميّين اليوم أمام مسؤوليّةٍ عظيمةٍ تتطلب منهم النظر في ثوابت التأريخ وسنن الكون ومُعطيات الواقع وحقائق الغيب واستنطاق الوحيين لتقديم رسالة إعلاميّةٍ فاعلةٍ تعمل على توحيد الأمّة والرّجوع بالشعوب إلى الحركة وفق منهج الله تعالى في طريق الاعتدال الفكري والجهادي وإصلاح الفرد والمجتمع .

.. وأخيراً فإنَّ هذه الدّراسة تهدف إلى إصلاح جميع مناحي الحياة ؛ لبناء الأمَّة الصَّالحة والفرد الصّالح ، والمجتمع الصّالح كما جاء إجمالاً في هذا البحث ، وتفصيلاً في كتاب الله عزّ وجل لنكون بحق مستخلفين في الأرض تحقيقاً لقوله تعالى : ژ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ .

واليوم فإننا بحاجةٍ إلى إرادةٍ حاضرةٍ للإصلاح في العالم الإسلامي ، إرادة صادقة عند الكبار والصّغار لأنّ الله سبحانه جعل التوفيق في الإرادة الحقيقيّة الصّادقة للإصلاح ، فيجب علينا أن نضع هذه الإرادة بكلّ قوّة وعزيمةٍ .

وقبل الختام فإذا كان لي من اقتراح فإنني أودّ اقتراح الأمور الآتية :

أولاً: تكثيف الدّراسات القرآنية في مراحل التعليم المختلفة حتى الدّراسات العليا .

ثانياً: إطلاع العالم غير الإسلامي على جوانبٍ من كتاب الله تعالى ، ودعوتهم للإيمان به .

ثالثاً: القيام بعمل دورات للخطباء للارتقاء بمستوى الخطيب ، وتبصيره بأهميّة الخطبة ، وكيفية إعدادها ، والأسلوب الخطابي المؤثر على أن لا تقلّ مدة هذه الدّورة عن شهرين على الأقل ويوضع لها مساق مكثف منتقى يقوم بإعداده أهل الخبرة والاختصاص من أهل العلم ، وعلماء الفقه واللغة والبيان والأدب .. والتأكيد على احترام اللغة العربيّة ، عند إلقاء الخُطبة ؛ لما لها من ذوق وجماليّةٍ في هذا الجانب ، وليس هذا فحسب ، بل الإخلال باللغة يجرّ الخطيب – أحياناً- إلى الكفر ، وإلى تحليل الحرام وتحريم الحلال .. وما شابه ذلك . ولا يفوتني بأن أذكّرَ الأخ الفاضل –الخطيب- بالحرص على طرح المسائل الفقهيّة في خُطبة الجُمُعة وغيرها ، والتأكيد على ذلك لما لها من أهميّةٍ وواقعيّةٍ في حياة المُسلم الدّينيّة والاجتماعيّة بمختلف جوانبها .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رابعاً: إجراء مسابقات دوريّة سنوية ، أو كلّ سنتين ، أو نحو ذلك لاختيار أحسن بحث علميٍّ رصين سواء كان بتقييد عنوان البحث كمثل هذه المسابقة – جزا الله القائمين عليها ورحم موتاهم - أو بمطلق العنوانات ، ورصد جوائز ومكافآت قيّمة لهذا الغرض - بعد تحكيمها- ، والعمل على تدريب المختصّين وتشجيعهم على ذلك تكراراً ومراراً .

خامساً: تعاون الجمعيّات والمراكز الإسلاميّة المتخصّصة ، ولاسيّما هذا الصّرح – أعني مؤسسة الحاج هائل سعيد الثقافيّة- مع وزارة الأوقاف والإرشاد ، على وضع المناهج والبرامج المتنوّعة الكفيلة بالارتقاء بالمجتمع من خلال نشر الكتب الدّاعية إلى سماحة هذا الدّين واعتداله ووسطيّته في جوانب الحياة كافة ، وأن يكون توفير هذه التواليف بأسعار رمزيّة - إذا لم تكن مجاناً - ليتمكن من اقتنائها أبناء هذا المجتمع الواحد .

.. وختاماً فهذا هو جهد المُقل في هذا البحث ، إذ حاولتُ فيه إبراز القرآن الكريم من حيث الأولويّةُ ودورهُ وأثرهُ في إصلاح المجتمع ، وتكلمتُ فيه عن الأطوار التي ينبغي أن يمرّ بها أفراد المجتمع اليوم ، كما أوردتُ بعض العوامل الأساسيّة لتطوير المُجتمعات الإسلاميّة وتنقيتها من براثن الشرّ والفساد .. أسأله تعالى أن ينفع به الإسلام والمسلمين ، وأن يوفقنا إلى عمل الصّواب إنه سميعٌ مجيبٌ .

## ثبت المصادر والمراجع


* **القرآن الكريم** .

١- الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ، ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٢- أثر تطبيق الحدود في المجتمع : وهو بحث مقدم من قبل الشيخ محمد خاطر إلى مؤتمر الفقه الإسلامي ، المنعقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة سنة ١٣٩٦هـ .

٣- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية : للإمام ابن القيم محمد بن أبي بكر الزرعي ، ط١ دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

٤- الإحصاء السّنوي ، لعام (٢٠٠٤م) : وزارة التخطيط والتعاون الدّولي – الجهاز المركزي للإحصاء - ، ط مؤسّسة الثورة - اليمن ٢٠٠٤م .

٥- الأحكام السلطانية والولايات الدينية : على بن محمد بن حبيب الماوردي ، ط ١ مصطفى الحلبي - القاهرة ١٣٨٦هـ .




PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٦- الإحكام في أصول الأحكام : لأبي علي بن محمد الآمدي ، تح. د. سيد الجميلي ، ط١ دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٤هـ .
٧- أحكام القرآن : لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص ، تح. محمد الصّادق قمحاوي ، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٤٠٥هـ .
٨- أحكام القرآن : لأبي بكر محمد بن عبد الله ، المعروف بـ(ابن العربي) (ت٥٤٣هـ) ، تح. علي البجاوي ، ط دار المعرفة – بيروت (وهي طبعة مزيدة ومنقحة) .
٩- أحكام المعاهدات في الشريعة الإسلامية : محمد طلعت الغنيمي ، منشأة المعارف – الإسكندرية .
١٠- إحياء علوم الدين : لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، ط دار المعرفة – بيروت .
١١- الأخلاق في الإسلام : د. عبد اللطيف العبد ، ط ٥ دار الثقافة العربية – القاهرة ١٩٩٨م.
١٢- آداب الصّحبة : لأبي عبد الرّحمن السّلمي ، تح. مجدي فتحي السيد ، ط١ دار الصّحابة للتراث– مصر ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
١٣- الإرهاب الدولي والنظام العالمي الرّاهن : د. محمد عزيز شكري ، ود. أمل يازجي ، ط١ دار الفكر المعاصر - بيروت ١٤٢٣هـ .
١٤- الإرهاب السياسي: عبد الرحيم صدق ، ط دار النهضة – القاهرة ١٩٨٥م .
١٥- أسباب النزول : لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، ط مؤسسة الحلبي وشركاه – القاهرة ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م .
١٦- الاستذكار : لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البرّ ، تح. سالم محمد عطا ، ومحمد معوض ط١ دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م .
١٧- أسس الحكم في الإسلام (الشورى والعدل والمساواة) : د. صالح السّدلان ، ط١ دار بلنسية – الرياض ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
١٨- الإسلام على مفترق الطرق : محمد أسد ، ترجمة : د . عمر فروخ ، ط دار العلم للملايين.
١٩- الإسلام والعَلاقات الدّولية : محمد عفيفي ، ط دار الرائد العربي - بيروت ١٤٠٦هـ.
٢٠- الإسلام وفلسفة الحكم : د . محمد عمارة ، ط دار الشروق – القاهرة ١٩٨٩م .
٢١- الإسلاميّة والقوى المضادة : د . نجيب الكيلاني ، ط١ مؤسسة الرّسالة – بيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
٢٢- الإسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين : عبد المنعم أحمد بركة ، ط مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية١٤١٠هـ .
٢٣- الإصابة في تمييز الصحابة : للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تح. علي البجاوي ، ط١ دار الجيل - بيروت ١٤١٢هـ .
٢٤- أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة : لنخبة من العلماء ، ط١وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - السّعودية ١٤٢١هـ .
٢٥- أصول الدعوة : د . عبد الكريم زيدان ، ط١ مؤسسة الرسالة – دمشق وبيروت ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م
٢٦- أصول العَلاقات الدولية في الإسلام : عمر أحمد الفرجاني ، المنشأة العامّة للنشر والتوزيع والإعلان – طرابلس/ ليبيا ١٣٩٣هـ .
٢٧- أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن : محمد الأمين الجكني الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ) ، ط١ دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
٢٨- الإعلام : د. عبد اللطيف حمزة ، ط١دار الفكر ١٩٧٨م .
٢٩- الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر بوسائله المعاصرة : عبد الله قاسم الوشلي، ط٢ دار عمار- صنعاء ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م .
٣٠- الإعلام في القرآن الكريم : د . محمد عبد القادر حاتم ، ط١ مؤسسة فادي بريس – لندن ، وتوزيع دار قتيبة – بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣١- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم : للإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تح. محمد حامد الفقي ، ط٢ السنة المحمدية – القاهرة ١٣٦٩هـ .
٣٢- اقتضاء العلم العمل : للخطيب البغدادي ، تح. محمد ناصر الدين الألباني ، ط٥ المكتب الإسلامي – بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م .
٣٣- الإمامة والسياسة : لابن قتيبة ، ط القاهرة ١٣٣١هـ .
٣٤- الأمثال في القرآن الكريم : لابن القيّم محمد بن أبي بكر الزرعي ، تح. إبراهيم محمد ، ط١ مكتبة الصّحابة – القاهرة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
٣٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (أصوله وضوابطه وآدابه) : خالد بن عثمان السيد ، ط١ المنتدى الإسلامي – لندن ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
٣٦- الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - الرّياض ١٤١٧ه
٣٧- الأمّة الوسط والمنهاج النبوي في الدّعوة إلى الله : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط١ وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - الرّياض ١٤١٨هـ.
٣٨- أنوار التنزيل وأسرار التأويل والمعروف بـ(تفسير البيضاوي) : للقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي (ت٧٩١هـ) ، ط١ دار الكتب العلميّة – بيروت ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م .
٣٩- أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء : قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي ، تح. د. أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي ، ط١ دار الوفاء - جدة ١٤٠٦هـ .
٤٠- أهميّة الدّعوة وصفات الدّاعية : د. محمد بيلو ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، إصدار: عمادة البحث العلمي ، العدد:(٥٣) ، لسنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
٤١- - البداية والنهاية : لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، ط مكتبة المعارف – بيروت .
٤٢- البحر المحيط في التفسير : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي (ت٧٥٤هـ) ، إعتناء: الشيخ زهير جعيد ، ط دار الفكر – بيروت ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م .
٤٣- البرهان في علوم القرآن : محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار المعرفة - بيروت ١٣٩١هـ .
٤٤- - البصيرة في الدعوة إلى الله : عزيز فرحان العنزي ، ط١ دار الإمام مالك – الإمارات ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .
٤٥- تاج العروس من جواهر القاموس : محمد مرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هت) ، تح. مصطفى حجازي ، ط الكويت ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .
٤٦- التبصرة في القراءات : مكي بن أبي طالب ، تح.د. محيي الدين رمضان ط١ الكويت١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .
٤٧- التبيان في أقسام القرآن : للإمام ابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، ط دار الفكر – بيروت .
٤٨- التبيان في تفسير غريب القرآن : شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري ، تح. د. فتحي الدابولي ، ط١ دار الصحابة للتراث بطنطا – القاهرة ١٩٩٢م .
٤٩- تحرير ألفاظ التنبيه (لغة الفقه) : للإمام النووي ، تح. عبد الغني الدقر ، ط١ دار القلم – دمشق ١٤٠٨م .
٥٠- التحرير والتنوير : للشيخ محمد الطاهر بن محمد بن عاشور (ت١٣٩٣هـ) ، ط١ مؤسسة التأريخ العربي – بيروت ١٤٢٠ – ٢٠٠٠م .
٥١- التشريع الإسلامي مصادره وأطواره : د. شعبان محمد إسماعيل ، ط ٢مكتبة النهضة المصرية - مصر١٩٨٥م .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٥٢- التطرف والإرهاب في المنظور الإسلامي والدّولي : سالم الهنساوي،ط١ دار الوفاء ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م
٥٣- التعبير الفني في القرآن : د. بكري أمين ، ط٣ دار الشروق - بيروت ١٣٩٩هـ
٥٤- التعريفات : علي بن محمد بن علي الجرجاني ، تح. إبراهيم الأبياري ، ط١ دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٥هـ .
٥٥- تفسير سفيان الثوري : للإمام سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، ط١ دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٣هـ .
٥٦- تفسير القاسمي ، المسمى: (محاسن التأويل) : للشيخ محمد جمال الدين(ت١٣٣٢هـ) ، ط١عيسى الحلبي ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م .
٥٧- تفسير القرآن العظيم : لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤ هـ ) تح. سامي محمد سلامة ، ط ٢ دار طيبة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م .
٥٨- تفسير القرآن العظيم ، المعروف بـ(تفسير المنار) ، للشيخ محمد رشيد رضا (ت١٣٥٤هـ) تعليق: سمير مصطفى رباب ، ط١ دار إحياء التراث العربي ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م
٥٩- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي (ت٦٠٤هـ)، تح. عماد زكي البارودي ، ط المكتبة التوفيقيّة – القاهرة .
٦٠- التقسيم الإسلامي للمعمورة : محيي الدين محمد قاسم ، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي – واشنطن ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
٦١- توجيهات إسلاميّة لإصلاح الفرد والمجتمع : محمد بن جميل زينو ، ط١ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية ١٤١٨هـ .
٦٢- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ، أحمد بن إبراهيم بن عيسى تح. زهير الشاويش ، ط٣ المكتب الإسلامي – بيروت ١٤٠٦هـ .
٦٣- التوقيف على مهمّات التعاريف : محمد عبد الرءوف المناوي ، تح. د. محمد رضوان الدايه ، ط١ دار الفكر المعاصر ، ودار الفكر - بيروت ، دمشق ١٤١٠هـ .
٦٤- التيسير في القراءات السبع : لأبي عمرو الداني(ت٤٤٤هـ) ، صححه: أوتوبرتزل ط الدولة ـ استانبول ، ١٩٣٠م .
٦٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي ، تح.عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، ط١مؤسسة الرسالة -زززززز ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م .
٦٦- الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ) ، طدار إحياء التراث العربي – بيروت .
٦٧- جامع البيان في تأويل القرآن : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ) ، تح. أحمد محمد شاكر ، ط١ مؤسسة الرسالة- بيروت ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
٦٨- الجامع الصحيح (سنن الترمذي) : لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السّلمي ، تح. أحمد محمد شاكر ، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت .
٦٩- الجرح والتعديل : لابن أبي حاتم الرازي ، ط١ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣م .
٧٠- - الجواب الصّحيح لمن بدّل دين المسيح : للإمام ابن تيمية الحراني ، تح. د.علي حسن ناصر ود.عبد العزيز إبراهيم العسكر، ود. حمدان محمد ، ط١ دار العاصمة – الرياض ١٤١٤هـ .
٧١- جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم : علي أحمد سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري، تح. إحسان عباس ، ط١ دار المعارف - مصر١٩٠٠م .
٧٢- الجوانب الإعلامية في خطب الرسول صلى الله عليه وسلم : سعيد علي ثابت ، ط١ وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية ١٤١٧هـ .
٧٣- الحاوي الكبير : للشيخ أبي الحسن الماوردي ، ط دار الفكر ـ بيروت .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٧٤- الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة : زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري ، تح. د. مازن المبارك ط١ دار الفكر المعاصر - بيروت ١٤١١هـ .
٧٥- - حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار : لعبد الرحمن بن علي بن الديبع (ت٩٤٤هـ) ، تح . عبد الله الأنصاري ، طبع على نفقة أمير دولة قطر: الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ١٩٨٢م .
٧٦- الحريّة الإعلاميّة في ضوء الإسلام : سعيد علي ثابت ، ط عالم الكتب- الرياض ١٤١٢هـ .
٧٧- حقوق الإنسان في الإسلام – دراسة مقارنة مع الإعلام العالمي والإعلام الإسلامي لحقوق الإنسان - : د. محمد الزحيلي ، ط٢ دار الكلم الطيّب – دمشق ، ودار ابن كثير – بيروت ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
٧٨- حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة : د. أحمد الريسوني ، ود. محمد الزحيلي ، ود. محمد عثمان شبير ، سلسلة كتاب: (الأمّة) ، العدد (٨٧) ، السنة الثانية والعشرون ١٤٢٣هـ.
٧٩- الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ، سعيد بن علي بن وهف القحطاني ، ط١ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية ١٤٢٣هـ .
٨٠- حقوق الإنسان وأسباب الضعف في المجتمع الإسلامي في ضوء أحكام الشريعة : د . أحمد يسري ، - دون طبعة - ١٩٩٣م .
٨١- الحوار (آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسّنّة) : يحيى بن محمد زمزمي ، ط ٢ دار المعالي- عمّان ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
٨٢- الخطابة : د . يوسف محمّد يوسف عيد ، ط١ الفجر الجديد ١٩٩٢م .
٨٣- الخطابة وفنّ الإلقاء : د . أشرف محمد موسى ، ط الخانجي - القاهرة ١٩٧٨م .
٨٤- خطبة الجمعة في الكتاب والسنة : عبد الرحمن الحمد ، ط١ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - السعودية ١٤١٩هـ .
٨٥- خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة ، عبد الغني أحمد جبر مزهر ، ط١ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - السعودية ١٤٢٢هـ .
٨٦- دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة : د . عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع ، ط٥ دار الفكر المعاصر - صنعاء ٢٠٠٥م - ٢٠٠٦م .
٨٧- دراسة خاصة عن العنف السياسي في مصر ، حسنين توفيق ، - مركز الدراسات السياسية الإستراتيجية بالأهرام - ١٩٨٨م .
٨٨- دراسة في منهاج الإسلام السّياسي : لأبي جيب سعدي ، ط١ مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م .
٨٩- الدر المنثور : عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، ط دار الفكر - بيروت ١٩٩٣م .
٩٠- دستور للأمّة من القرآن والسنة : د. عبد الناصر توفيق العطار، ط دار الفكر - بيروت ١٩٨٩م .
٩١- - الدّعوة إلى الإسلام : د. أبو بكر زكرى ، ط مكتبة دار العروبة – القاهرة .
٩٢- الدّعوة إلى التمسك بالقرآن الكريم وأثره في حياة المسلمين ، د. عبد الرحيم محمد المغذوي ، بحث مقدّم إلى ندوة: (عناية المملكة العربية السّعوديّة بالقرآن الكريم وعلومه ) ، تنظيم: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف بالمدينة المنوّرة ، سنة ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م ، وهو منشور على موقع الإسلام : http://www.al-islam.com:
٩٣- الدعوة الفرديّة وأهمّيّتها في تربية الأجيال : عقيل المقطري ، تعز – اليمن ١٤٢١هـ .
٩٤- دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية (مختارات) : للإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني تح. د. محمد السيد ، ط٢ مؤسسة علوم القرآن – دمشق ١٤٠٤هـ .
٩٥- الدين - بحوث ممهدة لدراسة الأديان - : د. محمد عبد الله دراز ، ط دار القلم الكويت .
٩٦- الرائد دروس في التربية والدعوة : للشيخ مازن عبد الكريم الفريح ، ط١ دار الأندلس – جدة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٩٧- رفع الحرج في الشريعة – ضوابطه وتطبيقاته - : د. صالح عبد الله حميد ، ط١ جامعة أم القرى – مركز البحث العلمي – ١٤٠٣هـ .
٩٨- ركائز الإيمان : أ. محمد قطب ، ط دار الشروق ٢٠٠٥م .
٩٩- زاد المسير في علم التفسير : عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، ط٣ المكتب الإسلامي – بيروت ١٤٠٤هـ .
١٠٠-زاد المعاد في هدي خير العباد : للإمام ابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، تح. شعيب الأرناءوط، وعبد القادر الأرناءوط ، ط١٤ مؤسسة الرسالة - ومكتبة المنار الإسلامية / بيروت – والكويت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .
١٠١-الزهد : لأبي عبد الله عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي ، تح. حبيب الرحمن الأعظمي ، ط دار الكتب العلمية – بيروت .
١٠٢-السلسلة الصحيحة : محمد ناصر الدين الألباني ، ط مكتبة المعارف – الرياض.
١٠٣-السّلطة القضائية وشخصية القاضي في النظام الإسلامي : محمد البكر ، ط الزهراء للإعلام العربي – القاهرة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
١٠٤-السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلاميّة : أ. د. عبد الكريم زيدان ، ط١ مؤسسة الرّسالة – بيرت ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
١٠٥-سنن البيهقي الكبرى : لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي ، تح. محمد عطا، ط مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
١٠٦-سنن الدارمي : لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، تح. فواز أحمد زمرلي ، وخالد السبع ، ط١ دار الكتاب العربي – بيروت ١٤٠٧هـ .
١٠٧-سنن أبي داود : أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي(ت٢٧٣هـ) ، تح. محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط دار الفكر – بيروت .
١٠٨-سنن ابن ماجه : محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ) ، تح. محمد فؤاد عبد الباقي ، ط دار الفكر – بيروت .
١٠٩-سنن النسائي (المجتبى من السنن) : لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ) ، تح. الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ، ط٢ مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
١١٠-- سنن النسائي الكبرى : لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي(ت٣٠٣هـ) ، تح. د. عبد الغفار البنداري ، وسيد كسروي حسن ، ط ١ دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
١١١-- السياسة الشرعية : الشيخ عبد الوهاب خلاف ، ط القاهرة .
١١٢-السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، ط دار المعرفة .
١١٣-شرح العقيدة الطحاوية : لابن أبي العز الحنفي ، ط٤ المكتب الإسلامي – بيروت ١٣٩١.
١١٤-الشريعة الإسلامية والأجانب في دار الإسلام : محمد عطية خميس ، ط دار الاعتصام - القاهرة ١٩٧٧م.
١١٥-شعب الإيمان : لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تح. محمد السعيد بسيوني زغلول ، ط١ دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٠هـ .
١١٦-الصّحاح في اللغة والعلوم : للجوهري ، إعداد: نديم مرعشلي ، وأسامة مرعشلي ، ط دار الحضارة العربية – بيروت ١٩٧٤م .
١١٧-صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر) : محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ) تح. د. مصطفى ديب البغا ، ط٣ دار ابن كثير – بيروت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١١٨-صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي ، تح. شعيب الأرناءوط ، ط٢ مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١١٩-صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت٢٦١هـ) ، تح. محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت .
١٢٠-الضوابط الأخلاقيّة للاقتصاد الإسلامي : د. محمود بابللي ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – إصدار: عمادة البحث العلمي ، العدد:(٨) ، سنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م
١٢١-الضياء اللامع من الخطب الجوامع : للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، ط١ إدارة البحوث العلمية والإفتاء – السعودية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
١٢٢-الطبقات الكبرى : محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري ، ط صادر – بيروت .
١٢٣-عالمية الإسلام : أنور الجندي ، ط دار الاعتصام – القاهرة .
١٢٤-العدوان على المرأة في المؤتمرات الدّوليّة : د. فؤاد عبد الكريم عبد العزيز ، ط١ الرياض ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .
١٢٥-العمل الإسلامي بين الاتفاق والافتراق : أ. نزار محمد عثمان ، ورقة عمل قدمت إلى المؤتمر العلمي ، جامعة الخرطوم / قسم الثقافة الإسلامية ٢٣- ٢٥جمادى الأولى ١٤٢٥هـ ١٠-٢٠٠٤/٧/١٢م ، منشور على موقع شبكة المشكاة الإسلاميّة .
١٢٦-العلاقات الدولية في الحروب الإسلامية : علي قراعة ، دار مصر للطباعة – القاهرة .
١٢٧-العلاقات الدولية في الشريعة الإسلامية: عباس شومان ، الدار الثقافية للنشر .
١٢٨-العنف والشريعة في مصر (دراسة قانونية) : د . مجدي متولي ، الهيئة المصرية العامّة للكتاب ١٩٩٥م .
١٢٩-عون المعبود شرح سنن أبي داود : أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ، ط٢ دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٥هـ .
١٣٠-الغلو في الدّين في حياة المسلمين المعاصرة : للأستاذ عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، ط٥ مؤسسة الرسالة – بيروت١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
١٣١-فتح الباري شرح صحيح البخاري : للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ط دار المعرفة - بيروت ١٣٧٩هـ .
١٣٢-فتح القدير الجامع بين فني الرّواية والدراية من علم التفسير : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ط١ دار الخير – دمشق ١٤١٢هـ - ١٩٩١م (وهي طبعة منقحة) .
١٣٣-الفروسيّة : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، تح. مشهور حسن محمود ، ط ١ دار الأندلس - السعودية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
١٣٤-فقه السنة ، سيد سابق ، ط٣ دار الكتاب العربي بيروت – لبنان ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م .
١٣٥-الفوائد في اختصار المقاصد : العز بن عبد السّلام ، ط١ دار الفكر المعاصر للنشر والتوزيع ١٩٩٦م.
١٣٦-في ظلال القرآن : سيّد قطب ، ط دار إحياء الكتب العربيّة – القاهرة .
١٣٧-القانون الرّهيب : أ. د. عبد الكريم زيدان ، مجلة التربية الإسلامية – بغداد ، العدد الأول، السنة السادسة ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م .
١٣٨-قانون السلام في الإسلام ، د. محمد طلعت الغنيمي ، ط منشأة المعارف – مصر .
١٣٩-القرآن شريعة المجتمع : د . عارف خليل ، ط١ دار الأرقم – الكويت ١٤٠٥هـ .
١٤٠-القرآن وحريّة الرّأي : هشام منور ، مقال منشور في مدونات أمين على شبكة الأنترنت للإعلام العربي ، بتأريخ ٢٩/ كانون الثاني / ٢٠٠٧م .
١٤١-القضاء الإداري : أ. د. أحمد عبد الرّحمن شرف الدّين ، ط جامعة صنعاء / اليمن ١٩٩١م .
١٤٢-القضاء الإداري في اليمن (الأسس العامّة) : د. محمد محمد الدرّة ، ط٣جامعة تعز / اليمن ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م .
١٤٣-القضاء في الإسلام وآداب القاضي : جبر محمود الفضيلات ، ط دار عمار - عمّان ١٤١٢هـ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٤٤-قواعد العَلاقات الدوليّة في القانون الدولي وفي الشريعة الإسلامية : جعفر عبد السلام ، ط مكتبة السلام العالميّة - القاهرة ١٤٠١هـ .
١٤٥-القواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها من الأحكام : علي بن عباس البعلي الحنبلي ، تح. محمد حامد الفقي ، ط السنة المحمدية - القاهرة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م .
١٤٦-الكامل في التاريخ : علي بن أبي الكرم بن الأثير (ت٦٣٠هـ) ، ط دار صادر – بيروت ١٩٦٥م
١٤٧-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ) ، تح. عبد الرزاق المهدي ، ط٢ دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .
١٤٨-كمال الدين الإسلامي وحقيقته ومزاياه : عبد الله بن جارالله إبراهيم آل جارالله ، ط ١ وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - السعودية ١٤١٨هـ .
١٤٩-كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : علي بن حسام الدّين المتقي الهندي ، ط مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٩م .
١٥٠-اللباب في شرح الكتاب : عبد الغني الغنيمي الدمشقي الميداني ، تح. محمود أمين النواوي ، ط دار الكتاب العربي .
١٥١-لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، ط١ دار صادر – بيروت
١٥٢-لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير : محمد الصّباغ ، ط المكتب الإسلامي - بيروت ١٣٩٤هـ .
١٥٣-مآثر الإنافة في معالم الخلافة : أحمد بن عبد الله القلقشندي ، تح. عبد الستار أحمد فراج ، ط٢ مطبعة حكومة الكويت - الكويت – ١٩٨٥م .
١٥٤-مباحث في علوم القرآن : للشيخ مناع القطان ، ط ٨ مكتبة المعارف- الرياض ١٤٠١هـ
١٥٥-مبدأ المشروعية وضوابط خضوع الدولة للقانون في الفقه الإسلامي : د . فؤاد محمد النادي ، ط جامعة صنعاء ١٩٨٠م - القضاء الإداري في اليمن – الأسس العامّة - : د . محمد محمد الدرة ، ط٣ المتفوق – صنعاء ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .
١٥٦- المتطرّفون : د. عمر عبد الله كامل ، مكتبة التراث الإسلامي - دون طبعة أو تاريخ - .
١٥٧-المجتمع المدني في عهد النبوة (خصائصه وتنظيماته الأولى) : د. أكرم ضياء العمري ، ط ١ المجلس العلمي بالمدينة المنورة ١٩٨٣م .
١٥٨-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، ط دار الفكر - بيروت ١٤١٢هـ .
١٥٩-مجموعة الوثائق السّياسيّة للعهد النبوي والخلافة الرّاشدة : د . محمد حميد الله آبادي ، ط القاهرة ١٩٥٦م
١٦٠-المحصول في علم الأصول : محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، تح. د. طه جابر العلواني، ط١ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض ١٤٠٠هـ .
١٦١-المحلى : لأبي محمد بن علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت٤٥٦هـ) ، ط دار الفكر ، وهي مصححة ومقابلة على نسخة أحمد محمد شاكر .
١٦٢-مختصر الشمائل المحمدية : لأبي عيسى محمد الترمذي ، اختصره وحققه محمد ناصر الدين الألباني ، ط المكتبة الإسلامية – عمّان .
١٦٣-مختصر إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل : الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، ط٢ المكتب الإسلامي – بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
١٦٤-مختصر العلو للعلي الغفار : للحافظ الذهبي ، تح. الشيخ الألباني ، ط٢ المكتب الإسلامي - بيروت ١٤١٢هـ .
١٦٥-المد الإسلامي في مطالع القرن الخامس عشر : لأنور الجندي ، ط دار الاعتصام – القاهرة .
١٦٦-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ابن قيم الجوزية) ، تح. محمد حامد الفقي ، ط٢ دار الكتاب العربي – بيروت ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٦٧-مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، والمعروف بـــ(تفسير النسفي) : لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت٧١٠هـــ) ، دار الكتاب العربي – بيروت .
١٦٨-المدونة الكبرى : للإمام مالك بن أنس ، ط١ دار صادر – بيروت .
١٦٩-المستدرك على الصحيحين : محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، تعليق الذهبي ، تح. مصطفى عبد القادر عطا ، ط١ دار الكتب العلمية - بيروت١٤١١هـــ - ١٩٩٠م .
١٧٠-مسند أحمد بن حنبل : لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني(ت٢٤١هـــ) ، ط مؤسسة قرطبة – القاهرة .
١٧١-مسند أبي يعلى : أحمد بن علي بن المثنى (أبو يعلى الموصلي التميمي) ، تح. حسين سليم أسد ، ط١ دار المأمون للتراث - دمشق١٤٠٤هـــ - ١٩٨٤م .
١٧٢-مشكاة المصابيح : محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، تح. محمد ناصر الدين الألباني ، ط٣ المكتب الإسلامي – بيروت ١٤٠٥هـــ - ١٩٨٥م .
١٧٣-مشكلة الثقافة : مالك بن نبي ، ترجمة : د. عبد الصبور شاهين ، ط دار الفكر – بيروت .
١٧٤-مشكلة الغلو في الدّين في العصر الحاضر- الأسباب ، والآثار ، والعلاج : عبد الرحمن اللويحق ط١ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٩٩٨م .
١٧٥-مع الله - دراسات في الدّعوة والدعاة - : محمد الغزالي ، ط دار الكتب الحديثة – مصر .
١٧٦-معالم التنزيل : لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـــ ) ، تح. محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية ، وسليمان مسلم الحرش ، ط٤ دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤١٧هـــ - ١٩٩٧م .
١٧٧-معالم المنهج الإسلامي : د . محمّد عمارة ، ط٣ دار الرشاد – مصر ١٤١٨هـــ - ١٩٩٨م .
١٧٨-معاني القرآن الكريم : لأبي جعفر النحاس (ت٣٣٨هـــ) ، تح. محمد علي الصابوني ، ط١ جامعة أم القرى - مكة المرمة ١٤٠٩هـــ .
١٧٩-المعجم الأوسط : لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، تح. طارق عوض ، وعبد المحسن إبراهيم ، ط دار الحرمين - القاهرة ، ١٤١٥هـــ .
١٨٠-المعجم الكبير : لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، تح. حمدي عبد المجيد ، ط٢ مكتبة العلوم والحكم - الموصل١٤٠٤هـــ - ١٩٨٣م .
١٨١-مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج : للشيخ شمس الدين محمد الخطيب الشربيني، عناية: محمد خليل عيتاني ، ط دار المعرفة – بيروت ١٤١٨هـــ - ١٩٩٧م .
١٨٢-مفهوم المساواة في الإسلام دراسة ومقارنة : د. حسن خليل ، ط دار الرشيد – الرياض ١٣٩٣هـــ .
١٨٣-المناظرة في القرآن : عبدالله المقدسي ، تح. الجديع ، ط١ مكتبة الرشد – الرياض ١٤٠٩هـــ .
١٨٤-مناهل العرفان في علوم القرآن : محمد عبد العظيم الزرقاني ، ط١ دار الفكر - بيروت ١٩٩٦م.
١٨٥-المنهج الإصلاحي مجموعة متكاملة من الأنظمة : أ. د. عبد الكريم بكار ، مجلة البيان، الصّادرة في لندن ، العدد:(٧٥) ، لسنة ١٤١٤هـــ .
١٨٦-منهج الحياة في القرآن والسنة : إصلاح اسماعيل أمين ، ط ١ دار الفكر العربي الكريت١٩٨٢م .
١٨٧-مفردات ألفاظ القرآن : للحسين بن محمد - المعروف بالراغب الأصفهاني ، ط دار القلم ـــ دمشق
١٨٨-مفهوم العدل في الإسلام : مجيد خدوري ، دراسات في الفكر الديني - دمشق ١٩٩٨م .
١٨٩-مقاصد الشريعة الإسلامية : محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـــ) ، ط الشركة التونسية للتوزيع .
١٩٠-مقدّمات للنهوض بالعمل الدعوي : أ. د. عبد الكريم بكار ، ط٢ دار القلم – دمشق ١٤٢٢هـــ - ٢٠٠١م .
١٩١-مقدمة ابن خلدون : للمؤرخ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت٨٠٨هـــ) ، ط دار الفجر في التراث – القاهرة ٢٠٠٤م .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٩٢-مقوّمات الدّاعية الناجح : د علي بن عمر بن أحمد بادحدح ، ط٤ دار الأندلس الخضراء – جدة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
١٩٣-المنثور في القواعد : محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، تح. د. تيسير فائق ، ط٢ وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت ١٤٠٥هـ .
١٩٤-المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج : لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي ، ط٢ دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٣٩٢هـ .
١٩٥-الموافقات في أصول الفقه (الشاطبي) : إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي ، تح. عبد الله دراز ، ط دار المعرفة – بيروت .
١٩٦-الموسوعة في سماحة الإسلام : د . صادق ابراهيم عرجون ، ط٢ الدار السعودية – جدة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
١٩٧-موطأ الإمام مالك : مالك بن أنس الأصبحي ، تح. محمد فؤاد عبد الباقي ، ط دار إحياء التراث العربي – مصر .
١٩٨-موضوعات خُطبة الجُمعة : عبد الرحمن اللويحق ، ط١ وزارة الشئون الإسلامية –السعودية ١٤١٩هـ .
١٩٩-النبأ العظيم : د. محمد عبد الله دراز ، ط ٢ دار القلم - الكويت ١٣٩٠هـ .
٢٠٠-نظام الأمان في الشريعة الإسلامية وأوضاع المستأمنين : سامي الصقار ، ط جامعة محمد الخامس - الرباط ١٩٧٧م .
٢٠١-النظرة الإسلاميّة للإعلام : محمد كمال الدّين إمام ، ط١ دار الحديث العالميّة – الكويت ١٤٠١هـ- ١٩٨١م .
٢٠٢- نظم الحكم المعاصر : لأبي راس محمد الشافعي ، ط عالم الكتب - القاهرة ١٩٧٧م .
٢٠٣-النظم الديبلوماسيّة في الإسلام : صلاح الدّين المنجد ، ط دار الكتاب الجديد - بيروت ١٤٠٣هـ.
٢٠٤-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرّباط البقاعي (ت٨٨٥هـ) ، ط١ دار الكتب العلميّة –بيروت ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
٢٠٥-النظريات السّياسيّة الإسلاميّة : د . محمّد ضياء الدّين الرّيس ، ط٧ دار التراث – مصر ١٩٧٩م.
٢٠٦-نقد السياسة (الدين والدولة) : د . برهان غليون ، ط٢ المركز الثقافي العربي – بيروت ١٩٩٣م .
٢٠٧-نهاية التاريخ وخاتم البشر : فرانسيس فوكو ياما ، ترجمة / حسين أحمد أمين ، ط١ مركز الأهرام – مصر ١٤١٣هـ .
٢٠٨-النهاية في غريب الحديث والأثر : لأبي السّعادات المبارك بن محمد الجزري ، تح. طاهر أحمد الزاوي ، محمود الطناحي ، ط المكتبة العلمية - بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
٢٠٩-الهداية شرح بداية المبتدي : للشيخ برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني (٥٩٣هـ)، تح. محمد محمد قامر ، وحافظ عاشور ، ط١ دار السّلام – القاهرة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م
٢١٠-الوحي المحمّدي : رشيد رضا ، ط المكتب الإسلامي - دمشق ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م
٢١١-وسطية الإسلام : صالح حبيب الله (تشي شيوه ي) ، ط١ وزارة التعليم العالي / جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة – السعودية ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م .
٢١٢-وسطية الإسلام وسماحته : أ. د. وهبه مصطفى الزحيلي ، ط وزارة التعليم العالي – جامعة محمد ابن سعود الإسلاميّة – السعودية ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م .
٢١٣- وظيفة المسجد في المجتمع : صالح بن ناصر الخزيم ، ط١ وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - السّعوديّة ١٤١٩هـ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

# فهرست المحتويات


المقدمة..... ١

التمهيد..... ٦

التعريف بمصطلح عنوان البحث..... ٦

حقيقة الإصلاح في القرآن الكريم..... ١٦

أنواع الإصلاح ، وسمات المصلح..... ١٨

الباب الأوّل : القرآن ودوره الإصلاحي..... ٢٨

الفصل الأوّل : عالميّة القرآن الكريم..... ٣٠

الفصل الثاني : القرآن والإسلام..... ٤٣

الفصل الثالث : دور القرآن في إصلاح حريّة الرّأي..... ٥٧

الفصل الرّابع : شموليّة دعوة القرآن الكريم..... ٧٠

الفصل الخامس : دور القرآن في حفظ الضرورات الخمس ..... ٧٨

المبحث الأوّل: دعوته إلى حفظ الدّين..... ٧٨

المبحث الثاني: دعوته إلى حفظ النفس..... ٨٣

المبحث الثالث: دعوته إلى حفظ العقل..... ٨٧

المبحث الرّابع: دعوته إلى حفظ النسل..... ٩٤

المبحث الخامس: دعوته إلى حفظ المال..... ٩٦

الفصل السّادس : القرآن والمجتمع..... ١٠٣

المطلب الأوّل: دعوة القرآن المجتمع إلى ترك الفساد ، وحثهم إلى الصّلاح..... ١٠٨

المطلب الثاني: أثر القرآن في إصلاح أمن المجتمع..... ١١٤

المطلب الثالث: دور القصة القرآنيّة وأثرها في إصلاح المجتمع ..... ١١٧

المطلب الرابع: الأسلوب القرآني في مخاطبة الرّوح الجماعية..... ١٢٠

المطلب الخامس: القرآن والمجتمع اليماني..... ١٢٣

الباب الثاني : دور القرآن في إصلاح المجتمع..... ١٣٠

الفصل الأوّل : دور القرآن في إصلاح المجتمع عقدياً..... ١٣٢

المبحث الأوّل : أثر القرآن في إصلاح البناء الفكري..... ١٣٥

المبحث الثاني : أثر القرآن في الدّعوة إلى الاعتدال الفكري..... ١٤١

المبحث الثالث : دور القرآن في إصلاح مشكلة الغلو..... ١٤٨

المبحث الرّابع : فتنة التكفير وضرره على المجتمع..... ١٥٧

الفصل الثاني : دور القرآن في إصلاح المجتمع من حيث العبادة ..... ١٦٤




PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الأوّل : ضرورة الدّين لإصلاح المجتمع..... ١٦٩
المبحث الثاني : أثر القرآن في تيسير التشريع والتكليف..... ١٧٣
المبحث الثالث : الوسطيّة في التشريع والتكليف..... ١٧٩
الفصل الثالث : دور القرآن في إصلاح الدّعوة والدعاة..... ١٨٧
المبحث الأوّل : دور القرآن في الإصلاح الدّعوي..... ١٨٨
المطلب الأوّل : أهميّة الدّعوة في إصلاح المجتمع..... ١٩٠
المطلب الثاني : أثر القرآن في إصلاح خُطبة الخطيب..... ١٩٢
المطلب الثالث : أثر القرآن في الدّعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...١٩٥
المبحث الثاني : دور القرآن في إصلاح الدّعاة..... ٢٠١
الفصل الرّابع : دور القرآن في إصلاح المجتمع خُلقياً..... ٢١١
المطلب الأوّل : أثر القرآن في الدّعوة إلى تعاون أفراد المجتمع..... ٢٢٠
المطلب الثاني : دعوة القرآن إلى إنصـــاف المجتمـــع..... ٢٢٢ المطلـــب
الثالث : دعوة القرآن إلى إصلاح التآخي والمحبة بين الأفراد..... ٢٢٥
المطلب الرّابع : أثر القرآن في إعلام مصادر الإلزام الخُلقي..... ٢٢٩
الفصل الخامس : دور القرآن في إصلاح النظام الاجتماعي.....٢٣٢
المبحث الأوّل : دور القرآن في إصلاح نظام الأسرة واستقراره..... ٢٣٥
المبحث الثاني : أثر القرآن في إصلاح التربية والتنظيم والتعليم..... ٢٤٨

المبحث الثالث : دعوة القرآن إلى المحافظة على النفس والصّحة..... ٢٥٥

المبحث الرّابع : دور القرآن في إصلاح حقوق المرأة..... ٢٥٩
المبحث الخامس : أثر القرآن في إصلاح المُساواة بين الرّجل والمرأة.....٢٦٣
المبحث السّادس : دعوة القرآن إلى تطوّر المجتمع حِضاريّاً..... ٢٦٨
المبحث السّابع : أثر القرآن الكريم في إصلاح حقيقة التغيير..... ٢٧٣
المبحث الثامن : صلاح الفرد بصلاح المجتمع..... ٢٧٥
المبحث التاسع : توسيع الشريحة الوسطى مهمّة إصلاحيّة كبرى..... ٢٧٨
الفصل السّادس : دور القرآن في إصلاح النظام الاقتصادي..... ٢٨١
المطلب الأوّل : أثر القرآن في إحكام النظام الاقتصادي..... ٢٨٣
المطلب الثاني : دور القرآن في إصلاح كسب المال وإنفاقه..... ٢٨٥
المطلب الثالث : دور القرآن في إصلاح المال وحفظه..... ٢٩٥
المطلب الرّابع : أثر القرآن في تكامل نظام المسؤوليّة المدنيّة والجنائيّة..... ٢٩٨



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفصل السّابع : دور القرآن في إصلاح النظام السّياسي..... ٣٠٢
المبحث االاول : دور القرآن في إصلاح مبدأ الشورى..... ٣٠٩
المبحث الثاني : أثر القرآن في إصلاح طاعة ولاة الأمور..... ٣١٥
المبحث الثالث : دور القرآن في إصلاح العدالة تجاه أبناء المجتمع..... ٣٢٢
المبحث الرابع : أثر القرآن في إصلاح ترسيخ العَلاقات الدّوليّة..... ٣٢٧
الفصل الثامن : دور القرآن في إصلاح الإعلام..... ٣٣٤
المطلب الأوّل : أثر القرآن في إصلاح رجل الإعلام..... ٣٣٨
المطلب الثاني : دور القرآن في إصلاح الشعور بالأمن إعلاميّاً..... ٣٣٩
المطلب الثالث : دور الرّسالة الإعلاميّة الإسلاميّة..... ٣٤٢
الخاتمة..... ٣٤٨
المصادر والمراجع..... ٣٥٤
فهرست المحتويات..... ٣٦٨



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

## ثبت المصادر والمراجع


١- الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ، ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٢- أثر تطبيق الحدود في المجتمع : وهو بحث مقدم من قبل الشيخ محمد خاطر إلى مؤتمر الفقه الإسلامي ، المنعقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة سنة ١٣٩٦هـ .

٣- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية : للإمام ابن القيم محمد بن أبي بكر الزرعي ، ط١ دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

٤- الإحصاء السّنوي ، لعام (٢٠٠٤م) : وزارة التخطيط والتعاون الدّولي – الجهاز المركزي للإحصاء - ، ط مؤسّسة الثورة - اليمن ٢٠٠٤م .

٥- الأحكام السلطانية والولايات الدينية : على بن محمد بن حبيب الماوردي ، ط ١ مصطفى الحلبي - القاهرة ١٣٨٦هـ .

٦- الإحكام في أصول الأحكام : لأبي علي بن محمد الآمدي ، تح. د. سيد الجميلي ، ط١ دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٤هـ .

٧- أحكام القرآن : لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص ، تح. محمد الصّادق قمحاوي ، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٤٠٥هـ .

٨- أحكام القرآن : لأبي بكر محمد بن عبد الله ، المعروف بـ(ابن العربي) (ت٥٤٣هـ) ، تح. علي البجاوي ، ط دار المعرفة – بيروت (وهي طبعة مزيدة ومنقحة) .

٩- أحكام المعاهدات في الشريعة الإسلامية : محمد طلعت الغنيمي ، منشأة المعارف – الإسكندرية .

١٠- إحياء علوم الدين : لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، ط دار االمعرفة – بيروت .

١١- الأخلاق في الإسلام : د. عبد اللطيف العبد ، ط ٥ دار الثقافة العربية – القاهرة ١٩٩٨م.

١٢- آداب الصّحبة : لأبي عبد الرّحمن السّلمي ، تح. مجدي فتحي السيد ، ط١ دار الصّحابة للتراث– مصر ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

١٣- الإرهاب الدولي والنظام العالمي الرّاهن : د. محمد عزيز شكري ، ود. أمل يازجي ، ط١ دار الفكر المعاصر - بيروت ١٤٢٣هـ .

١٤- الإرهاب السياسي: عبد الرحيم صدق ، ط دار النهضة – القاهرة ١٩٨٥م .

١٥- أسباب النزول : لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، ط مؤسسة الحلبي وشركاه – القاهرة ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م .




PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٦- الاستذكار : لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البرّ ، تح. سالم محمد عطا ، ومحمد معوض ، ط١ دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م .
١٧- أسس الحكم في الإسلام (الشورى والعدل والمساواة) : د. صالح السّدلان ، ط١ دار بلنسية – الرياض ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
١٨- الإسلام على مفترق الطرق : محمد أسد ، ترجمة : د . عمر فروخ ، ط دار العلم للملايين .
١٩- الإسلام والعَلاقات الدّولية : محمد عفيفي ، ط دار الرائد العربي - بيروت ١٤٠٦هـ.
٢٠- الإسلام وفلسفة الحكم : د . محمد عمارة ، ط دار الشروق – القاهرة ١٩٨٩م .
٢١- الإسلاميّة والقوى المضادة : د . نجيب الكيلاني ، ط١ مؤسسة الرّسالة – بيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
٢٢- الإسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين : عبد المنعم أحمد بركة ، ط مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية١٤١٠هـ .
٢٣- الإصابة في تمييز الصحابة : للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تح. علي البجاوي ، ط١ دار الجيل - بيروت ١٤١٢هـ .
٢٤- أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة : لنخبة من العلماء ، ط١وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - السّعودية ١٤٢١هـ .
٢٥- أصول الدعوة : د . عبد الكريم زيدان ، ط١ مؤسسة الرسالة – دمشق وبيروت ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م
٢٦- أصول العَلاقات الدولية في الإسلام : عمر أحمد الفرجاني ، المنشأة العامّة للنشر والتوزيع والإعلان – طرابلس/ ليبيا ١٣٩٣هـ .
٢٧- أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن : محمد الأمين الجكني الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ) ، ط١ دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
٢٨- الإعلام : د. عبد اللطيف حمزة ، ط١دار الفكر ١٩٧٨م .
٢٩- الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر بوسائله المعاصرة : عبد الله قاسم الوشلي ، ط٢ دار عمار- صنعاء ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م .
٣٠- الإعلام في القرآن الكريم : د . محمد عبد القادر حاتم ، ط١ مؤسسة فادي بريس – لندن ، وتوزيع دار قتيبة – بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
٣١- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم : للإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تح. محمد حامد الفقي ، ط٢ السنة المحمدية – القاهرة ١٣٦٩هـ .
٣٢- اقتضاء العلم العمل : للخطيب البغدادي ، تح. محمد ناصر الدين الألباني ، ط٥ المكتب الإسلامي – بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م .
٣٣- الإمامة والسياسة : لابن قتيبة ، ط القاهرة ١٣٣١هـ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣٤- الأمثال في القرآن الكريم : لابن القيّم محمد بن أبي بكر الزرعي ، تح. إبراهيم محمد ، ط١ مكتبة الصّحابة – القاهرة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
٣٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (أصوله وضوابطه وآدابه) : خالد بن عثمان السيد ، ط١ المنتدى الإسلامي – لندن ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
٣٦- الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - الرّياض ١٤١٧هـ
٣٧- الأمّة الوسط والمنهاج النبوي في الدّعوة إلى الله : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط١ وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - الرّياض ١٤١٨هـ.
٣٨- أنوار التنزيل وأسرار التأويل والمعروف بـ(تفسير البيضاوي) : للقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي (ت٧٩١هـ) ، ط١ دار الكتب العلميّة – بيروت ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م .
٣٩- أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء : قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي ، تح. د. أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي ، ط١ دار الوفاء - جدة ١٤٠٦هـ .
٤٠- أهمّيّة الدّعوة وصفات الدّاعية : د. محمد بيلو ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، إصدار: عمادة البحث العلمي ، العدد:(٥٣) ، لسنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
٤١- البداية والنهاية : لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، ط مكتبة المعارف – بيروت .
٤٢- البحر المحيط في التفسير : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي (ت٧٥٤هـ) ، إعتناء: الشيخ زهير جعيد ، ط دار الفكر – بيروت ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م .
٤٣- البرهان في علوم القرآن : محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط دار المعرفة - بيروت ١٣٩١هـ .
٤٤- - البصيرة في الدعوة إلى الله : عزيز فرحان العنزي ، ط١ دار الإمام مالك – الإمارات ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .
٤٥- تاج العروس من جواهر القاموس : محمد مرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هت) ، تح. مصطفى حجازي ، ط الكويت ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .
٤٦- التبصرة في القراءات : مكي بن أبي طالب ، تح.د. محيي الدين رمضان ط١ الكويت١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .
٤٧- التبيان في أقسام القرآن : للإمام ابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، ط دار الفكر – بيروت .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٤٨- التبيان في تفسير غريب القرآن : شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري ، تح. د. فتحي الدابولي ، ط١ دار الصحابة للتراث بطنطا – القاهرة ١٩٩٢م .

٤٩- تحرير ألفاظ التنبيه (لغة الفقه) : للإمام النووي ، تح. عبد الغني الدقر ، ط١ دار القلم – دمشق ١٤٠٨م .

٥٠- التحرير والتنوير : للشيخ محمد الطاهر بن محمد بن عاشور (ت١٣٩٣هـ) ، ط١ مؤسسة التأريخ العربي – بيروت ١٤٢٠ – ٢٠٠٠م .

٥١- التشريع الإسلامي مصادره وأطواره : د. شعبان محمد إسماعيل ، ط ٢مكتبة النهضة المصرية - مصر١٩٨٥م .

٥٢- التطرف والإرهاب في المنظور الإسلامي والدّولي : سالم الهنساوي ،ط١ دار الوفاء ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م .

٥٣- التعبير الفني في القرآن : د. بكري أمين ، ط٣ دار الشروق - بيروت ١٣٩٩هـ

٥٤- التعريفات : علي بن محمد بن علي الجرجاني ، تح. إبراهيم الأبياري ، ط١ دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٥هـ .

٥٥- تفسير سفيان الثوري : للإمام سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، ط١ دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٣هـ .

٥٦- تفسير القاسمي ، المسمى: (محاسن التأويل) : للشيخ محمد جمال الدين(ت١٣٣٢هـ) ، ط١عيسى الحلبي ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٥٧- تفسير القرآن العظيم : لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤ هـ ) ، تح. سامي محمد سلامة ، ط ٢ دار طيبة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م .
٥٨- تفسير القرآن العظيم ، المعروف بـ(تفسير المنار) ، للشيخ محمد رشيد رضا (ت١٣٥٤هـ) ، تعليق: سمير مصطفى رباب ، ط١ دار إحياء التراث العربي ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
٥٩- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي (ت٦٠٤هـ) ، تح. عماد زكي البارودي ، ط المكتبة التوفيقيّة – القاهرة .
٦٠- التقسيم الإسلامي للمعمورة : محيي الدين محمد قاسم ، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي – واشنطن ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
٦١- توجيهات إسلاميّة لإصلاح الفرد والمجتمع : محمد بن جميل زينو ، ط١ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية ١٤١٨هـ .
٦٢- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ، أحمد بن إبراهيم بن عيسى ، تح. زهير الشاويش ، ط٣ المكتب الإسلامي – بيروت ١٤٠٦هـ .
٦٣- التوقيف على مهمّات التعاريف : محمد عبد الرءوف المناوي ، تح. د. محمد رضوان الدايه ، ط١ دار الفكر المعاصر ، ودار الفكر - بيروت ، دمشق ١٤١٠هـ .
٦٤- التيسير في القراءات السبع : لأبي عمرو الداني(ت٤٤٤هـ) ، صححه: أوتوبرتزل ط الدولة ــ استانبول ، ١٩٣٠م .
٦٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي ، تح.عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، ط١مؤسسة الرسالة -زززززز ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م .
٦٦- الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ) ، طدار إحياء التراث العربي – بيروت .
٦٧- جامع البيان في تأويل القرآن : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ) ، تح. أحمد محمد شاكر ، ط١ مؤسسة الرسالة- بيروت ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
٦٨- الجامع الصحيح (سنن الترمذي) : لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السّلمي ، تح. أحمد محمد شاكر ، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت .
٦٩- الجرح والتعديل : لابن أبي حاتم الرازي ، ط١ دار الكتب العلمية ــ بيروت ١٣٧٢هـ ــ ١٩٥٣م .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٧٠- - الجواب الصّحيح لمن بدّل دين المسيح : للإمام ابن تيمية الحراني ، تح. د.علي حسن ناصر، ود.عبد العزيز إبراهيم العسكر، ود. حمدان محمد ، ط١ دار العاصمة – الرياض ١٤١٤هـ .
٧١- جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم : علي أحمد سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري ، تح. إحسان عباس ، ط١ دار المعارف - مصر١٩٠٠م .
٧٢- الجوانب الإعلامية في خطب الرسول صلى الله عليه وسلم : سعيد علي ثابت ، ط١ وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية ١٤١٧هـ .
٧٣- الحاوي الكبير : للشيخ أبي الحسن الماوردي ، ط دار الفكر ــ بيروت .
٧٤- الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة : زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري ، تح. د. مازن المبارك ، ط١ دار الفكر المعاصر - بيروت ١٤١١هـ .
٧٥- - حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار : لعبد الرحمن بن علي بن الديبع (ت٩٤٤هـ) ، تح . عبد الله الأنصاري ، طبع على نفقة أمير دولة قطر: الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ١٩٨٢م .
٧٦- الحريّة الإعلاميّة في ضوء الإسلام : سعيد علي ثابت ، ط عالم الكتب- الرياض ١٤١٢هـ .
٧٧- حقوق الإنسان في الإسلام – دراسة مقارنة مع الإعلام العالمي والإعلام الإسلامي لحقوق الإنسان - : د. محمد الزحيلي ، ط٢ دار الكلم الطيّب – دمشق ، ودار ابن كثير – بيروت ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
٧٨- حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة : د. أحمد الريسوني ، ود. محمد الزحيلي ، ود. محمد عثمان شبير ، سلسلة كتاب: (الأمّة) ، العدد (٨٧) ، السنة الثانية والعشرون ١٤٢٣هـ.
٧٩- الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ، سعيد بن علي بن وهف القحطاني ، ط١ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية ١٤٢٣هـ .
٨٠- حقوق الإنسان وأسباب الضعف في المجتمع الإسلامي في ضوء أحكام الشريعة : د . أحمد يسري ، - دون طبعة - ١٩٩٣م .
٨١- الحوار (آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسّنّة) : يحيى بن محمد زمزمي ، ط ٢ دار المعالي- عمّان ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
٨٢- الخطابة : د . يوسف محمّد يوسف عيد ، ط١ الفجر الجديد ١٩٩٢م .
٨٣- الخطابة وفنّ الإلقاء : د . أشرف محمد موسى ، ط الخانجى - القاهرة ١٩٧٨م .
٨٤- خطبة الجمعة في الكتاب والسنة : عبد الرحمن الحمد ، ط١ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - السعودية ١٤١٩هـ .
٨٥- خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة ، عبد الغني أحمد جبر مزهر ، ط١ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - السعودية ١٤٢٢هـ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٨٦- دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة : د . عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع ، ط٥ دار الفكر المعاصر - صنعاء ٢٠٠٥م - ٢٠٠٦م .
٨٧- دراسة خاصة عن العنف السياسي في مصر ، دراسة خاصة عن العنف السياسي في مصر : حسنين توفيق ، - مركز الدراسات السياسية الإستراتيجية بالأهرام - ١٩٨٨م .
٨٨- دراسة في منهاج الإسلام السّياسي : لأبي جيب سعدي ، ط١ مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م .
٨٩- الدر المنثور : عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، ط دار الفكر - بيروت ١٩٩٣م .
٩٠- دستور للأمّة من القرآن والسنة : د. عبد الناصر توفيق العطار، ط دار الفكر - بيروت ١٩٨٩م .
٩١- - الدّعوة إلى الإسلام : د. أبو بكر زكرى ، ط مكتبة دار العروبة – القاهرة .
٩٢- الدّعوة إلى التمسك بالقرآن الكريم وأثره في حياة المسلمين ، د. عبد الرحيم محمد المغذوي ، بحث مقدّم إلى ندوة: (عناية المملكة العربية السّعوديّة بالقرآن الكريم وعلومه ) ، تنظيم: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف بالمدينة المنوّرة ، سنة ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م ، وهو منشور على موقع الإسلام :-http://www.al-islam.com:
٩٣- الدعوة الفرديّة وأهمّيّتها في تربية الأجيال : عقيل المقطري ، تعز – اليمن ١٤٢١هـ .
٩٤- دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية (مختارات) : للإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، تح. د. محمد السيد ، ط٢ مؤسسة علوم القرآن – دمشق ١٤٠٤هـ
٩٥- الدين - بحوث ممهدة لدراسة الأديان - : د. محمد عبد الله دراز ، ط دار القلم الكويت.
٩٦- الرائد دروس في التربية والدعوة : للشيخ مازن عبد الكريم الفريح ، ط١ دار الأندلس – جدة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
٩٧- رفع الحرج في الشريعة – ضوابطه وتطبيقاته - : د. صالح عبد الله حميد ، ط١ جامعة أم القرى – مركز البحث العلمي – ١٤٠٣هـ .
٩٨- ركائز الإيمان : أ. محمد قطب ، ط دار الشروق ٢٠٠٥م .
٩٩- زاد المسير في علم التفسير : عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، ط٣ المكتب الإسلامي – بيروت ١٤٠٤هـ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٠٠- زاد المعاد في هدي خير العباد : للإمام ابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، تح. شعيب الأرناءوط ، وعبد القادر الأرناءوط ، ط١٤ مؤسسة الرسالة - ومكتبة المنار الإسلامية / بيروت – والكويت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .
١٠١- الزهد : لأبي عبد الله عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي ، تح. حبيب الرحمن الأعظمي ، ط دار الكتب العلمية – بيروت .
١٠٢- السلسلة الصحيحة : محمد ناصر الدين الألباني ، ط مكتبة المعارف – الرياض.
١٠٣- السّلطة القضائية وشخصية القاضي في النظام الإسلامي : محمد البكر ، ط الزهراء للإعلام العربي – القاهرة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
١٠٤- السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلاميّة : أ. د. عبد الكريم زيدان ، ط١ مؤسسة الرّسالة – بيرت ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
١٠٥- سنن البيهقي الكبرى : لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي ، تح. محمد عطا ، ط مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
١٠٦- سنن الدارمي : لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، تح. فواز أحمد زمرلي ، وخالد السبع ، ط١ دار الكتاب العربي – بيروت ١٤٠٧هـ .
١٠٧- سنن أبي داود : أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي(ت٢٧٣هـ) ، تح. محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط دار الفكر – بيروت .
١٠٨- سنن ابن ماجه : محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ) ، تح. محمد فؤاد عبد الباقي ، ط دار الفكر – بيروت .
١٠٩- سنن النسائي (المجتبى من السنن) : لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ) ، تح. الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ، ط٢ مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
١١٠- - سنن النسائي الكبرى : لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي(ت٣٠٣هـ) ، تح. د. عبد الغفار البنداري ، وسيد كسروي حسن ، ط ١ دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
١١١- - السياسة الشرعية : الشيخ عبد الوهاب خلاف ، ط القاهرة .
١١٢- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، ط دار المعرفة .
١١٣- شرح العقيدة الطحاوية : لابن أبي العز الحنفي ، ط٤ المكتب الإسلامي – بيروت ١٣٩١.
١١٤- الشريعة الإسلامية والأجانب في دار الإسلام : محمد عطية خميس ، ط دار الاعتصام - القاهرة ١٩٧٧م .
١١٥- شعب الإيمان : لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تح. محمد السعيد بسيوني زغلول ، ط١ دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٠هـ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١١٦- الصّحاح في اللغة والعلوم : للجوهري ، إعداد: نديم مرعشلي ، وأسامة مرعشلي ، ط دار الحضارة العربية – بيروت ١٩٧٤م .
١١٧- صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر) : محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ) ، تح. د. مصطفى ديب البغا ، ط٣ دار ابن كثير – بيروت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
١١٨- - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي ، تح. شعيب الأرناءوط ، ط٢ مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
١١٩- صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت٢٦١هـ) ، تح. محمد فؤاد عبد الباقي ، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت .
١٢٠- الضوابط الأخلاقيّة للاقتصاد الإسلامي : د. محمود بابللي ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – إصدار: عمادة البحث العلمي ، العدد:(٨) ، سنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
١٢١- الضياء اللامع من الخطب الجوامع : للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، ط١ إدارة البحوث العلمية والإفتاء – السعودية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
١٢٢- الطبقات الكبرى : محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري ، ط صادر – بيروت .
١٢٣- عالمية الإسلام : أنور الجندي ، ط دار الاعتصام – القاهرة .
١٢٤- العدوان على المرأة في المؤتمرات الدّوليّة : د. فؤاد عبد الكريم عبد العزيز ، ط١ الرياض ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .
١٢٥- العمل الإسلامي بين الاتفاق والافتراق : أ. نزار محمد عثمان ، ورقة عمل قدمت إلى المؤتمر العلمي ، جامعة الخرطوم / قسم الثقافة الإسلامية ٢٣-٢٥جمادى الأولى ١٤٢٥هـ ١٠- ٢٠٠٤/٧/١٢م ، منشور على موقع شبكة المشكاة الإسلاميّة .
١٢٦- العلاقات الدولية في الحروب الإسلامية : علي قراعة ، دار مصر للطباعة – القاهرة .
١٢٧- العلاقات الدولية في الشريعة الإسلامية: عباس شومان ، الدار الثقافية للنشر .
١٢٨- العنف والشريعة في مصر (دراسة قانونية) : د . مجدي متولي ، الهيئة المصرية العامّة للكتاب ١٩٩٥م .
١٢٩- عون المعبود شرح سنن أبي داود : أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ، ط٢ دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٥هـ .
١٣٠- الغلو في الدّين في حياة المسلمين المعاصرة : للأستاذ عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، ط٥ مؤسسة الرسالة – بيروت١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٣١- فتح الباري شرح صحيح البخاري : للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ط دار المعرفة - بيروت ١٣٧٩هـ .
١٣٢- فتح القدير الجامع بين فني الرّواية والدراية من علم التفسير : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، ط١ دار الخير – دمشق ١٤١٢هـ - ١٩٩١م (وهي طبعة منقحة) .
١٣٣- الفروسيّة : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، تح. مشهور حسن محمود ، ط ١ دار الأندلس - السعودية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
١٣٤- فقه السنة ، سيد سابق ، ط٣ دار الكتاب العربي بيروت – لبنان ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م .
١٣٥- الفوائد في اختصار المقاصد : العز بن عبد السّلام ، ط١ دار الفكر المعاصر للنشر والتوزيع ١٩٩٦م.
١٣٦- في ظلال القرآن : سيد قطب ، ط دار إحياء الكتب العربية – القاهرة .
١٣٧- القانون الرّهيب : أ. د. عبد الكريم زيدان ، مجلة التربية الإسلامية – بغداد العدد الأول، السنة السادسة ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م .
١٣٨- قانون السلام في الإسلام ، د. محمد طلعت الغنيمي ، ط منشأة المعارف – مصر .
١٣٩- القرآن شريعة المجتمع : د . عارف خليل ، ط١ دار الأرقم – الكويت ١٤٠٥هـ .
١٤٠- القرآن وحريّة الرّأي : هشام منور ، مقال منشور في مدونات أمين على شبكة الأنترنت للإعلام العربي ، بتأريخ ٢٩/ كانون الثاني / ٢٠٠٧م .
١٤١- القضاء الإداري : أ. د. أحمد عبد الرّحمن شرف الدّين ، ط جامعة صنعاء / اليمن ١٩٩١م .
١٤٢- القضاء الإداري في اليمن (الأسس العامّة) : د. محمد محمد الدرّة ، ط٣جامعة تعز / اليمن ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م .
١٤٣- القضاء في الإسلام وآداب القاضي : جبر محمود الفضيلات ، ط دار عمار - عمّان ١٤١٢هـ .
١٤٤- قواعد العَلاقات الدوليّة في القانون الدولي وفي الشريعة الإسلامية : جعفر عبد السلام ، ط مكتبة السلام العالميّة - القاهرة ١٤٠١هـ .
١٤٥- القواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها من الأحكام : علي بن عباس البعلي الحنبلي ، تح. محمد حامد الفقي ، ط السنة المحمدية - القاهرة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م .
١٤٦- الكامل في التاريخ : علي بن أبي الكرم بن الأثير (ت٦٣٠هـ) ، ط دار صادر – بيروت ١٩٦٥م .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٤٧- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ) ، تح. عبد الرزاق المهدي ، ط٢ دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .
١٤٨- كمال الدين الإسلامي وحقيقته ومزاياه : عبد الله بن جارالله إبراهيم آل جارالله ، ط ١ وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - السعودية ١٤١٨هـ .
١٤٩- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : علي بن حسام الدّين المتقي الهندي ، ط مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٩م .
١٥٠- اللباب في شرح الكتاب : عبد الغني الغنيمي الدمشقي الميداني ، تح. محمود أمين النواوي ، ط دار الكتاب العربي .
١٥١- لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، ط١ دار صادر – بيروت .
١٥٢- لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير : محمد الصّباغ ، ط المكتب الإسلامي - بيروت ١٣٩٤هـ .
١٥٣- مآثر الإنافة في معالم الخلافة : أحمد بن عبد الله القلقشندي ، تح. عبد الستار أحمد فراج ، ط٢ مطبعة حكومة الكويت - الكويت – ١٩٨٥م .
١٥٤- مباحث في علوم القرآن : للشيخ مناع القطان ، ط ٨ مكتبة المعارف- الرياض ١٤٠١هـ .
١٥٥- مبدأ المشروعية وضوابط خضوع الدولة للقانون في الفقه الإسلامي : د . فؤاد محمد النادي ، ط جامعة صنعاء ١٩٨٠م - القضاء الإداري في اليمن – الأسس العامّة - : د . محمد محمد الدرة ، ط٣ المتفوق – صنعاء ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .
١٥٦- المتطرّفون : د. عمر عبد الله كامل ، مكتبة التراث الإسلامي - دون طبعة أو تاريخ - .
١٥٧- المجتمع المدني في عهد النبوة (خصائصه وتنظيماته الأولى) : د. أكرم ضياء العمري ، ط ١ المجلس العلمي بالمدينة المنورة ١٩٨٣م .
١٥٨- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، ط دار الفكر - بيروت ١٤١٢هـ .
١٥٩- مجموعة الوثائق السّياسيّة للعهد النبوي والخلافة الرّاشدة : د . محمد حميد الله آبادي ، ط القاهرة ١٩٥٦م .
١٦٠- المحصول في علم الأصول : محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، تح. د. طه جابر العلواني ، ط١ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض ١٤٠٠هـ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٦١- المحلى : لأبي محمد بن علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت٤٥٦هـ) ، ط دار الفكر ، وهي مصححة ومقابلة على نسخة أحمد محمد شاكر .
١٦٢- مختصر الشمائل المحمدية : لأبي عيسى محمد الترمذي ، اختصره وحققه محمد ناصر الدين الألباني ، ط المكتبة الإسلامية – عمّان .
١٦٣- مختصر إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل : الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، ط٢ المكتب الإسلامي – بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
١٦٤- مختصر العلو للعلي الغفار : للحافظ الذهبي ، تح. الشيخ الألباني ، ط٢ المكتب الإسلامي - بيروت ١٤١٢هـ .
١٦٥- المد الإسلامي في مطالع القرن الخامس عشر : لأنور الجندي ، ط دار الاعتصام – القاهرة .
١٦٦- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ابن قيم الجوزية) ، تح. محمد حامد الفقي ، ط٢ دار الكتاب العربي – بيروت ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .
١٦٧- مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، والمعروف بـ(تفسير النسفي) : لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت٧١٠هـ) ، دار الكتاب العربي – بيروت .
١٦٨- المدونة الكبرى : للإمام مالك بن أنس ، ط١ دار صادر – بيروت .
١٦٩- المستدرك على الصحيحين : محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، تعليق الذهبي ، تح. مصطفى عبد القادر عطا ، ط١ دار الكتب العلمية - بيروت١٤١١هـ - ١٩٩٠م .
١٧٠- مسند أحمد بن حنبل : لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني(ت٢٤١هـ) ، ط مؤسسة قرطبة – القاهرة .
١٧١- مسند أبي يعلى : أحمد بن علي بن المثنى (أبو يعلى الموصلي التميمي) ، تح. حسين سليم أسد ، ط١ دار المأمون للتراث - دمشق١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
١٧٢- مشكاة المصابيح : محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، تح. محمد ناصر الدين الألباني ، ط٣ المكتب الإسلامي – بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
١٧٣- مشكلة الثقافة : مالك بن نبي ، ترجمة : د. عبد الصبور شاهين ، ط دار الفكر – بيروت .
١٧٤- مشكلة الغلو في الدّين في العصر الحاضر- الأسباب ، والآثار ، والعلاج : عبد الرحمن اللويحق ، ط١ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٩٩٨م .
١٧٥- مع الله - دراسات في الدّعوة والدعاة - : محمد الغزالي ، ط دار الكتب الحديثة – مصر.
١٧٦- معالم التنزيل : لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ ) ، تح. محمد عبد الله النمر ، وعثمان جمعة ضميرية ، وسليمان مسلم الحرش ، ط٤ دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٧٧- معالم المنهج الإسلامي : د . محمّد عمارة ، ط٣ دار الرشاد – مصر ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
١٧٨- معاني القرآن الكريم : لأبي جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ) ، تح. محمد علي الصابوني ، ط١ جامعة أم القرى - مكة المرمة ١٤٠٩هـ .
١٧٩- المعجم الأوسط : لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، تح. طارق عوض ، وعبد المحسن إبراهيم ، ط دار الحرمين - القاهرة ، ١٤١٥هـ .
١٨٠- المعجم الكبير : لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، تح. حمدي عبد المجيد ، ط٢ مكتبة العلوم والحكم - الموصل١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م .
١٨١- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج : للشيخ شمس الدين محمد الخطيب الشربيني ، عناية: محمد خليل عيتاني ، ط دار المعرفة – بيروت ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
١٨٢- مفهوم المساواة في الإسلام دراسة ومقارنة : د. حسن خليل ، ط دار الرشيد – الرياض ١٣٩٣هـ .
١٨٣- المناظرة في القرآن : عبدالله المقدسي ، تح. الجديع ، ط١ مكتبة الرشد – الرياض ١٤٠٩هـ .
١٨٤- مناهل العرفان في علوم القرآن : محمد عبد العظيم الزرقاني ، ط١ دار الفكر - بيروت ١٩٩٦م .
١٨٥- منهج الحياة في القرآن والسنة : إصلاح اسماعيل أمين ، ط ١ دار الفكر العربي الكريت١٩٨٢م .
١٨٦- مفردات ألفاظ القرآن : للحسين بن محمد - المعروف بالراغب الأصفهاني ، ط دار القلم ــ دمشق .
١٨٧- مفهوم العدل في الإسلام : مجيد خدوري ، دراسات في الفكر الديني - دمشق ١٩٩٨م .
١٨٨- مقاصد الشريعة الإسلامية : محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ) ، ط الشركة التونسية للتوزيع .
١٨٩- مقدّمات للنهوض بالعمل الدعوي : أ. د. عبد الكريم بكار ، ط٢ دار القلم – دمشق ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
١٩٠- مقدمة ابن خلدون : للمؤرخ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت٨٠٨هـ) ، ط دار الفجر في التراث – القاهرة ٢٠٠٤م .
١٩١- مقوّمات الدّاعية الناجح : د علي بن عمر بن أحمد بادحدح ، ط٤ دار الأندلس الخضراء – جدة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
١٩٢- المنثور في القواعد : محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، تح. د. تيسير فائق ، ط٢ وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت ١٤٠٥هـ .
١٩٣- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج : لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي ، ط٢ دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٣٩٢هـ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٩٤- المنهج الإصلاحي مجموعة متكاملة من الأنظمة : أ. د. عبد الكريم بكار ، مجلة البيان، الصّادرة في لندن ، العدد:(٧٥) ، لسنة ١٤١٤هـ .
١٩٥- الموافقات في أصول الفقه (الشاطبي) : إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي ، تح. عبد الله دراز ، ط دار المعرفة – بيروت .
١٩٦- الموسوعة في سماحة الإسلام : د . صادق ابراهيم عرجون ، ط٢ الدار السعودية – جدة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
١٩٧- موطأ الإمام مالك : مالك بن أنس الأصبحي ، تح. محمد فؤاد عبد الباقي ، ط دار إحياء التراث العربي – مصر .
١٩٨- موضوعات خُطبة الجُمعة : عبد الرحمن اللويحق ، ط١ وزارة الشئون الإسلامية –السعودية ١٤١٩هـ .
١٩٩- النبأ العظيم : د. محمد عبد الله دراز ، ط ٢ دار القلم - الكويت ١٣٩٠هـ .
٢٠٠- نظام الأمان في الشريعة الإسلامية وأوضاع المستأمنين : سامي الصقار ، ط جامعة محمد الخامس - الرباط ١٩٧٧م .
٢٠١- النظرة الإسلاميّة للإعلام : محمد كمال الدّين إمام ، ط١ دار الحديث العالميّة – الكويت ١٤٠١هـ- ١٩٨١م .
٢٠٢- نظم الحكم المعاصر : لأبي راس محمد الشافعي ، ط عالم الكتب - القاهرة ١٩٧٧م .
٢٠٣- النظم الديبلوماسيّة في الإسلام : صلاح الدّين المنجد ، ط دار الكتاب الجديد - بيروت ١٤٠٣هـ .
٢٠٤- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرّباط البقاعي (ت٨٨٥هـ) ، ط١ دار الكتب العلميّة –بيروت ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
٢٠٥- النظريات السّياسيّة الإسلاميّة : د . محمّد ضياء الدّين الرّيس ، ط٧ دار التراث – مصر ١٩٧٩م .
٢٠٦- نقد السياسة (الدين والدولة) : د . برهان غليون ، ط٢ المركز الثقافي العربي – بيروت ١٩٩٣م .
٢٠٧- نهاية التاريخ وخاتم البشر : فرانسيس فوكو ياما ، ترجمة / حسين أحمد أمين ، ط١ مركز الأهرام – مصر ١٤١٣هـ .
٢٠٨- النهاية في غريب الحديث والأثر : لأبي السّعادات المبارك بن محمد الجزري ، تح. طاهر أحمد الزاوي ، محمود الطناحي ، ط المكتبة العلمية - بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
٢٠٩- الهداية شرح بداية المبتدي : للشيخ برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني (٥٩٣هـ) ، تح. محمد محمد قامر ، وحافظ عاشور ، ط١ دار السّلام – القاهرة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢١٠- الوحي المحمّدي : رشيد رضا ، ط المكتب الإسلامي - دمشق ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م .
٢١١- وسطية الإسلام : صالح حبيب الله (تشي شيوه ي) ، ط١ وزارة التعليم العالي / جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة – السعودية ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م .
٢١٢- وسطية الإسلام وسماحته : أ. د. وهبه مصطفى الزحيلي ، ط وزارة التعليم العالي – جامعة محمد بن سعود الإسلاميّة – السعودية ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م .
٢١٣- وظيفة المسجد في المجتمع : صالح بن ناصر الخزيم ، ط١ وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - السّعوديّة ١٤١٩هـ .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

# فهرست المحتويات


الباب الأوّل : القرآن ودوره الإصلاحي.....

الفصل الأوّل : عالميّة القرآن الكريم.....

الفصل الثاني : القرآن والإسلام.....

الفصل الثالث : دور القرآن في حريّة الرّأي.....

الفصل الرّابع : شموليّة دعوة القرآن الكريم.....

الفصل الخامس : القرآن ودعوته الإصلاحيّة إلى حفظ الضرورات الخمس .....

المبحث الأوّل: دعوته إلى حفظ الدّين.....

المبحث الثاني: دعوته إلى حفظ النفس.....

المبحث الثالث: دعوته إلى حفظ العقل.....

المبحث الرّابع: دعوته إلى حفظ النسل.....

المبحث الخامس: دعوته إلى حفظ المال.....

الفصل السّادس : القرآن والمجتمع.....

المطلب الأوّل: دعوة القرآن المجتمع إلى ترك الفساد ، وحثهم إلى الصّلاح.....

المطلب الثاني: أثر القرآن في إصلاح أمن المجتمع.....

المطلب الثالث: الأسلوب القرآني في مخاطبة الرّوح الجماعية.....

المطلب الرّابع: دور القصّة القرآنيّة وأثرها في إصلاح المجتمع.....

المطلب الخامس: القرآن والمجتمع اليماني.....

الباب الثاني : دور القرآن في إصلاح المجتمع.....

الفصل الأوّل : دور القرآن في إصلاح المجتمع عقدياً.....

المبحث الأوّل : أثر القرآن في إصلاح البناء الفكري.....

المبحث الثاني : أثر القرآن في الدّعوة إلى الاعتدال الفكري.....

المبحث الثالث : دور القرآن في إصلاح مشكلة الغلو.....

المبحث الرّابع : فتنة التكفير وضرره على المجتمع.....




PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفصل الثاني : دور القرآن في إصلاح المجتمع تعبدياً.....
المبحث الأوّل : ضرورة الدّين لإصلاح المجتمع.....
المبحث الثاني : أثر القرآن في تيسير التشريع والتكليف.....
المبحث الثالث : الوسطيّة في التشريع والتكليف.....
الفصل الثالث : دور القرآن في الإصلاح الدّعوي.....
المبحث الأوّل : دور القرآن في إصلاح الدّعوة.....
المطلب الأوّل : أهميّة الدّعوة في إصلاح المجتمع.....
المطلب الثاني : أثر القرآن في إصلاح خُطبة الخطيب.....
المطلب الثالث : أثر القرآن في الدّعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....
المبحث الثاني : دور القرآن في إصلاح الدّعاة.....
الفصل الرّابع : دور القرآن في إصلاح المجتمع خُلقياً.....
المطلب الأوّل : أثر القرآن في الدّعوة إلى تعاون أفراد المجتمع.....
المطلب الثاني : دعوة القرآن إلى إنصاف المجتمع.....
المطلب الثالث : دعوة القرآن إلى إصلاح التآخي والمحبة بين الأفراد.....
المطلب الرّابع : أثر القرآن في إعلام مصادر الإلزام الخُلقي.....
الفصل الخامس : دور القرآن في إصلاح النظام الاجتماعي.....
المبحث الأوّل : دور القرآن في إصلاح نظام الأسرة واستقراره.....
المبحث الثاني : أثر القرآن في إصلاح التربية والتنظيم والتعليم.....
المبحث الثالث : دعوة القرآن إلى المحافظة على النفس والصّحة.....
المبحث الرّابع : دور القرآن في إصلاح حقوق المرأة.....
المبحث الخامس : أثر القرآن في إصلاح المُساواة بين الرّجل والمرأة.....
المبحث السّادس : دعوة القرآن إلى تطوّر المجتمع حِضارياً.....
المبحث السّابع : أثر القرآن الكريم في إصلاح حقيقة التغيير.....
المبحث الثامن : صلاح الفرد بصلاح المجتمع.....
المبحث التاسع : توسيع الشريحة الوسطى مهمّة إصلاحيّة كبرى.....
الفصل السّادس : دور القرآن في إصلاح النظام الاقتصادي.....
المطلب الأوّل : أثر القرآن في إحكام النظام الاقتصادي.....
المطلب الثاني : دور القرآن في إصلاح كسب المال وإنفاقه.....

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الثالث : دور القرآن في إصلاح المال وحفظه.....
المطلب الرّابع : أثر القرآن في تكامل نظام المسؤوليّة المدنيّة والجنائيّة.....
الفصل السّابع : دور القرآن في إصلاح السّياسي.....
المبحث الأوّل : دعوة القرآن إلى بناء الدّولة وإصلاحها.....
المبحث الثاني : دور القرآن في إصلاح مبدأ الشورى.....
المبحث الثالث : أثر القرآن في إصلاح طاعة ولاة الأمور.....
المبحث الرّابع : دور القرآن في إصلاح العدالة تجاه أبناء المجتمع.....
المبحث الخامس : أثر القرآن في إصلاح ترسيخ العَلاقات الدّوليّة.....
الفصل الثامن : دور القرآن في إصلاح الإعلام.....
المطلب الأوّل : أثر القرآن في إصلاح رجل الإعلام.....
المطلب الثاني : دور القرآن في إصلاح الشعور بالأمن إعلاميّاً.....
المطلب الثالث : دور الرّسالة الإعلاميّة الإسلاميّة.....



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com